تاريخ الثورة الثقافية البروليتارية في الصّين
1965 - 1969

تأليف: جَان دُوبيه

ترجمة: طلال الحسَيني

تاريخ الثورة الثقافية البروليتارية

في الصين (١٩٦٥-١٩٦٩)

جَان دُوبيه

تاريخ الثورة الثقافية البروليتارية في الصّين (١٩٦٥-١٩٦٩)

ترجمة:
طلال الحسيني

دَار الطليعة للطباعة وَالنشر
بيروت

الطبعة الأولى
نيسان (ابريل) ١٩٧١

تنبيه من الناسخ الالكتروني !

١) صدر هذا الكتاب قبل سقوط لين بياو،

٢) يتبنى مؤلف هذا الكتاب القصة الماوية الحكومية الرسمية لأحداث الثورة الثقافية البروليتارية العظمى الصينية، بما في ذلك:

أ. ما يسمى "اليسار المتطرف"، والتي اثبتت الأحداث التي وقعت بعد وفاة ماوتسي تونغ، حقانية هذا اليسار "المتطرف"،

ب. الموقف من ما يسمى صيغة "الإتحاد المثلث".

لكننا، برغم ذلك، نسخنا هذا المؤلف الى الإنترنت كما هو، بدون أي حذف او إعادة صياغة.

وبغية تكوين صورة صحيحة عن تاريخ الثورة الثقافية البروليتارية العظمى الصينية، بعيداً عن التشويش، ننصح القرّاء الأعزاء بقراءة كرّاس الرفيق سام مارسي، مؤسس وقائد ومنظر حزب العمال العالمي الأميركي، المعنون "صين ١٩٧٧: نهاية حقبة ماو الثورية"، حيث يعطي فيه سرداً تحليلياً علمياً صحيحاً لأحداث تلك الفترة .... .

٣) سبق أن قام الناسخ الالكتروني بنسخ بعض فصول وأجزاء هذا الكتاب، كل على حدى، الى الإنترنت، عن طريق الرقن اليدوي بواسطة لوحة المفاتيح.

لذا إقتضى التنويه.

الصوت الشيوعي

توطئة

لم يكن لدي نية تأليف كتاب ، عندما عدت الى اوروبا ، بعد اقامتي في الصين ، التي امتدت من عام ١٩٦٦ حتى صيف ١٩٦٨ . اخذت به على نفسي عام ١٩٦٩ ، بعد ما تبينت مقدار ما بقي عليه النقص في معرفة تلك الثورة الثقافية ، التي كنت لها شاهدا .

ان الصين ، بالواقع ، محاطة بستار من الجهل ، تلتقي على ابقائه قوى قديرة . فالصحافة الكبرى لا تشعر بأي عطف على نظامها الثوري ، فلا ينبغي ان نعجب من كونها — الا ما ندر — مهتمة بالتنفير منه اكثر من الكلام عنه بموضوعية .

اما المختصون بالمسائل الصينية ، ان كانوا منتمين الى الجامعة ام الى الاوساط الحكومية ، فكثيرون اولئك الذين يقعون في نفس الزلة ، الأمر الذي يدفع الى الشك بقيمة تحليلاتهم .

فكان علي ، في هذا الكتاب ، ان أجافي نظريات ، اصحابها بعض اولئك المختصين ، والتي تجوز بقوة التكرار على انها حقائق مبينة ، مع الأسف . فلا اساس ، برأيي ، للقول بأن «القفزة الكبرى الى الامام» عام ١٩٥٨ ، كانت فشلا ذريعا ، وانه ، من حينه ، فقد ماوتسي تونغ السلطة ، ولم يستعدها الا بعسر شديد خلال الثورة الثقافية . وخاطىء كذلك تقديم هذه الاخيرة على انها انقلاب عسكري ، كان قد فتت الحزب الشيوعي ، وأيضا التأكيد على ان العمال الصينيين كانوا الى جانب ليو شاوشي ضد ماوتسي تونغ ، الخ ..

من جهة اخرى ، ينبغي القول ان نواقص الدعاية الصينية ساعدت على حالة الجهل التي يوجد عليها الخارج . فالمنشورات والاذاعات التي تذيعها الصين في الخارج كان ينبغي ان تنير الرأي العالمي ، وتفضح التلفيقات . وليس لنا الا ان نأسف لكون الامر ليس حقا كذلك . ان الدعاية الصينية قليلة الملاءمة للجمهور الذي تتوجه اليه. فغرابة الاسلوب

والقيمة الادبيةالمشكوك فيها لبعض الترجمات تقترن بغياب منفر للمعلومات الدقيقة والملموسة ، وغالبا ما أبقى في الظل على نواح هامة جدا من الثورة الثقافية . أن الثوريين الحقيقيين ، كما يقول ماوتسي تونغ ، لا يخافون الانتقادات . لهذا انا واثق من ان الشيوعيين الصينيين سيلقون هذا الانتقاد بالترحاب .

هناك ثلاثة وجوه للثورة الثقافية . اولها ايديولوجي : لصراع بين الماركسية – اللينينية – الماوية وبين التحريفية . وهذه الاخيرة ، حسب تعريف سأفصله في المقدمة ، هي فساد الثورة بالتراث . والوجه الثاني اجتماعي وسياسي ، معا : للتكوين الثوري للأجيال الصينية الشابة التي لم تعرف المجتمع القديم . والثالث هو لنضال قام به ماوتسي تونغ وأنصاره ضد فريق من قادة الحزب ، ممثل بشكل رئيسي بليو شاوشي، الذيكان يعارض مشروعهم . انتاريخالثورة الثقافيةهو تاريخهذا الصراع. ورغم انني اتعرض في هذا المؤلف للوجهين الاولين ، فان الوجه الثالث خاصة ، والأقل شهرة بالحقيقة ، هو الذي يتجلى فيه .

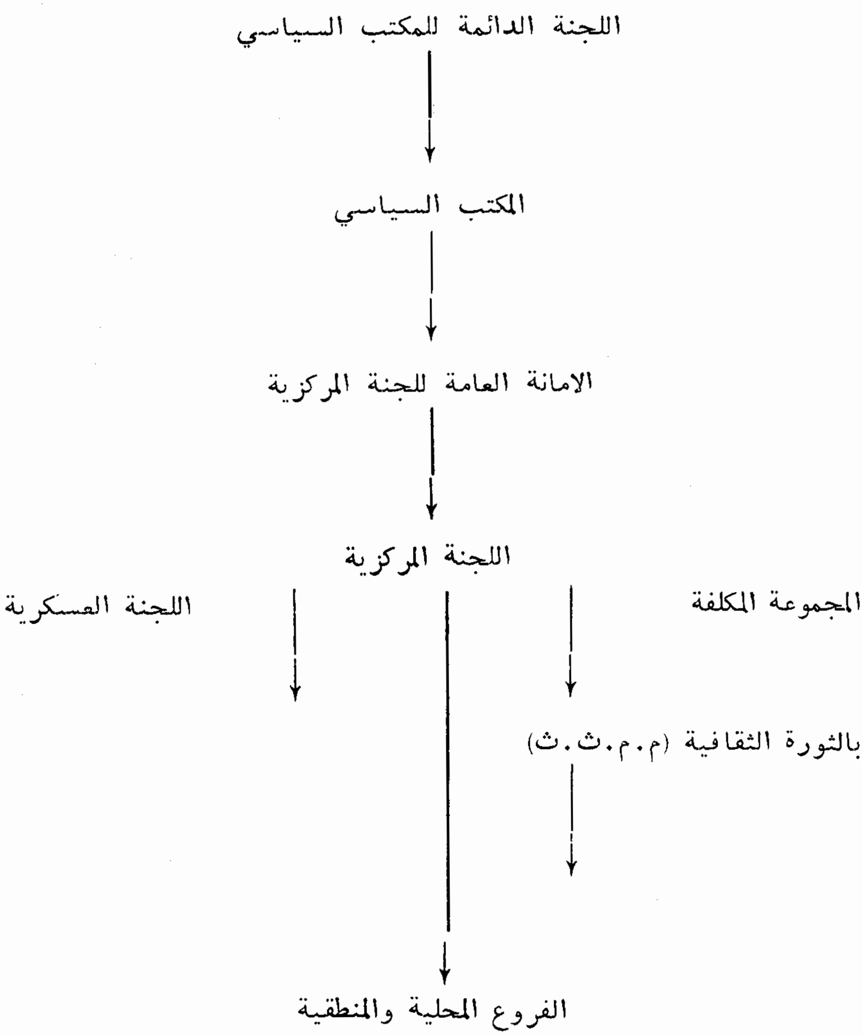
وللثورة الثقافية ، بالواقع ، تاريخ كما لثورة اوكتوبر او للثورة الفرنسية تاريخ . وهو جدير بأن يروى . وبدهي جدا ان معرفة الوقائع هي الركيزة الوحيدة لتحليل نظري مقبول . لذا كان وصف وقائع آخرة الثورات الكبرى الحديثة ، عملا لا غنى عنه اطلاقا .

لقد اشتغلت في الصين كمترجم . واستطعت متابعة مسيرة الثورة الثقافية بفضل احاديثي ، في مكان عملي وفي الشوارع والمدارس ، مع اصدقاء اجانب وصينيين يزاولون مهنا مختلفة . وكان لهذا الاتصال ان يبقى محدودا لولا تدخل ماوتسي تونغ الشخصي ، الذي خول الشغيلة الاجانب في الصين حضور الاجتماعات في كل الاماكن ، والاطلاع كرفاقهم الصينيين ، والمساهمة حين يرغبون بالنشاطات السياسية .

ان التاريخ الذي اروي هو ذاك الذي عاشه من صنعه من ملايين البشر . انه تاريخ مشروع سياسي باهر ، منطقي في مسيرته ، حماسي وغالبا ملحمي . وهذا ما جعلني اكثر حرية بتقديم الحدث على حقيقته : حقيقة انتصار لماوتسي تونغ ، ولسياسته الثورية .

٩ شباط ١٩٧٠

أ – جدول تنظيم الحزب الشيوعي الصيني ، خلال الثورة الثقافية



ملاحظة : لعبت اللجنة العسكرية و (م.م.ث.ث) دورا فعالا خلال الثورة الثقافية ، خاصة (م.م.ث.ث) ، بينما الهيئات التقليدية : اللجنة المركزية – الامانة العامة ، المكتب السياسي ، بقيت أقل بروزا ، هذا لا يعني دون فعالية .

ب – جدول المسؤولين الرئيسيين عن السياسة الصينية ومراكزهم خلال الثورة الثقافية [1]

« العصابة السوداء »

المرمى الاول للثورة الثقافية

● **بنغ شنغ :**
– محافظ بكين
– عضو المكتب السياسي

● **لو تنغ يي :**
– نائب رئيس الوزراء
– عضو المكتب السياسي
– المسؤول عن الدعاية والتعليم

● **لوو جوي – كنغ :**
– رئيس الاركان

● **يانغ شانغ كونغ :**
– امين اللجنة المركزية

● **ووهان – تنغ توو – لياو موشا**
– صحافيون
– نواب محافظ بكين

كتلة ليو

المرمى الرئيسي للثورة الثقافية

● **ليو شاوشي :**
– رئيس الجمهورية
– نائب رئيس الحزب الشيوعي الصيني
– عضو المكتب السياسي

● **تنغ هزياو بنغ :**
– الامين العام للجنة المركزية
– عضو المكتب السياسي

● **تاو شو :**
– عضو المكتب السياسي
– المسؤول عن (م.م.ث.ث) حتى ايلول ١٩٦٦

● **تان شن – لين**
– عضو المكتب السياسي
– نائب رئيس الوزراء
– وزير الزراعة

---

(١) يبين هذا الجدول مراكز المتصارعين قبل المؤتمر التاسع ، خلال الاحداث التي يرويها هذا الكتاب ، وبعد المؤتمر أقيل بعضهم ، وارتفعت مراكز البعض الاخر .

الاتجاه اليساري المتطرف داخل (م٠م٠ث٠ث) الذي قضي عليه في ايلول ١٩٦٧

● **وانغ لي :**
- عضو(م٠م٠ث٠ث) المكلف بالدعاية
- محرر في «الراية الحمراء»

● **كوانغ فنغ :**
- عضو (م٠م٠ث٠ث)
- محرر في «الراية الحمراء»

● **لن كيه :**
- عضو (م٠م٠ث٠ث)

● **تزي بن يي :**
- عضو (م٠م٠ث٠ث)
- محرر في «الراية الحمراء»

القيادة الماوية

● **ماوتسي تونغ**
- رئيس الحزب الشيوعي

● **لين بياو :**
- نائب رئيس الحزب الشيوعي
- نائب رئيس الوزراء
- وزير الدفاع الوطني

● **تشن بوتا :**
- عضو مساعد في المكتب السياسي
- رئيس (م٠م٠ث٠ث)
- رئيس تحرير «الراية الحمراء»

● **كيانغ تسنغ :**
- رئيس (م٠م٠ث٠ث) المساعد
- زوجة ماوتسي تونغ

● **ياوين يان :**
- عضو (م٠م٠ث٠ث)
- صحافي
- مسؤول في لجنة شانفهاي البلدية

● **شو آن لاي :**
- رئيس الوزراء
- نائب رئيس الحزب
- عضو المكتب السياسي

● **كانغ شنغ :**
- مستشار (م٠م٠ث٠ث)
- عضو مرشح للمكتب السياسي

● **تشانغ تشوون – كياو :**
- مسؤول في لجنة شانفهاي البلدية
- رئيس (م٠م٠ث٠ث) المساعد

ج – جدول زمني بتطورات الثورة الثقافية

الطور الاول

من ١٠ تشرين الثاني حتى نيسان ١٩٦٦

– انتقاد ووهان ومقاومة بنغ شنغ	– ١٠ تاول ١٩٦٥ : نشر مقال : «حول المسرحية الجديدة ، عزل هاي جوي» في شانغهاي . – خطة شباط ١٩٦٦ لبنغ شنغ .

من نيسان ١٩٦٦ حتى حزيران ١٩٦٦

– انتقاد بنغ شنغ والعصابة السوداء – صعود الثورة الثقافية في الجامعات .	– «أخطار ١٦ ايار» – ٢٧ ايار : اول دازيباو ماركسي لينيني ، وطني في جامعة بكين .

من حزيران ١٩٦٦ حتى تموز ١٩٦٦

– فترة «مجموعات العمل» بقيادة ليو وتنغ . – الخمسون يوما	– ١٧ تموز عوده ماوتسي تونغ الى بكين .

من اول آب الى ١٢ منه ١٩٦٦

– انعقاد الدورة العامة الحادية‌عشرة للجنة المركزية .	– ادانة «مجموعات العمل» – تراجع ليو شاوشي وتنغ هزياو بنغ . – ٨ آب ٦٦ : تبني ونشر بيان «البنود الستة عشر» .

الطور الثاني

آب وأيلول ١٩٦٦

– ظهور الحرس الاحمر ومناورات تاوشو – المبادلات الثورية، تنقلات الحرس الاحمر – حركة الرفض تعم المصانع	– ٨ آب ٦٦ : اول تجمع كبير للحرس الاحمر في تيان آن

من تشرين الاول حتى كانون الاول ١٩٦٦

— الطبقة العاملة تدخل الثورة
— اكمال انتقاد ليو وتنغ
— مقاومة مجموعة ليو
— انشقاق الحرس الاحمر
— حوادث في شانغهاي
— هجوم ثوري مضاد
— ملصقات ضد تاوشو

— ٣ ت١ ٦٦ : نشر افتتاحية «الراية الحمراء» الثالثة عشرة التي تدعو الى النضال ضد خط ليو
— ٢٣ ت١ ٦٦ : نقد ذاتي لليو شاوشي
— ٩ ك١ ٦٦ : حادث آنفنغ

الطور الثالث

من كانون الثاني ١٩٦٧ حتى شباط ١٩٦٧

— ثورة شباط في شانغهاي
— انتقال السلطة الذي دشن في شانغهاي ، ينتشر في الصين
— انشاء اللجان الثورية
— ظهور الميول العفوية

— ٣١ ك٢ : اللجنة الثورية لهيولنغ — كيانغ
— ٥ شباط : كومونة شانغهاي
— ١٣ شباط : لجنة كوييت شئو الثورية

شباط — آذار ١٩٦٧

— حملة اصلاح المنظمات الجماهيرية
— تيار شباط المضاد اليميني
— رد ثوري
— السلطات تدعو الى الحلف الكبير والوحدة
— صراع يرتسم في (م.م.ث.ث)

— ٢٢ آذار : مؤتمر العمال
— اول نيسان : نشر : «وطنية ام انهزامية »
— ٢٠ نيسان : انشاء لجنة بكين الثورية

تموز — آب ١٩٦٧

— الاتجاه العفوي يفور ، وهو ممثل في (م.م.ث.ث) كما في المنظمات الجماهيرية
— انشقاقات متعددة
— حملات ضد الجيش
— ظهور ملصقات في بكين ضد شو آن لاي

— ٢٠ تموز : حادث ووهان
— ٥ آب : نقد ذاتي لليو شاوشي
— ٢٠ آب : حوادث العنف تبلغ ذروتها في كانتون
— ٢٢ آب : حريق القنصلية البريطانية في بكين

ايلـول ١٩٦٧

- بعد جولة في المقاطعات يعود ماو الى بكين ، ويعطي العديد من التوجيهات :
  - دعم شو آن لاي والجيش
  - طرد اليساريين المتطرفين من (م.م.ث.ث)
  - اعلان الهزيمة الحاسمة لكتلة ليو

الطـور الرابـع

من ايلول ١٩٦٧ حتى شباط ١٩٦٨

- اعادة ترتيب
- التشديد من اليقظة الثورية
- انشاء دورات دراسة فكر ماوتسي تونغ
- انشاء لجان ثورية جديدة وتدعيم القديمة
- النضال ضد التكتلية
- نداء لاعادة تنظيم الحزب
- بداية التحول التعليمي

- ١ ت١ ٦٧ : لين بياو يعلن في خطاب له بدء الدورات الدراسية
- ١ ت٢ ٦٧ : لجنة مونغوليا الداخلية ، الثورية
- ٢٠ شباط ٦٨ : لجنة ثورية في ووهان
- ٢١ شباط ٦٨ : لجنة ثورية في كانتون ومقاطعة كوانغ تونغ
- ٢٨ شباط ٦٨ : افتتاحية «يومية الجيش» : «دعم اليسار وليس الكتل»

الطـور الخامس

من شباط حتى نيسان ١٩٦٨

- تيار شباط المضاد ، الثاني : مجموعات من العاصمة تهاجم سي فوتشي، وأخرى تدافععنه. الهيئات المركزية تدعمه .
- تيار يميني يحاول اعادة الاعتبار للتحريفية تحت ستار مكافحة «اليسارية»

- بداية شباط (؟) ٦٨ : عزل تزي بن يي
- ١٨ آذار : «يومية الشعب» تنشر على صفحتها الاولى صورة سي فوتشي
- منتصف آذار : عزل ثلاثة قادة عسكريين هامين

من نيسان حتى تموز ١٩٦٨

- النضال ضد التيار الثاني المضاد
- التكتلية تبعث من جديد في الجامعات
- دخول فرق المراقبة العمالية الجامعات ثم الادارة والهيئات الثقافية

- اواخر آذار - بداية نيسان: نداء من ماو للدفاع عن اللجان الثورية وعدم التخوف من التكتلية المحتوية على عنصر نضال طبقي
- ٢٧ نيسان: «يومية الشعب» تنشر مقالا بعنوان : لنقم بالتحليل الطبقي للروح التكتلية
- منتصف تموز : الفريق العمالي الاول يدخل جامعة تزينجهوا

من تموز حتى تشرين الاول ١٩٦٨

- رسوخ اللجان الثورية
- في بداية تشرين الاول البلاد مغطاة بشبكة من اللجان الثورية. الدورة العامة الثانيه عشرة للجنة المركزية تعلن عزل ليو شاوشي وتقدم اول تقييم للثورة الثقافية

- ٥ ايلول: لجنتا سينكيانغ والتيبت الثوريتين
- ٧ ايلول : تجمع احتفالي في بكين
- منتصف تشرين الاول : « يومية الشعب» تنشر مقال : «نقل الدم البروليتاري»
- من ١٣ حتى ٣١ ت١ : الدورة العامة الثانية عشرة للجنة المركزية .

الطور السادس

من تشرين الاول حتى نيسان ١٩٦٩

- مرحلة التحضير للمؤتمر وتحويل التعليم والحياة الادارية وطريقة تسيير المشاريع
- اعادة تنظيم الحزب
- تدعيم اللجان الثورية

- اول نيسان : انعقاد المؤتمر
- ١٤ نيسان: اقرار النظام الداخلي
- ٢٣ نيسان : تسمية اللجنة المركزية الجديدة واختتام المؤتمر

نيسان ١٩٦٩

- انعقاد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني وانتخاب لجنة مركزية جديدة واقرار نظام داخلي جديد

د – معجم مصطلحات السياسة الصينية

● **« خفق الراية الحمراء لاسقاطها»** : هذا التعبير المستعمل كثيرا في الصين ، يدل على مناورة يقوم بها اخصام ماوتسي تونغ لاخفاء مقاصدهم الحقيقية ، ولتمرير انفسهم كأنصار له .

● **«العصابة السوداء»** كتلة من قادة الحزب . كان بنغ شنغ و لو تنغ ممثليها الرئيسيين .

● **كادر** : عادة ، عضو الحزب المتسلم مسؤولية ادارية . وفي الصينية ، هذه الكلمة قابلة لحمل معان اخرى ، وضعتها جانبا ، في هذا الكتاب .

● **محافظ** : الفرد – او الجماعة – الذي يظهر خلال نقاشات الثورة الثقافية ميلا لايجاد مبررات لمسؤولي الادارة ، في مصنعه أو مدرسته ، وأساليب عملهم المنتقدة .

● **الديمقراطية البروليتارية :** تفهم الديمقراطية في الصين الشعبية على انها حرية التعبير عن الآراء المختلفة وحرية التنظيم لتحقيق انتصارها ، وحرية انتقاد كل قيادي يؤخذ على انه ينحرف عن الطريق الثوري . لكن هذه الحرية تبقى ضمن الاطار الايديولوجي لدعم وتقوية النظام الشيوعي الذي لا جدال فيه من حيث جوهره .

● **يميني** : الشخص الذي يعبر او يظهر عن ميل نحو التصالح المباشر او غير المباشر مع البورجوازية .

● **دازيباو** : اصطلاح صيني يعني : «جريدة ذات حروف كبيرة» وهو نوع من الملصقات يضعها فرد او مجموعة في الشوارع للتعبير عن وجهة نظر حول المشاكل السياسية .

● **نزعة اقتصادية (Economisme)** : اتجاه لاهمال الجانب السياسي او المعنوي من النضال ولعدم النظر فيه لسوى المكاسب التي يمكن ان يجلبها في ميدان الاجور والرخاء . وقد عنى هذا

المصطلح في الصين المناورة القاصدة تشجيع هذا الميل عند العمال والفلاحين لتحويلهم عن النضال ضد كتلة ليو شاوشي .

● **الحرس الاحمر** : منظمة مؤلفة بشكل شبه مطلق من الطلاب والتلاميذ والمعلمين . تكونت سرا في تموز ١٩٦٦ وظهرت الى العلن في آب من نفس العام . ولا ينبغي استعمال هذا المصطلح الدلالة على العمال والمستخدمين الذين شاركوا في الثورة الثقافية . (انظر «المقاومون»)

● **المبادلات الثورية** : تنقلات قام بها ثوريون لاعلام ثوريي منطقة اخرى بما جرى في نواحيهم ، او للاطلاع على ما يجري في المنطقة التي يصلونها . وهذه المبادلات التي ترمي الى التنسيق ، من منطقة الى اخرى ، او من مدينة الى اخرى ، بين النضالات ضد قيادي حزب واحد ، كانت عديدة لفترة ، وتمتعت بمجانية النقل .

● **«يساري»** (او يساري في **الظاهر** ويميني في الواقع) : يعني ، منذ لينين ، اولئك الذين يستهينون بدور الحزب الشيوعي في الثورة وبضرورة وجود تنظيم وقادة ، للتشديد ، بالمقابل ، على قدرة الجماهير الشعبية على النضال بقواها الذاتية. ولهذا المصطلح، في المناخ الماركسي ، معنى رديء . غير ان الطلاب الفرنسيين قد تسموا به منذ ايار ٦٨ ، هم انفسهم، بعد ان الصقته بهم القيادة التحريفية للحزب «الشيوعي» الفرنسي ، وذلك للنيل منهم . وهذا ما ازال الدلالة الرديئة التي كانت له في اللغة الفرنسية. وعلى النقيض فقد احتفظ في الصين بمعناه الرديء.

● **اليسار البروليتاري** : انظر «المقاومون والثوريون البروليتاريون» .

● **التحالف الكبير** : خلال الثورة الثقافية ، ولدت منظمات عديدة ، انقسمت الى عدد من الاتجاهات، وقد ناشدها الحزب مرارا كثيرة ان تتحالف . وعندما تتحد المنظمات المختلفة في مصنع او مدرسة ما ، بنسبة ٩٠ بالمئة ، وتضم اغلب كوادر الحزب ، كان يسمى ذلك بالتحالف الكبير .

● **مجموعات عمل** : فرق من الكوادر . ارسلت في بداية الثورة الثقافية الى عدد من المصانع والجامعات ، فقمعت حركة النقد

الثوري . بعد ذلك استنكر بشدة نشاطها الذي كان بايحاء من ليو شاوشي .

● **لياندونغ** : (لجنة عمل حرس احمر العاصمة المتحدة) وهي منظمة حرس احمر مؤلفة على الاخص من ابناء الكوادر العليا ، والتي جابهت بعنف حرسا حمرا آخرين مدعومين من المجموعة المكلفة بقيادة الثورة الثقافية (م.م.ث.ث) .

● **الخط الرجعي البورجوازي**: مجمل مظاهر خط ليو شاوشي السياسي ، قبل وخلال الثورة الثقافية . وقد اعتبر هذا الخط السياسي انه بخدمة مصالح القوى الاجتماعية المعادية للاشتراكية ، والمؤلفة من بقايا البورجوازية التقليدية ومن بورجوازية جديدة اخذت بالولادة في جهاز الحزب والدولة .

● **الخط الثوري البروليتاري**: هو نقيض الخط الرجعي البورجوازي ، ويجسده ماوتسي تونغ .

● **الخط الاسود** : مجمل الاجراءات المتخذة من «العصابة السوداء» وهو من منوعات الخط الرجعي البورجوازي . وقد جرى تنفيذه بشكل أخص في الميدان الثقافي والفني.
ممثله الرئيسي : بنغ شنغ ، محافظ بكين السابق .

● **الجماهير** : يدل في الصين على الشغيلة العاديين والطلاب بمواجهة الكوادر المسؤولة . وبشكل عام ، لهذه الكلمة نفس المعنى الذي لها في الفرنسية . لكن الاستعمال الصيني في حالات خاصة ، لا يستتبع الدلالة على عدد كبير . ففي مكتب يشتغل فيه عشرون شخصا ، يحكى عن «جماهير المكتب» .

● **ملكي** : يدل في غالب الاحيان على أفراد — او مجموعات — يدافعون بحمية عن كوادر الحزب الشيوعي المسؤولين والمتهمين بأنهم مضادون للثورة . ملكي اخطر ، من حيث المبدأ ، من محافظ .

● **ماويون ماوية** : يرفض الصينيون ، لاسباب متداخلة، تسمية نظرية ماوتسي تونغ بالماوية . ويفضلون تسميتها فكر ماوتسي تونغ. بذلك كان استعمالي لاصطلاح «ماوية»

على مسؤوليتي ، وهو ليس جاريا في الصين الشيوعية .

● **منظمة جماهيرية** : تتميز المنظمة الجماهيريةعن منظمة للحزب الشيوعي، لانغايتها، مبدئيا، استقبال اكبر عدد ممكن من الناس، اعضاء ام لا في الحزب الشيوعي . والنقابة منظمة جماهيرية . مجموعات «المقاومين» والحراس الحمر المشكلة خلال الثورة الثقافية، كانت منظمات جماهيرية غايتها اجتذاب اكبر عدد ممكن في النضال ضد كتلة ليو .

● **الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى**: كان للترجمة الفرنسية السيئة لهذا المصطلح ان تتأثر بالمعنى الانكليزي لكلمة culture الذي يشمل مفهوم درجة الحضارة التي بلغها شعب ما ، في مرحلة معينة من تاريخه . و«ثورة الحضارة» او «ثورة البنى الفوقية والادارية والتعليمية والسياسية والاخلاقية» تعطي فكرة أصح عما يعنيه الصينيون عندما يستعملون هذا المصطلح ، الذي احتفظت به لان الاستعمال قد فرضه .

● **المقاومون او الثوريون البروليتاريون**: جميع اولئك الذين يدافعون عن خط ماوتسي تونغ الثوري، والذين ينتقدون «زو زي باي» (انظر الكلمة). ويمكنها بالواقع ان تعني كل شخص ملتزم بالثورة الثقافية ، لأن جميع المساهمين فيها يعتبر ، او على الاقل ، يؤكد ذلك . ويمكن لهذه الكلمة ان تدل دون تفريق على عمال او مثقفين او فلاحين . فمعناها اذن أقل حصرا من معنى كلمة الحرس الاحمر والتي يضعها مكانها الصحفيون الاجانب ، مخطئين .

● **تصحيح** : عملية سياسية ، تتم في منظمة جماهيرية او في فرع للحزب ، من اجل اصلاح اخطاء او مبالغات حصلت في مرحلة سابقة ، وانتقاد فاعليها .

● **تحريفي** : ذاك الذي يعيد النظر في المبادىء الماركسية ويحاول التوفيق بينها وبين عقائد سياسية او فلسفية مناقضة. وفي الصين ، يؤخذ القادة السوفيات على انهم كذلك. وخلال الثورة الثقافية كان هذا المصطلح مرادفا لـ «زو زي باي» .

● **الذيلية ، او نظرية** : نظرية ليو شاوشي ، التي بموجبها ، على المناضل **الوسيلة الطيعة** طاعة دون شرط ، لرؤسائه .

● **الحوافز المادية** : حث على العمل قائم على الوعد بنيل العلاوات او الأجور الاضافية .

● **الاتحاد المثلث** : يوكل في اللجان الثورية ، التي تشكل الاجهزة الجديدة للسلطة، والتي انشئتخلال الثورة الثقافية، ثلث المسؤوليات الى ممثلي المنظمات الجماهيرية وثلث الى كوادر الحزب ، والاخير الى العسكريين وأفراد الميليشيا . وهذا ما يدعى بالاتحاد المثلث .

● **وندو** Wendon : النضال القائم على وسائل سلمية : الاحتجاج بالملصقاتاو المناشيراو الجرائد او الانتقادات الشفوية، او المناظرات .

● **ودوو** : ضد وندو. تدلعلى المعاركالتي تخوضها مجموعات بقضبان حديدية او حراب او اسلحة نارية . وكان من شعارات الثورة الثقافية ، الذي طبق بشكل متفاوت: النضال بالوندو ومعارضة الودوو .

● **زو زي باي** : هذه الاحرف الثلاثة هي اختصار للعبارة التي تترجم كما يلي: مسؤولحزبي سائر في الطريق الرأسمالي. ويقصد بذلك من يحتل مركزا قياديا في منظمات الحزب ويستعمل طرقا قد تؤدي الى انحطاط النظام الاشتراكي واعادة الرأسمالية . ويعتبر ليو شاوشي زوزي باي رقم واحد .

مقدمة

« ان تراث الاجيال الميتة يحط بثقل ثقيل
على دماغ الأحياء »

ك . ماركس

اصول الثورة الثقافية البروليتارية

- ١ -

لم يقدم الشيوعيون الصينيون ، في اية مرة، تحليلا محكما وكاملا لاسباب الثورة الثقافية ، وللأشكال التي اتخذتها . ورغم انهم قد خصوها بحشد من المقالات والافتتاحيات ، لكن هذه لم تزود الا بعناصر جزئية ، متناثرة على هدى الظروف وضرورات الدعاية ، وليس بنظرية اجمالية . ان السطور التي تتبع هي محاولة توضيح ، وتعرض تعليلا لا أدعي طبعا انه يستنفد معطيات المشكلة .

سآخذ على عاتقي ان أبين ، اولا ، كيف ان عددا من التناقضات والاعوجاجات التي يرثها النظام الرأسمالي (عن الرأسمالي والاقطاعي ، في حالة الصين) يمكن ان يقدم القاعدة لصراع طبقي جديد على السلطة. وهذا ما تمثله ، على وجه الدقة، الثورة الثقافية الصينية .

من الناحية النظرية ، الاشتراكية المبنية بعد قلب البورجوازية هي نظام انتقال ، عليه ان يعد مجيء الشيوعية . وهذه تفهم على انها نظام مساواة اجتماعي ، حيث يلقى كل واحد جزءا من المنتوج الاجتماعي ، متفقا وحاجاته ، وحيث يصبح الانقسام الى طبقات زائلا ، كما الدولة ، رديفه .

لكن ، لا يبدو ان على هذا الانتقال ان يتم بسرعة . والشيوعيون الصينيون انفسهم يؤكدون اليوم انه حتما سيغطي مرحلة تاريخية طويلة جدا . فليس عجبا ان تدوم فروقات وتناقضات مختلفة في الطور

الاشتراكي السابق على مجيء الشيوعية . وهذا ايضا مقر به في الصين بشكل صريح .

ان هذه التناقضات وهذه الفروقات تنساب اساسا عن عامل اجتماعي يتيه اصله في ظلام الأزمنة : وهو تقسيم العمل ، الذي شطر المجتمعات البشرية ، بفصله ، على مجرن القرون ، المدن عن الارياف ، وفروع الصناعة عن المهن ، وببلوغه في العصر الحاضر ذروة التجزئة للمهام ، وبتوليده للاختصاصات والانواع ، وحتى مكننة الادمغة . انه في أصل جميع العبوديات ، وقد فصل الانسان عن ذاته . وهو الذي ادى الى هذه الواقعة الخام ، الصارمة ، والتي لا يسمح لنا اعتيادها بقياس تام لآثارها الضخمة : وهي فصل العمل اليدوي عن العمل الفكري . فهذا الفصل هو الذي قاد بعض البشر الى فهم ودراسة طرائق الانتاج ، بينما اصبح آخرون منفذيها المتفرقين ، الغرباء عن هذه العمليات الفكرية . وقد بلغ هذا الانشقاق نسبا هائلة مع الصناعة الرأسمالية ، التي ادخلت العلم نفسه والعلماء والتقنيين في خدمة رأس المال . وجعلت منهم قوة انتاجية مستقلة عن العمل . ويصاحب هذا الفصل تراث عريق في القدم من الاحتقار للعمل اليدوي من جهة ، ومن الامتيازات للعمل الفكري ، من الجهة الاخرى . فتقسيم العمل قاد اذن الى عدم المساواة بين الشغيلة. وهذه البقايا عن الاقطاعية والرأسمالية حاضرة في النظم الاشتراكية التي لا تستطيع ازالتها دفعة واحدة . وما سنقوم به هنا هو استعراض تجلياتها الخاصة .

ان الجامعة واحدة من اولى الحقول التي يتبدى فيها تقسيم العمل . فهي تخص بالفعل بتنظيم متميز كلا من المعرفة والعمل ، فتضع حامل المعارف والشغيل كلا على قطب من الانتاج . ولكون البلدان الاشتراكية تحتاج بالطبع ، الى مهندسين وكوادر مثقفة، فهي لا تستطيع الاستغناء عن الجامعات . غير أن هذه ، اذا لم تكن قد حولت بعمق ، ستكون عاجزة عن تأمين ازالة تواجه العمل . وبالعكس فانها ستعيد انتاج التعارض الموروث عن النظام السابق ، بين حاملي المعرفة من جهة وبين الجماهير الكادحة المحرومة منها ، من جهة اخرى . وبينما يكون نمط الانتاج الراسمالي قد زال ، تستمر مؤسسة تعيد انتاج التناقضات والاعوجاجات الاجتماعية الناشئة عنه .

واذا ما بقي الفصل ، هناك احتمالات كبيرة بأن يستمر العمل الفكري مصحوبا بالامتيازات ، بقوة العادات ، وبأن يؤخذ على انه اهتمام اكثر نبلا من العمل اليدوي . ويستمر المثقفون بتشكيل نخبة مغبوطة لا يبلغها سوى اقلية . ويبقى التعليم انتقائيا ، مؤسسا على التنافس ، ويثير دوما المطامح الفردية بدل التفاني للجماعة . عندها يمكن للنظام

بسهولة ان يمجد البروليتاريا وأن يؤكد ان العمال هم سادة البلاد ، لكن سلطة التقرير الحقيقية لا تكف عن البدء بالانزلاق الى ايدي فئة اجتماعية من الاداريين والتقنيين ، ذوي المفاهيم والمصالح المباشرة التي قـد تكون متميزة عن تلك التي للعمال .

وتمتد هذه الظاهرة في الحقل الادبي والفني كذلك . ان الثقافة امتياز في النظم الرأسمالية والاقطاعية . وواقع انها اصبحت في البلدان الرأسمالية الكبرى المعاصرة بمتناول فئات تتسع بعيدا عن الطبقة الحاكمة ، لا يجلب تغييرا جذريا في هذا الصدد . فهناك موانع بنيوية وايديولوجية قوية تؤدي الى ان اكثر المؤلفات لا تبلغ قط هذه الفئات . فأن يكون المرء مثقفا ، هذا اذن انه يتمتع بامتياز يفوت الغالبية .

وهكذا ، حتى لو ان فنانا خرج من الشعب ، وحتى لو بقي فقيرا (وهو امر غير نادر) فان آثاره تدخل في ملكية الطبقة المالكة : اما لسبب مادي ، لأن الاغنياء فقط بوسعهم شراءها ، واما ، ايضا ، لان مضمونها المعرفي لا يبلغ الا من اعضاء الطبقة العليا ، أو من اولئك الذين تشركهم اشعاعها الثقافي ، وهم كثيرون اليوم ، ولكن ليسوا من البروليتاريين .

وغالبا ما على النظم الاشتراكية ان تستقبل جمهرة من المثقفين قد حصلت ثقافة ضمن النظام القديم ، كانت قائمة على تفوق طبقي ، بآخر تحليل . وحتى اذا ما قبل هؤلاء النظام الجديد ــ الامر غـير الضروري دائما ــ تبقى عاداتهم ونفسيتهم بعيدة جدا عن عادات ونفسية الشغيلة. وذلك بسبب طابع النخبة القليل او كثير الحدة لانتاجهم ، وكذلك لانه ينقل قيما تقليدية قد فصلت في اطار ايديولوجي مغاير لاطار الاشتراكية الثورية . ويشتد اتجاه ذلك الانشقاق نحو التوطد ، عن طريق منح الامتيازات المادية المختلفة والأجور المرتفعة وظروف السكن الافضل ، والتي تتضافر على جعل الفنانين والكتاب ، فـي البلدان الاشتراكية ، اعضاء فئة اجتماعية ذات نمط معيشة ، وكذلك اهتمامات تسير مبتعدة عن تلك التي للجماهير الشعبية .

غير ان آثار تقسيم العمل البليغة ، يمكن لها ان تتركز بشكل رئيسي في حقل العلاقة بين الحكام والمحكومين . فيوجد فرق بالطبع بين اولئك المكلفين بممارسة السلطة وبين اولئك الذين ينفذونها. والحال، كل اختلاف هو تناقض ، وهذا قائم في النظم الاشتراكية كما فـي النظم الاخرى .

ويجد هذا الفرق اصله في تقسيم العمل ايضا. في منشأ المجتمعات كانت انتاجية العمل ضعيفة للغاية ، وتتطلب كل وقت البشر تقريبا . وقد تشكل ، بين الغالبية العظمى المكلفة بانتزاع الغذاء من الطبيعة ، فئة

محررة من العمل الانتاجي المباشر ، اخذت بيدها امور الجماعة : تنظيم المهام ، الامور السياسية ، العدالة ، العلم ، الفنون ، الخ .. وشيئا فشيئا ، تعسفت هذه الفئة ، خاصة من حيث توليها مسؤولية توزيع المنتوج الاجتماعي بين الجميع ، لتشرع في العيش كلية على حساب الشغيلة ، ولتزيد مواردها وأموالها فوق المتوسط الاجتماعي للحاجات، وما كان ضروريا لممارسة وظائفها المعينة . وهكذا ولد الاستغلال وانقسم المجتمع الى طبقات متناحرة .

ان النظم الاشتراكية قادرة على ازالة الاستغلال ، اذا طبقت مبدأ اعطاء كل حسب عمله بالضبط . لكن التطبيق ، ولو الصارم، لهذا المبدأ لا يسمح بازالة اللامساواة . فطاقات العمل في الواقع ، زيادة عنه في الاقتصاديات المعاصرة ، شديدة التنوع . وحتى في حال التساوي في العمل والتساوي في الحصة من المنتوج الاجتماعي ، لا يكف البشر عن كونهم غير متساوين في الحاجات . اذن بنفس المدخول هم ذوو ثروة متفاوتة . وعلى ذلك يبقى المجتمع مجتمع ندرة نسبية وبالتالي لا مساواة (١) ، طالما لم يستطع اعطاء كل حسب حاجاته .

بذلك يبقى توزيع المحصول الاجتماعي مصدرا لتوترات داخلية . ويستمر البشر في التجابه . وبالتحديد، يجد عدد من الفئات الاجتماعية في الحصول على توزيع اكثر نفعا له . ويتجه اولئك الذين هم اكثر ثقافة ومهارة وأكبر طاقة على العمل الى زيادة تطلباتهم فوق ما يحق لهم بعملهم ، وعلى هذه الصورة ، الى الحصول على الامتيازات . ان واحدا من اسباب الابقاء على الدولة في النظم الاشتراكية هو الابقاء بالقوة على معيار التوزيع حسب العمل .

لكن وجود الدولة يحفظ ايضا لا مساواة اخرى ، تلك التي بين الحاكمين والمحكومين . وبذلك يكون الذين يمارسون السلطة في وضع افضل للحصول على امتيازات ، وازاحة من يمسهم تطبيق مبدأ : لكل حسب عمله . ولا يفتقد وجود هذا الميل بين عدد من كوادر الحزب الشيوعي والدولة ، الذين ما تزال الانانية والفردية مسيطرتان لديهم. واذا ما انتشر ذلك الميل يصبح النضال ضده معركة واسعة النطاق .

---

(١) مجتمع لا مساواة لا يعني بالضرورة مجتمع امتيازات . فاذا طبق بحزم مبدأ : لكل حسب عمله ، سيكون هناك فروقات ناشئة عن تنوع المقدرات والحاجات ، وليس امتيازات . وتبقى الفروقات الاجتماعية ضعيفة حتما في مثل هذه الحالة . ان هذا التحديد لا غنى عنه لفهم التحليل اعلاه .

ويكون هدفه سلطة الدولة ، لانه يجري داخل الجهاز الاداري والسياسي نفســه .

في هذا السياق ، تبدو الثورة الثقافية التي اعلنها ماوتسي تونغ مشروعا تام التماسك . يعتقد ماوتسي تونغ ، كماركسي ، ان المجتمعات البشرية سوف تتطور نحو الشيوعية . لكنه يرى انه مــن اجل ذلك ، على النظام الاشتراكي ان يعمل بشدة على خلق الظروف القابلة لاحداث هذا التغيير . والمهمة الاولى ، بداهة ، هي تطوير قدرة البلاد الانتاجية تطويرا محسوسا ، لأجل خلق امكانية اعطاء كل حسب حاجته، يوما ما. لكن مشروعا كهذا ، في ذهنية ماو ، لن يتقدم الا بمقدار ما تأخــذ اللامساواة الاجتماعية بالتلاشي ، لان تزايدها سيؤدي على النقيض الى نكوص نحو الاستغلال ، الذي سوف يفجر البنى المخططة، ويعطل التقدم الاقتصادي ويعيد ادخال فوضى السوق .

وذلك يفترض نضالا ضد التقاليد الفردية المتأصلــة في عادات البشر وآدابهم منذ آلاف السنين ، والتي تدفعهم الى تصور سعادتهـم بصور الاشباع الفردي لا الجماعي . هذه العناصر الايديولوجية دافـع قوي على ازدياد اللامساواة . ويتطلب نضالها قلبـا لعادات وعقليات ، لازالة كل ما يحمل منها اثر الماضي . ويتطلب كذلك تبديلا لمجمل البنى الفوقية الادارية والتربوية والثقافية ، حيث تمكن ذلك النفوذ مـــن التجسد على درجات متباينة .

ان مصطلح الثورة الثقافية ، على ذلك ، رديء الترجمة . لانه ذو معنى حصري في الفرنسية ، ليس له في الصينية او الانكليزية . فتعبير «ونهيا جمينج» يشتمل على المفهوم الاكثر اتساعا للحضارة، ويمس ليس ميدان الثقافة الوحيد فقط ، بل جميع تلك التي ذكرت آنفا .

هذه الثورة الثقافية البروليتارية تبدو علـــى عدة مستويات . أحدها ، تحويل التعليم على شكل يمحو الانفصال بين العمل اليـــدوي وبين العمل الفكري . وعلى النقيض ليكف عن تكريسه . ولا ينبغـي ان تكون غاية التعليم تكوين المديرين الذين يمكن ان يحتاج اليهم المجتمع ، على مدى قريب ، بل خلق انسان جديد قادر جسديا وعقليا . وهـــذا التحويل للطرائق التربوية جار الان في الصين ، وهو يسير باتجـــاه ارتباط أوثق بالنشاط الانتاجي الملموس وبالعمل . وسوف يكف الطلاب عن تكوين فئة اجتماعية معينة ، ويكون اختيارهم ، من الان فصاعدا ، من بين العمال والفلاحين المعتادين سابقاً للعمل ، فيتابعوا دورة تعليـم قصيرة نسبيا. هذه التجديدات ذات طابع اختباري. وهي تقوم جوهريا على فكرتين ، الاولى : ان افضل تعليم هو الذي يحصل عـــن الممارسة

العملية لعمل ، والتي ينبغي ان تتصدر المعرفة المدرسية . والفكرة الثانية : لا ينبغي ان يتم اعتبار المتعلمين وفق معايير انتقائية ، تأخذ بالحسبان القيمة الفردية لمعارفهم فقط ، بل بالاحرى حسب مستواهم السياسي والايديولوجي ، وحسهم بالواجب نحو الجماعة .

ويبدو ان الثورة الثقافية قد عملت ، خاصة في الميدان الادبي والفني، على نزع المسؤوليات عن مثقفينمعتبرين تحت تأثير الايديولوجية البورجوازية . وقد انتهت الى الغاء الامتيازات التي كان يتمتع بها الفنانون ، سابقا . ويبدو ان هؤلاء يقومون الان بتنقلات في المصانع والكومونات الشعبية ، التي يفترض ان تعطيهم رؤية مختلفة للعالم والبشر ، بالاحتكاك الطويل ، الذي تستتبعه ، بالشغيلة . وتشدد الصحافة الصينية باستمرار على ضرورة خلق ادب وفن جديدين يعليان من شأن قيم بروليتارية وثورية خالصة . وقد تجسد ذلك في انتاج ذي نجاح اكيد في اوبرا بكين .

لقد كان ميدان العلاقات بين الحاكمين والمحكومين في المركز من الثورة الثقافية . وكما شدد ماوتسي تونغ على انها ثورة سياسية، كانت الصحافة طوال مسيرة الثورة الثقافية تذكر انه هنا المسألة الاساسية . على ذلك سنخصها بتفصيل خاص يمهد للرواية التاريخية للأحداث .

- ٢ -

قلنا ، سابقا ، ان استمرار اللامساواة في النظم الاشتراكية يجر الى صراع على توزيع المنتوج الاجتماعي، والى سعي حاد وراء الامتيازات من بعض الفئات الاجتماعية . ولهذا الاتجاه حظ كبير بالتجسد بفعالية عند عدد من الذين يشغلون مراكز في السلطة . وبوسع السلطة التي يملكونها ان تفيدهم كثيرا في تدعيم مكاسب وضعهم . عند ذلك يظهر بين قسم من الكوادر الشيوعية عدد من المجموعات ذات الامتيازات. فاذا لم يضع حدا لهذه الظاهرة قادة الحزب ، الباقون على أمانتهم للخط الثوري ، ينشأ خطر من ان تتكون ، تدريجيا ، فئة اجتماعية حقيقية ذات امتيازات . وسوف تسعى هذه الاخيرة الى ازاحة المعايير الاشتراكية للتوزيع حسب العمل . وبدل ان تتضاءل اللامساواة، تمضي متعاظمة . فنشهد ظهور نوع من البورجوازية الجديدة . وتزداد الشقة بين الحاكمين والمحكومين وتتثبت ، بدل ان تتلاشى لتحقيق التحول الى الشيوعية . ان اهمية هذه الظواهر تتعلق بفترة زمنية متبدلة . في الصين ، قبل الثورة الثقافية ، لم تكن هذه الظاهرة نامية الا قليلا ، وبالمقابل فقد برزت ملامح ازدياد اللامساواة ، في الاتحاد السوفياتي ،

بعد الحرب العالمية الثانية ، فتبلغ منذ خمسة عشر عاما امتدادا يسير الملاحظة .

ان سبب هذه الظاهرة ليس فقر البلاد ، كما تؤكد التحاليل التروتسكية (١) ، بصورة دوغمائية ، على ما يظهر . فليس لان الاتحاد السوفياتي كان في العشرينيات فقيرا ، ولأن الصين فقيرة نسبيا الان ، تاخذ فئات ذات امتيازات بالتكون . فالفقر في مجتمع ما ، يمكن ان يشكل على النقيض ، دافعا قويا على «المساواتية» Egalitanisme التي تحفظ تماسكه ، بينما تجزئه اللامساواة ويمكن لهآ ان تقضي على الفئات المعدمة منه ، في حالة قصوى .

ومن المحتمل ان اقامة الاشتراكية في بلدان «غنية» ، لم يكن ليحول دون توزيع المنتوج الاجتماعي حسب العمل وليس حسب الحاجات ، وكانت بقيت هذه مجتمعات ندرة نسبية . وحتى لو اعتبرنا ضخامة حجم انتاجها ، فان هذا العامل وحده لا يولد بالضرورة المساواة بل على النقيض فقد يزيد من حدة السعي وراء الامتيازات .

على ذلك ، فالامر كله متعلق بمعيار التوزيع المسيطر . وهذا بالتحليل الاخير ، ليس عنصرا اقتصاديا ، انما يرتكز على عوامل ايديولوجية ، ويستند على قدرة النظام الاشتراكي على تخطي الميول الفردية ، التي أصلتها في النفوس قوة العادات والتقاليد ، اي قدرته على تغليب الروح الجماعية . وتلك مهمة صعبة تتطلب نضالا يوميا ، يتجدد باستمرار . وهي تعتبر ، بلا شك ، احد اسس نظرية ماوتسي تونغ ، التي بموجبها لا ينبغي للثورة ان تتوقف . وهذا ايضا ، برأيي ،

---

(١) يؤكد ذلك تروتسكي نفسه في «الثورة المغدورة» ، الكتاب الذي يمثل تفكيره جيدا ، كما تبين هذه الاستشهادات :
«يفرض ان تتبدى ايضا الاتجاهات البيروقراطية ، والتي تخنق الحركة العمالية ، في كل مكان بعد الثورة البزوليتارية . لكنه واضح تماما انه كلما كان المجتمع الناشيء عن الثورة فقيرا ، كان على هذا «القانون» ان يتجلى بقسوة اكثر ، ودون مواربة ، وكان على البيروقراطية ان ترتدي أشكالا وحشية وأن تكون اكثر خطرا على تطور الاشتراكية» .
«ان قاعدة السلطة البيروقراطية هي الفقر في ادوات الاستهلاك وصراع كل ما ينتج عنه » .
«ان معنى الـ «ترميدور» السوفياتي بدأ يتحدد أمامنا ، ففقر الجماهير وجهلها يتجسدان من جديد بأشكال منذرة لقائد مسلح بعصا ضاربة » .

الخلاف الذي يكمن وراء النظام الذي كان على ماو وأنصاره ان يقوموا به ضد مجموعة اخرى من قادة الحزب الشيوعي ، وبالذات ليو شاوشي . وقد تعرف العالم الخارجي الى الثورة الثقافية عبر ذلك الصراع .

ان البشر الذين يشكلون صفوف حزب شيوعي لا يختلفون عن غيرهم من البشر . والبشر ، تبعا لما قاله ماوتسي تونغ لأندره مالرو (١)، والذي نقل أقواله ، «لا يحبون حمل الثورة طوال حياتهم» .

وما ان تستلم السلطة ، حتى يكون على الكوادر الشيوعية التي ستمارسها ان تجابه امتحانا جديدا محفوفا بالمخاطر . أن عددا من المناضلين المجربين في ظروف اخرى ، يسقط أمام هذا الامتحان . ولا تعود مستلزمات السرية وقساوة حياة المناضلين ، سوى ذكرى . وبذلك يشهد لدى البعض انتشار الميل الى الرفاهية والحياة السهلة ، ويصبح اسلوبهم في العمل مزيجا من الروتين والمهاودة لانفسهم والصرامة حيال مرؤوسيهم . كذلك يتطلع هؤلاء نحو امتيازات في الأجور ، ونحو نفع مادي مبتغى ، ومنال أحيانا . وتأخذ بالوهن العلاقة الوثيقة والحوار المستمر والمساواة ، بين الشغيلة العاديين وبين بعض الكوادر القيادية ، والتي كانت للاوقات البطولية حيث تفرض الثورة على الجميع الاخطار نفسها ، وتشيع الآمال نفسها .

عند هذه المرحلة، ليس هناك سوى بيروقراطية ، لكن غير شاملة. جدية بالنسبة للنظام ، لكن لا تدعو الى الذعر . غير انه اذا استمرت هذه العملية ، فان العادات السيئة بتراكمها يمكنها ان تفسد وحتى ان تنضب الايمان الثوري لعدد من الكوادر . ويقود الميل الى المتع ، والروح الفردية المتعاظمة الى مرحلة اخرى . ويظهر عند ذلك ، داخل النظام الثوري نفسه ، بيروقراطيون جدد لا يرون في البشر الاخرين سوى وسائل او عقبات ، ويضعون مسؤولياتهم في خدمة اهدافهم النفعية . وتغدو السياسة الثورية ، على مر الايام ، باصدائها المساواتية والتفاني النضالي الذي تتطلبه ، غير محتملة بالنسبة لهم . ويبذلون جماع جهودهم للوقوف بوجهها .

ان تأكيد الشيوعيين الصينيين الذي بحسبه ان الثورة الثقافية نضال بين البروليتاريا والبورجوازية، كان له ان يثير العجب. والبعض، بالواقع يعجب لان تكون ثورة ثانية في نظام شيوعي امرا ضروريا ، ضد

(١) مقابلة نشرت في الملحق الادبي لصحيفة الفيغارو تحت عنوان «لقائي مع ماو» وقد ألحقت بمؤلف أندره مالرو المعنون «المذكرات المضادة» (باريس — غاليمار ١٩٦٧) . وقد وزع نص هذه المقابلة في الصين، بشكل غير رسمي ، مجموعات ثورية ، عام ١٩٦٧ .

بورجوازية مجردة من السلطة الاقتصادية والسياسية منذ اكثر من عشرين عاما . ذلك التأكيد يكون خاطئا اذا ما عنى البورجوازية الصينية التقليدية التي ليست الان سوى اثر . ويمكن ان يعقل هذا التأكيد اذا دل على بورجوازية جديدة مكونة من الذين اتاح لهم عدم المساواة الحصول على امتيازات ، يحاولون مضاعفتها ويدافعون عنها بمحاولة تغليب رؤى سياسية متعارضة مع حزم الماوية النضالي . ومن الجدير ان نحدد كيفية تجلي ذلك .

تطبق النظم الاشتراكية ، بالواقع ، ديكتاتورية البروليتاريا . فلا تتسامح مع المعارضه ، وليس لهده ، مبدئيا ، ايه حرية نشاط او تعبير معترف بها . والحال ، كما ان التناقضات الاجتماعية تبقى ، فبدهي ان لا ينعدم وجود تيارات سياسية متعادية . ومعارضة السياسة الرسميه ، حتميه اذن ، لكنها مجبرة على طلب الغلبة بوسائل مموهة . ولا يمكن لها ان تبرز الاباستعمالها الوسيلة الواحدة الوحيدة الباقية لها: طريقة الاقتناص الدائب لمناطق سلطة في الحزب الشيوعي ، مع التخفي تحت مظهر من الولاء السياسي والايديولوجي . ومن نتائج النظام الدقيق والحزم العقائدي الذي تقيمه الاحزاب الشيوعية في المجتمعات التي تحكمها ، جعل الاخصام اكثر مخاتلة .

ان الحياة السياسية في بلد اشتراكي هي اذن حصيلة مجموعة من العناصر النوعية، تبدو كجملة من الصراعات السياسية تتركز، للاسباب التي ذكرت ، في صراعات على السلطة ذات شدة متغيرة ، داخل الحزب الشيوعي نفسه . وقد تظهر هذه الصراعات ، من الخارج ، على انها صراع بين ثوريين بروليتاريين يعمرهم ايمان متساو بالماركسية . لكنها في الواقع تعبير عن شكل جديد من الصراع الطبقي . فوراء الوحدانية الظاهرة للحزب الشيوعي والالتزام المشترك بالماركسية ، تنشب صراعات خفية لا تنقطع .

في هذا السياق ، ينبغي ان ترى مجابهة ليو شاوشي لماوتسي‌تونغ. فلا يجب ان تؤخذ على انها معركة اشخاص ، ولا كذلك على انها صراع عقائدي بحالته المحضة . لقد كانت بالواقع التعبير السياسي عن جملة من التناقضات الطبقية ، حيث تتداخل عوامل اجتماعية وايديولوجية تتغذى من كتلة من الامتيازات المادية والميول البيروقراطية ، ومصاعب التكيف مع الايقاع المتسارع للسياسة الماوية .

وهذا يسمح بتفهم لماذا كان على طريقة النضال التي اتبعها ماوتسي تونغ خلال الثورة الثقافية ان تكون اكثر تعقيدا ودقة من الطريقة القائمة على تجريد اخصامه من مراكزهم ونفوذهم ، بطرق ادارية وبوليسية .

فكان ماو يكافح اخصامـــه وبنفس الوقت يحاول تقويـــض الاساس الايديولوجي والاجتماعي لسياستهم ، وهذا ما سنقوم بتحليله الان .

- ٣ -

عينت الثورة الثقافية كهدف اساسي اعلى لها ، اعادة بناء النفس البشرية . وهذا ما يعنيه شعار توسو : مكافحة الفردية . والمقصـــود تأمين سيادة مفهوم جماعي عن العالم ، على الرؤية التقليدية الانانية التي كونها الانسان عن نفسه في المجتمع .

وتحويل النفوس في هذا الاتجاه يعني العمل على انضاب قـــوة التراث من منابعها . لان هذه القوة ، المتأصلـــة في الآداب والعادات العريقة ، هي التي تدفع بالبشر نحو السعي اللجوج لاشباعهم الذاتي . وذلك يعني تثبيط الطمع ، والامتهان اللذين يرجحان الكفة بثقل مهـــم باتجاه زيادة حدة اللامساواة .

ومنذ اللحظة التي يسعى فيها النظام الاشتراكي لازالة اللامساواة، عليه ان يسهر على ابقاء الفروقات الاجتماعية شديدة الضعف ما امكن. حينئذ تطرح مشكلة دقيقة : فلا يعود أمام البشر ، من أجل حثهم على العمل ، أفق القدرة علىزيادة أرباحهم . فغياب الامتيازات بالنسبـــة للاقلية ، يفقد المهماز الذي يمكن ان تشكله بالنسبة للغالبية. لهذا يتبنى ماو احلال الدوافع المعنوية محل الدوافع المادية . وينبغي العمل بحيث تشتغل الجماهير وكوادر الحزب من اجل الاشتراكية ، عن يقين ثوري. وهذا يستتبع قلبالافكار واختفاء الانانية. وهو تحد للمال و«للفيتشية» المادية ، وليس للانسان كما يؤكد ، بنزق ، عدد من المعلقين الغربيين . ويبدو لي ، على النقيض ، انها ثقة كبيرة بالانسان تلك التي تقيم هـذا السعي المؤسس على اليقين بأن البشرية يمكن لها ان تتغير وأن تتخلص من سلاسلها الايديولوجية .

ان تحويل العقليات يقوم على غرس الافكار الثورية في الحيـــاة الاجتماعية . ولا ينبغي الاعتقاد بأن هذه العملية تطابق الدراسة الكتبية لنظرية ماوتسي تونغ ، كما يدفع الى الظن به توزيع ملايين النسخ مـن كتاباته خلال الثورة الثقافية . فتسييس الجماهير قد حصل، بالتحديد، عن طريق نضال معقد جدا ، حاد غالبا ، وكانت دراسة مؤلفات ماوتسي تونغ تفهم على انها ينبغي ان ترشد وتوضح مشاكل التوعية الملموسة ، التي طرحت خلال النضال .

فلم يكن المقصود اذن مشروع «وعظ» يقوم على التكرار الدائم لعدد من الموضوعات — ولو ان هذه السمة للامر قد وجدت — فالامر قام ايضا ، وخاصة ، على تعليم الثورة بصنعها .

فاستلزم بالواقع ان تعبأ الجماهير لتنتقد كل ما لحقه تأثير التراث في المجتمع . وكانت تلك حال التربية والادب والفن ، وجوه الثورة الثقافية التي ذكرتها سابقا. وأن يستطيع الشعب انتقاد اجهزة السلطة، لان العزلة بين الحاكمين والمحكومين ، كانت مشكلة رئيسية . وهذا ما قاد الى حركة نقد للكوادر مقصدها ان تجعل علاقتهم بالجماهير اكثر وثوقا . وهكذا شرع باعادة بناء بنيات السلطة — في البداية على اساس مبادىء كومونة باريس ، الصيغة التي تركت لصالح اخرى اكثر اكتمالا، صيغة اللجنة الثورية للاتحاد المثلث ، التي سأتحدث عنها في هذا الكتاب — بشكل يعطي الصينيين تحكما متزايدا بقضايا الدولة ، ويشدد من الطابع الديمقراطي والثوري للنظام . وكان ذلك يهدف الى تكريس حق المحكومين بنقد الحاكمين ، والى ضم ممثلين عن الأولين ، معينين مباشرة منهم ، في الاشكال الجديدة للسلطة .

ان مسعى مثيلا لثورة بحد ذاته . لانه يصادف مقاومة ، من اجل تخطيها ، ينبغي جهد عنيف . وتصدر هذه المقاومة عن كل الذين توصلوا الى انتزاع موقع ذي امتياز ، ولو نسبي ، باستنادهم الى استمرار اللامساواة . وتكون تلك المقاومة اشد قوة بمقدار ما يوجد بينهم مسؤولون هامون في الحزب والادارة. وعكسا لما قيل غالبا في الخارج، فان هؤلاء لم يكونوا في الصين سوى اقلية ، لكن موقعهم كان يتيح لهم ان يناوروا بفعالية بالغة . وكان بوسعهم ، زيادة عن ذلك ، استخدام الثقل النسبي لجهاز الحزب واستعمال ميول بيروقراطية ومحافظة مختلفة .

وكان يعقد الى حد كبير من مشروع ماوتسي تونغ وجود المعارضين في قيادة الحزب الشيوعي نفسه وفي مختلف فروع التنظيم الشيوعي. وقد ازدادت حدة هذه المشكلة بمقدار ما كان يصعب تمييز هذه المعارضة ومكافحتها، لانها لم تعلن عن نفسها مواجهة، اذ كانت تتستر بالماركسية وحتى بالماوية ، وتستعيد الشعارات الرسمية . ولم يكن لتطهير من نمط كلاسيكي ، «في القمة» ، أن يشذب سوى أغصانها الاكثر ظهورا. كذلك كان يصعب الى درجة كبيرة تحديد هذه المعارضة على مستوى الفروع المحلية والمراتب الوسطى من التسلسل، اذ كانت تفرعاتها المختلفة مستترة تماما ، وصعبة الاكتشاف بتحقيقات ادارية . لذلك لجأ ماوتسي تونغ الى اساليب في النضال من شأنها ان تجبرها على التخلي عن جزء من مواقعها ، وعلى فقدان مراكز تفوقها . فحاول ان يحطم

خطة الاقتناص ... البطيء ، لكن الفعال ، للمؤسسات التي كانت أليفة لها ، لاجبارها على الانكشاف . وقد عمل ماو في هذا السبيل تبعا للمبادىء التالية :

بما ان العزلة بين الحاكمين والمحكومين كانتبازديادها تهدد بانزلاق غير مرئي للسلطة الى ايدي ممثلين عن البورجوازية الجديدة المنقطعة عن الشعب ، نشأت عند ماوتسي تونغ فكرة دعوة الجماهير لتفحص سلوك الكوادر القيادية على كل المستويات . فكان على الجماهير ان تقوم بنفسها بالتمييز بين الذين كانوا دائما جديرين بثقتها وبين الذين يتصرفون كسمنداران (١) جدد وأن تفضح ما قد يكون من تعسف وفساد هؤلاء الاخيرين .

وسيتيح موقف الكوادر من هذه الحركة الحكمعلى ميولهم العميقة. فيرى من هم اولئك الذين لم يفقدوا الصلة بالشعب ، فاستمروا يعتبرون انفسهم خداما له ، واحتفظوا باسلوب عمل ديمقراطي ونمط حياة بسيط . ولن تفلت المعارضة من ان تشهر ، فترد على التشهير ، وتظهر بذلك الى وضح النهار .

لقد اتسمت المراحل الاولى من الثورة الثقافية ، في الواقع ، بمحاولات شديدة لمنع الجماهير من التعبير عن انتقاداتها ، عن طريق مختلف الضغوط ، لابقائها على اكبر سلبية ممكنة . وتغيرت خطة المعارضة ، في فترة لاحقة ، بمقدار ما كانت الجماهير تدخل بكثافة اكثر فأكثر في حركة النقد . عند ذلك جهد المعارضون في احداث انشقاقات أو استغلالها ، وفي الخلط بين جبهات النضال وتحطيم تماسكه ، بأساليب ملتوية متعددة . وهذا ما جرهم في نفس الوقت الى المخاطرة وكشف عداءهم لسياسة ماوتسي تونغ ، بوضوح اكبر ، والذي استفاد من ذلك في عزلهم وتجريدهم تدريجيا من الجزء من السلطة الذي كانوا يمسكون به .

– ٤ –

لقد امتنعت حتى الان ، في وصف تكوين الثورة الثقافية ، عن ذكر العوامل التي اثرت فيها . ويجدر الان ان نتعرض بعدة كلمات لأهم تلك العوامل : الخلاف الصيني السوفياتي .

بوسعنا ان نرجع بمصدر ذلك الصراع الى عام ١٩٥٦ ، العام الذي

(١) mandarins : لقب يطلب على القادة المدنيين والعسكريين في الصين القديمة .

ادان فيه خروشوف العهد الستاليني بعبارات عنيفة، في تقرير «سري» لكنه مشهور عالميا ، وشق مجرى جديدا للسياسة السوفياتية .

لم يقبل الحزب الشيوعي الصيني في اية مرة ، التبرؤ من ستالين ، وقد اظهر عن عدائه للموضوعات الخروشوفية . كل واحد يعلم ان الخلاف الصيني – السوفياتي ، راح يشتد مارا من مشاكل بناء الاشتراكية الى مشكلة السياسة الخارجية للبلدان الشيوعية ، لينتهي عام ١٩٦٢ الى انفجار علني . ويجر منذ ذلك الحين الى تدهور متزايد يطال ليس العلاقات بين الحزبين فقط ، بل العلاقات بين الدولتين ايضا .

ورغم ان ماو لم يلجأ ابدا الى نفس طرق ستالين ، وأنه كان على الصين ، عهد ستالين ، ان تعاني من اخطاء هذا الاخير ، فقد رأى ماو في «تصفية الستالينية» ، الذي شرع بها خروشوف ، ظاهرة ضارة .
ان قسما من الرأي العام الغربي ، القليل الاطلاع ، يميل غالبا ، الى النظر بعطف الى الخروشوفية ، التي يعتبرها كمحاولة لجعل النظام السوفياتي اكثر ليبرالية . اما في الصين ، فهي تثير مشاعر وأحكاما مختلفة كليا . وانه لضروري للغاية ان ندقق في هذا الامر لتوضيح اسباب نشوب الثورة الثقافية .

ينظر الشيوعيون الصينيون الى الخروشوفية باعتبارها تخليا عن المشروع الثوري ، يتعين بالرفض الصريح لمبدأ ديكتاتورية البروليتاريا وموضوعات اخرى هامة من الماركسية . وهذا ما ادى بنظر الماويين، الى تهديم الاقتصاد الجماعي وكذلك الى خيانة الأممية البروليتارية ، عن طريق الدعوة الى التعايش السلمي ، وحتى الى التنسيق مع الولايات المتحدة الاميركية . هذا التنسيق الذي تسميه الصحافة البيكينية ب «الحلف المقدس الجديد» ، الهادف الى حفظ الوضع العالمي القائم والحيلولةدون الثورات. لكن الخروشوفية بنظر الشيوعيين الصينيين هي ايضا ، بل على الأخص ، قطع العلاقة الوثيقة الدقيقة التي يجب ان تربط الحزب الشيوعي بالجماهير الشعبية ، والتزايد المطرد لسلطة فئة ذات امتيازات ، من بين موظفي وكبار رجالات النظام السوفياتي . فلا تعود سياسة القادة السوفياتيين الخارجية ، المعتدلة المهادنة ، سوى تتمة الاتجاه نحو «التبرجز» والفساد الذي تبدى في سياستهم الداخلية .

هذا التطور المخرب الذي اتبعه الاتحاد السوفياتي في السنوات الاخيرة ، كان انذارا بالخطر بالنسبة لماو . فالصين هي ايضا قد تقتفي الأثر ، والنتيجة هي التضحية بالثورة العالمية .

تلك الدلائل على «تبرجز» قسم من كوادر الحزب الشيوعي الصيني ، الا تنذر بامكان ظاهرة شبيهة بالتحريفية السوفياتية ؟ حقا، ان الفارق بين ادنى الأجور وأعلاها ، لم يكن شديدا ، يوما ، في نظام ماو . غير ان هذا ليس سوى جانب من الامور . فقد حصل ابتعاد ملموس عن الوضع الذي كان خلال الحرب ضد اليابان وحرب التحرير. في تلك الفترة ، لم تكن الكوادر في الغالب يحصلون على اجور ، فكانوا يكافأون بالسلع الضرورية جدا . وكان نمط حياتهم في منتهى البساطة، ولا يختلف ابدا عن نمط حياة الجماهير الشعبية . ولم يكن لهم من الامتيازات سوى امتياز التنقل بكثرة ليناضلوا في كل مكان حيث كان ذلك ضروريا ، في أشد الظروف قساوة .

خلال سنتين او ثلاث ، بعد تحرير الصين ، بقي وضع الكوادر مماثلا . ثم بدأ قسم منهم بزيادة مكاسبه المادية تدريجيا . وبالطبع لم يحصل في الصين التخصيص الوقح بالامتيازات لكبار الموظفين ، كما حصل منذ عدد من السنوات في الاتحاد السوفياتي . ولم يكن هناك «محلات ذات ستائر بيضاء»(١) . وكان الكوادر يتنقلون بواسطة الدراجة او الاوتوبيس ، الا عندما تقتضي مهمتهم . ويتناولون طعامهم في المطاعم نفسها مع العمال . وغالبا ما كانوا يرون في اماكن العمل ، يلعبون بالكرة الطائرة وكرة المضرب مع العمال ، خلال استراحتي الربع ساعة ، في العاشرة او الرابعة بعد الظهر من يوم العمل . رغم ذلك ، هناك ما يبدو وهناك ما يخفى. فمنذ عام ١٩٥١ وضع نظام أجور للموظفين، تمم وعدل عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦ . وقد خلق هذا النظام عددا لا بأس به من الفئات المتميزة. اذ كان يقابل بعض الاقدمية والاستحقاق تميز في الأجور وفي المساكن احيانا . ورغم معارضة ماو تسي تونغ انشئت مدارس خاصة بأطفال بعض الموظفين من المراتب العليا . كل ذلك يمكن ان يبدو نسبيا قليل الاهمية . فلم ترفع المكاسب المادية ، بالنسبة للأكثر استفادة منها، من مستوى حياتهم كثيرا فوق المستوى العادي للشغيلة . لكن الاتجاه نحو تطور هذه الفروقات كان موجودا . وبينما كان يقول ماوتسي تونغ ان الكوادر يجب ان يكونوا خدم الشعب ، وأن لا يتمتعوا بأي امتياز ، الم يدع واحد مثل ليو شاوشي في احد مؤلفاته الى ان يؤمن الحزب «كل التسهيلات» التي تسمح لهم بالعمل وممارسة نشاطاتهم ؟

---

(١) في اوروبا الشرقية ، تسمى «محلات ذات ستائر بيضاء» المحلات التجارية المخصصة فقط لكبار الموظفين ولعائلاتهم ، حيث يمكن التزود بسلع أجود ، غالبا ما يكون مصدرها الخارج ، ولا يمكن العثور عليها في السوق العادية .

في بعض مؤسسات النشر كان بعض الكوادر يحصلون على اجور خاصة لقاء ترجماتهم لمؤلفات اجنبية ، يقومون بها كعمل اضافي . وكان بعض الصحافيين يضاعفون اجورهم عن طريق المبالغ التي يحصلون عليها لقاء مقالات يكتبونها للصحف . وفي الاوساط السينمائية كان بعض الفنانين يطلبون ويحصلون على مرتبات مرتفعة نسبيا ، وفي نفس الوقت على منازل خاصة مريحة جدا ، ضرورية برأيهم لعملهم الخلاق . وفي بعض المرات اجيب طلب بعضهم لشقق عازلة للصوت !..

ان كل ذلك لا يمكن مقارنته بالبذخ والترف عند «البورجوازية» السوفياتية ، او بورجوازية البلدان الرأسمالية . لكن الطريق كان مفتوحا ، امام البعض الذي كان يتحرق لقطعه بخطى واسعة ، مع كل النتائج التي يمكن ان تترتب عنه .

يضاف الى ظواهر الفروق الاجتماعية هذه ، المحدودة لكن الملموسة، العوامل النفسية التي تصاحب تولي المسؤوليات . فكانت اعتبارات المرتبة والدرجة تقترن غالبا بمفاهيم النفوذ : وأصبح البعض ، مع تولي المسؤولية ، مستبدا مغرورا ، لا يعير اية اهمية لمرؤوسيه ، متملقا لرؤسائه . وبدأت تنشأ تدريجيا ظروف تتيح ابتعادا اكبر للسلطة ومن يتولاها عن الشعب وبذلك تصبح الطريق مفتوحة تماما الى الخروشوفية.

بعد القطيعة الصينية ــ السوفياتية عام ١٩٦٠ ، وسحب الخبراء السوفيات من الصين بأمر من خروشوف ، لم يكن بامكان النظام الماوي انتظار المساعدة الخارجية ، فكان ينبغي عليه ، منذ ذلك الحين ، ان يناضل على جبهتين . من اجل ذلك ، كان يراهن ماوتسي تونغ على تعبئة الطاقة الهائلة على العمل لجماهير ضخمة من ٧٠٠ مليون صيني . وهذا يستتبع ، في بلد في حالة ثورة لا تنقطع ، الابقاء على غليان وحماسة نضاليين . على ذلك ، كان وجود عناصر بورجوازية ــ جديدة داخل الحزب الشيوعي ، مهتمة بمكاسبها وامتيازاتها اكثر من اهتمامها بالثورة ، عائقا امام السياسة الماوية . وعند كل خطوة سيكون المشروع معرقلا من مسؤولين ، يحبذون طرائق تقليدية ، وقد اتعبتهم الحماسة والحملات الثورية الكبرى . لقد سبق وأن عانت «القفزة الكبرى الى الامام» عام ١٩٥٨ من عدد من العوائق البيروقراطية . ومنذ ذلك الوقت لم يكف ماوتسي تونغ عن رؤية المعارضة لسياسته تغدو جسورة ومتصلبة .

وكانت اعادة الميليشيا الشعبية والسياسة العسكرية الجديدة عام ١٩٥٨ مناسبة لخلاف مع وزير الدفاع بنغ ته ــ هيه ، الذي كان يدعو الى بناء جيش في الصين من نمط كلاسيكي تقريبا ، يعطي الاولوية للتقنية

والتسلح ، ويتخلص من آثار زمن حرب العصابات. غير ان ذلك يستدعي مساعدة كثيفة من الاتحاد السوفياتي ، وبالتالي تفاهما مع خروشوف. وهذا ما لا يريده ماو . وقد وجدت هذه القضية نهايتها عام ١٩٥٥ في لوشان ، خلال اجتماع اللجنة المركزية ، حيث أقيل بنغ تهـهيه ، وأبدل بلين بياو . (لهذا الحدث علاقة باعلان الثورة الثقافية ، كما سنرى) .

رغم ذلك ، لم تفقد المعارضة اسلحتها . فقد اتاحت تقلبات «القفزة الكبرى الى الامام» والسنوات اللاحقة ، التي زاد من صعوبتها الكوارث الطبيعية وسحب الخبراء السوفيات ، اتاحت الفرصة امام عدد من قادة الحزب لاعادة وضع السياسة المتبعة من ماوتسي تونغ، حتى ذلك الحين، موضع الشك . (فكان موضع اتهام الذاتية والاستعجال المبالغ) . وقيل عن ديماغوجية و«حكاك» ثوري . وشبهت الكومونات الشعبية بأخويات فورييه . وقيل عن عودة الى الاشتراكية الطوباوية . تميزت في هذه الجوقة ثلاثة أصوات : صوت رئيس الجمهورية ليو شاوشي ، وصوت الامين العام للجنة المركزية تنغ هزياو-بنغ ، وصوت محافظ بكين بنغ شنغ .

في عام ١٩٦٢ ، رأى بنغ تيهـهيه ان الوقت ملائم لطلب اعادة اعتباره . ونشرت مؤلفات ادبية تحمل نقدا مبطنا للحزب . وعمل ليو شاوشي ، من جهته ، على اعادة طبع كتابه المسمى : «كي تكون شيوعيا جيدا» ، لم يقتصد فيه في التهجم على «يساريين» لم يذكرهم، وطالب بـ «السلام» داخل الحزب . كما تضمن تلميحات تستهدف ماوتسي تونغ ، يقال عنها الان في الصين ، انها كانت تريد أعداد الرأي العام لعملية سياسية شبيهة بالتي قام بها خروشوف ضد ستالين . اما المسؤول عن التربية ، لو تنغ-يي ، فقد انتقد بشدة ، من جهته ، عددا من الاجراءات التي تمت بمبادرة من ماو ، خلال «القفزة الكبرى» ، وبالتحديد انشاء مدارس العمل - الدراسة . وقد جهد لو تنغ-يي ، الذي غالبا ما دعا في السابق الى تقليد التربية السوفياتية ، جهد منذ عام ١٩٦٠ في التضييق من مجال العمل اليدوي والسياسة في البرامج المدرسية . وبمبادرة منه اعيد ادخال مبادىء تحسين الخط الكلاسيكي في التعليم الابتدائي .

هل كان ماو قد فقد السلطة حينذاك ؟ كما يزعم احيانا في الخارج وبصورة مبالغ بها . ان ذلك بعيد الاحتمال كثيرا . لان خط الحزب الشيوعي الصيني، الداخلي والخارجي لم يتغير طيلة هذه الفترة. ونعلم اليوم ، بالاضافة الى ذلك ، انه في الدورة العاشرة العامة للجنة

المركزية المنعقدة في ايلول ١٩٦٢ ، نجح ماو بادانة اتجاه منتقديه ، على انه انحراف يميني .

رغم ذلك ، لم يتم ابعاد هؤلاء ولا التقليل من صلاحياتهم ، لاسباب ما تزال صعبة التمييز . وتابع ماو الحكم ، مع معارضة كانت قد برهنت على قوتها وصلابتها .

وكان لماو ان يقدر ان تصلب المعارضة وظواهر الخلافات التي تكاثرت ، لم تكن بريئة من الهجوم العلني الذي قام به خروشوف ضد نظامه ، في نهاية عام ١٩٦١ . ومن المحتمل انه كان يرى الى جانبه في قيادة الحزب ظل التحريفية الخروشوفية المقيت . حتى ذلك الوقت ، اتاح له نفوذه ودرايته ان يخنق ذلك التيار . لكن ، بعد موته ، أيكون بالمستطاع منع خروشوف جديد من‌ان يصنع في الصين ، ما عمله خروشوف في الاتحاد السوفياتي ؟

ولن يطول رد ماو . فسيقوم منذ عام ١٩٦٣ باطلاق حركة التربية الاشتراكية ، المحاولة التي تؤذن بالثورة الثقافية ، والقائمة جزئيا على مبادىء مشابهة . تلك الحركة كانت ترمي الى مكافحة تأثير التراث والفردية ، لقطع المجال امام افسادهما للنظام الثوري . ذلك الفساد الذي يسمى بالتحريفية .

وكان عدد من المؤشرات قد غدا منذرا بالخطر . فخلال السنوات التي سبقت ، من عام ١٩٥٩ حتى ١٩٦٢ ، ظهر عدد من الانحرافات : كشف من عدد من محاولات التلاعب بالاموال في الادارة ، وكذلك عن عودة لاستغلال من نمط رأسمالي في الارياف ، كان يشجعه عدد من قادة الحزب .

في عام ١٩٦٤ ، نظمت معارض في عدد كبير من المناطق الريفية ، بعضها من اجل التشهير بحالات ظلم او نهب ، والآخر لحكاية قصة الحياة في المجتمع القديم بطريقة تساعد على تربية الشباب . وتذكرهم بخطر العودة الى تلك الاحوال ، اذا لم تلغ الممارسات المذكورة . وكان المثقفون والكوادر يرسلون على التوالي الى الريف حسب خطة مسبقة . كان الهدف ثلاثيا : ينبغي ان يعدوا التقارير عن ظروف الحياة الريفية ، وأن يعدوا انفسهم ، بنفس الوقت ، عبر احتكاك بالوقائع الملموسة ، وأن تساعد ممارسة العمل اليدوي ، كعنصر تربوي ، على جعلهم بروليتاريين بالمعنى السياسي والاخلاقي للكلمة .

وفي المدن ، اتمت صحف الحزب نشر عدد كبير من المقالات ، ذات طابع نظري . وشدد مرارا على ان اية محاولة ثورة او ثورة مضادة

سيكون انطلاقها من الحقل الادبي والفني . وفي هذا السبيل ، اقيمت سلسلة كاملة من البراهين على الطابع الطبقي للثقافة ، وعلى اولوية المقاييس السياسية على المقاييس الادبية . وفي هذه الفترة ، تم تحويل اوبرا بكين ، فأصبح هذا الشكل الفني واسطة للموضوعات الثورية المعاصرة . وكانت قد اعدت ، في الفترة السابقة ، مؤلفات مثل «الهجوم على كتيبة النمر الابيض» التي تحكي حادثة من الحرب الكورية ، وباليه تسمى : «الفرقة النسائية الحمراء» وهي تمثل حادثة من الحرب الاهلية في جزيرة هاينان .

في عام ١٩٦٤ ، مثلت مشاهد من المجتمع القديم بنصوب من الفخار بالحجم الطبيعي . فكانت بذلك تبعث من جديد ، امام الاجيال الجديدة ، ذكريات الماضي المريرة . وكان احد هذه المعارض يسمى : «ساحة الكراء» حيث يشاهد فيها فلاحون يكرهون على تسليم جزء من محصولهم لمالك الارض ، الذي ينزل بهم كل انواع القساوات والمذلات. وقد لقيت هذه المعارض دعاية كبيرة . واقيمت معارض متنقلة لصور وافلام عن تلك المشاهد ، فشكلت عنصرا هاما للتربية الايديولوجية ، ومثلا على الفن في خدمة الشعب .

ويبدو ان حركة التربية الاشتراكية كانت جزءا من خطة تغيير تهدف ، بالدرجة الاولى ، الى توطيد اسس الاشتراكية في الريف (١) وهذا ما كانت ترمي اليه حركة «التطهيرات الاربعة» ، التي كانت من ضمنها ، في الميادين السياسية والايديولوجية والثقافية والاقتصادية ، والتي جرت بشكل اساسي في المناطق الزراعية . وكان المقصود مجابهة التطور النسبي للحوافز المادية، والاختلاس والسوق السوداء والمحسوبية والعصبية ، بقدر ما كانت تضاعف الاتجاه حتما نحو ظهور فلاحين اغنياء او شبه اغنياء ، من جديد . وقد اشير الى حوادث استبداد ولا اخلاقية عند عدد من القادة . وحصلت حالات تعسف بيروقراطي. وكان تسلسل السلطة يعبر عن واقع ان السلطة قد بدات تفلت من ايدي الشعب . ودرج بعض الكوادر في عدد من الكومونات على تحديد أجورهم بما يساوي المعدل الوسطي لأرفع اجور ثلاثة فلاحين .

على ذلك ، عمد الى احياء المنظمات الجماهيرية ، كجمعية الفلاحين الفقراء والمنظمات النسائية . وفي تقرير امام الجمعية الوطنية الشعبية، في الاول من كانون الثاني عام ١٩٧٠ ، قال شو آن لاي ان النقطة

---

(١) وقد حددت الثورة الثقافية، التي تبعتها، معالجة المسائل المطروحة في المدن كهدف لها (انظر الملاحق : «اعلان البنود الستة عشر ، البند ١٣ الفقرة الاولى) .

الجوهرية من اجل المضي بحركة التربية الاشتراكية هي تعبئة الجماهير. فقد كان على الشعب ، من أدنى الى أعلى ، ان يتفحص سلـــوك الكوادر ويشهر بحوادث التعسف المحتملة . وشكلت فرق من كوادر حزبيـــة وعسكرية لتذهب الى الكومونات وتحقق في الادارة الاقتصادية وتعدلها. فكانت هذه الفرق تقوم بجمع الناس ، فيعرضون شكاواهم ، وتحســم الخلافات المعلقة ، وتقيل ، عند الحاجة ، بعض الكوادر الفاسدة او ذات الحماس الثوري الناقص . وقد شجع على قيام حركة واسعة لدراســة مؤلفات ماوتسي تونغ ، على صلة بممارسة هذا الصراع الطبقي ، بشكل يؤمن تربية حية ومتكاملة .

وشجع كذلك على «الخلقية» التي امتحنتها السنوات الصعبة في بعض الامكنة ، وعلى نقد بعض اوجه التكيف الثقافي للمجتمـــع ، ذات الأصل الاقطاعي . وقد ذكرت «يومية الشعب» لعبة «ورق» منتشرة بين الفلاحين الشباب ، وهي نموذجية في هذا الصدد : تسمى هذه اللعبـــة بـ «السيد» ومن ينتهي اولا يسمى سيدا والذي يليه فلاحا غنيا والاخير هو الفلاح الفقير ، الذي عليه أن يدفع ضريبة لهما .

وخلال حركة التربية الاشتراكية ، تضاعفت مكافحة الخزعبـــلات وفي عام ١٩٦٤ تم منع بيع الادوات المخصصة لممارستها .

وبدأت الحركة عام ١٩٦٤ بالامتداد الى المـــدن . وكتبت مقالات نقدية عديدة في الادب والفن . فانتقد عدد من الشعراء مثل توفـــو و تشيو هوو-شنغ ، كما نشرت كتابات كثيرة تعالج مسائل السينمـــا والادب في بداية القرن العشرين . ووضوعفت فـــي الجامعات والمدارس الساعات المخصصة للنقاشات الايديولوجية والنضال ضد التحريفية .

وأرسلت الى المصانع فرق مراقبة وتحقق . وترك عدد من سكان المدن مدنهم ليعملوا في الريف ويشاركوا في حركة «التصحيحات الاربعة»، خلال فترات تبلغ السنة احيانا . وأرسل ما يقارب اربع أسداس عناصر بعض الوحدات الى الريف . وقد شارك في هذه النشاطات ما يقـــارب الخمسة ملايين شخص .

ليس مدهشا ان نشير الى ان هذه الحملة الواسعة لم تجـــر دون معارضة من أخصام ماو .

ان المعلومات عن نضالات هذه الفترة غامضة . وبالنسبة للسطور التي تلي ، فقد كان مرجعي نصوصا نشرتها مجموعات ثورية خلال الثورة الثقافية . هذه النصوص ، بالاضافة الى انها غير رسمية فلا تلزم مبدئيا الا المجموعات التي كتبتها ، تشوبها العمومية. ورغم هذه التحفظات فانها تحمل معلومات هامة . ويبدو على الأخص ، انها تبين ان الخلافات التي

ظهرت خلال حركة التربية الاشتراكية كانت طليعة تلك التي عرفتها الثورة الثقافية فيما بعد .

في ايار ١٩٦٣ كتب ماوتسي تونغ وثيقة من عشرة نقاط مخصصة لتوجيه مسيرة حركة التربية الاشتراكية . وقد اشار فيها الى ان المسالة هي صراع طبقي من جهة ، وأنها تستهدف من جهة اخرى عددا من المسؤولين السائرين لا في طريق الاشتراكية ، بل في طريق العودة الى الرأسمالية . وكانت التعبئة الجماهيرية بقيادة عناصر الحزب الثورية ، ضرورية برأيه ، لفضح المسؤولين المعنيين . وهكذا ، ان الجماهير ، تبعا لمفهومه الذي سنراه مفصلا خلال الثورة الثقافية ، تتربى بمجابهتها المشاكل الملموسة وبانغماسها في ممارسة النضال الطبقي، وبنفس الوقت تطهر منظمات الحزب وتعمق خصائص النظام الثورية . والوصول الى هذا الهدف ، باللجوء الى تعبئة الجماهير الشعبية وتفضيله على اجراءات ادارية تتخذها قيادة الحزب ، هو من مميزات تفكير ماوتسي تونغ ، وهو الذي سيتحكم ايضا باعلان الثورة الثقافية .

ولم يتوان المسؤولون الرئيسيون عن الرد ، حسب النصوص التي اشرت اليها ، وشرع ممثلهم الرئيسي ليو شاوشي بنفسه بقيادة الحركة في منطقة تاويان . وكان ينبغي ، جريا على عادة دارجة في الصين ، ان يقوم بتجربة ، يأخذ بعد ذلك بمدها الى مناطق اخرى . وكانت خطته ان لا يجابه وجها لوجه حركة التربيةالاشتراكية ، بل ان يؤثر على قيادتها حيثما يستطيع ، لتحويلها عن مراميها . وسنشهد تجدد حالات مشابهة طيلة الثورة الثقافية . ويبدو من المقالات التي اعتمدتها ان مجموعات العمل التي نشطت في تاويان كانت بقيادة زوجة ليو شاوشي : وانغ كوانغ مي . وقد سارت في اتجاه لا يتفق مع النقاط العشرة التي حددها ماوتسي تونغ ، ويكشف بالواقع عن اهداف تتعارض معها . وقد تجنبت «مجموعة العمل» تحريك فلاحي الكومونة لمنعهم من المشاركة في النقاشات والتحقيقات . فتمت هذه ضمن ابواب مقفلة وبشكل شبه سري . وكانت كوانغ-مي نفسها ، تقيم متخفية في المنطقة ، توجه النضال ضد مجموعة كبيرة من كوادر الحزب في مراتب وسطية ودنيا . فهوجم العديد منهم وتمت اقالتهم . وبذلك طمست المرامي الحقيقية . وامتد هذا الامر الى مناطق اخرى، ما ان بدأ يعرف نتيجة تجربة تاويان. كان على ماوتسي تونغ ان يتدخل ، فكتب وثيقة ثانية من ثلاثة وعشرين بندا ، شدد فيها من جديد على الطبيعة الطبقية للنضال الجاري ، ودعا الفلاحين للتعبئة ، وحدد ان اقلية من الكوادر سائرة في الطريق الرأسمالي ، هي التي ينبغي استهدافها . ووصفت طريقة ليو شاوشي وأدينت باعتبارها «يسارا في الظاهر ويمينا في الواقع» .

تظهر مقالات الحرس الاحمر والمجموعات الثورية، كمسألة محسومة بوضوح ، التعارض بين خطين متجسدين في اكبر قائدين للحزب ، وجود تناقض جذري بين اسلوبيهما . ويمكن لنا ، دون شك ، ان نقدر ان ليو شاوشي قد استعمل نفوذه ، مواجهة تارة ومداورة اخرى ، للحد من سياسة ماوتسي تونغ . وبذلك يبدو معقولا ان الخلاف في نهاية ١٩٦٥ ، عشية الثورة الثقافية ، بين القائدين الصينيين كان قد بلغ مرحلة الحرب الجنينية ، بعد ان كان كامنا خلال سنوات عديدة .

في ذهنية ماوتسي تونغ، لم يكن مستقبل النظام مضمونا. واليقظة ازاء الاعداء الخارجيين لم تكن تكفي ، فالامر كله يتعلق بالاتجاه الذي ستتخذه قيادة الحزب ، في المستقبل .

كان الصراع بين ماوتسي تونغ وبين اخصامه يتبلور ويتجلى في هجومات وهجومات مضادة متكررة . واصبح ، منذ ذلك الحين، لا مناص من مجابهة حاسمة .

ويرتفع الستار عن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى .

القسم الأول

من تشرين الثاني ١٩٦٥
حتى كانون الثاني ١٩٦٧

تبلور الصراع

١

من العاشر من تشرين الثاني ١٩٦٥ حتى الدورة العامة الحادية عشرة للجنة المركزية في آب ١٩٦٧

● المعارك الاولى

انتقاد ووهان ومقاومة بنغ شنغ

لم يكن لبدايات الثورة الثقافية وقع مثير . فقد قامت ، حتى ايار ١٩٦٦ ، بشكل رئيسي على صراع داخل جهاز الحزب الشيوعي ، تدفع به الاصداء التي اثارها انتقاد كاتب يدعى ووهان. وقد ادى ذلك الصراع الى تنحية مجموعة هامة من شخصيات النظام ، في نيسـان ١٩٦٦ . وكان لهذا الحدث وقع لا يستهان به على الرأي العام الصيني ، ادخل الثورة الثقافية في مرحلة ناشطة . ويستعيد القسم الاول من هـذا الفصل تلك الاحداث .

ترجع النصوص الرسمية للحزب الشيوعي ببداية الثورة الثقافية الى العاشر من تشرين الثاني عام ١٩٦٥ . ذلك اليوم ، نشرت جريـدة يومية في شانغهاي ، «**ون هوي باو**» ، مقالا ينتقد بقسوة قطعة مسرحية عنوانها «**خلع هاي غوي**» . ومؤلف هذه المسرحية التي تعود الى عـام ١٩٦٢ ، المؤرخ ووهان ، كان حتى عام ١٩٦٤ نائبا لرئيس لجنة بكـين البلدية . وتظهر المسرحية موظفا في الصين القديمة ، ضحية امبراطور طاغية ، كان قد عزله ظلما . فتشهر بشرور الاستبداد وتمجد مقاومـة «هاي غوي» وشدة عزيمته في المحن . ان ووهان بالواقع يضمن تعريضا قويا شفافا بعزل بنغ تهـهوه ، الحاصل عام ١٩٥٩ ، وذلك تحت ستار مسرحية تاريخية . ويجدر ان نذكر ان بنغ تهـهوه ، عام ١٩٦٢ حـين انتجت المسرحية ، كان يطلب اعادة اعتباره ، بمساندة بعض قـادة الحـزب .

ان نقد منظمات شانغهاي لووهان ، انما تم بناء على طلب من ماوتسي تونغ نفسه . وقد اسندت الى ياو ون ـيان ، وهو صحافـي شاب ، عضو في قطاع الدعاية في اللجنة البلدية ، مهمة كتابة المقال الصادر في العاشر من تشرين الثاني، تحت عنوان **«حول المسرحية التاريخية المدعوة: «خلع هاي غوي»»** . وقد اصبح هذا الصحافي ، فيما بعد ، عضوا فـي المجموعة المكلفة بالثورة الثقافية (م.م.ث.ث) (١) ، وكذلك احد قـادة لجنة شانغهاي الثورية ، التي انشئت في شباط ١٩٦٧ . وهـو يلعب حاليا دورا هاما على رأس الحزب الشيوعي ، كأحد أفتى كوادره . لقد جعلت منه مهمة القيام بنقد ووهان شخصية تاريخيـة ، بين عشيـة وضحاهـا .

كان نقد ووهان يشكل اول عناصر خطة معركة ، وضعها ماوتسـي تونغ بدقة . كان رئيس الحزب يسعى اساسا لتحويل ثوري للبنـى الفوقية في المجتمع الصيني . ويعلم انه ، في هذا السبيل ، سيصطدم بمقاومة عنيفة في الحزب ، كان قد استعد لها . لقد اختار اذن بعنايـة الساحة التي يجب ان يجري فيها اول هجوم : الحقل الادبي والفني . فاثير في الفصل الثاني من عام ١٩٦٥ نقاش واسع بشأن كثير من المؤلفات وكتاب مختلفين، وفي تشرين الثاني اصبح نقد ووهان عنصره الرئيسي. ان الصراعات الثورية ، بالواقع ، تبدأ دائما في الاوساط الثقافية ذات التحسس المفرط بالخلافات العقائدية ، وتحدث التأثيرات الايديولوجية في تلك الاوساط بشكل واسع ودقيق ، وفيها توجد العناصر الاكثر تقبلا لنداءات الثورة . وقد احتدت بسرعة النقاشات والانتقادات حول مسائل ادبية وايديولوجية . ولم يسع نقد مسرحية ووهان ، التي تمتدح بنـغ تهـوه، الا ان يتعرض لخلفية من المشاكل السياسية، قائمة في الحزب الشيوعي الصيني منذ١٩٥٨ . وقد وعى اخصام ماو هذه النقطة، جيدا. وكان لهم ان يقلقوا لها بشدة . ولم يكن ليسرهم الاتجاه نحو اعادة تفحص عدد من المسائل التي بحثت في لوشان عام ١٩٥٩ ، وفي الدورة العامة العاشرة لعام ١٩٦٢ ، خاصة ، ان ميولهم قد ادينت عام ١٩٦٢ باعتبارها يمينية . لكنهم كانوا قد استمروا في مراكزهم ، ولم يتخذ بحقهـم اي تدبير . فكان لهم ان يروا انالامر قد يجري على غير هذا الوجه ، اذا ما اعيد فتح ذلك الملف المتفجر .

من اجل ذلك ، حاولوا قصر المناقشة المتعلقة بتحويل الادب، وبنقد ووهان ، العنصر الرئيسي منها ، على نقاش اكاديمي . وكان علـى رأس

---

(١) انظر ما سبق ، والجدول الاول .

هذه المناورة بنغ شنغ ، محافظ بكين وعضو اللجنـــة الدائمة للمكتب السياســـي .

لقد تحدثت في المقدمة عن ليو شاوشي خاصة ، من بين أخصـــام ماوتسي تونغ . وقد اظهرت بوضوح ، الاحداث التي سأرويها ، انه كان فعلا الخصم الرئيسي لرئيس الحزب. غير انه لم يظهر طيلة هذه المرحلة، من تشرين الثاني ١٩٦٥ حتى حزيران ١٩٦٦ . والذي ظهر حينذاك على انه المعارض الاكبر هو بنغ شنغ. ويبدو ان ليو شاوشي قد تصرف بحذر شديد حيال أحداث تلك الفترة . يظهر ان ذلك يعود الـــى ان مبادرات ماوتسي تونغ (وعلى الأخص اختيار ووهان ، المساعد المقرب من محافظ بكين) كان يقصد بها اثارة رد فعل بنغ شنغ وليس ليو شاوشي . مـــن الناحية التكتيكية ، لم يكن ماو يريد مجابهتهما سوية ، بل واحدا بعـد الآخـــر .

كان بنغ شنغ من أكثر الوجوه تعبيرا بين اولئك الذيـــــن انتهت معارضتهم لسياسة ماوتسي تونغ ، الكامنة خلال السنوات السابقة ، الى ان تتصلب وتتعنت . وقد استشف جيدا ان «مطالعة» ياو ين يان ضد مسرحية **((خلع هاي غوي))** لا تدل الا على بداية هجوم ، عليه ان يتســع حتى يشمل من ينطق ووهان باسمهم، ويشكل لهم غطاء واقيا .

عام ١٩٦٦ كان بنغ شنغ من ابرز رجالات النظام الشيوعي الصيني، واسمه مألوف من كل من يتابع عن قرب سياسة الجمهورية الشعبية . وكثيرا ما تكلم في المناسبات العامة ، في مركز مرموق من التسلســـل القيادي ، باستمرار . وقد قام عام ١٩٦٤ برحلة ملفتة للنظر الـــى اندونيسيا . ولا يبدو ان احدا في الخارج ، قبل عام ١٩٦٦ ، شك بأنه قد يكون على خلاف معسياسة ماو تسي تونغ . وقد اعتبره كثير مـــن الصحافيين الغربيين ، بالاستناد الى عدد كبير مـــن خطبه ، ماويـــا «متصلبا» . وبالحقيقة ، لا يوجد أوهى من تقدير يقوم على هذه الامور. ففي الصين ، عندما يقوم مسؤول من الصف الاول بحديث علني ، يلقي دائما كلمة «ضمن الخط» ، لانه اذا لم يفعل ذلك ، استحق تهمة خرق نظام الحزب .

اما التعبير عن الخلافات فيجري خلال النقاشات الداخلية فـــي المراتب القيادية . بأي مقدار من الصراحة؟ هذا ليس من السهل معرفته، لكنه اكثر وضوحا منه في المناسبات العامة . فمعارضة اشخاص كبنغ شنغ تتمثل بمناورات عرقلة ، وغمز ومحاولات خفية لنسف او تمييـع وضع السياسة الرسمية قيد التطبيق . بيد انه من السذاجة انتظـــار التعبير عنها علنا بكل وضوح .

لم يكن نشر مقال العاشر من تشرين الثاني ، فـي شانغهاي وليس في بكين ، ليقلل من اسباب شك بنغ شنغ بأنه هو المقصود عبر ووهان ، وليس اشخاصا آخرين. فقد كان بدهي تماما «انتطلق العيارات الاولى» في المقاطعات ، وذلك من أجل تجاوز العقبات التي كان بامكانـه اقامتها في العاصمة .

وبذلك كان لمحافظ بكين مبررات جدية ليأخذ اهبتـه . فحاول ان يلجم حركة نقد ووهان ، دون التصدي لها مواجهة ، وذلك عـن روية . فكان المقصود طمس كل ما يدفعبهذا النقد الى مستوى سياسي ، مـن جهة ، وعدم احاطة الحملات ضد ووهان باعلام مبالغ ، من جهة اخرى . وفي هذا السبيل يستطيع بنغ شنغ الاستفادة من دعم لوتنغ يي، المسؤول السابق عن التعليم ، وهو عضو اخر في المكتب السياسي مكلف بالاشراف على قسم الدعاية التابع للجنة المركزية . وكان قد جعل من نفسه المدافع عن الاساليب السوفياتية في ميدان التعليم ، وعارض مرارا ماوتسـي تونغ ، وخاصة بعد «القفزة الكبرى الى الامام» . فكان لديه هو الاخـر اسبابا وجيهة ليرغب في عدم التدقيق بالماضي ، من جديد .

كانت محاولات بنغ شنغ و لوتنغـيي متعددة . لن نذكرها جميعا. اما اكثرها اهمية فهي محاولة الحد، مداورة، مننشر مقال ياو ين-يان. ومن المعتاد في الحياة السياسية الصينية ان يعاد طبع المقال الهام فـي صحف اخرى ، مركزية او محلية ، بشكل يعطيه الصدى الابعد . بينما لم يعد طبع مقال ياو ون-يان الا في صحف ودوريات الصين الشرقية. فقد عمل لوتنغـيي على ان لا تعيد طبعه صحف اخرى .

ولم يقبل بنغ شنغ بنشر المقال في **«يومية بكين»** الا بعد مضي ثلاثة اسابيع . وقيل ، بعد ذلك ، انه قبل بعد الحاح من شو آن لاي . وعلى الرغم من ذلك ، فقد اضاف ملاحظة غامضة ، تحاول ان تقدم قضيـة ووهان على انها تاريخية اكثر منها سياسية .

في منتصف كانون الاول نشر بنغ توو ، مساعد بنغ شنغ فـي البلدية ، مقالا في «يومية بكين» تحت عنوان: **«من «خلع هاي غوي» الى مشكلة وراثة القيم الاخلاقية»** . انصرف فيه الى البرهنة على ان النقاش الجاري ، ان حول ووهان او حول الادب عموما ، ليس له علاقة بمشاكل سياسية محددة ، وعليه ان يقتصر على تفحص عدد من المسائل المتعلقة بالبحث التاريخي . ولنشر الى ان تنغ توو و ووهان كانا يشرفان سوية، منذ سنوات عديدة ، على تحرير «يومية بكين» ومجلة «جبهة» ، وكانـا كلاهما كذلك يرتبطان ببنغ شنغ .

وقد منع بنغ شنغ ولو تنغـيي نشر عدد من المقالات التي تشير الى

مسائل سياسية مرتبطة بنقد ووهان . وقد عارضا ، على الأخص ، نشر مقال بعنوان «**الطبيعة الرجعية لـ «خلع هاي غوي»**» ، كتبه شخص يدعى تزي بن-يٌ ، سنعود الى الكلام عنه (١) .

بنغ شنغ ينشر تقرير شباط :

ان معارضة الشريكين لانتشار نقد ووهان ، لا تثير اي عجب . لكن ما يصعب تفسيره هو السهولة التي تطورت بها تلك المعارضة ، طيلة الاشهر التالية ، بين نهاية كانون الاول ١٩٦٥ ونهاية شباط ١٩٦٦ ، خاصة اذا كان لنا ان نعتقد بنجاح بنغ ولو في فرض آرائهما . وقد نشر ووهان ، بالواقع ، في السابع والعشرين من كانون الاول ، نقدا ذاتيا مطولا في «يومية بكين» و«يومية الشعب» . ومنذ ذلك الحين ، بدا كل شيء كما لو ان هذا النقد الذاتي سيقفل المناقشة . بالاضافة الى ان مجرد نشر نقد ذاتي في الصحافة الرسمية يعني ، باعتبار آداب السياسة الصينية الرسمية ، قبول ذلك النقد ، فلا ينبغي التشدد ، بعدها ، ازاء الاخطاء التي ارتكبها كاتبه .

كان بنغ شنغ يؤكد في الارشادات التي يعطيها والاحاديث السياسية، في شباط ، انه سيكون بالمستطاع بغضون شهرين الخلوص الى نتيجة بشأن ووهان . وتعني اثارة المشكلة على هذه الصورة انها ليست كثيرة الخطورة ، فيمكن حلها خلال فترة وجيزة نسبيا . وقد قام بنغ شنغ بابعاد ووهان عن بكين . فذهب هذا الاخير الى كومونة زراعية ، حيث ساهم بحركة «التصحيحات الاربعة» . وان لم يكن ذلك نزهة فعلية ، لكنه أقرب اليها . وبدا كل شيء منذ ذلك الوقت يشير الى انه قد اخرج من قفص الاتهام، وسمح له ان يهدىء روعه . وأكد بنغ شنغ ، في شباط ، ان التحقيقات الجارية «اظهرت عدم وجود اية علاقة بين ووهان وبين بنغ ته-هوه» .

كانت مناقشة مسرحية ووهان جزءا من حركة اكثر اتساعا ، رأينا بوادرها الاولى خلال عام ١٩٦٥ ، ترمي الى نقد عدد من الآثار الادبية والفنية باعتبارها ركيكة او مضرة . وتنتمي هذه الحركة الى اخرى اكثر شمولا ، تهدف الى نقد الايديولوجية البورجوازية وبقايا التراث . كان الحديث قد بدأ عن الثورة الثقافية ، رغم ان المصطلح لم ينتشر استعماله الا اعتبارا من نيسان ١٩٦٦ . بيد انه كان يوجد داخل منظمات الحزب منذ بداية عام ١٩٦٦ «مجموعة الخمسة المكلفة بقيادة الثورة الثقافية» .

---

(١) انظر القسم الثالث والقسم الرابع .

ان اكثر ما يدعو الى التعجب ، عند دراسة هذه المرحلة ، الملاحظة بأن بنغ شنغ لم ينجح بتبرئة ووهان وحسب ، بل انه كان ايضا علـــى رأس مجموعة الخمسة . فلماذا وضعت الثورة الثقافية، التي كان اعلانها يستجيب لمشاغل واهتمامات ماوتسي تونغ ، تحت قيادة رجل كـــان بالحقيقة خصما لها . ولماذا نجد كذلك ، بين الاشخاص الخمســـة ، لوتنغ-يي وشويانغ (١) و وولنغ سي (٢) ، وللرجال الثلاثة نفس اتجاه محافظ بكين بشكل واضح ، بينما الاخير ، كانغ شنغ (٣) ، وحده يمكـن اعتباره نصيرا لماو ؟

من اجل الاجابة على هذه التساؤلات التي تثيرها تلك المواقـــف الغريبة ، استنتج عدد من المعلقين الغربيين بأن ماوتسي تونغ كان قـــد فقد السلطة ، في هذه المرحلة او تلك ، وهذا ما هو مجـــرد تخيل . الواقع ، اننا لا نستطيع تفهم هذا النوع من المشاكل الا اذا اخذنا ، بعناية، بعين الاعتبار خصوصيات الحياة السياسية الصينية ، ورجعنا الـــى المبادىء وأساليب العمل التي ينادي بها ماوتسي تونغ . وبالحقيقة انه ، بالنسبة لماوتسي تونغ ، ليس من المناسب مهاجمة العدو مواجهة ، بـــل يفضل ان يترك يتقدم وينكشف ، ومن ثم يشن هجوم مضاد عليه . فكان بوسع ماو ، ان يسند الى بنغ شنغ ، عن قصد ، مهمات قيادية ، لينصب له فخا ، ويجعله يتعثر ، ومن ثم يفضحه على انه تحريفي ، مستغـــلا اخطاءه . قد يبدو هذا التفسير «مزاجا سمجا» في بلد غـــير الصين . لكنه لن يدهش اولئك الذين يعرفون مقدار تميز الآداب السياسية ، في تلك الدولة ، عنها في بلد غربي. وينبغي ان نضيف ان ماوتسي تونغ ربما حاذر تحديد كل غاياته ، كي يجر بنغ شنغ الى الانكشاف وارتكـــاب الهفوات . هذه النقطة الاخيرة ليست سوى فرض ، مـــن اجل التثبت منه ، ينبغي معرفة محتوى حديث خاص كان بين الرجلين ، في الثالث والعشرين من ايلول ١٩٦٥ .

لا يعقل ان بنغ شنغ كان بامكانه ان يجد نفسه على راس الثـــورة الثقافية ، رغم ارادة ماوتسي تونغ . فكل الوثائق والنصوص الرسمية

---

(١) احد المسؤولين الرئيسيين عن الدعاية ، الى جانب لوتنغ-يي .
(٢) مدير وكالة الصين الجديدة .
(٣) موظف سابق في الكومنترن ، عاد الى الالتحاق بماو في نيان خلال الحرب ضد اليابان . وكان في بداية الثورة الثقافية عضوا مرشحا للمكتب السياسي . وهو اليوم عضو في اللجنة الدائمـة للمكتب السياسي .

منها وغير الرسمية ، تدل على ان اعلان الحركة بحادث العاشر من تشرين الثاني في شانغهاي ، كان بايحاء من ماوتسي تونغ. وثم اننا نعلم ان اجتماع عمل هام للجنة المركزية ، قد انعقد في ايلول وتشرين الاول ١٩٦٥ ، كان قد اعد له ، ونشط في ترؤسه . يصعب اذن تصور ان الحركة التي كان في اساسها ، قد افلتت من قيادته في كانون الثاني وشباط ، بينما استعاد قيادها تماما من جديد ، وكما سنرى ، في نيسان ١٩٦٦ .

وبالحقيقة ان بنغ شنغ لم يكن بوسعه الوجود على رأس «مجموعة الخمسة» الا على الأقل مع حياد ماوتسي تونغ المقصود ، والذي يستطيع ان يكون واثقا من ان محافظ بكين، بهذا الشكل، سيحترق بنار التناقض المستعصي ، لقيادته عملا سياسيا لا يثير لديه سوى الاشمئزاز. وسنرى في ما يلي من الاحداث تكرر ظهور مواقف مشابهة ، حيث يجد اخصام ماو الاكثر تصميما انفسهم وقد كلفوا احيانا بتنظيم تطبيق سياسته ـ وخاصة ليو شاوشي وتاوشو ـ (١) وفي كل مرة سيكون ذلك ايذانا بسقوطهم .

في شباط ، قام بنغ شنغ، بفضل هيمنته على «مجموعة الخمسة» بوضع تقرير عن النقاش الاكاديمي الراهن ، باسم المجموعة ، رغم ما يحتمل من معارضة كانغ شنغ . وقد كتبت تلك الوثيقة لتكون دليلا لتطور الثورة الثقافية المقبل . فكانت تحاول من جديد اعطاء طابع اكاديمي لمختلف النقاشات الدائرة ، وعلى الأخص حول ووهان . وهي تحتوي على توصيات مختلفة ، انتقدت بشدة فيما بعد (٢) ، وقد وزعت هذه الوثيقة بشكل واسع داخل منظمات الحزب .

القضاء على مقاومة بنغ شنغ :

هنا ، ارتكب بنغ شنغ خطأ مميتا . الان يوجد وثيقة مكتوبة، تظهر بشكل مفصل مفهومه الحصري للثورة الثقافية ، ويمكن استغلالها ضده. وهذا ما كان ماوتسي تونغ يستهدفه ببراعة، مسلسا له القياد في عنقه، في كانون الاول وشباط ١٩٦٦ .

منذ آذار ، شرع ماوتسي تونغ بالتصدي الصريح لنشاطات محافظ بكين ، خارجا من عزلة الاشهر السابقة . وأصبح **تقرير شباط** مرمى لحملاته . فانعقد اجتماع على مستوى قيادي ، يحتمل انه كان اجتماعا

---

(١) انظر نهاية الفصل الثاني من هذا القسم .
(٢) انظر الصفحات التالية .

موسعا لامانة السر ، بناء على طلب رئيس الحزب كان بنغ شنغ خلاله موضع النقد . وفي غضون ذلك ، جمع ماوتسي تونغ عددا من الكوادر وأبلغهم استياءه من بنغ شنغ ولو تنغ-يي . واستنكر الرقابة على عدد من المقالات التي تنتقد ووهان ، والتي جلبت على كاتبها ، تـزي بن-ي مضايقات مختلفة من بنغ شنغ .

وانتقد ماو بشدة قسم الدعاية في اللجنة المركزية ، الذي كـان يساند تلك المناورات . وأطلق حينئذ الشعار الشهير حاليا في الصين ، والذي لقي صدى واسعا في الهيئات المعنية : «ينبغي الاطاحة بملـك الجحيم وتحرير «الشياطين» (وهذه ترجمة ملتوية لتعبير صيني شديـد المحلية) وبوضوح ، كان ذلك يعني انه ينبغي ان تكون المصلحة المركزيـة للدعاية (ملك الجحيم) والمشرفين عليها ، موضع نقد من الكوادر والهيئات (الشياطين) التابعة لها .

وتلك كانت الطريقة التي يدعو اليها ماوتسي تونـغ باستمرار : اخضاع المراتب العليا لنقد المراتب الدنيا: وقد وضع ذلك التهديد موضع التنفيذ وصحبه الغاء خطة شباط. واتهم بنغ شنغ، اثناء اجتماع موسع جديد لامانة سر اللجنة المركزية ، بمعارضة خط ماوتسي تونغ . وكذلك اتهمت شخصيات اخرى كانت على علاقة به : لوتنغ-يي ، مدير الدعاية الذي ذكرناه سابقا ، ولوو غوي-كنغ ، رئيس الاركان، ويانغ كوان شنغ، عضو امانة سر اللجنة المركزية . وتبعا لما هو معتاد في الصين ، بقي ذلك امرا داخليا . فجرد هؤلاء من سلطاتهم ، دون ان يؤخـذ قرار مباشر بعزلهم . ونشرت صحافة الحزب الشيوعي المركزية انتقادات ضـد الموضوعات الموجودة في خطة شباط ، لكن دون ذكر اسم صاحبها ولا اسماء المتهمين الثلاثة معه . ولم تذكرهم باسمائهم الا بعد مضي سنة . وأثناء ذلك سوف تنتقد افكارهم وموضوعاتهم دون اشخاصهم ، وذلك رسميا على الأقل .

وفي نفس الفترة ، نحو منتصف نيسان ١٩٦٦ ، راحت «يوميـة بكين» ، التي ما يزال اصدقاء بنغ شنغ يشرفون عليها ، تنشر ، علـى عجل ، مقالات نقد ذاتي بشأن سلسلتين من المقالات المعارضة : **«احاديث المساء في نيشان»** و**«قرية الثلاثة»** (١) . وكانت هذه المقالات الصحفيـة من عمل ووهان وتنغ توو ولياو مو-شا ، وهم ثلاثة اصدقاء لبنغ شنغ، ومسؤولون كبار في لجنة بكين البلدية . وقد لعبوا دورا هاما فـي معارضة ماوتسي تونغ داخل الحزب، منذ١٩٦٢ . وكانت هذه الانتقادات

---

(١) انظر ما يلي ، والملحق الاول .

الذاتية محاولة منهم لاتقاء العاصفة التي شعروا بزمجرتها ، لأن ماوتسي تونغ وأنصاره باشروا العمل ، مصممين على دفع نهوض الثورة الثقافية.

واعتبارا من نيسان ١٩٦٦ ستقوم حملة ايديولوجية على الاتجاه الذي اتبعه بنغ شنغ حتى ذلك الحين . وكان في اساس هذه الحملة وثيقة بعنوان **محضر الاحاديث** الحاصلة اثناء تجمع ادباء وفناني القوات المسلحة . ويلخص ذلك المحضر النتائج التي ادى اليها الاجتماع المذكور المنعقد باشراف كيانغ ـ تسنغ (١) ، زوجة ماوتسي تونغ .

كانت تلك الوثيقة تشدد على اولوية العنصر السياسي على الاكاديمي، دون ان تشير مباشرة الى قضية ووهان . وتذكر ان استمرار وجود خط «أسود» منذ سبعة عشر عاما في الميدان الادبي والفني ، قد منع هذا الميدان من اكتساب خواص بروليتارية حقا . وتشدد على ضرورة محاربة التأثيرات البورجوازية في هذا الميدان ، والقيام بنضال لا يلين . ويؤكد هذا النص على الجوانب السياسية للخلق الادبي والفني ، آخذا بنقيض موضوعات بنغ شنغ ، دون تسميتها . وقد وزعت **الوثيقة** بشكل واسع جدا في ربيع١٩٦٦ ، بينما اصبحت موضوعاتها الرئيسية موضوع مقالات تبسيطية رددها قسم الدعاية ، الذي كان قد انتزع الاشراف عليه من «ملك الجحيم» لو تنغ ـ يي .

نهوض الثورة الثقافية : «حول قرية الثلاثة»

شهدت أواخر نيسان وأيار مرحلة جديدة من مراحل الثورة الثقافية . فقد تخلت هذه ، منذ ذلك الحين ، عن وقعها الخافت المتلعثم، الذي كان لها منذ عام ١٩٦٥ ، ليدعى لها بصخب بواسطة جهاز دعاية وضع تحت تصرفها ، دون تحفظ . وبينما كان نهوضها يتعاظم ، كان اطارها واتساعها وغاياتها تكبر ايضا .

في الثامن عشر من نيسان ، نشرت **«يومية الجيش»** افتتاحية بعنوان : فلندعو لفكر ماوتسي تونغ ، ولنشارك بنشاط في الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى . وقد ذكر في الافتتاحية ، وفقا لما قيل في

---

(١) انظر الجدول الرابع . كانت كيانغ تسنغ ، قبل ان تلتحق بالمناطق التي يسيطر عليها الشيوعيون خلال الثورة ، ممثلة في شانغهاي . وقبل حركة التربية الاشتراكية والثورة الثقافية ، لم يكن لها سوى دور سياسي بسيط. اما الان فهي عضو فياللجنة الدائمة للمكتب السياسي المنتخب من المؤتمر التاسع . وتتمتع بشعبية قوية جدا. ونشر المحضر في «انباء بكين» العدد ٢٣ بتاريخ ٥ حزيران ١٩٦٧ .

وثيقة اجتماع القوى المسلحةان نضالا طبقيا عنيدا لم ينقطععن الجريان، منذ التحرير عام ١٩٤٩ ، في الحقل الادبي والفني ، الذي يعتبر قطاعا حيويا قد ينحط عن طريقه كل النظام الاشتراكي . وفي الثامن من ايار نشرت مقالات متعددة تتهم ووهان وتنغ توو و ليا موـشا ، بأسمائهم . وفي العاشر من ايار ، نشر ياو ونـيان ، الذي كان قد اصبح شهيرا ، مقالا جديدا في شانغهاي ، يهاجم فيه الصحافيين الثلاثة . وفي الحادي عشر من ايار ، ظهر في «الراية الحمراء» مقال بعنوان : «في الموقع البورجوازي لمجلة «جبهة» و«يومية بكين» . وكاتب المقال كان تزي بنـي ، الذي لأشهر خلت ، منع عليه بنغ شنغ اعمدة الصحف البيكنية .

كان مقال ياو ونـيوان اهم المقالات الصادرة في تلك الفترة . فيستحق بعض التعليق . المقال بعنوان : **حول «قرية الثلاثة»** ، ويحمل عنوانا صغيرا : **الطابع الرجعي لأحاديث المساء في ينشان ، ولسلسلة مقالات «قرية الثلاثة»** (١) . ينكب الكاتب فيه على مطالعة مطولة ضد ووهان وتنغ لوو ولياو موـشا ، المتهمين بالمعارضة ، منذ فترة طويلة لخط الحزب الثوري ولماوتسي تونغ ، فيبدأ بالهجوم على نص النقد الذاتي المنشور في السادس عشر من نيسان ، في مجلة «جبهة» وفي «يومية بكين» ، والذي يعترف فيه تنغ توو ولياو موشا بفقدانهما لليقظة الثورية وبأنهما كانا تحت تأثير الايديولوجية البورجوازية ، فيشرع ياو ونـيان ، من جهته ، بالبرهنة على ان ذلك هو نقد ذاتي زائف .

يقول ، بما معناه ،ان هذين الرجلين يريدان تصغير مسؤولياتهما والايهام بأن عيبا كان قد لحق بوضوح رؤيتهما ونفاذها ، في حين انهما في الحقيقة قد تصرفا عن تصور وتصميم وبشكل منظم .

ويذكر المقال ايضا واقع ان تنغ لوو ولياو موـشا قد دافعا عن مسرحية ووهان ، «خلع هاي غوي» ، وهذا ما يشكل هجوما على اجتماع لوشان عام ١٩٥٩ والمقررات التي اتخذت فيه. وتبعا للمقال، فالاشخاص الثلاثة المجرمون ، متسترين بالصعوبات خلال السنوات المتوالية الثلاث (٥٩ـ٦٠ـ٦١) ، وبالتنسيق مع التيار التحريفي الذي ينشره حكام الاتحاد السوفياتي ، قدموا في صحفهم سلسلة من الموضوعات المتعارضة مع خط الحزب . وقد دعا هؤلاء ، عن طريق الغمز الماكر ، والتلميح المبطن ، اللذين تتيحهما لهم زاويتهم الصحفية (٢) ، دعوا الى انقلاب

---

(١) انباء بكين العدد الثاني والعشرين ٣٠ ايار ١٩٦٦ .
(٢) انظر الملحق الاول .

سياسي ، بوحي مباشر من التحريفية : الرجوع عن الحركات الجماهيرية في عملية بناء الاشتراكية، التخلي عن أولوية العنصر السياسي، الاستناد الى الاختصاصيين والتكنوقراطيين ، الخ .. وأكثر من ذلك فقد دعوا بشكل واسع ، في وقت كان يتطور فيه الخلاف الايديولوجي مع قيادة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، دعوا الى عدم القطيعة مع هذا الاخير ، وحتى الى الاقتداء به ، وذلك بالتحديد في مقال بعنوان : **فن اجتلاب الاصدقاء واستقبال الضيوف .**

مذكرة السادس عشر من ايار (١) :

بوسعنا ان نلاحظ انه ، مع هذه السلسلة من المقالات زادت بوضوح الحملة ضد مجموعة السياسيين المرتبطين ببنغ شنغ ، والذين كانوا يسمون في الصحافة الصينية في تلك الفترة ، بهذا التشبيه : «العصابة السوداء» ، اي المتبعين لـ «الخط الاسود» المعارض لخط ماوتسي تونغ. ومنذ ذلك الحين بدأ الخلاف ، الذي كان قد بقي داخل جهاز الحزب ، يصبح علنيا : رغم ذلك ، ما زال الخبر جزئيا ومتحفظا . فلم تقرن الصحافة اسماء بنغ شنغ ولوتنغ-يي وغوي-كنغ ويانغ شانغ-كون بـ «الخط الاسود» الذي تشهر به . واقتصرت على ذكر اسماء ووهان وتنغ تود ولياو مو-شا وجميعهم مسؤولون مرؤوسون . وهذا امر اعتيادي في الصين : فكلما كان المسؤول من رتبة عالية ، كلما كانت المشاكل المتعلقة به اكثر خطورة ، وتطلب تسويتها وقتا أطول . وسنرى هذه الظاهرة تتكرر مرارا خلال الثورة الثقافية ، وخاصة بالنسبة لليو شاوشي .

بيد ان النقد داخل الحزب كان اكثر تحديدا . فكان هناك وثائق داخلية تشير الى بنغ شنغ باسمه «كممثل للبورجوازية» . وقد اشير الى ذلك بوضوح في مذكرة اللجنة المركزية بتاريخ ١٦ ايار١٩٦٦ . وتعتبر هذه الوثيقة ، التي وزعت داخل الحزب فقط ، انها من صياغة ماوتسي تونغ نفسه ، وهي تعلن الغاء تقرير شباط الذي وضعه بنغ شنغ باسم «مجموعة الخمسة» وتشرع بتخطئته على نقاط عشرة . وتعين تلك الوثيقة بدقة نظرية ووضوح ، نادرين بشكل بين ، الاتجاهات الاساسية للثورة الثقافية ، فتستحق التعليق .

تتهم المذكرة بنغ شنغ بتزييف المشاكل المطروحة وطمس مرامي الثورة الثقافية البروليتارية . فقد تحول نقد ووهان ، الذي تم في اطار

---

(١) انظر الملحق الثاني .

التحويل الثوري للأدب والفن ، الى نقاش شكلي يخفي المشاكل السياسية الاساسية المرتبطة بمسرحيه «عزل هاي غوي» . وتؤكد المذكرة بوضوح ان الغاية من النضال هي في انتقاد ووهان وأمثاله المتهمين بأنهم ممثلون للبورجوازية ومعادون للحزب وللاشتراكية (١) . وهؤلاء عديدون ، كما تحدد المذكرة . وتضيف ، وهذا جدير بالانتباه ، ان عددا من هؤلاء يوجد داخل اللجنة المركزية وهيئاتها وداخل منظمات الحزب على مستوى المقاطعة والبلدية .

وتقول المذكرة ان بنغ شنغ قصد خنق النقاش السياسي ، عن طريق تحويله الى مستوى اكاديمي مجرد . وعلاوة على ذلك فقد اراد اتاحة المجال واسعا امام ممثلي البورجوازية للرد على الانتقادات التي كانوا موضوعا لها ، بل للهجوم بدورهم ، وذلك تحت ستار حرية تعبير مزعومة . وبينما كان الصراع الجاري صراعا طبقيا ، ترى الوثيقة ان لا ظل للمساومة فيه ، طرح بنغ الشعار الرجعي : «الجميع متساوون امام الحقيقة» . فتقول المذكرة : «ان علاقتنا بهؤلاء الناس ليست اطلاقا علاقات مساواة بل علاقة اضطهاد طبقة لطبقة ، اي علاقات ديكتاتورية للبروليتاريا مع البورجوازية» . وتحتوي المذكرة في نقطتها التاسعة على اشارات هامة : فتذكر ان الصراع لم يبدأ بعد في كثير من الاماكن . وفي المناطق التي جرى فيها ، ما زالت الغالبية العظمى من لجان الحزب تسيء فهم دورها القيادي . والحال ، ألم يوصي بنغ شنغ بقيادة النضال والقيام به «بتحفظ» و«بتبصر» ومع «موافقة» الهيئات القيادية المعنية؟ كل هذا ، كما تقول المذكرة ، يعني «معارضة تطور الثورة الثقافية البروليتارية ، ويرمي الى اخضاعها واخضاع اليسار البروليتاري الذي يعمرها ، لسلسلة من العوائق الناشئة عن أعراف روتينية مختلفة» .

في ختام تلك الوثيقة ، تبدو الثورة الثقافية بشكل جديد . وهذا العنصر الجديد هو الذي يعطيها اهميتها التاريخية الكبرى . فلم تعد المسألة فقط هي تأمين اتجاه اكثر ثورية في الميدان الادبي والفني . فالمعارضة التي لقيتها الحركة في قسم من جهاز الحزب ، ينبغي ان تقودها الى ان تضيف الى غاياتها الامساك بذلك القسم اولا ، ومن ثم تصفيته .

كان ينبغي ايضا ان تعزز الايديولوجية البروليتارية من اولوية مفاهيمها وأساليبها في التسيير الاداري وسير عمل الحزب . من اجل ذلك انتهت مذكرة ١٦ ايار الى الاشارة الى ان ممثلي البورجوازية

---

(١) انظر الملحق الاول ، وحول معنى «بورجوازية» انظر المقدمة .

المتسربين الى الحزب والحكومة والجيش ومختلف الاوساط الثقافية كانوا حفنة من التحريفيين المعادين للثورة . وتتضمن المذكرة هذه الجملة التي ستوضح الاحداث مغزاها ، بقوة : «لقد كشفنا بعض أولئك الاشخاص . وهناك آخرون لم يكشفوا بعد ، وغيرهم ، وهم أفراد من نوع كروتشيف ، ما زالوا يتمتعون برصيدهم . وهم معدون ليكونوا خلفاءنا ، وهم بيننا » .

لقد اعطى نشر هذه المذكرة داخل الحزب ، على الفور ، شكلا جديدا للثورة الثقافية .

كانت سلسلة المقالات التي كتبت ضد «العصابة السوداء» (١) ، ابتداء من نيسان ، وكذلك مذكرة ١٦ ايار ، تدعو الى التعبئة الواسعة للجماهير الشعبية ، لتكون على معرفة بمجمل المشاكل ، وتشارك في النقاشات . وكان ذلك يرمي الى تحريك قوى من خارج جهاز الحزب ، بشكل يمكّن ، اذا اقتضى الامر ، من احباط مناورات بعض القادة الذين يستعملون صلاحياتهم لمعارضة خط ماوتسي تونغ . ويقصد به كذلك تنبيه يقظة الجماهير ، لتميز مظاهر النفوذ التحريفي ، وتنتقد المسؤولين عنه ، في حال وجوده .

وبذلك تطورت الحركة في كثير من الاماكن في هذا الاتجاه ، وخاصة انتشرت الطريقة الصينية في الاعلان بالملصقات ، ذات الحروف الكبيرة، التي تسمى «دازيباو» ، والتي يستطيع كل واحد بواسطتها ان يعلم الجميع بآرائه وأن ينتقد المسؤولين .

«اول دازيباو ماركسي – لينيني ، وطني» :

وهكذا ، علق في الخامس والعشرين من ايار ١٩٦٦ واحد من هذه «الدازيباو» (٢) في جامعة بكين ، سوف يحدث دويا هائلا . وقد وقعه سبعة اشخاص ، بينهم استاذة في الفلسفة تدعى نيه-يوان-تسو . وستصبح هذه ، من قادة لجنة بكين الثورية ، قبل ان تعرف في ربيع ١٩٦٨ نهاية مأساوية (٣) . في هذا الدازيباو ، يمكننا ان نقرأ نقدا عنيفا لاثنين من المسؤولين في بلدية بكين عن الشؤون الجامعية ، ولعميد الجامعة، والثلاثة جميعا هم من كوادر الحزب العليا ومعاونون لبنغ شنغ. يعدد الموقعون السبعة مختلف التضييقات المفروضة على حركة الثورة

---

(١) انظر معجم المصطلحات : «العصابة السوداء» .
(٢) انظر «انباء بكين» العدد ٣٧ ، ١٢ ايلول ١٩٦٦ .
(٣) انظر القسم الرابع من هذا الكتاب .

الثقافية في الجامعة من قبل هؤلاء الاشخاص الثلاثة ، وبالتحديد محاولة نزع طابعها السياسي لاعطائها طابعا اكاديمياً صرفا ، ومنع الصاق الدازيباو، والرجوع المستمر الى ضرورة «تعزيز» القيادة واعطائها اتجاها «صحيحاً» . يستنكر الدازيباو هذه المناورات ، ويؤكد بوضوح انه لا بد من تعبئة الجماهير دون تحفظ ، وتطوير استعمال الملصقات الى اقصى حد ، وعقد اجتماعات المناقشة، ومن النضال بحزم ضد مكائد المسؤولين التحريفية ، الذين يقفون بوجه الحزب والاشتراكية .

كان لذلك البيان ، الذي يعبر عن حزم وجرأة ثوريتين على نقد اشخاص بالرغم من مراكزهم العالية ، صدى بعيدا ، اذ طلب ماوتسي تونغ، عندما علم به ، بثه من الاذاعة وفي الصحف في الاول من حزيران. ولقيت حركة التمرد على مسؤولين حزبيين ، يشتبه باتباعهم لاتجاه بورجوازي ، اكبر الدعم وأصبحت مثلا يحتذى به على الصعيد الوطني. ويشكل هذا الحدث ، بلا جدال ، انعطافا في الثورة الثقافية . فقد شجع على الجرأة في النقد . وعم النشاط الجامعات الصينية التي غطيت بالبيانات التمردية . وقد سمي هذا الدازيباو: «اول دازيباو ماركسي — لينيني ، وطني» .

اعادة تنظيم بلدية بكين :

في الثالث من حزيران اعلنت اللجنة المركزية للحزب عن تدبير ذي مغزى : اصلاح لجنة بلدية بكين الحزبية . فصدرت تعيينات جديدة ، ونزعت صلاحية بنغ شنغ ، دون تسميته او اعلان عزله . وأصبح لي سيو — فنغ (١) السكرتير الاول للجنة البلدية ، وووته (٢) السكرتير الثاني .

وفي نفس الوقت ، اعلن عن تدابير اخرى : اعادة تنظيم «بكين — سوار» و«يومية بكين» وعزل هيئتا التحرير فيهما . وكان اصدار مجلة «جبهة» معلقا مؤقتا ، طيلة فترة اعادة تنظيمها . بذلك تظهر ارتباطات مجموعة تنغ توو بمسؤولي البلدية ، عبر التدبير المتخذ . وأعلن كذلك عن اقالة عميد الجامعة ، المذكور سابقا ، وعن ارسال مجموعة عمل الى الجامعة كي تشرف على الثورة الثقافية البروليتارية فيها . وكان على

---

(١) السكرتير الاول لمكتب اللجنة المركزية لشؤون الصين الجنوبية . وقد بقي يتسلم صلاحيات رفيعة بعد فترة من الفروب ، حيث تعرض لنقد شديد . وهو حاليا على رأس لجنة هوبي الثورية .

(٢) السكرتير الاول للجنة كيرين الحزبية .

هذا الاجراء الاخير ان يظهر فيما بعد موضع جدل شديد .

منذ بداية حزيران بدأت جامعة بكين بالغليان. وتقع هذه الجامعة(١) (التي تسمى اختصارا بي دا) غرب العاصمة ، في حديقة جميلة لا تبعد كثيرا عن قصر الصيف ، قصر الامبراطورة القديمة تسو-هي . في ذلك الحين ، كانت تدرس فيها ، بشكل اساسي ، الفروع الادبيه : فلسفة ، ادب ، تاريخ ، لغات ... وكان معتادا في هذه الفروع ، الطرح الفكري المجرد . اما الطلاب فكانوا شديدي التسييس . وبذلك كانت هناك مشكلة منذ عام ١٩٦٠ . بعد فترة القفزة الكبرى الى الامام ، عاد لوتنغلي – الذي كان رئيسا للجنة التربويةالتابعة للجنة المركزية – عن مبادىء ماوتسي تونغ الرامية الى اعطاء الاولوية للسياسة في التعليم . ورجع عند ذلك الى أشكال اكثر تقليدية ، رفضها كثير من الطلاب ، آخذين عليها قيامها على دراسات كتبية كلاسيكية . وكان «لدازيباو السبعة» ، في الاول من حزيران ، فعل الشرارة في الهشيم . فحصلت موجة من الانتقادات : الانهماك ، ليلا نهارا ، بكتابة البيانات والمنشورات وبالاجتماعات والنقاشات التي لا تنتهي . كل شيء مر على الغربال ... فعمد الطلاب ، يساندهم بعض اساتذتهم ، الى عقد مهرجانات شبه يومية لنقد عميدهم السابق . وقد رأى هذا نفسه متهما ليس بمعارضة تعبئة الجماهير ومحاولة خنق الثورة الثقافية وبتصرفات بيروقراطية وحسب، بل ايضا لدعوته الى بعض الاساليب التربوية .

التربية المرفوضة :

كان اصلاح التعليم قد دخل في جدول اعمال الثورة الثقافية . وبدأ يسمع في المدارس انتقادات عديدة لنظام كان يقال عنه انه لم يتجاوز ، بأغلبه ، الصيغ البورجوازية في هذا المضمار .

وقد عقدفي الثاني عشر من آذار الفائت اجتماع في تسينان لكوادر التعليم العالي ، لم يجر خلاله التأكيد بحزم على ضرورة وضع السياسة في المرتبة الاولى . ومنذ ذلك الحين عبر عن انتقادات مختلفة تتناول نظام الامتحانات والمناهج المدرسية والطرائق المستعملة . وكان هناك طلاب يصرحون بأن التعليم ، كما يجري ، منقطع عن الواقع ، وبأن الطلاب

---

(١) تعني كلمة «جامعة» في الصين مجموعة من المؤسسات المتخصصة، وليس ، كما في فرنسا ، كافة مؤسسات التعليم العالي في مدينة ما . في بكين يوجد جامعة بكين ، وجامعة تسنجهوا ، والجامعة الشعبية .

لم يكونوا على اتصال بحياة الشعب وبالممارسة السياسية والعلمية وكذلك بالانتاج ، وأن ابناء البورجوازيين مميزين عن ابناء العمال والفلاحين ، المهملين والمقهورين غالبا ، وأن النظام يشجع على تنافس ذي طابع فردي وعلى انتقاء من نمط بورجوازي ، وأنه يسهل للطاعة العمياء وللامتهان ، وانه بالحقيقة يكوّن متعلمين جدد وليس خداما للشعب . وبالاختصار كان هذا التعليم يبدو بنظرهم شديد الاتسام بآثار الماضي ، فينبغي تجديده بكليته .

حينذاك ، طالب تلامذة ثانويون ، عبر رسالة الى اللجنة المركزية، نشرتها الصحف ، بتحويل هذا التعليم الذي يوسع الشقة بين العمل اليدوي والعمل الفكري ، بين العمال والفلاحين ، بين المدينة والريف . وهذا ما كان يتجه بعكس الاشتراكية التيترمي الى الغاء الفروقات، حتى يصبح ممكنا الوصول الى المجتمع الشيوعي .

واتهم طلاب آخرون من العاصمة ، في رسالة تؤيد السابقة ، اتهموا النظام التعليمي السائد بوضع السياسة في المرتبة الثانية ، وبالتشجيع على اعداد تكنوقراطيين ، وبذلك على اعادة الرأسمالية ، بعد حين . ويذكرون حاجة الاشتراكية لتكوين مثقفين من نمط جديد ، مرتبطين بالشعب ويملكون وعيا بروليتاريا ، بقولهم : «ليس ما ندمره نظاما للامتحانات فقط ، بل النير الثقافي الذي يحني الشعب الصيني منذ آلاف السنين ، انه البؤرة التي تولد فيها الارستوقراطية المثقفة والفئات الاجتماعية ذات الأجور المرتفعة ، وهو المعبر الذي يقود الى التحريفية المعاصرة » .

كانت المؤسسات المدرسية آنذاك تشكل المراكز الامامية للثورة الثقافية في بداياتها . وقد حصل الوعي في البداية بين الشبيبة الجامعية والثانوية وكذلكفي مختلف الاوساط الثقافية. ان هذه الظاهرة ــ الدور الهام الذي يلعبه المثقفون في بداية كل حركة ثورية ــ لوحظت مرات عديدة في التاريخ . ويعرف لها في الصين سابقة هي «حركة الرابع من ايار ١٩١٩» التي شهدت المثقفين في طليعة براعم الثورة ، تلك الثورة التي كان لها بعد ثلاثة عقود ان تغير البلاد .

في الثالث عشر من حزيران اعلن عن قرار ، من اللجنة المركزية للحزب ومن الحكومة ، يقضي بنقل موعد الامتحانات وبتأجيل التسجيل في المدارس لثلاثة اشهر .

وعلقت المدارس والكليات دروسها . رغم ذلك ، كان يحضر اليها يوميا التلامذة والطلاب والاساتذة ، فيقضون ساعات طويلة من النهار وأحيانا منالليل في نقاشات حول التربية والسياسة وعلاقتهما المتبادلة.

كانت قيادة الحزب ، بالحقيقة ، تنوي القيام بتحويل التعليم على

اساس آرائهم واقتراحاتهم . وقد وضعت ابحاث معمقة حول طريقة عمل المؤسسات المدرسية في السابق ، وحول سلوك الاداريين القدامى. وكثرت المنشورات والبيانات داخل المدارس والكليات . وغطيت الجدران في كل مكان تقريبا بالبيانات والشعارات ذات الحروف العملاقة الملونة. وخلال عدد من الاشهر ، امتد هذا الاطار الخاص بالجرائد الجدرانية والملصقات المخطوطة المتلاصقة والمتشابكة ، امتد الى كل مكان ، منتقلا من المدارس الى شوارع المدن ، محولا الجدران والارصفة الى معرض أدبي متعدد الاشكال ، عامرا بالحركة .

في بداية حزيران ١٩٦٦ كان قد حصل اول أحداث الثورة الثقافية، كان ، الا في الاسابيع الاخيرة، قليل الاثارة حتى انه لم يلاحظ في الخارج اي شيء قبل ايار . غير انه ادى ، بالنسبة لماوتسي تونغ ، الى نجاح لا يستهان به . فبالاضافة الى توصله الى طرد اول مجموعة هامة من المعارضين ، فقد نجح ايضا باثارة حركة ايديولوجية على المستوى الوطني ، قائمة ، من حيث المبدأ ، على مشاركة كل فئات الشعب . ولم يكن تحرك فعلا من هذهالفئات سوى الشبيبة المثقفة ، لكن ذاك كان البداية الطبيعية في كل ثورة . ومما يلفت الانتباه ، في هذا الصدد ، وجود حركة تمرد طلابية في الصين ، لا تعدم شبها بتلك الموجودة في مختلف البلدان الرأسمالية ، رغم توجهها المختلف . وليست عديمة الاهمية الملاحظة بأن الكليات الادبية ، التي تعد الايديولوجيين ، كانت هناك ايضا الاكثر اندفاعا .

● حادث مجموعات العمل « الخمسون يوما » :

بين العاشر من حزيران ونهاية تموز ، يقع حادث رئيسي . لقد اتسم ربيع ١٩٦٦ بتسارع في ايقاع الثورة الثقافية البروليتارية ، بعد خريف ١٩٦٥ وشتاء ٦٥-٦٦ ، اللذين شهدا دون ضجة قيام حركة نقد مسرحية ووهان . وبعد تصفية كتلة بنغ شنغ - لو تنغ-يي ، عمد ماوتسي تونغ وأنصاره ، الذين لم يكونوا يهتمون للصراع داخل الاجهزة فقط ، عمدوا الى دفع التعبئة الجماهيرية. ان استراتيجية ماوتسيتونغ السياسية ، يفسرها اعتقاده بأنها تتفق مع حاجات الجماهير الصينية ، التي لن تتوان عن دعمها . وكان رئيس الحزب ، واثقا من نفوذه القوي، يرى ان هذا الدعم سوف يشكل سلاحا ثمينا جدا من اجل تحطيم معارضة اخصامه في بعض القطاعات . لكن غايته ، كما اشرت سابقا ، لم تكن تقتصر على ذلك : كان يريد في هذه المناسبة تأمين تسييس واسع

للجماهير الصينية ، يقوم على حركة تربية ايديولوجية مرتبطة بمشاكل هذا الصراع العملية .

وقد شجعت الدعاية الواسعة التي احاطت بها الاذاعة والصحف دازيباو نيه يان-تسو ، التعبير الكثيف عن الآراء ، في اتساع الصين كله . فعمد في اماكن كثيرة الى كتابة هذا النوع من البيانات والى النقاش بنتيجتها . وكانت هذه البيانات ذات الحروف الكبيرة تظهر في اماكن بارزة من جدران الجامعة . وغالبا ما يكون اخراجها جذابا ، وقد خطتها الريشة بالحبر الصيني ، المحلول بالماء ، على صحف مستطيلة كبيرة ، من مختلف الالوان ، وتميزت عناوينها الرئيسية من الثانوية باختلاف كتابة الحروف .

وعلى هذه الصورة ، كانوا يحاولون كتابة اسماء الاشخاص المنتقدين ، بشكل ساخر (الحروف المرتجفة للايماء بالحركات المتلوية لشخص كثير السموم ، والمستطيلة للتعبير عن ادعائه ، والمقلوبة اشارة للمصير الذي ينتظر البيروقراطيين) والخط الصيني يتلاءم بسهولة مع هذا التفنن . الجميع كان يستطيع كتابة الدازيباو ، والجميع كان بوسعه قراءته . ووزع الورق والحبر مجانيا في المدارس والمشروعات ، خلال الثورة الثقافية ، فكانا ، دون تحفظ ، بمتناول الشغيلة والطلاب ، وتلك طريقة فعالة تسمح لكل واحد بتكوين الرأي والتعبير عنه ، ورفض ما لا يروقه . وقد ساهمت بتأمين تسييس كثيف للشعب ، وخاصة الشباب، حيث كانت منتشرة بينهم تلك الحمى الادبية بشكل مثير .

في العشرين من حزيران ١٩٦٦ ، اختتمت «يومية الشعب» مقالها الافتتاحي بهذه الكلمات : «لنعبىء الجماهير دون تحفظ ! ولنتركها تكتب الدازيباو ، ولنقم بتصميم ، وحتى النهاية ، بالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، تحت راية فكر ماوتسي تونغ العظيم ، وبقيادة اللجنة المركزية للحزب» . بيد ان هذه الحركة الجماهيرية التي لم تكد تعلن ، فهي سوف تصطدم بصعوبات جديدة ، من بداية حزيران حتى اول آب . وبالحقيقة اننا سنشهد من شهر ايار حتى شهر تموز ١٩٦٦ تحولا كاملا ، فقد عقب غليان التمرد رد فعل بيروقراطي وقمعي .

منذ حزيران كان كثير من الاشخاص منصرفا الى نقد سلوك بعض الكوادر ، الذين اعتبر سلوكهم غير ثوري ، بيروقراطي ، او حتى معادي للثورة . وفي كثير من الحالات كان يرى شبان ، من اعضاء الحزب والعصبة الشيوعية ومن غير الاعضاء ، يكتبون بيانات ، تأخذ على هذا الكادر او ذاك موقفه في بعض الظروف ، مطالبة بالتفسير او لمجرد فضح اسلوبه الروتيني في العمل .

لم تكن تلك الممارسة ، بحد ذاتها ، جديدة تماما في تاريخ الحركة الشيوعية . فقد لجأ لينين اليها في السنوات الاخيرة من حياته ، للعمل على ما يسمى «بالحملات الاصلاحية» في التعبير الماركسي ، وذلك بصدد خطر البيروقراطية على النظام السوفياتي ، والذي كان يثير قلقه الشديد . وتقوم هذه على اخضاع اعضاء الحزب لانتقادات اولئك الذين لا ينتمون اليه ، من اجل اظهار مبالغات وأخطاء المسؤولين ، وبالتالي اصلاحها . ان الثورة الثقافية ترتكز بالحقيقة على نفس المبدأ . لكنها تختلف باتساعها ، بما انها جرت في جميع المدن الكبيرة والمتوسطة في آن واحد . بالاضافة الى ذلك، يحسن ان نحدد ان غايتها لم تكن اخضاع جميع اعضاء الحزب للنقد ، بل فقط اولئك الذين يتولون الصلاحيات وانحرفوا عن الخط الثوري . والاصطلاح الصيني بهذا الصدد محدد جدا : فلم يكن مستهدفا سوى «المسؤولين السائرين في الطريق الرأسمالي» ، والذين يشار اليهم ، بشكل مختصر ، بكلمة «زوزي باي».

ان تنظيم حملة اصلاحية يصطدم دائما بعقبة ملازمة للمبدأ الذي يرشد مسيرتها . وبالواقع ان المسؤولين الحزبيين يمكنهم ان يثيروا حركة ، يحتمل كثيرا ان يذهب ضحيتها عدد منهم . وبذلك يكون متوقعا ان لا يبذل هؤلاء ، في سبيل تلك الحملة ، سوى قليل من النشاط ، على الأقل ، بل ان يحاولوا تحويلها الى احتفال رسمي شكلي ، او ان يجدوا لها «كبوش فداء» . هذا الاتجاه ، ظهر في الثورة الثقافية . وما جعل منه قويا هو ان النقد كان يستهدف فقط اعضاء الحزب الشيوعي الذين يحتلون مراكز قيادية . فكان الذين يشعرون بالخطر قادرين على التأثير بقدر كبير على تنظيم وسير حركة النقد . وبذلك كان سهلا امام عدد منهم ان يحمّل مرؤوسيه وزر اخطائه . وقد كان ارسال فرق متخصصة ، تسمى في الصين «مجموعات عمل» الى مختلف القطاعات ، حيث تجري الثورة الثقافية ، مناورة من ذلك النوع . وهي واسعة ، بواسطة هذه المجموعات، تنصب على الحركة الثورية قيادة تؤدي بالواقع الى كبحها وتحويلها عن مراميها الحقيقية . وسنرى ، على التوالي ، ما كان اصل «مجموعات العمل» هذه ، وكيف عملت .

أصل مجموعات العمل :

كان بلاغ الثالث من حزيران ١٩٦٦ ، الذي يعلن اعادة تنظيم قيادة بلدية بكين ، يشير الى ان اللجنة الجديدة هي التي ستأخذ بيدها قيادة الثورة الثقافية فيها ، وتنص الوثيقة نفسها ، للمرة الاولى ، على ارسال «مجموعة عمل» الى جامعة بكين ، بسبب الاضطراب فيها .

في الايام التي تلت ، درج تخصيص مثل هذه المجموعات لمختلف

المؤسسات وأمكنة العمل في العاصمة . ثم اقتدت بذلك السلطات في عدد من المدن الصينية ، التي نظمت بدورها ارسال «مجموعات عمل» الى مؤسساتها المحلية .

وكان قد شكل عدد من « مجموعات العمل » ، خلال حركة التربية الاشتراكية . فعاد الى نشاطاته عام ١٩٦٦ ، ما بقي منها ، وشكلت مجموعات جديدة في اماكن اخرى . وتألفت هذه المجموعات من نحو عشرين كادر متوسطين ، للمجموعة الواحدة ، اعضاء في الحزب الشيوعي تسميهم السلطات المحلية من بين اشخاص يعملون في هيئات تابعة لها ، تثق بهم . هذه الكوادر ، شكلت في فرق ارسلت في الظروف التي ذكرناها . في بعض الاماكن ، كان يساعدها مستشار قد يكون احيانا من شخصيات النظام الكبيرة . وقد لعب هذا الدور في جامعة تسنجهوا النائب الاول لرئيس الوزراء ، هو لونغ (١) ، والوزير السابق للصناعة بوو-يي بوو ، الى جانب وانغ كوانغ-مي زوجة رئيس الجمهورية. وكان اعضاء «مجموعات العمل» هذه، جميعهم تقريبا، غرباء عن المؤسسات القادمين اليها . وبذلك كان بعضهم احيانا غريبا عن الاهالي والمقاطعة . وبما ان بعض المدن كانت تشكو نقصا في عدد الكوادر ، اتت كوادر من خارجها . وسوف تقوم هذه الفرق بالقيادة المحلية للثورة الثقافية ، خلال خمسين يوما ، في اتجاه سوف يظهر انه موضع جدال كبير ونزاع شديد .

مبادىء ماوتسي تونغ :

هنا ، يفرض علينا ان نقوم باستطراد بسيط للتذكير بأن الماوية هي العقيدة الرسمية للدولة الصينية والحزب الشيوعي الحاكم . وبالطبع كان على مجموعات العمل ان تستوحي مبادىء ماوتسي تونغ المتعلقة بالنضال ضد التحريفية وقمع المعادين للثورة. وقد كان هذان الموضوعان موضع كتابات قامبها ماو في فترات مختلفة من حياته. وتبعا للموضوعات التي صاغها ، يوجد في النظام الشيوعي وداخل الحزب الشيوعي نفسه قادة ، ينحرف نشاطهم ونظراتهم السياسية عن الماركسية . وبذلك يشجعون على اعادة الرأسمالية . ويسمى هؤلاء احيانا في الصينية زوزي باي ، الاصطلاح الذي استعمله لاحقا . في منظمات الحزب ينبغي التمييز بين الزوزي باي ، المعتبرين كأعداء ، والتناقض تناحري معهم، وبين الكوادر ، الذين ، رغم ارتكابهم للأخطاء ، يمكن استعادتهم او اعادة

---

(١) المارشال السابق الذي كان وزيرا للرياضة عام ١٩٦٦ . وهو من المشاركين في تمرد نانتشانغ عام ١٩٢٧ .

تربيتهم ، كما يقال في الصين . ويحدد ماو هذه الحالة الاخيرة كتناقض وسط الشعب ، غير تناحري . وقد اشار الى ان هذا التناقض هو الاكثر تواترا بما لا يقاس ، لكون الحزب والنظام ، ثوريين اساسا ، بنظره ، وبالتالي سليمين . وغالبا ما اكد ماو ان التحريفيين ليسوا سوى اقلية، وأنه من الممكن توحيد ٩٥٪ من الجماهير والكوادر ضدهم . ان هذه التمييزات لا غنى عنها في فهم التطور اللاحق للأحداث .

كان يجب على مجموعات العمل ان تقود حركة نقد لزعماء لجنة بكين البلدية السابقة ، كتلة المحافظ بنغ شنغ ، اي العصابة السوداء ، ولمظاهر سياستها التي تعتبر «الخط الاسود» . ينبغي ان نتذكر اذن ان مجموعات العمل ادعت ، طوال الخمسين يوما ، انها تعمل في ذلك الاتجاه ، تطبيقا لسياسة ماوتسي تونغ . فكان عليها ، في مختلف المؤسسات التعليمية وفي عدد من المشاريع ، ان تفسر الطابع الفردي لعدد من الاجراءات التي اتخذتها العصابة السوداء في الشؤون التربوية والثقافية من جهة ، وفي الميدان الاقتصادي من جهة اخرى ، على ان تحلل وتنتقد بنفس الوقت الآثار الموضعية لتلك الاجراءات . وكذلك عليها ان تعمل بشكل مشابه في العديد من المقاطعات ، حيث كان قد اتبع احيانا خط مماثل ، وبالتحديد في الحقل التربوي . بالاضافة الى ذلك ، كان لمجموعات العمل مهمة القيام بتحقيقات لاكتشاف مسؤولين آخرين ، حيث وجدوا ، مرتبطين بكتلة بنغ شنغ ولوتنغ-يي ، والذين جعلوا من انفسهم دعاة ، لما يدعى بالخط الاسود . وازاء اولئك الذين كانوا قد اكتسبوا مجرد عادات سيئة وأسلوب عمل سيء ، كان عليها القيام باعادة تربية لتقودهم الى ممارسة اكثر ثورية وأكثر نضالية . فاذا كانت مجموعات العمل عملت بموجب المبادىء الماوية المذكورة اعلاه ، كان على القسم الاول من مهمتها ان لا يمس سوى عدد قليل من الاشخاص ، وأن يمس القسم الثاني عددا اكبر ، ماضيا بالتضاؤل .

عمل مجموعات العمل تحت قيادة ليو شاوشي وتنغ هزياو-بنغ :

خلال «الخمسين يوما» كان ماوتسي تونغ غائبا عن بكين . وبقي متغيبا ، من بداية حزيران حتى منتصف تموز ١٩٦٦ . ان هذا الغياب يطرح مشكلة ، سنعود اليها في مكان اخر . ومن وجد نفسه مكلفا بتأمين تسيير الشؤون العادية للجنة المركزية في غضون ذلك، هما ليو شاوشي، رئيس الجمهورية ، وتنغ هزياو-بنغ السكرتير العام للحزب . فاستلما هما نفسيهما قيادة نشاطات مجموعات العمل في بكين ، ذلك مع المراقبة عن كثب لنشاط المجموعات في المقاطعات .

فكان الاتجاه الذي اعطياه للمجموعات، مختلفا عن القواعد السياسية المحددة اعلاه . ولنشر الى ان ذلك التناقض لم يظهر على الفور واضحا وضوح ما اعرضه هنا ، لكون الصراع قد دار بشيء من الغموض . كانت مجموعات العمل تستهدف ، اساسا ، مثقفين يشك بميولهم التحريفية . وفجأة ازداد عددهم ، بشكل مستغرب . ومن جهة اخرى ، كانت فرق الكوادر في الاوساط الثقافية وخاصة في الجامعات ، تعمل وكأن منظمات الحزب فيها عميقة الاصابة بالتحريفية، وعميقة التحالف مع كتلة بنغ شنغ. وهذا ما قادها الى عزل عدد مرتفع جدا من المسؤولين في تلك المنظمات والى الشروع بتصفية جذرية تمس قطاعات وأحيانا خلايا بكاملها. وكمثال معبر في هذا الصدد ، غالبا ما استشهد في الصين بنشاط مجموعة العمل في جامعة تسنجهوا ، التي كانت تقودها وانغ كوانغ مي ، زوجة رئيس الجمهورية . وقد ادعت في مناسبات عديدة ان مجمل منظمات الحزب فيها كان يشكل «اخوية عصابة سوداء» .

وقد طلب من الاشخاص المستهدفين اجراء نقد ذاتي قاس ، بينما فرضت عليهم تضييقات تقوم غالبا على منعهم من الخروج من الغرف ، التي يبقون فيها تحت المراقبة . لقد انتقد بشدة اتجاه مجموعات العمل، بعد ذلك ، لان النضال لم يكن قائما ضد اقلية من المسؤولين على المستويات العليا في الحزب ، بل ضد عدد كبير من الكوادر على المستويات الوسطى والدنيا ، وضد مناضلين عاديين من القاعدة . وهذا ما كان يسميه زعماء مجموعات العمل ، في المصطلح السياسي الصيني: «تجريد البصلة قشرة قشرة». علاوة على ذلك، فقد شملت الضغوط والتعسفات غير الاعضاء في الحزب ، معلمين عاديين وطلاباً وشغيلة ، الذين يلقبون في الصينية بـ «الجماهير» بمقابل المسؤولين (ولنشر اشارة عابرة الى ان هذه التحديدات اللغوية ضرورية لتجنب الخلط ، الامر الذي يبدو ان بعض المترجمين للمنشورات الى اللغات الاجنبية ، في بكين ، لا يأبهون له كثيرا) .

لقد اعطيت الافضلية ، بالحقيقة ، لارسال المبعوثين الى الاماكن التي كانت اكثر فورانا في ايار وبداية حزيران . ولم يتردد عدد كبير من الطلاب والعمال ، الذين شملتهم حمى التمرد في الاسابيع الماضية ، باستنكار الموقف التعسفي لعدد من تلك المجموعات . وقد كشف في منشورات لاحقة، لحرس حمر، عن ان تلك المعارضة في جامعة تسنجهوا كان يشجعها سرا تشن بوتا (١) ، السكرتير السابق لماوتسي تونغ ،

---

(١) انظر الجدول ب ، الوارد في بداية الكتاب .

وزوجة ماوتسي تونغ نفسه . وقد تأكدت لي هذه الواقعة ، بعد ذلك ، عبر احاديثي الشخصية مع بعض الطلاب .

وردت على ذلك مجموعات العمل ، غير مترددة ، في هذا السبيل ، باعتبار من يرفضها كعميل للعصابة السوداء . واتهم هؤلاء باستعمال اللغة اليسارية للأخفاء جيدا من ميولهم اليمينية . وقيل فيما بعد ان ليو شاوشي ، خلال احد الاجتماعات الدورية اعطى اشارات وتوجيهات، كانت بمثابة الضوء الاخضر للمسؤولين من مجموعات العمل ، في عملهم هذا . وعند ذلك قررت عددا من الاجراءات الهادفة الى تقييد حرية التعبير بالملصقات . وكان احد تلك الاجراءات يمنع الاعلام في الخارج عما يجري في الجامعة . وقد فضح ذلك في وقت لاحق باعتباره مناورة تهدف الى منع امتداد الثورة الثقافية البروليتارية والى كبح التعبئة الجماهيرية .

خلال هذه الفترة من الثورة الثقافية ، كان مألوفا جدا حصول اجتماعات لا تنقطع ، وأحيانا حتى وقت متأخر من الليل ، في الاماكن التي وجدت فيها مجموعات العمل . فكانت هذه تجمع كل طلاب او عناصر المؤسسة ، حسب الحالة ، وتقوم بحضورهم بمطالعة اتهام سياسية وايديولوجية لعدد كبير من الاشخاص المستهدفين من حركة النقد . ولا ننسى ان المبدأ كان بالحقيقة هو ان تنتقد الجماهير الكوادر، بيد ان مشاركة الجماهير في تلك الظروف كانت شكلية تماما .

المقاومة :

ودار صراع في اماكن مختلفة ، بعد ان اثارت نشاطات تلك الفرق ردا فوريا . وكثيرا ما كان العاملون في المؤسسات المعنية ينقسمون الى اتجاهين : واحد يؤيد وآخر يعارض مجموعات العمل .

اتخذت هذه النزاعات أشكالا متنوعة . يقوم اشخاص لا يروقهم نشاط مجموعات العمل بوضع الملصقات للتشهير بها . وكان من عادة الشغيلة والطلاب التجمع امام تلك الملصقات لقراءتها ، طيلة النهار في الجامعات ، حيث كانت الدروس معطلة ، وصباحا وفي مواعيد الطعام، في المصانع. فتثير الملصقات التي تنتقد مجموعات العمل جدالات عنيفة. وكان يحدث ان ينتهوا الى التشاتم والتدافع . عند ذلك ، ينظم المسؤولون عن مجموعات العمل عمليات ثأرية ضد من ينتقدهم ، فيدعون الى اجتماعات ، سرعان ما تصبح حافلة ، كما هو متوقع ، يجهدون خلالها في وصم معارضيهم بالعداء للثورة ، وأحيانا كانوا يكرهون هؤلاء الاخرين على البقاء تحت المراقبة في جناح من المنامة ، ويخضعونهم لعمليات قهر . فيرد هؤلاء باعلان الاضراب عن الطعام ، كما حصل في جامعة تسنجهوا.

وكان لنا في مناسبات عديدة ان نذكر هذا المكان ، وذلك لان المقاومة فيه كانت على ما يبدو ، الاكثر فعالية والاكثر وضوحا . ومن جهة اخرى ، فقد اشرنا الى انها كانت تلقى تشجيعا ضمنيا من شخصيتين مقربتين من ماوتسي تونغ .

كان الطلاب والشغيلة المتمردون ، من اجل النضال ضد ذلك الاتجاه ، يتجمعون في نوى مختلفة الاتساع ، وعلى نشاط متفاوت العلنية . في الكليات والمدارس، شكلت مراكز المقاومة تلك ، نواة المنظمة التي نالت فيما بعد شهرة عالمية وهي الحرس الاحمر. وتشكلت مجموعات اخرى لمجابهتهم والرد على بياناتهم . وكانت تمنعهم من الكلام في الاجتماعات ، ناشرة الافتراءات ضدهم ، منصرفة الى استعمال كل انواع الضغوط المعنوية والجسدية .

وتدريجيا ، نشأ وضع من الاضطراب . واستمرت المعارضة لمجموعات العمل طوال هذه الفترة التي تسمى في الصين «الخمسون يوما» . وقد امتدحت ، فيما بعد ، دعاية الحزب تلك المعارضة . يجب ان اقول ، مع كل قصور الشهادة الفردية ، ان انطباعي حينذاك ان تلك المقاومة كانت محسوسة في الجامعة اكثر منها في المصانع ، حيث كانت اقلية اجمالا ، وضعيفة جدا في بعض الامكنة . كان وضع من يريد المقاومة عسيرا جدا . وبالفعل ، ان مجموعات العمل بنظر كثير من الناس ، الذين لم يعتادوا الرفض ، يجب ان تكون مطاعة ، لان البلدية ارسلتها ، وكان يعزز من هذا الشعور الدعم الظاهر الذي يوليه لمجموعات العمل بعض كبار الشخصيات . عمليا ، ان النشاط الذي اتبعته الفرق المختصة اردف الحمى المعادية للبيروقراطية في ايار ، بموجة من القمع والتهديد ، كانت من القوة بحيث انه كان على سي فوتشي ، نائب رئيس الوزراء ورئيس اللجنة الثورية لبكين ، ان يعلن بعد عشرة اشهر في خطاب له ، ان الثورة الثقافية في العاصمة ، كانت على وشك الاجهاض، تلك اللحظة .

عودة ماوتسي تونغ

عدا تدخل تشن بو-تا وكيانغ-تسنغ ، الضمني بل السري ، فلنلاحظ ان انصار ماوتسي تونغ — وأعني هنا اثنين منهم يتوليان مسؤوليات هامة — كانوا لا يرون خلال تلك الفترة ، وكذلك قائدهم الذي كان في المقاطعات . والحال ، في منتصف تموز اعلن عن قيام الرئيس ماو بسبق رياضي باهر ، حيث سبح مسافة ١٥ كلم في اليانغتسي . ان الدوي الذي تعطيه الصحافة الصينية لهذا النوع من الاحداث ، يثير عادة ملاحظات ساخرة لدى الصحافيين الغربيين ، لكنها تنم عن عدم فهم

للجانب السياسي من تلك الاحداث . ينبغي ان يرى في الدعاية التي احيط بها هذا الحدث في الصين ، مجرد عمل سياسي يهدف الى أسكات الأقاويل التي انتشرت في السنوات السابقة حول سوء صحة الرئيس، وكذلك الى تشجيع اولئك الذين يرون فيه قائدا لعملهم الثوري . لكن جهاز الدعاية ، الذي كان متحفظا نسبيا حتى ذلك الوقت ، بتوجيهه الانظار الى شخص رئيس الحزب ، لأول مرة منذ عدة اسابيع ، كان يعطي الاشارة الاولى لما سيعرف انه هجوم مضاد يستهدف ليو شاوشي ومجموعات العمل .

لقد حصلت السباحة في اليانفتسي ، السادس عشر من تموز في ووهان . وفي اليوم التالي ، ١٧ تموز ، كان ماوتسي تونغ في طريق العودة الى بكين ، حيث يستقبل عددا من الكتاب الآفرو ـ اسيويين ، القادمين الى العاصمة الصينية من اجل عقد مؤتمر فيها .

ولم تكن المشاكل معدومة . كان الطيران الاميركي يقوم بقصف هانوي وهايفونغ . واتخذ الجو العالمي فجأة طابعا دراماتيكيا . وأصبحت الحرب على ابواب الصين الشعبية .

كانت الثورة الثقافية البروليتارية في العاصمة الصينية تمر في فترة الازمة التي اتينا على وصفها . ومن المحتمل ان ماوتسي تونغ ، منذ عودته ، انصرف الى مسألة الاتجاه الذي اعطي لمجموعات العمل . في الاول من آب توقفت نشاطات تلك المجموعات وتركت مختلف الاماكن التي كانت تنشط فيها . ماذا جرى بين السابع عشر من تموز ، تاريخ عودة ماوتسي تونغ ، والاول من آب ؟ من الصعب معرفة ذلك بشكل ملموس، فلم يعلن عن اي قرار ولم يحصل اي شيء مثير ، ولم تنشر صحافة الحزب شيئا ملفتا للانتباه . رغم ذلك ، يظن ان مناقشة مشكلة مسيرة الثورة الثقافية خلال «الخمسين يوما» كان عليها ان تستغرق قسما كبيرا من وقت القادة الصينيين . وفي نفس الوقت، يبدو ان تحضيرا نشيطا كان يجري من اجل حدث هام جدا : هو اجتماع اللجنة المركزية، الذي سينعقد من الاول حتى الثاني عشر من آب، والذي يكتسب اهمية ومعنى استثنائيين ، في تاريخ الثورة الثقافية .

اي قوة حقيقية كانت للمعارضة ضد ماوتسي تونغ :

لقد صدمت ، شاهدا الحوادث الموصوفة سابقا ، بالتغير المفاجىء للجو السياسي في بكين ، خلال هذين الشهرين . فقد شهد جو ثقيل من الضغط والتشهير بأوضح اسلوب بيروقراطي ، يعقب الفترة الاولى الصاخبة ، التي اتسمت بكل دينامية واندفاع الشبيبة . لقد كان نشاط مجموعات العمل بعيدا بشكل واضح عن مبادىء واستراتيجية ماوتسي

تونغ. وهذا يمكن فهمه اذا حددنا بوضوح مسألة مرامي الثورة الثقافية. كان يقصد ، بالنسبة لماو ، الاستناد الى الجماهير الصينية وكوادر الحزب الذين بقوا مخلصين له، من اجل محاربةكتلة نافذة من الاشخاص الذين يحتلون مراكز عالية ، كانت تشكل عائقا بوجه سياسته . على ذلك فقد كان مفاجئا انه امكن الابقاء على تيار مضاد خلال فترة طويلة نسبيا، من خمسين يوما ، في العاصمة نفسها . ان المرامي التي استهدفتها مجموعات العمل الموجهة من ليو شاوشي ، كانت تتألف بالواقع من عدد واسع من الكوادر الوسطى والدنيا ومن عناصر متمردة من بين الطلاب الاكثر صخبا . ويمكن ، دون اغراب ، تفسير ارسال الفرق المختصة في ظروف تلك اللحظة ، كمناورة من بعض القادة لتضليل حركة نقد ، كانت لديهم مبررات للخوف منها . ويسمي الصينيون ذلك في اصطلاحهم السياسي : «مهاجمة اكبر عدد من الناس لحماية قبضة منهم» . ان مسعى كهذا كان بالواقع يشكل امتدادا لسياسة بنغ شنغ ولوتنغ يي . لكن اتساعه ودوامه قد يثيران الدهشة .

وهنا ايضا ، اعتقد بعض المعلقين الغربيين ان بامكانهم الاستنتاج من ذلك ان السلطة السياسية كانت حينذاك قد افلتت من ماوتسي‌تونغ، الذي قد يكون ترك العاصمة لجوءا الى المقاطعات . بيد ان تفسيرا آخر يفرض نفسه ، بنظري .

حقا ان المعارضة ضد رئيس الحكومة قد كبرت خلال السنوات السابقة على الثورة الثقافية البروليتارية . وقد قدمنا امثلة على ذلك . رغم ذلك ، يبقى ان هذا الاخير كان بامكانه توجيه كامل الحزب الشيوعي تبعا لآرائه ، والا لما استطعنا تفسير اطلاق حركة التربية الاشتراكية عام ١٩٦٤ ، ولا الثورة الثقافية عام١٩٦٥ . ويمكن الظن ببساطة ان المعارضة ضد ماوتسي تونغ كانت تشكل عام ١٩٦٦ قوة لا يستهان بها ، دون ان يكون بوسعها ان تفرض نفسها . وسنرى ما هي القيود التي كانت تعيق نشاطها .

تفتقد المعطيات الدقيقة من اجل تقييم تلك القوة . رغم ذلك ، نملك واحدا منها في منتهى الاهمية . يقدمه ماوتسي تونغ نفسه : في حديث له عام ١٩٦٧ – اعيد طبعه في بيانات بعد ذلك ، ووزعت بكثافة في شوارع بكين (١) – اشار الى انه في آب ١٩٦٦ ، اي غداة الاحداث التي اتينا على ذكرها ، لم يكن في اللجنة المركزية سوى اقلية ضئيلة تقف كلية الى جانب آرائه .

---

(١) انظر الملحق الرابع .

لكن ذلك لا يعني اذن ان مجمل الاشخاص المختلفين مع ماو كانوا مصممين على النضال ضده بحماس . فقد اتخذ ماو ، من هذه الناحية، احتياطات ليتجنب ان يفرض عليه مجابهتهم مجتمعين . وسنرى ايضا في فترات لاحقة من الثورة الثقافية ، التأكيد على ضرورة اعطاء الفرصة لعدد من المسؤولين ليحتفظوا بوظائفهم، رغم ما قد يكون لهم من الاخطاء. ويمكن لنا القول ، دون الاخلال بالمنطق ، ان ليو شاوشي وتنغ هزياو بنغ كانا يمثلان كتلة اكثر صلابة في معارضتها لماو ، وأقل استعدادا للمساومة .

قد يكون عدد هؤلاء الاشخاص ضئيلا ، لكنه بدهي تماما ان قدرتهم على المقاومة كانت واسعة جدا بفضل المسؤوليات الكبيرة التي يتولونها في جهاز الحزب والدولة . ولنشر ، عابرين ، الى ان قسما منهم كان يوجد بذلك على رأس ادارة بعض المقاطعات ، وهذا ما يفسر المد والجزر الذي عرفته الثورة الثقافية فيها لاحقا . وبذلك نكون قد استخلصنا عنصرا يسمح بفهم السبب فيتمكن نشاط مجموعات العمل، التي شكلها وقادها اولئك الاشخاص ، من البروز في بكين كما في مدن اخرى .

ماو ضد ماو :

يجدر ان نذكر منذ الان حدود ذلك التيار المعارض . من اجل ذلك ينبغي التنويه بعامل رئيسي في كامل المسيرة اللاحقة للثورة الثقافية . وكي يفهم ذلك تماما ، علينا ان نعتبر ان تحليل الاحداث السياسية في الصين ، يقتضي ان نأخذ بدقة بالحسبان خصوصية نظامها الاجتماعي . من المميز للحياة السياسية الحالية في الصين، **ان أخصام ماو يحترسون غالبا من الظهور على انهم كذلك** . وبالعكس ، فهم يعلنون انتماءهم اليه ويستعيدون شعاراته غالبا ، على ان يغيروا مراميها ويشوهوا محتواها. وهذا ما يسميه الصينيون «خفق الراية الحمراء من اجل اسقاطها» .

انه لصعبجدا ان يتفهم هذه الظاهرةاولئك الذين لم يكونوا شهودا لها ، عندما تكون غريبة على ادراكهم وعلى العادات السياسية في بلادهم. رغم ذلك فهي معطى اساسي في تحليل المشاكل السياسية الداخلية في الصين . فكان اخصام ماو وأنصار مجموعات العمل يتجابهون باسم ماوتسي تونغ وضد العصابة السوداء . وسنرى طيلة الثورة الثقافية اشخاصا يتجابهون بشكل عنيف احيانا ، وكل منهم يعلن انتماءه الى الرجل ذاته والعقيدة ذاتها . **ومهما كان لذلك ان يبدو محيرا ، فليس لدينا، منذ عام ١٩٦٦ حتى ١٩٦٩ ، اي مثال على قيام اشخاص، يعلنون انتماءهم لبنغ شنغ او ليو شاوشي ، بالنضال ضد ماوتسي تونغ .**

بدهي ان ذلك يحد من مدى اية معارضة سياسية . فسيكون هناك نضال ضد رئيس الحزب ، وتشويه له ، وحد من نشاطه ونفوذه ، لكن ذلك لن يحصل قط مواجهة . ولن يكون في منتهى اية مجابهة ، مبدئيا، خروج على العقيدة الماوية ، ولن يوضع النظام ، كنظام ، موضع الشك. في مثل تلك الحالة ، يتطلب تحديد موضع الاختلاف والتعارض الكثير من المهارة والروح النقدية ، وحادث مجموعات العمل يقدم مثالا اولا على ذلك .

من هنا اراد بعض المزدرين بالثورة الثقافية تصويرها كمجموعة من الاحداث الغامضه وغير المعقوله ، بنهايه الامر . وكانت الثورة الثقافية بالنسبه لهم ظاهره صينيه بنوع خاص ، من حيث غموضها ، وتتحمل طابع نفسيه ملتويه ، مزعومه لذلك الشعب . وقد تكرموا على الاخرين بان نسبوا لهم التشويش الذي يسود ذهنهم هم . واعلنوا لامعقوليه ما كانوا عاجزين عن فهمه . وقد فاتهم ان الثوره الثقافية قد وضعت في الدرجة الاولى تحليل تناقضات الحياة والواقع . ان الصينيين ، باعتبار عدد من التقاليد الفلسفيه ، شديدو الحساسية ازاء تناقضات الواقع والجدل . ويعرف الجدليون ان لكل شيء سمتين وان كل شيء يمكن ان يتحول الى نقيضه . فاعلان الانتماء الى ماو وبنفس الوقت محاربته ، لا يمكن ان يبدو عبثيا الا للأذهان المقيده بالمنطق الشكلي .

هناك عنصر تفسير اخر ، يرجع الى شعبية ماو ، فهي من القوة بحيث تشكل سمة خاصة بالحياه السياسيه الصينية . وما من شيء يسمح بالاعتقاد ان ماو يمارس السلطه بشكل متعنت او استبدادي . وبالعكس ، هناك علامات عديدة تشير الى اهتمامه الاكيد باستشارة مساعديه وباشراكهم في قراراته ، بل انه في بعض الحالات لا يتردد بالسكوت امام آرائهم، دون ان يسعى لفرض وجهة نظره. ان ذلك النفوذ يخدم جيدا الضرورة السياسية التي يبدو ان الصين تحتاج اليها ، وذلك باعطاء تجسيد انساني لمفاهيم مجردة كالوحدة الوطنية والدولة والثورة، وهو يوحي بسلطة معنوية اكثر منها سلطة مطلقة . والنفوذ والاشتهار بوضوح الرؤيا يجعلان لحكمه قيمة عليا ، أمام مشكلة خطيرة معقدة او مستعصية . ولا ينبغي ان يرى في ذلك آثار اسطورة حاكتها الدعاية الرسمية حول شخص وعقيدة ماوتسي تونغ . ولا يتيح فهم شعبية الرئيس العجوز ومظاهر الاجلال ، الساذج احيانا ، الذي يطبع الحياة السياسية في ذلك البلد ، سوى المقاربة لما كانت عليه الجماهير الصينية قبل عام ١٩٤٩ ، والذي نجح بتحريرها منه النظام الجديد ، من بؤس ، وشبه عبودية بالنسبة للكثيرين ، واذلال لا يحتمل .

يمكن لنا ان نتحدث طويلا عن نتائج تلك الظاهرة ، التي دفعت

البعض في الخارج الى التشبيه الخاطىء لماو بستالين ، اريد هنا مجرد الاشارة الى الوجه السياسي لاحداها . فمن غير المجدي سياسيا للمعارضة اعلان وقوفها بوجه ماوتسي تونغ ، في نظام الشعب فيه وجماهير اعضاء الحزب معتادون على عدم التفريق بين شخص ومبادىء وعمل زعيمهم .

فالمعارضة اذن هي معارضة لا تجرؤ على ذكر اسمه ، وتبقى محصورة في اطار ايديولوجية النظام ، وتقوم بحرب مستترة. لقد كانت مهارة ماوتسي تونغ خلال الثورة الثقافيه في انه خلق ظروفا بحيث تكون تلك المعارضة مكرهة على ترك قسم من معاقلها ، وهذا ما سمح له بمحاربتها على وجه افضل . وهذا يعني انه ، دون ان يسمح بالبحث مباشرة بالايديولوجية المادية ، عمل على ان يظهر تطبيق السياسة الجديدة، التي اعلنها خلال الثورة الثقافية ، مبادرات مختلفة ومتناقضة. كان اعضاء الحزب الشيوعي والاهالي ، في الاحوال العادية يتمتعون بمجال من المبادرة تحد منه المركزية . ويتميز النظام الصيني بأنه يعمد الى استشارة الجماهير قبل تحديد سياسته . لكن ، ما ان تحدد تلك السياسة حتى يقوم كل واحد بتطبيقها تبعا للتوجيهات الصادرة عن المستويات العليا . بيد ان مجال المبادرة يتسع اذا ما ارخى الحزب قيود الانظمة المفروضة عادة على اعضائه وعلى الاهالي . ويصبح اكثر اتساعا اذا ما اتيحت كذلك امكانية التمرد على المسؤولين في المراتب العليا ، وعلى قراراتهم . لقد سارت الثورة الثقافية تبعا لتلك المبادىء . وبذلك قامت بعمل بطولي يقوم على فسح المجال امام تطور تيارات وميول مختلفة ، كانت تتجابه بعنف فيما بينها دون ان تضع قط النظام او ماو نفسه موضع الشك .

من اجل ذلك ينبغي، وربما يكفي ، ان تكف اللجنة المركزية والمكتب السياسي والهيئات المختصة التابعة لهما(م.م.ث.ث واللجنة العسكرية)، خلال بعض الوقت على الاقل، عن اعطاء التوجيهات والتوصيات المحددة، وأن تمتنع عن اعطاء الصفة الرسمية لمختلف الاجراءات المتخذة على المستويات الدنيا والوسطى من التنظيم الشيوعي . وكان ذلك حال الثورة الثقافية ، وبالتحديد خلال فترة مجموعات العمل . فبقيت المركزية، المتضائلة على الصعيد السياسي والتنظيمي، قوية على الصعيد الايديولوجي ، بفضل الدعاوة القوية عبر الصحف والاذاعة ، والتي كانت تدعو الى العمل من اجل الثورة الثقافية . فكان كل واحد مدعوا لاتخاذ المبادرات ، دون ان يكون بوسعه التحصن وراء توجيهات محددة ، فهو مجبر على تفسير وثائق ذات طابع ايديولوجي عام ، وبذلك كان يكشف عن ميوله السياسية والاجتماعية العميقة .

ان هذا التخفيف من المركزية يفسر ان القرار بارسال مجموعات العمل كان من عمل الهيئات المحلية في بعض البلديات ومنها بكين، وليس من عمل الهيئات العليا للحزب .

انني اميل الى اعتبار احتجاب رئيس الحزب ، طيلة الخمسين يوما ، عملا اراديا . ويمكن تعليل غيابه عن بكين ، الذي اعتبر غامضا في الخارج ، بالرغبة بابراز التخفيف من المركزية . وقد تمكن اخصامه في ذلك الحين من توجيه مجموعات العمل حسب ما يرون . وهنا نجد من جديد وضعا مشابها لذلك الذي نشأ عن وجود بنغ شنغ على رأس الثورة الثقافية في كانون الثاني وشباط ١٩٦٦ .

هذه الطريقة المتعرجة ، حركت الدينامية الثورية ، باظهارها تلقائيا لأول تناقض بين عناصر محافظة وأخرى اكثر احساسا بتلك الدينامية . وقد قام ليو شاوشي وتنغ هزياو-بنغ بخطوة خاطئة ، لوقوفهما على رأس المحافظين ، وهذا ما سيقوم باستغلاله ماو ، المخطط البارع ، ومن ثم يدينهما ايديولوجيا .

٢

من اجتماع الاول من آب حتى الاول من تشرين الاول ١٩٦٦

الدورة العامة الحادية عشرة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني من الاول حتى الثاني عشر من آب ١٩٦٦

ادانة نشاط مجموعات العمل :

كان امرا ثابتا في الثورة الثقافية البروليتارية يقضي بأن يعقب فترات الاضعاف المقصود من المركزية السياسية والتنظيمية تدخل الهيئات القيادية في الحزب . فتحسم النقاشات ، بمراجعة حصيلة التطور السياسي في المرحلة السابقة ، مشيرة الى الوجهة الواجب اتباعها . يقابل حادث مجموعات العمل فترة من فترات التخفيف من المركزية ، اتاحت مجالا من المناورة امام المعارضة فحاولت حينذاك منع الجماهير الشعبية ، بالاستفادة من ذلك الوضع ، من التعبئة وتطوير المبادرات ومد حركة التمرد التي شرع بها في ايار وحزيران ، وقد خلقت المقاومة التي اثارتها تلك المحاولة نزاعا بين الاتجاهات .

كان انعقاد الدورة العامة للجنة المركزية في بداية ايلول ، يتيح تحليل مختلف الاتجاهات وادانة نشاط مجموعات العمل ، ويزود بتوجيهات اكثر تحديدا ، بما يخص المسيرة اللاحقة للثورة الثقافية. وقد اكثرت الصحافة الصينية من الاشارة الى ان ذلك الاجتماع سيكون برئاسة ماوتسي تونغ ، والى ان عددا من الوثائق ، التي نشرت فيما بعد، كان قد صاغها بنفسه .

اننا نعلم القليل ، حتى عن كيفية سير ذلك الاجتماع ، الذي بقيت نقاشاته سرية ، ولم يعرف موعد انعقاده الا بعد مضي اسبوع . ان اهمية تلك الدورة تظهر عند قراءة الوثيقتين اللتين اقرتا فيه .

الوثيقة الاولى هي البيان الصادر عن الدورة الحادية عشرة (١) . وقد كتب بأسلوب مكثف ، موجز ، وعنيف بنوع خاص ، وهو يتوزع على ثلاثة اقسام .

يعالج القسم الاول منه وضع البلاد الداخلي . فيسجل الاشواط التي قطعت في مختلف الميادين ، وازدياد قدرة الصين . لكنه يفسح للمشاكل الايديولوجية مكانا واسعا ، بشكل غير معتاد . فيذكر بالعمل الذي حصل باتجاه التشديد من التحول الثوري للأفكار والعادات وبضرورة الاستمرار في ممارسه الخط الجماهيري ، وذلك بعبارات دقيقة وعنيفة بشكل ملحوظ . والنص مكتوب على شكل توجيهات وتنبيهات ، اذا جاز التعبير : — لا ينبغي «الاستذة» على الجماهير ! الثورة تتطلب الجرأة ! لا ينبغي الخوف من الاضطرابات ! ويوجه تنبيهات صارمة الى اولئك الذين يحمون اليمينيين ويضربون اليسار . وهذا يشكل ، بداهة، ادانة لنشاط مجموعات العمل ولاولئك الذين كانوا حتى ذلك الحين يحاولون اعاقة التعبئة الجماهيرية ، اما عن معارضة واعية لسياسة ماو ، او عن رد فعل بيروقراطي . ويذكر هذا القسم الاول من البيان بهدف الثورة الثقافية : تدعيم ديكتاتورية البروليتاريا ، اتقاء اغتصاب تحريفي للسلطةفي الحزب والدولة واعادة الرأسمالية، الحفاظ على الاممية البروليتارية وخلق ظروف تؤهل للانتقال المقبل الى الشيوعية .

اما القسم الثاني فمخصص للوضع العالمي . يستعيد مجمل الموضوعات التي تشكل السياسة الخارجية للصين .

ويبدو القسم الثالث مكتوبا بلهجة اكثر عنفا من القسمين السابقين: فهو يشير الى الاضافة الخلاقة لماوتسي تونغ على الماركسية اللينينية . ويشيد بعقيدته ومنجزاته ونشاطه ، ويدعو الى دراسة مؤلفاته على الدوام والاستفادة منها في مجرى الثورة الثقافية . ان ذلك يستحق الاشارة ، فقد درجت الاشادة برئيس الحزب منذ عام ١٩٦٥ ، لكنها كانت تتناول عقيدته على الأخص . اما الان ، ولاول مرة ، تتحدث اعلى الهيئات عن رئيس الحزب نفسه بكثير من التعظيم ، وليس عن افكاره وحسب . اذا ما اخذنا بعين الاعتبار غياب هذا النوع من التصريحات في

---

(١) نشر في كتيب صادر عن دار النشر باللغات الاجنبية في بكين عام ١٩٦٦ .

النصوص السابقة وحضورها الدائم في النصوص اللاحقة ، يمكننا ان نستنتج ان الدورة الحادية عشرة تدل ، بلا ريب ، على ازدياد قوة مركز ماوتسي تونغ الشخصي في اللجنة المركزية ، كما تدل السطور الاولى المتعلقة بالثورة الثقافية ، في القسم الاول من البيان على الاستنكار بشأن ليو شاوشي وتنغ هزياو بنغ ، دون تسميتهما رغم ذلك .

قرار البنود الستة عشر :

تحمل الوثيقة الثانية الصادرة عن الاجتماع هذا العنوان : قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بشأن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، وهي تسمى كذلك بقرار البنود الستة عشر (١) . يدين ايضا هذا النص بوضوح اكثر نشاط مجموعات العمل . كذلك تضع هذه الوثيقة بيانا بالحركة ، كما سارت حتى ذلك الحين ، وتزود بتوجيهات مفصلة بالنسبة للمستقبل ، والتي تجعل منها «الميثاق» الحقيقي للثورة الثقافية .

لا بد من تحليل هذا النص بشكل معمق لفهم المسيرة اللاحقة للحركة .

يشير البند الاول ، بوضوح الى مرامي الثورة الثقافية ، وهذه مشكلة اساسية ، قامت بتشويشها مجموعات العمل . هذه المرامي هي الاشخاص الذين يشغلون مراكز قيادية في الحزب ، لكنهم يسيرون في الطريق الرأسمالي ، اي الزوزي باي ، وكذلك بعض «الذرى» الاكاديمية والثقافية ، والذين ينشرون بالحقيقة الايديولوجية البرجوازية . من هنا ، ادين الاتجاه القائم على توجيه الحملات ضد اشخاص لا ينتمون الى تلك الفئات : عمال وطلاب عاديون وكوادر وسطى او دنيا في الحزب . يقول البند الثاني ان بعض العناصر الثورية قد يشوبه النقص وقد يرتكب الاخطاء ، **لكن اتجاهه العام كان صحيحا ، دائما** . وهكذا ادينت محاولة النيل من العناصر المتمردة الجريئة في شهر ايار ، والافتراء عليها ، والعمل البيروقراطي على اعتبارها ، زورا ، «يسارية» او معادية للثورة. ويؤكد البند الثاني نفسه ، من جهة اخرى ، ان المقاومة ضد الثورة الثقافية البروليتارية ما تزال قوية وحادة . وبذلك يشير الى ان تعبئة الجماهير تحت قيادة الحزب ضرورية اكثر من اي وقت مضى ، من اجل تخطي تلك العقبات . والقيام بالعمل القيادي للمنظمات الحزبية ، هو في تعبئة الجماهير (البند الثالث) .

ويضع البند الرابع مبدأ اساسيا يقضي بأنه على الجماهير ان تتحرر

---

(١) انظر الملحق الثالث .

بنفسها ، وأنه لا يمكن الاستنابة عنها . فينبغي الثقة بها ، والاقلاع عن الحذر ، وعدم الخوف من الاضطرابات .

ويدين البند الخامس النقد الموجه الى الجماهير والعديد من الكوادر، ويؤكد من جديد على المبدأ الستراتيجي ، مبدأ التحالف بين ٩٥٪ من الكوادر والجماهير ضد اليمينيين والتحريفيين ، وبنفس الوقت ، يدعو الى اجراء تمييز دقيق بين اولئك اليمينيين المعادين للحزب وبين الذين ، مع دعمهم للحزب والاشتراكية ، قاموا بتصريحات او بأعمال خاطئة .

ويعيد البند السادس تأكيد ضرورة التمييز بين التناقضات وسط الشعب ، الغير تناحرية ، وبين التناقضات التناحرية مع العدو . ويشير البند نفسه الى انه ينبغي النضال عن طريق الاقناع وليس بالاكراه الجسدي . وهذا ما يدين عددا من اعمال العنف التي قام بها في بداية الحركة بعض الطلاب والتلاميذ ضد اساتذة وبورجوازيين سابقا، اضطهدوا احيانا من قبلهم . لكن ذلك كان يستهدف ايضا اعمال العنف الحاصلة خلال الخمسين يوما الماضية ضد عناصر اليسار الثوري ، الذين اعتدى عليهم اشخاص اقنعتهم مسبقا مجموعات العمل انهم ازاء عناصر معادية للحزب . ويصرح البند السادس انه من الطبيعي ان يكون هناك آراء مختلفة بين الجماهير الشعبية ، وأنه لا يجب اكراه الاقلية ، التي قد تكون الحقيقة الى جانبها احيانا . وتكتسب هذه العبارة كل جلاءها اذا تذكرنا ان ذلك كان احيانا حال اولئك الذين كانوا يعارضون مجموعات العمل وخط ليو ، على المستوى المحلي خلال الفترة السابقة . بالاضافة الى ذلك ، يعالج البند السابع هذه المشكلة مباشرة : «هناك مسؤولون في بعض المؤسسات التعليمية ، هيئات كانت او **مجموعات عمل** ، قد نظموا حملات مضادةعلى **من انتقدهم من بين الجماهير** بواسطة الدازيباو» ويضيف : «بل انهم اطلقوا شعارات مفادها ان معارضة المسؤولين عن جهاز او عن مجموعة عمل ، هي معارضة للجنة الحزب المركزية، وللحزب وللاشتراكية وعداء للثورة» . **ان ذلك ادانة ، لا التباس فيها ، للخط الذي فرضته مجموعات العمل** . ثم يقول : «لا ينبغي اتخاذ اي اجراء ضد الطلاب والتلاميذ بسبب نشاطهم خلال الثورة الثقافية ، الا في الحالات الخطيرة (تخريب ، قتل ، حرائق ، سرقة اسرار الدولة) . وهذا ما يوحي ، بالمقابل ، بأن اي اضطراب لا يدخل في تلك الفئة يجب ان يسمح به . وبما انفئة الاضطرابات الاخرى تبقى واسعة كفاية ، يفهم ان الاضطراب ، فيما بعد ، كان شديدا احيانا .

يلاحظ البند الثامن وجود اربع فئات من الكوادر : تتألف الاولى والثانية من «الجيدين» و«الجيدين نسبيا» وهم الغالبية ، ثم اولئك

الذين ارتكبوا اخطاء خطيرة دون ان يكونوا معادين للحزب وللاشتراكية ، وأخيرا اقلية من اليمينيين والمعادين للحزب .

ان هذا التصنيف شديد الاهمية ، لانه سيطبق على جميع الكوادر، وسنرى انه سيكون ضروريا لتطبيقه قيام نقاشات مطولة في مختلف فروع الحزب .

هذه هي النقاط الاكثر بروزا في قرار اللجنة المركزية . وقد شكل نشره قلبا لكامل الاتجاه الذي اتخذتهالحركة في المرحلة السابقة، ودخولا لها في مرحلة جديدة تماما .

ومنذ ذلك الحين اصبح مأخوذا بمبدأ التعبئة الجماهيرية الكاملة والتامة ، وسيدفع اليها ، والمشكلة التي يجب ان تحل حلا صحيحا هي استهداف مرامي الثورة الثقافية الحقيقية ، كما تشير اليها بدقة الوثيقة التي اتينا على دراستها .

في اية من الوثيقتين لم يذكر اسم ليو شاوشي ولا اسم تنغ هزياو–بنغ . كما ان صحافة الحزب ايضا لم تذكرهما كشخصين معارضين لماوتسي تونغ ، ولا صحافة الحراس الحمر التي بدأت بالظهور، وكذلك بياناتهم . هذا يعني ، باعتبار العادات السياسية الصينية ، ان طبيعة اخطائهما في هذه المرحلة لم تكن محددة ، وأنهما لم يصنفا بعد في فئة الاخصام المعدين للتنحية .

● نتائج الدورة العامة الحادية عشرة

ظهور الحرس الاحمر :

ان ظهور الحرس الاحمر في وضح النهار هو من اولى نتائج الدورة العامة الحادية عشرة . والحرس الاحمر منظمة ستضم التلاميذ والطلاب والمعلمين ، وهي لم تولد فجأة . وكما اشرنا ، يعود وجودها الى بداية النضال في المدارس والجامعات . منذ ذلك الحين ، قام عدد من الطلاب والتلاميذ والاساتذة الثوريين بتشكيل نوى متفاوتة الاتساع ، تنسق عملهم النقدي للطرائق التربوية البورجوازية ، ولمن يطبقها ، خلال فترة مجموعات العمل ، استحالت تلك النوى الثورية الى نشاط شبه سري، لانها كانت هدفا لحملات عنيفة . ومن المحتمل ان ماو ، منذ عودته الى بكين، اهتم لاقامة اتصالاتمع تلك المجموعات ولتشجيعها علىالاستمرار. وكان بيان الدورة العامة الحادية عشرة للجنة المركزية يشير ، على كل حال ، الى ان ممثلين عنها حضروا (١) الاجتماع الذي وضع حدا لخط

---

(١) يستعمل النص تعبير «كانوا حاضرين» وهذا يعني ، باعتبار عادات النظام ، انهم كانوا يحضرون كمراقبين ، ولم يشتركوا بالتصويت.

ليو شاوشي وتنغ هزياو-بنغ . وغداة ١٢ آب عمم تنظيم تلك المجموعات في بكين كما في انحاء الصين كافة . وشكلت مجموعات منها في جميع المؤسسات التعليمية .

ان احد المآخذ على الوجهة التي اتخذتها التربية قبل الثورة الثقافية ، كان في انها لا توافق التلاميذ ذوي الأصل العمالي والفلاحي. فكان هؤلاء يجدون ، لاسباب واضحة ، من وسطهم الاجتماعي مساعدة أقل على دراسة كانت تتسم بطابع ثقافي خالص وبانقطاع عن الممارسة. وبالمقابل كان على البورجوازي السابق ان يبذل جهدا أقل ليهضم تعليما لم يكن قد تخلص بعد من التربية التقليدية ، من نواح عديدة . وهذا ما يفسر بلا شك كون عدد هؤلاء الاخيرين في الجامعات كبيرا ، والاتهام الموجه الى المسؤولين في عدد من المؤسسات التعليمية بأنهم كانوا يقفون موقفا عدائيا من ابناء العمال والفلاحين . وهؤلاء فقط كان يسمح لهم بدخول الحرس الاحمر ، فيمارسون بذلك تمييزا معاكسا (١) .

هؤلاء الشباب ، فتيات وفتيانا ، والذين يلقبون احيانا ب «الجنرالات الصفار» ظهروا بأعداد كبيرة في المدارس والشوارع ، وكانوا يعرفون بشارة من القطن الاحمر على الساعد ، تبرز عليها ثلاثة حروف كبيرة صفراء : هونغ وي بنغ (اي الحرس الاحمر) ، وحروف أصغر حجما في طرف الشارة ، تشير الى اسم الفصيلة او المؤسسة . وهذه التسميات مطبوعة ايضا على رايات كبيرة حمراء ، ينشرونها عندما يأتون في مسيرة الى الاجتماعات . وكانوا احيانا يلبسون بزة كاكية ، لكن هذه لم تكن معممة ، فكان آخرون يرتدون ثيابا من القطن الازرق او الرمادي . وتتراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والثلاثين ، اما التلاميذ فأعمارهم بين الثانية عشرة والسابعة عشرة ، ويشكلون الغالبية . وكان هناك مجموعات ثورية في بعض المكاتب وفي بعض المصانع بأعداد محدودة ، وبشكل اساسي بين التلاميذ في المراكز التعليمية . وهم منظمون في قطاعات تشكل فصائل، تقيم على المستوى البلدي او على مستوى المقاطعة قيادات عامة . ولا ينبغي ان تدفعنا هذه التسميات الى الظن بمنظمة عسكرية او شبه عسكرية ، رغم ما قاله في ذلك صحفيون اجانب سيئو الاطلاع . وتعين تلك المجموعات زعماءها عن طريق الانتخاب ، وبوسع من انتخبهم عزلهم في اية لحظة . ولم يكن لنظام الطاعة عند الحراس الحمر اي طابع عسكري ، رغم ما رغبوا به احيانا ، وهذا طبيعي باعتبار النقص في

---

(١) الا ما ندر ، لانه كان ينص على انه يمكن ان يصبح حراسا حمرا شباب قد اظهروا عن وعي سياسي مرتفع وعن موقف ثوري حازم، دون ان يكونوا من اصل عمالي او فلاحي .

تجربتهم . ولنذكر بأن الحراس الحمر لم يحصلوا قط على الاذن بحمل السلاح من السلطات .

دور الحراس الحمر

لقد استجاب نشاط الحرس الاحمر لهدفين : الاول سيكولوجي ، والثاني سياسي . والاثنان معا غايتهما مضاعفة عدد الاشخاص الملتزمين بالثورة الثقافية البروليتارية .

في آب ١٩٦٦ كان تطور الثورة الثقافية متفاوتا . فقد اثـارت نقاشات وغليانا في الجامعات والمدارس ، وأقل من ذلك بكثير فـي المكاتب والمصانع . علاوة على ذلك ، لم تمس الثورة الثقافية سوى بكين خاصة وبدرجة أقل كانتون وشانغهاي . كان ينبغي اذن ان يتغير ذلك الوضـع .

في البداية ، كان من المناسب صدم النفوس بتظاهـرات مثيرة ، وتقديم الادلة الملموسة علـى ان الصراع الطبقـي بين البروليتاريـا والبورجوازية ما زال قائما . وما ان يتم خلق هذا الجو ، حتى يصبح من السهل انخراط الاهالي في الحركة . على ذلك ، سلط جهاز دعايـة الحزب ، فجأة وبكل ما له من قوة ، الاضواء على الحراس الحمر الذيـن انتشروا في المدينة ، خارجين من مدارسهم . وأول عمل قاموا به هـو تغيير اسماء الشوارع والمحلات التي تذكر بالصين الامبراطورية القديمة، وطلي صور المندران Mandarins الموجودة في اروقة قصر الشتاء، بالابيض . وكان يهدف هذا العمل الى التدليل ، بمثل بسيط جـدا ومفهوم من الجميع ، على استمرار التأثيرات الاقطاعيـة في النظـام الاشتراكي . وهذا ما عاد على الحراس الحمر بوصف مبالغ فيه ، مـن قبل الصحافة الغربية ، كمحرمين متعصبين للايقونات Iconoelaste . رغم ذلك كان الهدم والتخريب محدودا ، فقد احتاطت السلطات لذلـك باغلاق المتاحف منذ الايام الاولى للثورة الثقافية .

اما العمل الثاني للحراس الحمر فكـان القيام بالمصادرة لـدى الرأسماليين وملاكي الاراضي السابقين . فصادروا ذهبا ومجوهـرات وغلايين وكميات من الافيون كانوا قد احتفظوا بها ، وكذلك وثائق ملكية قديمة وأسلحة . وقد نقلت ذلك الصحف ، وأقيمت له المعارض ، وقدم كدليل على ان البورجوازية ما تزال موجودة ، وأنها لم تفقد الأمل فـي عودة الايام الخوالي . وقد صاحب احيانا اعمال الحراس الحمر هذه ، حوادث عنف لا جدوى منها ، ساعدت كثيرا على الصورة غير المرضيـة التي رسمتها الصحافة الغربية عنهم . لكن تلك الصورة ، مع ذلك ، تبقى

مشوهة كثيرا . وسرعان ما اعتاد الصينيون نشاط اولئك الشباب ، عن طريق المقالات والافلام والبرامج الاذاعية المختلفة ، التي قامت بهـا القيادة الشيوعية . ولم تخل الصحافة من الثناء على هؤلاء الحراس الحمر المعادين لكل فكرة محافظة ، والطيبين والانقياء في تطلعاتهم . وبذلك كانت تعد الرأي العام للمرحلة الثانية من حركتهم التي بدأت بسرعة واستمرت اشهرا عديدة ، بينما لم تدم المرحلة الاولى ، التي اتينا على وصفها ، سوى ثلاثة اسابيع .

كان على هذه المرحلة الجديدة ان تؤدي دورا اكثر تعقيدا: فالمقصود ان تحمل الشبيبة الطلابية اعلام الثورة الثقافية الى المجتمع الصيني كافة . كان المثقفون الشباب ، غير المنخرطين في الانتاج ، متحررين من القيود الروتينية المهنية او غيرها، فلم تشوه الضغوط البيروقراطية حرية تفكيرهم وروح المبادرة عندهم ، فكانوا اكثر تحررا ممن يكبرهم سنا وأقل استعدادا لاحترام الانظمة . حقاً ، ان التجربة كانت تنقصهم ، لكن هذا كان له وجها ايجابيا : فلم تذبل مثلهم بعد المحن وخيبات الأمل . فكانوا بذلك يشكلون الخميرة المثالية لاثارة مجتمع كان مهددا بالتصلب لعدم وجود النزاعات الداخلية . وبتأثير منهم انتشرت عادة الرفض والكلام عاليا وبحرية . لقد كانت براعة ماوتسي تونغ وانصاره في انهم عرفوا كيف يستخدمون تلك القوة في اطار استراتيجيتهم، دون تشويه عفويتها، وبتوجيهها دائما نحو استمرار وتعزيز المثل الثورية ، وليس نحو اعادة النظر العقيمة ، فيها .

وبذلك كان على الحراس الحمر ان ينقلوا افكارهم وحماستهم وروحهم النقدية الى المراكز التي لم تكن الحركة قد تقدمت فيها الا قليلا ، ودفع واطلاق نقد الكوادر السائرة في الطريق الراسمالي واليمينيين و«رجال العصابة السوداء» من كتلة بنغ شنغ .

وهذا يقضي بأن يوجد حراس حمر في كل مكان . كان لشانغهاي، وهي مدينة طليعية اخرى ، حراسها الحمر ، وكذلك كانتون وغالبية الحواضر الصينية . فينبغي ان يستطيع الحراس الحمر التجول في البلاد ، وان يصلوا الى الاماكن التي لم يكن للحركة فيها امتدادا ، اولها امتداد قليل ، ولم تكن تلك الاماكن قليلة العدد آنذاك . الم يحدد البند الثالث من قرار الثامن من آب ان «المسؤولين في هيئات عديدة ما يزالون يسيئون فهم دورهم القيادي كثيرا في هذا النضال العظيم» ، و«ان قيادتهم بعيدة عن ان تكون جدية وفعالة» ؟

بذلك شجعت قيادة الحزب الشيوعي الصيني الحراس الحمر على التنقل في كل أرجاء الصين للقيام بـ «شيان ـ لين» اي بتبادل التجارب

الثورية . وقد اتخذت اجراءات خاصة لتمكين الغالبية من المجيء الى بكين ، فيقتدون بذلك بثوريي العاصمة ، ويعملون على مثالهم عند عودتهم الى مدنهم الاصلية . اما حراس بكين الحمر ، من جهتهم ، كانوا يذهبون الى المقاطعات ، يروون نضالاتهم ويدعون من يصادقون من الاشخاص لتفحص نشاط كوادر الحزب ، ولمحاولة تبين ما اذا كان يوجد بينهم دعاة للخط الاسود ، ويحرضونهم على كتابة البيانات وعلى الانتظام لمقاومة تعسف وبيروقراطية بعض المسؤولين ، ويتوسعون في بيان توجيهات الحزب وقرار البنود الستة عشر. وبالواقع، بينما كان المطلوب تعبئة ملايين الرجال ، كانت المعلومات في بعض الاماكن تصل متأخرة او مغلوطة . وفي بعض الحالات ، كان الرجال المتقدمين في السن لا يعرفون القراءة ، او لم يكونوا معتادين عليها. وأكثر من ذلك ، كان بعض الكوادر يعرقلون احيانا وصول اخبار العاصمة .

لذلك كانت تلك الدعاوة الشفوية ضرورية ، فأتيح لأولئك المتنقلين السفر مجانا ، بينما كان قسم منهم يتنقل سيرا على الاقدام ، وبذلك ينمي تقاليد الجيش الشيوعي الصيني .

وقد قام بعضهم بالكثير من التنقلات . ونظمت فصائل عديدة «مسيرات طويلة» تنوف على الالف كيلومتر . خلال هذه المسيرات كانوا يعرجون على الكومونات والمصانع ، فيشاركون بالعمل اليدوي ويوزعون «مقتطفات ماو» ، مطبوعة احيانا بجهدهم الخاص ، على «رونيو» صغير ينقلونه معهم ، والذي اصبح علامة يعرفون بها . في كل مكان كانوا يذيعون الكتاب الاحمر المحتوي على مقتطفات من اقوال ماوتسي تونغ ، وهو لم يكن حتى ذلك الحين منتشرا الا في صفوف الجيش ، ومنذ ذلك الوقت اصبح من عتادهم بنفس الوقت الذي دخل فيه التاريخ .

وكانت اللجنة المركزية قد قررت ، بعد الدورة العامة الحاديةعشرة، طبع مؤلفات ماوتسي تونغ بعدد كثيف ، وكذلك مجموعة المقتطفات الشهيرة . وهذه المقتطفات التي كانت تجري بطلاقة على السنة الصينيين في الاجتماعات خلال الثورة الثقافية ، كانت قد اعدت من اجل جنود جيش التحرير الشعبي ، عام ١٩٦٥ . وهي تقدم بايجاز وجهات نظر ماوتسي تونغ في مختلف المشاكل : الصراع الطبقي ، الحزب الشيوعي ، الحرب والسلم ، الادب والفن ، علاقات الجيش بالشعب ، الخ .. وابتداء من آب ١٩٦٦ تم طبع الكتاب الاحمر على مئات الملايينمن النسخ: وهذه كانت وسيلة بارعة لوضع الجوهري من الماركسية بمتناول الجماهير الصينية .

في بكين ، نظم العسكريون استقبال الحرس الاحمر بشكل ممتاز : فقد تم الاحتياط لسكنهم وتموينهم وتنقلاتهم ، حيث ان العاصمة عرفت

خلال اربعة اشهر مليون ساكن اضافي ، كانوا يتجددون باستمرار ، دون ان يعرقل وجودهم المواصلات ولا التموين ، وهذا ما هو عمل بطولي ، يندر وجوده . النظام الماوي وحده يستطيعه حقا . وقد اتخذت الشوارع مظهرا غير عادي : كان يحاذي الفتيان المونغوليين ، بأحذيتهم الضخمة وجلابيبهم الطويلة تشدها الى خصورهم حزامات جلدية ، فتيان الويغوريين بلباسهم البراق التقليدي لمقاطعتهم سنكيانغ البعيدة ، وبين الحراس الحمر الآتين الى هذه المنطقة الشرقية من الصين ، ملتقى مختلف موجات النزوح خلال قرون عديدة ، كان يميز الى النماذج المحلية الخالصة ، القريبة من السلالة التركية ، اشخاص ذوو عيون زرق وشعر اشقر . ويشاهد ايضا فتيان من التيبت بقاماتهم القصيرة والوجه لوحته شمس القمم العالية ، يرتدون جلابيب ضخمة ملونة ويعتمرون قبعات من القش عريضة الجوانب ، شبيهة بقبعات هنود البيرو . المحلات وحافلات الترام ، الحدائق والمطاعم ، تدوي باللهجات واللغات المختلفة. لقد كانت الصين كلها في بكين ، بتعددها وتنوعها الهائلين .

ماوتسي تونغ يستقبل الحراس الحمر :

كان قدوم الحراس الحمر من المقاطعات الى العاصمة يؤدي الى تظاهرات رائعة . فقد نظمت على مدى اسبوعين تجمعات ضخمة ، تتألف من مليون شخص ، في ساحة تين آن من ، بحضور ماو تسي تونغ ، القت خلالها شخصيات كبيرة من الحزب كلمات هامة تهدف الى توجيه نشاطهم .

لقد حصلت اولى تلك التجمعات الهائلة في الثامن عشر من آب عام ١٩٦٦ ، كان ماو خلالها يضع شارة الحرس الاحمر ، معطيا بذلك دعمه العلني للحركة . وكانت هذه التظاهرة ، كما تلك التي تلتها ، مشهدا نادرا ، مهرجانا ، لكنها كانت ايضا ما يشبه عيدا للشبيبة ، وقد اخذ بها حماس يفوق الوصف .

ولقد دلت رواية الصحافة لذلك الحدث على عدد من الامور الاساسية اكدت تلك التظاهرة اهمية الدور الذي بدأ يلعبه لين بياو ، وزير الدفاع ونائب رئيس اللجنة المركزية منذ ذلك الحين ، حيث ظهر كأقرب مساعد للرئيس ماو وكخلفه المتوقع . ان اولئك الذين يعرفون العادات السياسية في البلدان الاشتراكية يعلمون ان كل رواية في الصحف لتظاهرة رسمية ، تصاحبها قائمة بالشخصيات التي حضرتها . ولا يذكر الاشخاص في اي ترتيب ، بل يأتي ذكر كل واحد في القائمة مطابقا للمركز الذي يحتله في تسلسل النظام . وهكذا تمكن الملاحظة باهتمام لذكر ليو شاوشي وتنغ هزياو–بنغ في المرتبة السابعة والحادية

عشرة على التوالي ، بدل الثانية والخامسة سابقا ، وهي علامة لا جدال فيها على شبه اسقاط اعتبار . وتمكن الملاحظة ايضا لانتقال تشن بوتا ، السكرتير السابق لماو تسي تونغ ، من المرتبة الثالثة والعشرين الى المرتبة الخامسة . وقد اصبح رئيسا للمجموعة المكلفة بالثورة الثقافية ، التابعة للجنة المركزية . هذه المجموعة التي لم يمض على وجودها سوى اسابيع ، والتي لم تعلن عن نفسها الشيء الكثير ، كانت مدعوة الى لعب دور من الدرجة الاولى في الاحداث اللاحقة . ولنذكر انها لم تكن تتألف من اعضاء في اللجنة المركزية فقط ، بل صير الى انتقاء كوادر من عدد من هيئات الحزب المحلية ليكونوا اعضاء فيها . وسوف نشير في بقية الكتاب الى هذه الهيئة بالاحرف (م.م.ث.ث) ، اختصارا .

وهناك شخص اخر ارتقى مركزه في التسلسل ، ليحتل منذ ذلك الحين منصب مستشار تلك المجموعة . نعني بذلك كانغ شنغ (١) ، المقرب من ماو تسي تونغ ، منذ وقت طويل ، في ينان بالتحديد ، والمكلف ، من جهة اخرى ، بالعلاقات معالاحزاب الشيوعية الاخرى. كان هناك شخص ثالث يتقدم بشكل ملحوظ ليبلغ المرتبة الرابعة : وهو تاوشو (٢) العضو في المكتب السياسي ، والمسؤول عن الصين الجنوبية .

ما خلا هذه الاشارات ، الهامة جدا بالحقيقة ، بقيت الصحافة الرسمية صامتة ازاء رئيس الجمهورية ليو شاوشي ، والامين العام للحزب تنغ هزياو بنغ . وعدا ما ورد في قرار البنود الستة عشر ، لم يجر اي تلميح الى نشاطاتهما السابقة ، ولا الى نشاطات مجموعات العمل واحتمال ضرورة القيام بنقدها . وبالمقابل ، كانت الصحافة تفيض ببلايا العصابة السوداء ، وبالتحاليل المطولة لشرورها ، مقترحة ، مرارا ، ضرورة الاطاحة بالمسؤولين السائرين في الطريق الرأسمالي ، وهذا ما لم يكن يترك مجالا للشك بوجود آخرين ، دون ذكر من كان مقصودا ومكانه. وبذلك ستعتبر الجماهير الاشخاص الذين تقوم بنقدهم في تلك اللحظة كأعضاء في العصابة السوداء .

خلال اول لقاء بين ماو والحرس الحمر ، تلك الصبيحة من الثامن عشر من آب ، القيت كلمتان: الاولى القاها لين بياو والثانية شو آن لاي. اما ماو تسي تونغ نفسه فلم يتكلم في اي من تلك التجمعات (٣) . وقد

---

(١) انظر ما سبق .
(٢) انظر الصفحات التالية .
(٣) منذ سنوات طويلة لم يلق ماو تسي تونغ خطبا جماهيرية ، ولا عن طريق الاذاعة منذ زمن بعيد . ولهذا تفسيران ، قد يكونا متكاملين، وهما على كل حال غير كافيين . الاول، ان موقفه كحكم في الدولة

عبر وزير الدفاع عن دعمه ودعم اللجنة المركزية لاعمال الحراس الحمر. وأعلن مجددا، لكن دون تفصيلات اخرى، ضرورة الاطاحة بالمسؤولين الحزبيين السائرين في الطريق الرأسمالي، الزوزي باي، ومكافحة «الملكيين» والتعبئة الواسعة للجماهير. وأضاف قائلا ان قرار البنود الستة عشر ينبغي ان يتبع بحزم. وفي نهاية خطابه اشار ايضا الى ان الثورة الثقافية ستدوم طويلا، وأنها ستمر حتما في مراحل متنوعة ومعقدة. اما شو آن لاي، الذي كان غائبا خلال الخمسين يوما، مسافرا الى رومانيا والبانيا، فقد القى من جهته خطابا اكثر ايجازا، استعاد فيه الموضوعات نفسها تقريبا.

كانت التعبئة الجماهيرية تلقى تشجيعا مستمرا، وهي ستمضي تتطور، تدريجيا.

امتداد الثورة الثقافية :

كانت الاجهزة المركزية في العاصمة، بدعوتها الاهالي للتعبير بحرية عن آرائهم المتعلقة بنشاط الكوادر في فروع الحزب المحلية، تسعى الى القاء الضوء على التعسف البيروقراطي من ناحية، وعلى النشاطات المعارضة، من الناحية الثانية. وكان على المنظمات المحلية في الحزب ان تقبل تلك الانتقادات وتحصيها، فتصلح من اخطائها، مع تحديد المسؤولين وعزلهم او دعوتهم الى تصحيح عملهم، تبعا لنوعية اخطائهم.

وكان على حركة الجماهير ان تعمل ككاشف يظهر من من الكوادر يعبر الاهالي عن ثقتهم به، ومن يرفضونها له. ولم يكن ماو تسي تونغ يجهل، بعد الذي حصل في مجرى حركة التربية الاشتراكية وخلال حادث مجموعات العمل، ان المعارضة الموجودة في صفوف الحزب سوف تحاول كبح او تقييد حرية النقد الاتية من خارج الحزب. ويعرف ايضا ان الميول البيروقراطية والروتينية ستذهب في الاتجاه نفسه. ان حركة الجماهير تستطيع ان تظهر هذين العاملين، وهذا بالضبط ما كان مطلوبا. ومن ثم ينبغي معالجة مظاهر المعارضة السياسية المصممة، منفصلة عن مجرد البيروقراطية.

= الصينية يفرض عليه بعض التحفظ ازاء النزاعات بين الاتجاهات، فيتجنب حسمها مباشرة، تاركا لها مجالا للتطور بذلك ليسمح تحفظه المقصود للكتل المتخاصمة ان تتجابه مع اعلان الانتماء اليه على قدم المساواة. وهناك عامل اخر يؤثر بشكل أخص: ان لهجته المحلية تجعله قليل الوضوح، في بلد حيث يطرح تنوع اللهجات مشكلة كبيرة.

انه من الصعب ، دائما ، تحريك الاهالي للقيام بنشاطات سياسية، فيلزم ان يشرح لهم ما ينتظر منهم ، وأن تثار مبادراتهم ، وأن يوجد مناضلون لقيادتهم . وكان هذا معقدا ، في الصين ، بقدر ثقل جهاز الحزب ووجود المعارضين في صفوفه . وبدهي انه من اجل تخطي هذه العقبة والاسراع بالعملية المرجوة ، كانت قد نظمت الشبيبة في الجامعات والمدارس وأطلقت في المبادلات الثورية عبر البلاد . كان يراهن على عفويتها وروح التمرد عندها من اجل جر الاخرين ، وهذا ما ظهر انه تقدير صحيح .

شيئا فشيئا ، كان الحراس الحمر ، بعودتهم من بكين ، ينظمون انفسهم ، فيبذلون كثيرا من النشاط ، يلصقون الدازيباو ويشيعون خبر ما كان قد جرى في العاصمة ، ويحرضون عددا متزايدا من الاشخاص على تفحص تصرفات بعض الكوادر على ضوء قرار البنود الستة عشر . فكان يرى حراس حمر يجوبون شوارع المدينة وطرق المقاطعات في شاحنات مزودة بمكبرات للصوت . وبذلك يطلعون الجميع على الانتقادات التي كانوا يوجهونها الى بعض المسؤولين . ويوزعون خلال تنقلاتهم البيانات والكتيبات المستنسخة ، يشرحون فيها مفصلا المشاكل السياسية المطروحة ان في مقاطعتهم او في مناطق اخرى كانوا قد زاروها ، وعلى الأخص بكين .

ويجهدون في توسيع اتصالاتهم مع الاهالي ، حيث يمارسون نشاطاتهم ، وخاصة مع العمال الذين كان عليهم ان يلعبوا دورا اساسيا. وبذلك كان عدد متزايد من الاشخاص يلتحق في اثرهم بحركة نقد بعض المسؤولين الحزبيين في البلديات والمقاطعات ، المعتبرين كأعضاء في العصابة السوداء ، عصابة بنغ شنغ و لو تنغ يي . وتدريجيا امتدت هذه الحركة التي تشجعها الصحافة والاذاعة يوميا ، وتمت تعبئة الاهالي . وبدأت بالظهور ، على غرار الحراس الحمر ، منظمات جماهيرية في المصانع والمكاتب .

الثورة الثقافية تبلغ المصانع :

كانت السلطات المركزية ، بدعوتها العمال الى تقليد الحراس الحمر والانطلاق في التمرد على كوادرهم ، تقوم بمخاطرة : هي عرقلة الانتاج. وبالطبع لا يمكن وقف سير المصانع ، كما اوقفت الدروس . اضف الى ذلك ان وصول الدفعات الاولى من الحراس الحمر جلب الاضطراب في المصانع ، كانوا يأتون في اي وقت كان ، يدخلون المعامل ويلقون الخطب ويرتجلون المهرجانات على الفور .

عندما انتظمت المجموعات الاولى من العمال ، انطلقت هي ايضا في نشاطات نقدية وفي كتابة الدازيباو ، وقامت باجتماعات مناقشة قلبت بعض الشيء من خطط العمل . وشهد حينذاك في دعاية الحزب موضوعة ، ستكرر غالبا : لا يجب ان تقود حرية الاجتماعات والتجمعات الجماهيرية الى اهمال العمل . وقد تجسدت هذه الموضوعة في شعار استخلص من قرار البنود الستة عشر ، الذي كان قد توقع المشكلة : «لنقم بالثورة ولندفع بالانتاج» . وقد تطرق الى هذه المسألة شو آن لاي في التجمع الثالث للحراس الحمر ، الحاصل في الخامس عشر من ايلول ١٩٦٦ (١) .

ومنذ ذلك الحين ، ستروح السلطات القيادية في الثورة الثقافية تقدم التوصيات الى الحراس الحمر والى المجموعات العمالية الناشئة ، ان من اجل توجيه نشاطاتهم او من اجل تنظيمهم .

كانت اولى التوصيات هي باحترام التدابير التي كانت قد اتخذت وقت حركة «التصميمات الاربعة» ، والتي تشكل جزءا من حركة التربية الاشتراكية . وتستهدف تلك التدابير صيانة المعدات وتنظيم فرق الانتاج وسيره كما الحفاظ على المستودعات والتموين والمبيعات .

اما الثانية فكانت بالقيام بالثورة في مكان العمل . وينتج عن هذا انه كان على الحراس الحمر والعمال ان يقيموا اتصالاتهم السياسية خارج المصانع وخارج ساعات العمل .

والتوصية الثالثة ، والناتجة عن السابقة ، كانت بعدم الانتقال الى وحدات انتاجية اخرى ، وبالانتظام تبعا للتقسيمات الادارية المطبقة في توزيع العمل . وبكلام اخر ، يقوم عمال المعمل بنقد كوادر معملهم وليس معامل مجاورة لا يعرفون مشاكلها جيدا . وبالمقابل ، يعود حق نقد الكوادر العليا ، على الصعيد الاداري الى مجمل .

وسيقابل هذا التركيب ما ستأخذ به المنظمات الجماهيرية بحسب تطورها : فصيلة على مستوى المعامل ، سرية على مستوى المصنع، قيادة عامة على مستوى المدينة او المقاطعة . وستعرف المكاتب والجامعات هذا التركيب : فصائل ، في الكليات او الفروع ، سرايا ، للجامعات او مجمل القسم . فليس هذا الميل الصيني الى المصطلح العسكري اذن خاصا بالطلاب ، بل يبدو انه ميل عام .

لقد انتشر ظهور تلك المنظمات ، بقدر ما اصبح الحراس الحمر قدوة ، وبقدر توالي نداءات وتعليقات الصحف والاذاعة من اجل تطوير

---

(١) انظر «انباء بكين» العدد رقم ٣٩ ـ ٢٦ ايلول ١٩٦٦ .

تعبئة الجماهير . وزاد عدد تلك المجموعات وتجمعت واتخذت اشكالا تنظيمية .

ولنحدد ان اعضاء تلك المنظمات ، وان كانوا يضعون شارات حمرا ، وقد كتب عليها اسم «سريتهم» ، **لا ينبغي الاشارة اليهم بكلمة الحرس الاحمر التي تنطبق على التلاميذ والطلاب فقط** . فالعمال والمستخدمون المتجمعون فيمنظمات جماهيرية يتسمون بعبارة«المتمردين» او «المتمردين البروليتاريين» والاصطلاح الصيني في هذا الشأن دقيق التحديد ، **فكلمة الحرس الاحمر لا يمكن لها ان تنطبق على كل شخص مشارك في الثورة الثقافية ، دون تفريق .**

ولم يمض وقت قصير حتى توالدت كل تلك المنظمات ، لان حرية تشكيلها كانت كاملة ولا تخضع لاي اجراء شكلي. ونادرون جدا الصينيون الذين لم ينضموا الى تلك المجموعات في معملهم او مكتبهم او قسمهم . وكان القادة ينتخبون ، وقابلين للعزل في اية لحظة ، مثلما كان عند الحرس الاحمر . في مكان عملهم ، كانوا يحصلون مجانا على الحبر والورق من اجل كتابة البيانات ، ولهم حق استعمال العربات المخصصة لمؤسستهم : الموتوسيكلات والسيارات والشاحنات . وتغطى مصاريف طباعة البيانات واقامة مكبرات الصوت وتنظيم الاجتماعات ، من صندوق المؤسسة . وبذلك كانت متوفرة الامكانية التنظيمية والمادية لتفحص سياسة الحزب على جميع المستويات ، ولسلوك جميع الكوادر في العمل .

أيها الطلاب والعمال ، معركة واحدة !

ان نشر اعلان البنود الستة عشر وادانة اتجاه مجموعات العمل ، لم يضعا بالطبع حدا نهائيا لنشاطات المعارضة . وهي ستظهر شديدة النشاط في منع اندماج الحركة الطلابية والحركة العمالية ، وبشكل رئيسي في عدد من المقاطعات ، حيث كانت الثورة الثقافية ، لاسباب مختلفة ، تتقدم بسرعة أقل .

من وجهة نظر ماو ، لا يستطيع نشاط الطلاب وحده ان يكون حاسما . كان يستطيع ان يلعب دور المحرك ، لان الوعي قد حصل للمثقفين اولا . لكن الطبقة العاملة ، معبأة لتطبيق خطه السياسي ، هي وحدها تستطيع قلب ميزان القوى نهائيا ، وسحق المعارضة في اندفاع ثوري . ان يكون هذا هو مفهوم ماو ، ذلك امر لا شك فيه . وتحاول بعض المزاعم المتخيلة عن الشيوعية الصينية ، في الغرب ، ان تحمل على الاعتقاد بأن رئيس الحزب لا يؤمن الا بالدور السياسي للفلاحين . هنا ،

اورد ما صرح به ماو في تموز ١٩٦٧ ، محللا تطور الثورة الثقافية ، بشأن الفترة التي نتحدث عنها :

« لقد كان المثقفون الثوريون والطلاب الشباب اول من حصل الوعي عنده ، وهذا ما يتفق مع قوانين تطور الثورة (...) وقد اظهر تقدم الحركة ان العمال والفلاحين هم دائما القوة الرئيسية - وليس الجنود سوى عمال وفلاحين في اللباس العسكري (...) ان النفايات البورجوازية لا تكنس نهائيا الا عندما تنهض الجماهير العمالية والفلاحية الواسعة ، بينما يعود المثقفون الطلاب الى احتلال مركز ثانوي » (١) .

كان دور العمال الحاسم يجعل من تعبئتهم امرا ضروريا، على ذلك، حاول الحراس الحمر عقد الصلات مع المصانع ، وقد رأينا ان ذلك ادى الى تكوين منظمات جماهيرية عمالية ، مشابهة لمنظمات الحراس الحمر. وسوف تشكل هذه المنظمات العمالية والطلابية مراكز قيادة مشتركة على مستوى المدن الكبيرة والمقاطعات ، ستلعب دورا كبيرا فيما بعد .

ومن الضروري القول ان هذه العملية استغرقت بعض الوقت ، وان الاتصالات قد تعثرت احيانا بين العمال والحراس الحمر . كان اخصام ماو في اللجنة المركزية ، جميعهم تقريبا ، يتولون مسؤوليات ذات شأن في المقاطعات . وما عدا اولئك الذين ازيحوا مع كتلة بنغ شنغ - لوتنغ-يي ، بقي الاخرون ، وهم الاكثرية ، في مراكزهم . فكانوا في المقاطعات او المدن التي يشرفون عليها ، يناورون بحماس لتجنيب المصانع الرفض الطلابي . وفي هذا الصدد لا يفوتنا ذكر شبه هذه الظاهرة بحوادث معينة حصلت في فرنسا في ايار ١٩٦٨ ، عندما حاول الاتحاد العمالي العام والحزب «الشيوعيَ» الفرنسي الحفاظ على حاجز بين المجموعات الطلابية وبين العمال (٢) .

وتظهر قراءة الملصقات في شوارع بكين ، وروايات الحرس الاحمر التي لا تحصى عن الحوادث التي جرت لهم خلال هذه الفترة ، ان مسؤولين حزبيين في عدد كبير من الاماكن ، ضاعفوا من اقامة الصعوبات بوجههم .

---

(١) انظر الملحق الرابع .

(٢) هذا التشابه بين أحداث ايار ١٩٦٨ في فرنسا وتلك الحاصلة في خريف ١٩٦٦ في الصين ، بقدر ما كان ملحوظا ، كان عفويا ، فلا العمال ولا النقابيون الفرنسيون قلدوا ، عن قصد ، المثال الصيني فالمعرفة بالثورة الثقافية كانت غامضة في فرنسا .

وكان سهلا على عدد من المسؤولين في المقاطعات ان يستغلوا الصعوبات التي صادفها المثقفون في علاقاتهم مع الشغيلة ، حيث كان تتجابه احيانا عادات وعقلية مختلفة : من جهة ، نزعة اكثر حدة نحو التجريدات النظرية ، ومن الجهة الاخرى ، الحس العملي وسرعة التأثر، ولم يكن ذلك يمر بسلام . علاوة على ذلك ، كان الحراس الحمر يظهرون عن سوء تصرف ، وأحيانا كانت الحساسية الناشئة عن ذلك ، تعمق بشكل خفي ، وتحول الى عداء . وأحيانا كانت تحدث احتكاكات ، لأن الحراس الحمر خلال تنقلاتهم كانوا يمرون بمناطق غريبة عنهم ، وبدلا من القيام بتبادل المعلومات مع الاهالي ، كانوا يتدخلون في حركة النقد الجارية . ولكونهم على اطلاع سيء على المشاكل المحلية ، كانوا يقعون في الاخطاء . فيقوم عدد من البيروقراطيين المحليين باستخدامها مبررا لتحريض العمال والفلاحين على الهجوم على الحراس الحمر ، والجسدي من ضمنه احيانا . وكان هؤلاء المسؤولون يصورون كل حملة تتناولهم على انها محاولات لاعادة النظر بمنجزات الحزب المحلية ، منذ حرب التحرير : تحسين مستوى الحياة ، بناء المساكن والمصانع . ويصورون الحراس الحمر كعناصر معادية للثورة ، مستعيدين بذلك مناورة مجموعات العمل.

وبخداعهم لقسم من الجماهير بهذه الطريقة ، كانوا سيحملونه على الوقوف بوجه قسم اخر ، انضم الى حركة النقد بأثر الحراس الحمر . وستجهد المعارضة منذ ذلك الحين ، عاجزة عن احتواء التعبئة الشعبية، اكثر فأكثر في محاولة شطرها بغية الحد من نتائجها .

في الخامس عشر من ايلول ، اتى لين بياو على ذكر تلك الاحداث، من على منصة ساحة تين آن من ، وقال محذرا : «في هذه اللحظة هناك اناس يمضون بعكس قرار البنود الستة عشر، يثيرون العداء بين الجماهير والطلاب الثوريين ، ويحرضونها على النضال ضدهم ، مستغلين المشاعر الطبقية التي تكنها الجماهير للحزب وللرئيس ماو . فلا ينبغي اطلاقا ان نقع في فخهم» (١) .

مذ ذاك ، ستروح اجهزة الحزب المركزية تضاعف النداءات والتحذيرات : الزوزي باي اقلية ، لكنهم يستطيعون تضليل البسطاء . فينبغي التيقظ وعدم الانقياد دون تفكير . ان يوجد خلافات في وجهات النظر ، ليس امرا غير طبيعي ، على النقيض ، فالجوهري هو في احسان حل المشاكل التي تبرز معها . وخاصة ، لا ينبغي ان يجري قتال ، بل نقاش ، لان التناقضات ، كما قال ماوتسي تونغ ، لا يجب ان تعالج وسط الشعب كما تعالج مع العدو .

---

(١) انظر «انباء بكين» العدد ٣٩ ، ٢٦ ايلول ١٩٦٦ .

وكانت الصحافة تذكر بأن قرار البنود الستة عشر يشير الى « ان الجماهير في نقاش طبيعي ومعمق ، ستعرف اثبات ما هو صحيح وتصحيح ما هو خاطىء ، وتتوصل الى الاجماع» . ان تأكيدات كهذه قد تبدو متفائلة كثيرا ، رغم ذلك فلا جدال بأنها الهمت مسيرة الثورة الثقافية ، على الاقل خلال العامين الاولين منها . وهي تصدر عن اقتناع ماوتسي تونغ بضرورة الثقة بالجماهير الشعبية. اما بالنسبة للاضطرابات التي قد تنتج عنها ، فيجازف بها ، بما ان الثورة ، حسب تعبيره ، ليست «مأدبة» . ويبدو ان رئيس الحزب قد كان مقتنعا بأن القيادة الشاملة للثورة الثقافية بواسطة (م.م.ث.ث) ، ونشاط الكوادر الثورية في الحزب ودينامية الشباب ، ستظهر قادرة على الحفاظ على الاتجاه العام للنضال . والتقلبات والتناقضات والمجادلات ، وحتى الاحتكاكات والاصطدامات، تشكل المجرى الطبيعي للثورة ، ولا ينبغي القلق بشأنها. لكن صحافة الحزب ، مستعيدة اعلان البنود الستة عشر ، كانت تؤكد دائما على ان تحقق الجماهير انتصار الافكار الصحيحة بمعارضة اعمال العنف . ولا ينبغي على المجموعات المتعارضة ان تتبادل النعت الشائن بـ «الملكية» ، او ان تنصرف الى المشاجرات ، بل عليها ان تجهد في اقناع بعضها البعض ، كما يشير كذلك هذا الاعلان .

مسألة الاضطرابات :

عند هذا الدور، يجب ان نذكر عددا من الامور المتعلقة بالاضطرابات التي وسمت الثورة الثقافية . ينبغي ، في رأينا ، ان نحترس من ان لا نرى سواها . في المرحلة التي فرغنا من تفحصها ، مثلا ، بدأت اضطرابات ملحوظة ، لكنها لم تكن تشكل سوى سمة ثانوية للوضع ، لكون السمة الأهم هي في تحرك الجماهير وامتداد التمرد الى الصين كلها ، تحت تأثير الحراس الحمر ، وعلى الاخص دخوله الى المصانع، وهي اهداف مطلوبة ومبلوغة .

ويظهر ان الاضطرابات في الصين ترى بمنظار مختلف عن المنظار الذي يسيطر في البلدان الرأسمالية . في بلداننا ، تبدو الاضطرابات العادية ، بسرعة ، غير محتملة بالنسبة لعديد من الاشخاص ، وتثير قلق قسم كبير من الرأي العام ، ويرى المسكون بالسلطة ان من واجبهم في حالة مثيلة ، القيام بتصريحات شديدةالحزم متعلقة بالحفاظ على الامن. اما في الصين يبدو ان النظام ، الذي يقود البلاد ، يرى ان مقدارا معينا من الاضطرابات وأعمال العنف ، امر طبيعي في بعض الظروف . ومنذ اثني عشر عاما ، كتب ماوتسي تونغ : «في بلد كبير كبلدنا ، لا يجب ان ندهش للاضطرابات التي يثيرها عدد قليل من الناس» . وخلال الثورة الثقافية ، ذهب ماوتسي تونغ أبعد من ذلك ، وقال في تصريحات لم

تنشر بالوسائل الرسمية : «كلما كان هناك اضطرابات أكثر ، كان ذلك افضل » (١) .

ومن البدهي أن اتساع الصين يميل الى التقليل من مدى وآثار الاضطرابات . فهذه تبقى دائما محصورة تقريبا . وعمليا ، لا يمكن تصور اضطرابات شاملة فيها . وفي هذا التصريح في تموز ١٩٦٧ ، والذي اوردت فقرة منه ، كان ماو يؤكد ، مثلا . «في مجرى التحولات الهائلة التي حصلت خلال السنة الماضية ، كان هناك اضطرابات غالبا . والاضطرابات التي تجري من مكان الى اخر ليست مترابطة . ومن جهة اخرى ، ان الصراع حتى العنفي منه ، امر حسن . وما أن تظهر التناقضات الى وضح النهار ، حتى يصبح حلها سهلا» .

ونرى أن تصورات كهذه ، تضيء بشكل جديد الحوادث الحاصلة في الصين خلال الثورة الثقافية . وغالبا ما كانت تفسر في الخارج على انها مظهرا للصعوبات التي كان ماوتسي تونغ يصادفها في تطبيق سياسته ، وهذا ما هو صحيح نسبيا . وبالحقيقة بدهي ان مصدر تلك الاضطرابات كان معارضة الخط الرسمي . ولكن ، غالبا ما اغفلت الاشارة الى ان ذلك كان مقصودا تقريبا ، وأن تطورها كان مسموحا به . ولا يمكن ان يفسر التهليل الذي صاحب تعليقات اخصام الصين على الاحداث التي جرت فيها ، وأعني القادة السوفيات بالتحديد ، الا بعدم الفهم لذلك الجانب من الامور .

لا يمكن تصور ثورة ما دون تعبئة كثيفة للأهالي . ولا تخرج الثورة الثقافية البروليتارية على هذه القاعدة . ان اية تعبئة جماهيرية غير ممكنة اذا مورست عليها ضغوط حكومية شديدة . فلكي تكون الثورة الثقافية ممكنة ، كان على الدولة الصينية ان تقيد ، بمبادرتها الذاتية ، رقابتها على الحياة الاجتماعية. وكان ينبغي ، دون ازالة نظام ديكتاتورية البروليتاريا ، اعطاء أقصى مدى لبعض اشكال الديمقراطية الجماهيرية. وكذلك ، تبعا لمبدأ ارخاء المركزية هذا ، حدت الشرطة والجيش ، والحكومة التي تسيرهما ، من تدخلاتها خلال الثورة الثقافية ، تاركة للجماهير ان تسوي بنفسها المشاكل التي كانت تبرز في مجرى الحركة، والاختلافات التي يمكن ان تظهر فيما بينها . في ظروف كهذه كانت الاضطرابات حتمية ، تقريبا . وقد توقع ذلك اعلان البنود الستة عشر وقال بصراحة : «لنعطي الاولوية للاندفاع ، ولا نخاف الاضطرابات» . بل ان هذه كانت ضرورية ، اذا كان يراد ان تتربى الجماهير عبر تجربة النضال ، وعلى الأخص الشباب الذين لم يكونوا قد رأوا ثورة قط .

---

(١) انظر الملحق الرابع .

وهنا ايضا كان اعلان البنود الستة عشر قد حدد الوجهة بهذه العبارات : «بما ان المقاومة شديدة جدا ، سيعرف الصراع مدا وجزرا ، بل جزرا متكررا . هذا المد والجزر ليس فيه اي شيء ضار . وهو يسمح للبروليتاريا ولفئات اجتماعية اخرى ، وبالتحديد للجيل الشاب ، ان ينغمسوا فيه وأن يستخلصوا الدروس والتجربة منه ، ويساعدهم على ان يفهموا ان الطريق الثوري شاق ولا يخلو من العوائق» .

كوابح جديدة . صراعات جديدة :

في كامل هذه المرحلة التي تمتد من بداية آب الى تشرين الاول من عام ١٩٦٦ ، شهد امتداد لحركة الثورة الثقافية ، التي عمت الصين كلها، لكن ، دون ان يتعمق مضمونها .

وكان من الغريب جدا ، ان حادث مجموعات العمل خاصة ، والمشاكل اللاهبةالتي ولدها ، مرت بصمت تقريبا، ما عدا ادانة نشاطاتها الذي حمله اعلان البنود الستة عشر ، وتراجع ليو وتنغ في التسلسل، هناك قليل من العلامات يدل على ان المشكلة كانت قد بحثت. رغم ذلك، لا شك ان الدورة العامة الحادية عشرة كان لها ان تناقشها . لكن ، يبدو ان المسألة لم تلق نتيجة نهائية ، ولم يوجه الى رئيس الجمهورية والسكرتير العام للحزب اي نقد رسمي . وقد انسحبت مجموعات العمل ، ولم يعد يجري الحديث بشأنها . ويمكن الاعتقاد ان الحادث قد اعتبر منتهيا .

لم يكن يبدو ان ماو وأنصاره كانوا يريدون توسيع ميدان الثورة الثقافية البروليتارية . هل كانت المعارضة ما تزال قوية جدا كي تمنعهم من التقدم اكثر ؟ هذا ليس مؤكدا . محتمل اكثر ان الماويين كانوا يعملون حسب خطة تدريجية ، ويفضلون الانتظار ، وهم يشحذون اسلحة جديدة . خلال الصيف ، كان ماو وأنصاره يجهدون في الاسراع بالتعبئة الجماهيرية ، وقد نجحوا بذلك . فنشروا ، عن طريق مفجر الحرس الاحمر ، الميل غير العادي الى التمرد ، وشجعوا على انشاء المنظمات الجماهيرية ، ممركزين بذلك الجهاز الذي سوف يسمح لهم بالبدء في المرحلة التالية . في غضون ذلك بقيت الاهداف غامضة : النضال ضد العادات القديمة ، فضح عناصر جديدة من العصابة السوداء ، كانت هذه غايات على مدى قصير . وبعودة الى الوراء، ظهر صيف الحراس الحمر، رغم الدعاية الضخمة التي احيط بها في الخارج كحدث لا يستهان به ، لكنه بالواقع كان غامضا . فكان لدينا انطباع بأننا نشهد الاستعدادات للمعركة ، وليس المعركة نفسها . فماوتسي تونغ يعبىء جنده ، وتلك هي عشية الصلاة للمعركة التي سوف تنشب في الخريف .

ويقابل هذا الوضع ، نوع من التوازن الوقتي والمتقلقل في اللجنة

المركزية. وكان الماويون قد وضعوا حدا لنشاطات مجموعات العمل ، وحثوا ، بانشاء الحرس الاحمر ، على التعبئة الجماهيرية. ولكن الاضرار كانت ما تزال محدودة ، ولم يحق بالمعارضة هزائم مرة جديدة . وكان ليو وتنغ ما يزالان في مكانيهما ، وان في وضع متراجع .

مبدئيا ، كان الجميع متفقا على الهجوم على العصابة السوداء ، التي اصبحت عديمة الخطر ، بيد ان كل ميل كان يتأهب لمجابهات جديدة . لان المعارضة ، كما رأينا ، لم تكن باقية دون نشاط . وتنسب الى ماو هذه العبارات بشأن اعلان البنود الستة عشر ، في ختام الدورة العامة الحادية عشرة : «لا ينبغي ان نتصور ان ما هو مكتوب في قرار ، سوف تطبقه تلقائيا جميع لجان الحزب !» .

وبالفعل ، في كثير من الامكنة ، حيث كانت التعبئة الجماهيرية قد قيدت وهوجم الثوريون خلال فترة الخمسين يوما ، لم يكن يشهد تحولا جذريا في الموقف . فلم يطبق اعلان الثامن من آب بحذافيره .

تاوشو ، رجل الساعة :

بعد ذهاب مجموعات العمل ، شهد في بكين وصول «ضباط ارتباط» . هؤلاء الاشخاص ، القليلو العدد ، كانوا مكلفين ، نظريا ، بتأمين التنسيق بين النشاطات السياسية ، التي تدخل في اطار الثورة الثقافية ، في مختلف المدارس والكليات والمصانع . وكانوا على اتصال مع الهيئات القيادية للحركة ، الـ (م.م.ث.ث) الى جانب غيرها ، وبشكل اساسي مع الرجل الذي كان نجمها الصاعد في تلك الفترة : تاو شو .

وهو كادر قديم في الحزب الشيوعي الصيني وذو ماض نضالي : كعضو في الهيئة الدائمة للمكتب السياسي ، كان لفترة طويلة مسؤولا نافذا في كوانغ تونغ و ووهان ، حيث يتمتع بصداقات عديدة في التسلسل المحلي للحزب ، كبير القامة ، في الستين من عمره ، لكنه ككثير من الاسيويين يبدو اكثر فتوة ، وتغطي وجهه ذا الملامح البارزة لحية رمادية . في نهاية الدورة العامة الحادية عشرة ، كان قد حقق صعودا بسرعة هائلة ، حيث انتقل من صف وسطي نسبيا الى المرتبة الرابعة ، بعد شو آن لاي وقبل ليو وتنغ (١) .

وقد اعتبر المراقبون الاجانب تاوشو كعنصر صدام ماوي وأن ترقيته الى مراكز عليا كانت بفضل الثقة التي اعتقد انه يوحي بها الى رئيس الحزب . وبذلك بدت تنحيته في وقت لاحق غير مفهومة .

والواقع ان المظاهر في الصين خداعة ، وغالبا ما لا يرى من الخارج سواها . فليست الترقيات التي ينعم بها البعض دليلا على الثقة،

---

(١) انظر الصفحات السابقة .

احيانا ، بل هدايا مسمومة الى الاخصام الذين يراد اسقاطهم . وبعودة الى الوراء ، هكذا بدت ترقية تاوشو .

كان ، بصفته مستشار المجموعة المكلفة بالثورة الثقافية ، العضو الاكثر نفوذا فيها . فجميع المسؤولين الاخرين الاعضاء في المجموعة كانوا ادنى منه في التسلسل القيادي . ففدا بذلك ، عمليا ، الرقم واحد في هذه الهيئة ، قبل رئيسها الاسمي تشن بوتا. وهو الذي سوف يقوم بتطبيق الخط الوسطي ، الذي تحدد بعد الدورة العامة الحادية عشرة : متابعة الثورة الثقافية المركزة ضد كتلة بنغ شنغ — لوتنغ—يي ، ومراعاة ليو شاوشي وكنغ هزياو—بنغ . وقد جعل تاوشو من نفسه الناطق باسم هذه السياسةفي الدورة العامة الحادية عشرة . وكان ماوتسي‌تونغ يعرف جيدا انهذه طريقة لحماية اخصامه، وعائق جديد عليهان يتخطاه. وسوف يقوم بذلك بدقة تكتيكية مجربة . فسمح بلباقة ، لهذا الاتجاه الذي اوكل الى تاوشو امر تنفيذه ، ان يتطور . وسوف يرفضه فيما بعد باعتباره عائقا جديدا امام تطور الثورة الثقافية ، سيكون مسؤولا عنه تاوشو نفسه .

بذلك تواصلت الحركة ضد العصابة السوداء ، بتوجيه من تاوشو: وقد قام بتصريحات عديدة في هذا المعنى امام ممثلي الحراس الحمر في العاصمة . وعنه صدرت فكرة ارسال «ضباط الارتباط» الى الجامعات، وقد اختارهم بعناية من بين رجاله الخلص . وكان الشخص الرئيسي بينهم هو وانغ غن—تشونغ ، عضو اللجنة المركزية ، وقيادي هام في ووهان ، والذي نسق بينها ، ووضع تحت سيطرته المباشرة ، عن تصميم ، جامعة تسنجهوا الشهيرة .

وقد ساهم ضباط الارتباط بفعالية بالغة في منع انحراف النقد عن كتلة بنغ شنغ — لوتنغ—يي . وهذا ما قادهم الى القمع ، المباشر تارة وغير المباشر تارة اخرى ، لكل محاولة اعادة بحث في فترة «الخمسين يوما» ، في جامعة تسنجهوا ، حيث كان القمع عسيرا ، باعتبار الكراهية والسخط ازاء ما قامت به مجموعة العمل ، لجأ وانغ غن—تشونغ الى مناورات متلوية ، لتجنب حصول نقد معمق لليو شاوشي وزوجته وانغ كوانغ—مي . وبما ان ضحايا مجموعة العمل لم يكونوا يصفون اليه، تجدد الضغط عليهم . وفي امكنة اخرى ، حيث كان بعض الاشخاص الذين هوجموا عن غير حق من مجموعات العمل ، يطلبون اعادة اعتبارهم ، عارضهم ضباط الارتباط بنفس الطريقة حتى لا يكون عليهم فتح ملف «الخمسين يوما» من جديد . من هنا ، نشأ نزاع «الوثائق السوداء» الشهير . فهناك ملف ايديولوجي لكل صيني يمارس مهنة ، يحفظ في «ارشيفات» لجنة الحزب في مكان عمله . فكان الاشخاص الذين حملت

عليهم مجموعات العمل يطالبون بأن تسحب من ملفاتهم الملاحظات التـــي كانت دونتها عليها مجموعات العمل . وهي ملاحظات خطيرة جدا اذ كثيرا ما كانت تلصق بهم اعمالا معادية للثورة . فيطالب الاشخاص المستهدفون بحرق «الوثائق السوداء» ، لانهم يرون ان الاحتفاظ بها يماثل الحفاظ على وسائل ضغط بيروقراطية وبوليسية ضد الثوريين . ولم يستجب لتطلباتهم لان الخط الذي اتبعه تاوشو هو عدم الاقدام على شيء يحرج ليو شاوشي . وبذلك بقيملف مجموعات العمل مطويا باحكام، واستمرت الوثائق السوداء موجودة في سجلات الاشخاص المعنيين . وهكذا استمر التوتر الناشيء خلال حادث مجموعات العمل . وتدريجيــــا ، انتهت العناصر الاكثر تمردا ، والتي كبحت مجموعات العمل نشاطاتها وحاربتها، الى الوقوف بوجه ضباط ارتباط تاوشو . وكما حصل في تموز ، ادى ذلك الى معاملتهم كعناصر معادية للحزب وللاشتراكية .

وكان احد وجوه سياسة تاوشو ، التي طبقها على الصعيد المحلي ضباط ارتباطه ، هو المساعدة على تكوين لجان الثورة الثقافية . وكان البند التاسع من اعلان البنود الستة عشر ينص على انشائها في المدارس، والادارة المحلية والمركزية وفي المصانع . من الناحية النظرية ، كان يجب ان يخضع تشكيلها للانتخاب وذلك بعد مناقشات ومشاورات واسعة . وعليها ان تعمل تبعا لمبادىء كومونة باريس ، وعلى الأخص ان تتضمــن امكانية العزل الدائمة للمنتخبين .

والواقع ان ضغط المعارضة كان بالغ القوة في ظروف تلك الفترة، من اجل التأثير على تشكيل اللجان ، ان عن طريق ضباط المعارضة او عن طريق القطاعات الحزبية التيما يزالون يسيطرون عليها. واصبح تاو شو ممثل تلك المعارضة ، والذي كان يواصل تطبيق سياسة مجموعات العمل بعد ذهابها .

في الامكنة الرئيسية ، خاصة في جامعات بكين حيث كان التمــرد بالغ القوة والعناصر المعارضة لمجموعات العمل كبيرة العدد ، كبح ايضـا تدخل الجماهير الضروري بحسب البنود الستة عشر من اجل تعيين تلك اللجان . وقد توصل ضباط الارتباط ولجان الحزب الواقعة تحت تأثير المعارضين ، بل تاوشو مباشرة ، الذي زار العديد من مؤسسات التعليم العالي، توصلوا عن طريق مناورات مباشرة وغير مباشرة اليعزل العناصر الطليعية عن قيادة تلك اللجان ، وهي العناصر التي اشتهرت في حزيران وتموز بمقاومة خط ليو شاوشي . وقد تألفت تلك اللجان ، بأغلبها ، من عناصر توفيقية ، وحتى محافظة بشكل صريح ، التي وجهت الحركة ضد عصابة بنغ شنغ ــ لوتنغـيي ، دون غيرها ، ووقفت ، مأمورة ، بوجـه اعادة اعتبار ضحايا القمع الحاصل خلال «الخمسين يوما» .

وفي وقت لاحق ، اتهمت منشورات من الحراس الحمر تاوشو وضباط ارتباطه بأنهم ارادوا منع تطور المبادلات الثورية (شيان–لين) ، اي تنقلات طلاب بكين في المقاطعات ، وتفتقد بالنسبة لهذا الامر عناصر التقدير . على كل حال ، لا يبدو ان المعارضة ، من هذه الزاوية ، كانت شديدة الفعالية .

٣

من تشرين الاول حتى كانون الاول ١٩٦٦ نقطة اللارجوع

افتتاحية « الراية الحمراء » الثالثة عشرة

قطع الخطوة الحاسمة :

عند قراءة افتتاحية **الراية الحمراء** الصادرة في الثالث من تشرين الاول عام ١٩٦٦ ، ادرك كثير من الصينيين ان الثورة الثقافية في طريقها الى انعطاف جديد . مجمل القول ، كان الصيف فترة من التذبذب . في حزيران وتموز كان ذلك الحادث الغريب ، حيث ارسلت مجموعات العمل فجأة ، ثم سحبت بنفس السرعة ، ولم تمر دون ان تترك وراءها بعض الذكريات المرة. ثم راحوا يتحدثون عن شيء اخر، عن العصابة السوداء، من جديد ، وشرورها ، والنضال ضد التراث ، والبورجوازية . وبعد ذلك كان اولئك الحراس الحمر ، الذين يروحون ويجيئون ، ويحدثون كثيرا من الجلبة ، ولا يكفون عن التحرك . ولم يعد البحث يدور حول مجموعات العمل . ومع ذلك فقد كان وجودها في الجامعات اثار العديد من المشاكل ، نحكم بها بدليل المناظرات والاصطدامات التي بعثت عليها، والتي ما زالت مستمرة ايضا ، حسب بعض الشائعات . وكيف يفسر عدم وضع اسم وصورة ليو شاوشي وتنغ هزياو-بنغ الى جانب الرئيس ماو ، كما كان يحصل سابقا ؟ كان البعض يزعم انهم ارتكبوا اخطاء خطيرة عندما كانت مجموعات العمل تعيث فسادا . الم يكن معقولا ان الامرين مترابطان ؟

لقد بدأت تتبدد الحيرة والتساؤلات بظهور العدد الثالث عشر من **الراية الحمراء** ، غداة العيد الوطني ، الذي لم يتسم هذه السنة

باستعراضات العربات المزينة بالزهور او المعارض الفنية ، بل باستعراض ضخم لاكثر من مليونين من الحراس الحمر و«المتمردين» ، دام سبع ساعات .

وقد نظمت في المصانع والمدارس والمكاتب وفي كل مكان ، قراءات جماعية لتلك الافتتاحية . وهكذا تأكد رسميا ان القمع ما زال مستمرا ضد الثوريين في بعض الامكنة . وأن اولئك الذين كانوا قد اتهموا ظلما، لم يبرأوا بعد ، وأن اشخاصا ، سيئي النية، ما زالوا يحرضون مجموعات طلابية على الاقتتال . وقد لاحظ قراء وسامعو الافتتاحية، للمرة الاولى، ظهور عبارات جديدة . فقد ذكر عن **صراع بين خطين داخل الحزب** . وتعلن بوضوح ان تيارا رجعيا حقيقيا معارضا لماوتسي تونغ ، ظهر في قيادة الحزب منذ بداية الثورة الثقافية ، وما يزال موجودا .

وتذكر الصينيون الذين لديهم تجربة المعارك السياسية ، التي كان لهم ان يتابعوا مسيرتها منذ التحرير ، قضية كاو كانغ عام ١٩٥٢ والحملة ضد اليمينيين عام ١٩٥٧ . وعرفوا انهم سيشهدون صراعات مماثلة . وليس اكيدا ان جميعهم ادرك ان المعارك القادمة سوف تتخطى باتساعها كل ما كان بوسعهم ان يشاهدوه حتى ذلك الوقت .

وبالمقابل ، حين قراءتهم للافتتاحية ، استشف الكثير منهم عندما اكتشف هذه الاسطر : «اذا بقي اولئك الذين ارتكبوا الاخطاء ، على موقفهم ، وبالغوا في اخطائهم ، فان التناقضات قد تصبح تناحرية» ان هذا التحذير يتوجه الى اشخاص في مراكز عليا ، قد جنبوا الحملات حتى الان ، وأن مصاعبا تنتظرهم .

وقد تعزز ذلك الشعور لدى اهالي بكين ، عندما اكتشفوا ، بعد بضعة ايام ، في عدد من مفارق مدينتهم ، بيانات تنشر نصا كان الرئيس ماو قد كتبه خلال الدورة العامةالحاديةعشرة ، قبل شهرين . وتقول هذه البيانات ان «بعض القادة» خلال «الخمسين يوما» ، عندما كانت مجموعات العمل تمارس نشاطاتها ، قد اتخذوا موقفا رجعيا ، وحاولوا خنق الثورة الثقافية البروليتارية : «لقد عكسوا الصواب والخطأ ، وجعلوا الابيض اسود ، وهاجموا الثوريين ، ونشروا الرعب الابيض»(١). ان اتهامات كهذه كانت جد خطيرة ، وتنبىء ، دون شك ، عن احداث جسيمة .

منذ ايار ، انتزعت صلاحيات بنغ شنغ ولوتنغ يي ومساعديهم المقربين ، فلم يكن بوسعهم القيام بأي دور سياسي . من كان اذن اولئك

---

(١) انظر «انباء بكين» العدد ٢٣ ، آب ١٩٦٧ . والنص بعنوان : **نار على القيادة العامة .**

القادة اللذين لمح اليهم ماوتسي تونغ دون ان يسميهم ؟ ولم يكن الجواب يحتمل الشك : فالمقصودان هما ليو شاوشي وتنغ هزياو بنغ .

في الايام التالية سرت اشاعة في بكين ان البيانات التي تنتقد هذين الرجلين، مسمية ، قد وضعت في جامعة بكين كما في تسنجهوا. وفي نفس الوقت ظهرت في شوارع مركز العاصمة بيانات تنتقد بشدة لي سي-فونغ ، المسؤول الجديد عن بلدية بكين ، والذي اشرنا الى دوره في ارسال مجموعات العمل .

مذ ذاك تسارعت الاحداث. وفي نهاية تشرين الاول اشارت بيانات وضعت فيالمدينة الى ان ليو شاوشي قام بنقد ذاتي امام اللجنة المركزية في الثالث والعشرين من نفس الشهر ، وقد اوردت مقاطع من ذلك النقد . وتشير البيانات كذلك الى ان ذلك النقد لم يكن كافيا ، ولا يحل المشاكل المطروحة .

وفي مناسبة لقاء سادس بين ماو تسي تونغ والحراس الحمر ، في ساحة تين آن مز ، عاد لين بياو بدوره الى ذكر الصراع بين خطين داخل الحزب ، بشكل واضح . وبالتدريج ، اخذ طابع الصراع ومحتوى الثورة الثقافية بالتكشف .

كان هناك صراع بين الاتجاهات على ارفع مستوى ، لم تكن ازاحة كتلة بنغ شنغ قد وضعت له حدا . وقد تضاعف بصراع آخر ، اكثر اتساعا ، يتجابه فيه ماوتسي تونغ مع كتلة اخرى من القادة، من مستوى ارفع ايضا ، كان وضعها حتى ذلك الوقت ، يبدو اكثر متانة ، وليس دون مبرر .

بعض الاشارات الى الآداب السياسية ومعاملة المعارضين في الصين :

هنا لا بد من عدد من الاشارات لبيان سبب تطور الوضع السياسي على هذه الصورة . وعلى الأخص ، ينبغي وصف بعض الممارسات السياسية الدارجة في الصين، والتي من شأنها ان تثير ارتباك الاجانب.

بعد حادث مجموعات العمل وانعقاد الدورة العامة الحادية عشرة ، كان ماو قد حقق انتصارا على اخصامه ، بادانة اتجاههم وانزال رتبهم في التسلسل ، رغم ذلك فمن النادر ان يعتبر المعارض عدوا على الفور وأن يكون مصيره الطرد من الحزب الشيوعي ، كما حصل ويحصل في الاتحاد السوفياتي مثلا . وأكثر من ذلك ، ففي الصين هؤلاء الاشخاص ليسوا مهددين بالتصفية الجسدية .

وبشكل عام ، يرى المعارض نفسه في هذا الموقف : فلا يصنف نهائيا ، وتحترس صحافة الحزب وهيئات الحزب الرسمية من اطلاق

حكم نهائي عليه او تسميته . وبالمقابل ، فقد يكون موضع النقد خلال الاجتماعات الداخلية للهيئة التي ينتمي اليها . وبالنسبة لليو شاوشي كان لذلك ان يحصل خلال اجتماعات امانة الحزب الموسعة او المكتب السياسي . بالاضافة الى ذلك فقد يكون موضع نقد مع ذكر اسمه ، لكنه لا يتخذ طابعا رسميا : وهذههي البيانات التي يضعها في الشوارع الطلاب او العمال .

خلال الثورة الثقافية ، كانت تلك البيانات الكثيرة ، والتي تنتقد كثيرا من قادة الحزب ، لا تلزم سوى اصحابها ، وسنرى ان الهيئات المركزية للحزب كانت بعيدة عن ان تأخذ بحسابها جميع الحملات التي احتوت عليها تلك البيانات .

وعند انتهاء مرحلة طويلة نسبيا ، يحدد اخيرا وضع الشخص المعارض . فاذا قدر انه غيّر من موقفه ، يمكنه عند ذلك ان يستعيد نشاطاته السابقة، و«ُينسى» كل ما كان للبيانات في الشوارع ان تقوله. وبالعكس ، اذا قدر انه ما يزال باقيا على اخطائه ، فقد يجرد من صلاحياته ، بل يطرد من الحزب . وفي هذه اللحظة يظهر اسمه رسميا في الصحف حيث يشار اليه كخصم للحزب .

وهذه المعاملة قابلة لان تصبح قاسية اكثر فأكثر ، ولنوع من التصعيد ، تقدم المثال عليه حالة ليو شاوشي . فقد جرى الحديث في الدورة العامة الحادية عشرة عن اخطاء مجموعات العمل والحملات المضادة التي استهدفت الثوريين ، وذلك دون الاشارة اليه . وبالمقابل ، فقد تراجع في التسلسل ، وهذه علامة اولى على انه اصبح في وضع اكثر صعوبة . وفي تشرين الاول ، ودون تسميته ، ذكر بيان ماوتسي تونغ، الذي يلمح الى خطه الرجعي البورجوازي ، وهو اكثر قساوة بكثير . وقد اتت الصحافة ، من جانبها ، عن طريق تلميحات شديدة ، على ذكر خط رجعي بورجوازي وتناقضات غير تناحرية لكنها يمكن ان تصبح كذلك ، دون ان تسمي ليو شاوشي .

وأخيرا ، تصعيد جديد : ُسمح للطلاب وشجعوا على وضع بيانات تنتقد رئيس الجمهورية مع تسميته . كل ذلك يمكن ان يبدو معقدا كثيرا بالنسبة للغربيين ، لكن الرأي العام الصيني كان يتابع تدرج مختلف هذه المراحل ، ويألف هذه الممارسات ويعطيها في كل مرة الدلالة المناسبة .

واذا كان هذا الاسلوب متلويا ، لكنه ليس عبثيا . فاذا ما استعاد المعارض نفوذه السياسي ، قبل ان تكون ازاحته ممكنة ، لا يكون قد حصل اي شيء رسمي لا يمكن اصلاحه . وهذا يمكّن من تسهيل التسويات فيما بعد ، اذا تغير ميزان القوى السياسي . وعندما يطرد

معارض من الحزب ويذكر باسمه في الصحافة ، ذلك يحصل عادة عندما تكون اتخذت جميع الاحتياطات التي تشل قدرته . ويترك هذا الاسلوب، أطول وقت ممكن ، باب خروج للمعارض . خلال هذا الوقت ، يكون بامكانه العودة عن آرائه واصلاح اخطائه . واذا ما فعل ذلك ، ساهم هو نفسه بانضباط معين المعارضة ، وهذه خدمة ثمينة يكافأ عليها احيانا بالابقاء عليه في منصبه .

ومن اجل ذلك يلجأ الى النقد ، والذي خضع له ليو شاوشي في تشرين الاول عام ١٩٦٦ ، كما اشرنا سابقا . في المجتمعات الغربية المفرطة بالفردية ، ينظر الى النقد الذاتي بازدراء . وحديثي ، هنا ، ليس سوى تفسير لما يقوم عليه هذا النقد والى اية غاية يرمي ، بالاشارة الى انه ، فيالصين حيث الفردية قليلة الشأن ، دخل بشكل واسع في العادات ولا يبدو ان احدا يرفضه .

النقد الذاتي هو البيان الذي يعطيه الفرد عن الاتهامات الذي يوجهها اليه اشخاص آخرون ، وعادة زملاؤه في العمل . ويتطلب وقت كبير حتى يلقى النقد ، فيدونه ، ويدرسه ، ويكتنهه ، فيتبناه . وبذلك تكون جلسات النقد الذاتي متكررة .

وعندما يتعلق النقد الذاتي بشخص عادي ، يكون الهدف منه دفعه الى اتخاذ موقف مماثل لموقف الاخرين ، والتقليل بذلك من مظاهر النزعة الفردية . وهذا يمكن ان يحصل ، مثلا ، عندما يظهر احدهم عن اهمال في العمل .

وعندما يتعلق الامر بمعارض سياسي ، فالنقد الذاتي الذي يدفع اليه له هدف اكثر دقة : لانه يؤدي الى القمع الذاتي للمعارضة . وعدا انه يتجنب الاعتقالات والتصفيات مع ما يرافقها من الكراهية والاحقاد التي لا تزول، فهو يؤدي الى القضاء بفعالية علىالاتجاه الفكري المعارض. وكلما كثر النقد الذاتي كلما ضاق اتساع المعارضة ، كجلد الحيوان ، وضعف نفوذها السياسي ، لأن اولئك الذين كانوا باقين على اخلاصهم لاتجاه فكري، يصبحون أقل حظا بالبقاء، عندما ينكرهممثلوه الرئيسيون. ان تعدم المعارضة هذا يجعلها شهيدة قضية ، ان تجعلها «ترتد» هذا يوحي بعدم صحة تلك القضية .

وختاما ، ينبغي ان نضيف ، انه اذا كان من النادر ان يرفض النقد الذاتي معارض ، فليست كل الانتقادات الذاتية مقبولة . فلا ينبغي ان تبقى شكلية بل ان تمس جذر الصراع ، كي تولد العودة الى الوفاق . وقد رفضتمختلف الانتقاداتالذاتية التيتقدمبها ليو شاوشي منزملائه.

خلال الثورة الثقافية . وهذا ما يعيدنا الى تتابع الاحداث التاريخي .

الانعطاف الكبير :

يقابل فصل الخريف ، بالنسبة للثورة الثقافية البروليتارية ، مرحلة من التعقيد المتزايد والاضطرابات . فقد ادى الهجوم الجديد على الخط الرجعي البورجوازي الى عدد من النتائج ، ليس أقلها المقاومة التي سيثيرها . وبالفعل راحت المعارضة توجه قواها من اجل الدفاع عن نفسها والقيام بهجوم معاكس .

لقد تطرقنا سابقا الى وضع تلك المعارضة ، غير المرئية ، المتفلتة، والتي لا تجرؤ على البوح باسمها . وقد جاءت تصفية كتلة بنغ شنغ تكشف صفوفها، لكن ، لم تفعل الا قليلا. وقد اقامت نشاطات مجموعات العمل ، في حزيران وتموز ، اول متراس ثمين لها ، قبل ان تأتي الدورة العامة الحادية عشرة تدينها . لقد انتقد ليو شاوشي وتنغ هزياو–بنغ لكنه لم يتخذ اي اجراء ضدهما ، ولم تطلق اية عملية تطهير . وكانت مرامي الحركة قد بقيت محصورة . من الناحية الرسمية ، لم يكن يستهدف سوى كتلة بنغ شنغ «السوداء» ، لكن ما من شيء يضمن ان الامر سيقف عند هذا الحد . فقد يفتح ملف ليو–تنغ من جديد ، في اية لحظة ، وكان هذا التهديد مسلطا كسيف ديموقليس حقيقي .

حتى ان البعض ، خلال اجتماع آب ، تمنى ان يسوى اساس المشكلة دون امهال . رغم ذلك لم يكن بامكانه انجاح القرار ، فاتبع خط وسطي .

كان تاوشو ، من جهته ، يريد الاصرار على فضح بنغ شنغ ، ووجوده على رأس (م.م.ث.ث) ، الذي كان مستشارا لها ، يضمن تطبيق الخط الوسطي . كان يقول عن ليو شاوشي وتنغ هزياو–بنغ انهما «ثوريان عجوزان امام مشاكل جديدة» . فالمسألة التي ينبغي حلها بالنسبة لهما هي «مسألة وعي» . فلم يفهما الظروف الجديدة للصراع ، ولم يستعدا لها جيدا . كان تاوشو يقلل من شأن المسألة، وطيلة الصيف كان يعتقد ان موقفه هو الراجح .

لكن الامور ساءت بالنسبة للمعارضة . فقد نشر الحراس الحمر في كل مكان عادة كتابة البيانات وفضح البيروقراطية وانتقاد الكوادر . ولم تعد تلك الممارسات وقفا على المدارس والجامعات ، بل انتشرت بشكل واسع وعلى الأخص في المصانع . وقد شعر المعارضون بالقلق امام هذا التحرك وهذا التمرد الغريبين . الا يحضر ماو وأنصاره هجوما جديدا اكثر اتساعا ؟

الا يقال ان بعض الهائجين في جامعة تسنجهوا وهم انفسهم دائما، لم يكتفوا بالهجوم على ضباط الارتباط وعلى لجان الثورة الثقافية ، الجديدة ، وذهبوا الى حد الهجوم على ليو شاوشي بذكر اسمه ، وزوجته ، مشيرين اليهما كخصمين ؟

عندما فضحت افتتاحية **الراية الحمراء** ، في الثالث من تشرين الاول ، الخط الرجعي البورجوازي ، ودعت الى البحث من جديد في كل ما فعلته مجموعات العمل ، وكشفت عن الضغوط التي مارستها على الجماهير، والقيود على تعبئتها، والرفض المستمر لاعادة اعتبار الثوريين، استبد القلق بالمعارضين .

وساءت الامور كثيرا لان الحملات لم تبق موجهة ضد كتلة بنغ شنغ فقط ، بل تعدتها الى ليو شاوشي وتنغ هزياو بنغ كذلك . وقد تضاعف القلق عندما علم المعارضون ان الطلاب صاروا يلصقون بيانات في عرض المدينة ، معادية لرئيس الجمهورية ، وأن (م.م.ث.ث) ، التي كانت حتى ذلك الحين ضمن خط تاوشو ، كانت تسمح لهم بذلك. لقد بدأت تنشب الجولة الحاسمة . ومنذ ذلك الحين ستروح المعارضة تناضل بحماس ، ضاعفمنهكثيرا الشعور بأنصيغة التسويةالتييجسدها تاوشو قد أزيحت.

اسلحة المعارضة :

كانت المعارضة مؤلفة من اعضاء في اللجنة المركزية ومختلف المسؤولين المحليين الواقعين تحت تأثيرهم ، وقد حرمتهم عادة التمرد على القرارات والرؤساء ، والتي اصبحت منتشرة ، من قسم كبير من قوتهم القائمة على علو المراكز التي يشغلونها، والتي تسمح لهم بالمناورة بقطاعات هامة من جهاز الحزب . واصبح منع التعبئة الجماهيرية عن طريق التوجيهات الماهرة نسبيا ، امرا صعبا . بيد انه كان يوجد بين هذه الجماهير التي تتمرد وتنتظم ، كثير من التشويش والخلافات الواسعة في الرأي حول مشاكل ملموسة متنوعة . وبما ان الجميع يعلن انتماءه الى ماوتسي تونغ والثورة الثقافية ، سيكون الخداع الفعال ممكنا .

كانت الخلافات بين الاهالي عديدة . وقد رأينا أن الثورة الثقافية لم تتطور بنفس السرعة في كل الصين . بعد صيف الحراس الحمر ، انتشرت الحركة في كل البلاد ، غير ان الانقسامات بدأت تظهر بين العاملين ، حيث تطورت النقاشات والجدالات في امكنة العمل .

يوجد في كل جماعة بشرية محافظون وتقدميون وعناصر وسطية. وهناك من يحصل الوعي عنده بسرعة اكبر ، وطبعه يتجه تلقائيا الى التمرد ، بينما يوجد آخرونيستكينون بسرعةاكبر الى الروتين والسلبية.

وفي المصانع الصينية هناك فروق اعمق بين بعض الفئات العمالية التي تنال اجورا افضل ، فهي حاصلة على بعض الامتيازات النسبيه ، وأقل اندفاعا الى التمرد وبين فئات أخرى في وضع اقتصادي ادنى . زياده على ذلك ، فقد انسحبت مجموعات العمل من مصانع ومدارس مختلفة، تاركة وراءها جوا من التناقضات والانقسامات . كل ذلك كانت نتيجته ان الخط الرجعي البورجوازي كما الخط الثوري البروليتاري ، فهما بشكل مختلف في كل وحدة عمل او تعليم ، مأخوذة على حدة .

كان الجميع يؤكد موافقته على محاربة الاول ومساندة الثاني ، لكن ذلك لم يكن يمنع الاختلافات . وفجاة طرحت مشكلة معقدة . فأصبح الحكم الذي كان على الجماهير ان تتخذه بشأن قيمة كوادر الحزب . مصدرا لنزاعات وتناقضات ، كان لها ان تستمر بحدة فترة طويلة من الثورة الثقافية . ونذكر بالفعل ان الكوادر، خلال فترة مجموعات العمل، كانوا في وضع صعب، فكانوا اهدافا لمجموعات العمل وبالتالي ضحاياها، وثم معاونين لها في القمعوبالتالي «ادواتها». فكيف يمكن تقديرهم بترو في هذه الظروف ، مع كل الحساسية والنزاعات بين الاشخاص التي اثارها موقفهم السابق ؟

وقد تجسدت هذه الاختلافات في ظهور منظمات جماهيرية مختلفة تتجابه وتقوم بمناظرات عنيفة : الواحدة تؤيد بعض كوادر الحزب والاخرى تهاجمه ، وبالعكس . وبدأت «الترسيمة» النموذجية التيسنصادفها طوالالعديد منمراحلالثورة الثقافية، بالظهور فيالمدارس والمصانع : الكتلة ـ١ـ تهاجم ـأـ وتؤيد ـبـ ، الكتلة ـ٢ـ تهاجم ـبـ وتؤيد ـأـ .

وقد عكست هذه المنظمات بسرعة تنوع السلوك السياسي للبشر : منها ما هي معتدلة ، موفّقة ، وأخرى محافظة بشكل سافر ، وغيرها دينامية ، في الطليعة دائما ، وغالبا ما هي مشاغبة ايضا . وقد وَجد المسؤولون الحزبيون الذين يتبعون خطا معارضا لخط ماوتسي تونغ ، (المعارضة غير المرئية والمتفلتة) فيهذا الجو الملبد فرصة ثمينة للمناورة. فاستطاعوا بسرعة ، بشكل مباشر او غير مباشر ، علناً او خفية ، ان يستخدموا كل الميول المحافظة التي ظهرت لمحاربة الميول الثورية .

وقد حاولوا ، باستخدامهم الاختلافات في الرأي ، التي ظهرت في كل مكان تقريبا ، بما يخص الكوادر ، حاولوا ، بنجاح نسبي ، تجنب تركز نار الحملات عليهم وعلى انصارهم الذين يشغلون مراكز على المستويات الدنيا في الحزب والدولة . وظهر عند ذلك تشابك في التيارات . وانعكس نزاع الاتجاهات في قيادة الحزب في عدد كبير من المجادلات بين المنظمات الجماهيرية في المصانع والمدارس . ولم يكتف

اخصام ماوتسي تونغ باستخدام هذا الموقف من اجل اتقاء نقد العناصر الطليعية ، بل راحوا يبذلون جهودهم في تسعير كل النزاعات ، وعلى الأخص اعطاءها طابعا عنيفا من اجل الابقاء على الجماهير منقسمة والحد بذلك من تعبئتها ، التي لم يستطيعوا الحيلولة دونها .

هجوم المعارضة المضاد

دور تاوشو :

في بكين ، نالت عملية الانقسام هذه بعض البروز ، في تلك الفترة. سابقا ، في شهر آب ، كانت قد تشكلت قيادتان عامتان للحراس الحمر في العاصمة ، من اجل التنسيق بين نشاطاتهم . وطوال الصيف ظهر نزاع بين الاتجاهات في كل من مركز القيادتين . هل ينبغي القيام بنقد معمق للخط المطبق خلال فترة مجموعات العمل ، او ينبغي اعتباره مجرد «حادث سير» ، والعودة الى الانطلاق بالحركة على الاسس التي كانت لها خلال شهر حزيران ، اي نقد كتلة بنغ شنغ ؟ ان الحكم على حادث مجموعات العمل وعلى المسؤولين الحزبيين الذين طبقوا خطا خاطئا في ذلك الوقت ، كان يتعلق الى حد كبير بموقفهم هم انفسهم . فاذا اغتنموا وجود «مخرج» مفتوح امامهم ، وأصلحوا اخطاءهم بتطبيق البنود الستة عشر ، كان ذلك سيحد بنفس الوقت من النقد الذي يوجه اليهم . اما اذا استمروا ، عندها ينبغي الذهاب الى ابعد من ذلك . وبالواقع ، بدا هذا الاحتمال ضروريا بعد فترة من الوقت ، لان البنود الستة عشر لم تكن تطبق باستقامة دائما في مناطق مختلفة ، واستمرت المعارضة لتطور الثورة الثقافية البروليتارية . وبما ان لجان الثورة الثقافية (١) بقيت متحفظة كثيرا ، لم يفتقد وجود شبان ثوريين راغبين في دفع حركة النقد والايغال بها . وبسرعة بالغة ، حكموا بالنزعة المحافظة على موقف القيادتين العامتين للحرس الاحمر .

وقد افضت من جديد هذه المجابهة بين العناصر المحافظة والعناصر الثورية بين الحراس الحمر الى تنوع في التيارات مماثل داخل قيادة الحزب ، بما ان تيارين اثنين كانا يتجابهان ، خلال الدورة العامة الحادية عشرة ، الاول يريد التقدم في عملية نقد ليو شاوشي والثاني يحاول حمايته . وقد رأينا ان هذا النزاع قد هدأ عن طريق تسوية كان يطبقها تاوشو . وبالفعل رأى هذا الاخير نفسه ، خلال شهري آب وأيلول ، مكلفا ، عمليا ، بتأمين قيادة الثورة الثقافية . وقد يكون شك في الامر ،

---

(١) انظر الصفحات السابقة .

لأن بنغ شنغ ، قبله، الذي كان يقود «مجموعة الخمسة»، وليو شاوشي بصفته نائب رئيس اللجنة المركزية وفي غياب ماو ، وجدا نفسيهما على رأس الثورة الثقافية ، الامر الذي لم يؤد الا الى الاسراع بسقوطهما . وأما مقتنع ، اليوم ، انه ينبغي ان يرى تكتيكا ماويا في هذه العادة المحيرة التي كانت لماوتسي تونغ في تقليد مسؤولية الثورة الثقافية ، بعض الوقت ، لاشخاص لا يشاركونه وجهات النظر .

خلال آب وأيلول ، كان لتاوشو القدرة على التأثير ، جوهريا ، على مسيرة الثورة الثقافية ، وكان يشغل منصبا اساسيا لكونه قد خلف لوتنغ-يي في قسم الدعاية . وكانت لديه غالبا فرصة استقبال الطلاب والتلاميذ والتحادث معهم ، كرئيس للجنة التربوية التابعة للجنة المركزية ، ومستشار المجموعة المكلفة بقيادة الثورة الثقافية . وهو الذي اعطى الاتجاه المحافظ للقيادة العامة الاولى والثانية ، للحراس الحمر . وقد رفضت هذه ، متبعة وصايا تاوشو ، في شهري آب وأيلول ، انتقاد ليو وتنغ في الجامعات ، وفتح ملف مجموعات العمل .

وهذه هي المرة الاولى ، كما نعلم ، التي يفسر فيها دور تاوشو في الثورة الثقافية . وقد تفاجأ المراقبون الاجانب عند سقوطه ، لان الرجل، كما سنرى فيما بعد ، تميز بالخطب العنيفة ، ومن هنا اكتسب الشهرة ب «التصلب» ، هذا يبرهن ببساطة على تهافت التحليلات المبنية على دراسات وضعت في الخارج ، والتي تبقى على سطح الاشياء وتنتمي في اغلب الاحيان الى «الانطباعية السياسية» .

القيادة العامة الثالثة للحرس الاحمر :

في بداية ايلول ، قامت مجموعات من الحراس الحمر ، وخاصة مجموعات جامعة تسنجهوا ومعهد الملاحة الجوية ومعهد الجيولوجيا ، بعد ان يئست من تحريمات وخمول القيادتين العامتين ، بتكوين قيادة ثالثة . وقد شرعت هذه ، منذ انشائها ، بالنضال ضد ليو شاوشي وتنغ هزياو بنغ، وبانتقاد الخط الذي طبقته مجموعات العمل خلال «الخمسين يوما» . وهنا ايضاً ، يمكن الاعتقاد ان قيام القيادة العامة الثالثة كان بدعم ضمني من ماوتسي تونغ ، يحتمل ان يكون قام به من جديد نصيره المخلص تشن بو-تا . وقد تشكلت نواتها من الطلاب الذين قاوموا مجموعات العمل في حزيران وتموز (احيانا بتشجيع من نفس تشن بوتا)، والذين لم يكفوا عن المطالبة، منذ ذلك الحين، ليس فقط باعادة اعتبارهم، بل ايضا بمحاكمة مجموعات العمل ، الامر الذي قادهم ، بذلك ، الى الوقوف تدريجيا بوجه ضباط ارتباط تاوشو . وعندما تم رسميا اطلاق

نقد الخط الرجعي البورجوازي ، المجسد بليو وتنغ ، في الثالث من تشرين الاول ، لم يمكن تفسير ذلك الا كتسفيه لخط تاوشو ، وشعر بالتشجيع اولئك الذين كانوا يقاومون هذا الاخير .

كان يتحتم على الهجوم الماوي الجديد ان يصطدم بمعارضة متسارعة، اصبحت عنيفة على الفور . في نهاية تشرين الاول وبداية تشرين الثاني، صعدت مجموعات من الحراس الحمر خلافاتها مع القيادة العامة الثالثة الى مرحلة الاشتباك بالايدي والصراع المسلح ، بتحريض من تاوشو. وقد لعب تاوشو دور الكابح في هذا النزاع بين الاتجاهات ، الذي كان يضع ماو بوجه ليو وتنغ ، بتلطيفه وقمعه للانتقادات التي كانت تهدد هذين الاخيرين . وابتداء من تشرين الاول ، غيرت الريح وجهتها . عند ذلك ، تلبس تاوشو شخصية المتحمس المتعصب ، بالقاء الخطب الجذرية في الظاهر ، والتي اختلطت على المراقبين الاجانب ، وذلك دون شك من اجل تجنب الهجوم الماوي الجديد .

وبعد الثالث من اوكتوبر جعل تاوشو من نفسه ، طوعا ، يساريا متطرفا ، وغدا كلامه لاهبا. لكن تلك التمويهات لصيقة بنشاط المعارضين داخل النظام الصيني ، وينبغي اخذها بعين الاعتبار، بعناية ، رغم عناصر التعقيد التي تدخلها على الموقف . ان خط تاوشو السياسي لم يتغير بالواقع ، وسوف نرى كيف يمكن تفسير هذا الثبات ، وراء تغير اللهجة. كان لا بد من انتقاد ليو شاوشي وتنغ هزياو بنغ ، لأن الجميع اصبح يقوم بذلك ، لكن تاوشو تدبر الامر كي لا يجعل منهما سوى خصمين بين كثير من الاخصام ، واستطاع ان يستعيد لحسابه خطة ليو مع مجموعات العمل : مهاجمة اكبر عدد من الناس لحماية قبضة منهم . — مسؤولون رأسماليون ؟ — يوجد كثير منهم وفي كل مكان ! هذا ما كان يحاول تاوشو الاقناع به . بذلك ينبغي مهاجمتهم بعنف مهما علا مركزهم . وكان له ان يقول : «يمكن انتقاد الجميع ، عدا ماو ولين بياو» . وهذا ما فتح الطريق امام حملة ضد تشن بوـتا وكيانغ تسنغ . وقاد تلك الحملة كل اولئك الذين يشعرون بالتضامن مع ليو شاوشي ومختلف المنظمات او الاتجاهات التي تجد نفسها ، لسبب او لآخر ، في موقف محافظ . واستهدفت الحملة كذلك عناصر الصدام الماوية ، وخاصة القيادة العامة الثالثة للحراس الحمر .

لا شك ان التيار المحافظ ، للاسباب التي عرضت سابقا ، الذي لم يعبىء قسما من القيادة الشيوعية فقط ، بل كذلك كتلة من الجماهير الصينية ، كان هو ايضا يعلن انه ماوي وثوري وبروليتاري . ورغم احتداد الصراع بين الاتجاهات وشدة المجابهات ، لم يخرق «الاتفاق» الايديولوجي العام ، وسوف تسير الامور على هذه الصورة ، طوال الثورة

الثقافية . والآن يحارب ماو اكثر من اي وقت مضى باسم ... ماو . وقد ادى ذلك الى بلبلة حقيقية، وأعطى لهذه الاحداث طابعا محيرا ، بالغ التشويش احيانا . مع ذلك ، كشفت هذه المرحلة عن صراع بين تيار راغب بالاحتفاظ ب «المثال» الماوي ، وتعميق الخصائص الثورية للنظام ، وبين تيار مخاصم ، يجد جذوره الاجتماعية في كل ما يمكن اعتباره مصدرا للامتيازات او الامتيازات النسبية، فيالمجتمع الصيني.

ليائدونغ :

هذه السمة للأمور ستروح تبرز عبر حوادث خريف عام ١٩٦٦ . وكانت علاماتها بادية لدى الطلاب بقدر العمال .

كان حراس حمر القيادة العامة الثالثة ، الحديثة التكوين ، رأس حربة الهجوم الماوي الجديد ، الذي دلت عليه بشكل رائع الملصقات ضد ليو وتنغ ، التي ظهرت في تشرين الاول في مركز بكين . في الخامس والعشرين من ايلول ، استقبلهم شو آن لاي شخصيا ، وبالنيابة عن ماو انار لهم الضوء الاخضر . وبذلك ليس مدهشا ان تكون القيادة العامة الثالثة اصبحت بسرعة مرمى لهجوم معاكس .

في مجرى شهر تشرين الاول ، ظهرت في شوارع بكين بيانات من نوع جديد . بوسعنا ان نرى على هذه البيانات المطبوعة ، التي تحمل صورا، اشخاصا مصابين بجروح، تحيط برؤوسهم الضمادات، وآخرين ممددين على أسرة المستشفى ، يشيرون الى جروح وكدمات . كانت تلك البيانات تتهم بعض المنظمات بالقيام بأعمال عنف ، وبأنها ، بذلك ، وقفت بعكس بيان البنود الستة عشر . ولم يكن من النادر ان يقوم الاشخاص المستهدفون بالصاق بيانات مشابهة ، شاكين اعمال عنف مشابهة : فكل منظمة ترمي على الاخرى مسؤولية الاصطدامات . وبما ان كل هذه البيانات كانت تحتوي على «اللعنات» ، حيث توزع بكرم نعوت التحريفية والعداء للماوية على الخصم ، لن ندهش اذا ما قام مراسلو الصحافة الاجنبية بالاكثار من ايرادها للتدليل على الصعوبات العديدة التي يصادفها ، الماويون في رأيهم . واذا ما اخذنا بتلك البيانات ، بحرفيتها بالطبع ، نرى ان كل الضاربين هم من اعداء الثورة ، بينما الذين يتلقون الضربات هم دائما من المدافعين عن ماو .

وظهرت بدورها في شوارع العاصمة بيانات موقعة من اللجنة المركزية ، تطلب عدم اللجوء الى وسائل العنف ، وعدم الاقتتال وخطف الاشخاص والقيام بأعمال المصادرة بشكل غير مشروع .

في شهر تشرين الثاني هذا من عام ١٩٦٦ سوف تدخل الثورة

الثقافية في أشد مراحلها قساوة . فرغم تحذيرات الهيئات المركزية ، ستمضي أعمال العنف مستمرة ، بالواقع .

في النصف الثاني من تشرين الثاني ، وقعت احداث خطيرة بين حراس حمر ، يدرسون في معهد الملاحة الجوية في بكين. وداخل العديد من المدارس وبعض الكليات تكررت الاصطدامات بين الحراس الحمر المنتمين الى القيادة العامة الثالثة وبين المنتمين الى القيادتين العامتين الاولى والثانية .

كانت منظمات الحراس الحمر تضم ، بالاضافه الى ابناء العمال والفلاحين ، ابناء كوادر الحزب . والحال ، كان هؤلاء الاخيرون يذهبون الى مدارس خاصة ، قائمة من اجلهم فقط ، ومجهزة بشكل افضل ومريحة اكثر ، ويخصص لها افضل الاساتذة . لقد ذكرت بايجاز تلك المدارس في بداية هذا الكتاب (١) . وكانت هذه المؤسسات التعليمية ، التي يعود وجودها الى مرحلة المناطق المحررة ، قد حولت على ايدي لو تنغ-يي وليو شاوشي الى «مشتل» «لمنادرة» جدد شيوعيين . ويكشف تنظيم تلك المدارس بذور ظهور فئة اجتماعية ذات امتيازات بين قسم من كوادر الحزب ، تشبه تلك التي تمارس السلطة في الاتحاد السوفياتي اليوم . وقد الغيت تلك المدارس الان ، لكنها كانت في بداية الثورة الثقافية ما تزال موجودة ، وكان تلاميذها يمارسون السياسة كما في المدارس الاخرى . وكانوا في وضع ذي امتياز ، وكانوا يعون ذلك . وهكذا دخل حراس حمر هذه المدارس الثورة الثقافية مع شعار يكشف ميولهم السياسية والاجتماعية ، والذي نشروه على نطاق واسع في بكين : «اب بطل ابن شجاع ، اب رجعي ابن ساقط !» . وبكلام اخر كانوا يعتبرون انفسهم ، هم ابناء الكوادر ، ثوريين بالولادة . هذا الادعاء المذهب كان يعيد مجد نظرية «النسب» ويدل جيدا على حيوية البقايا الاقطاعية والبورجوازية في مجتمع اشتراكي .

وتجمع هؤلاء الحراس الحمر في بكين تحت اشراف لجنة عمل موحدة (لياندونغ) ، التي وجهت ضرباتها على الفور الى القيادة العامة الثالثة . وكانوا مقتنعين ، او حملوا على الاقتناع من قبل محرضين متسترين، بأن حراس حمر القيادة المذكورة هم من ابناء البورجوازيين او الملاكين الاقطاعيين ، ومن ابناء الرجعيين ، فقاموا بمهاجمتهم بأساليب تخريبية .

انه من الصعب معرفة عدد الضحايا الذي نتج عن تصرفات لجنة

---

(١) انظر المقدمة .

العمل الموحدة . فقد سجلت حوادث قتل ، لكنها كانت قليلة لحسن الحظ . وبالمقابل ، تناولت الاعمال الهمجية والاعتداءات وحوادث الخطف والاحتجاز عددا اكبر من الاشخاص .

وسارعت (م.م.ث.ث) الهيئة التابعة للجنة المركزية ، وخاصة ان تشن-بوتا السكرتير السابق لماوتسي تونغ وكيانغ تسنغ زوجة هذا الاخير كانا على رأسها ، سارعت الى تقديم دعمها الرسمي للقيادة العامة الثالثة . لكن ذلك لم يثبط همة لجنة العمل الموحدة ، التي اضافت ، بكل بساطة، الى قائمة مراميها(م.م.ث.ث) نفسها! ولا شك أن ليياندونغ، المنظمة المحافظة المعارضة للثوريين ، ستهاجم اخصامها باسم ماوتسي تونغ ، تبعا لاسلوب لم يتغير طوال الثورة الثقافية . وستقوم ليياندونغ باتهام (م.م.ث.ث) خاصة بأنها لم تحترم قرار البنود الستة عشر وبأنها وقفت بوجه تعبئة الجماهير . وسوف تذهب الى حد اتهام تشن بوتا وكيانغ تسنغ ، باسميهما ، بتطبيق الخط الرجعي البورجوازي . وبذلك نلتقي مجددا بخطة اليمين التي ترمي اليسار بأخطائها هي ، والتي تميزت بها الثورة الثقافية في الصين .

وقد ظهرت شعارات تطلب حل (م.م.ث.ث) ، خاصة في معهد المياه والغابات . وكان بعض تلك الشعارات يشير الى ان اتجاها خاطئا قد ولد بعد الثالث من تشرين الاول . ولا يدهشنا هذا التاريخ ، لاننا نتذكر انه تاريخ انطلاق صراع جديد ضد ليو شاوشي ، مع صدور افتتاحية الراية الحمراء **الثالثة عشرة** .

بذلك نرى ، وراء الشعارات الخادعة والاستشهادات الايديولوجية المغالية بماوتسي تونغ التي كان بامكان هذه المجموعة ان تقوم بها ، نرى ارتسام اتجاهه العميق ، الذي كان يهدف الى ايقاف المرحلة الجديدة التي بدأها الماويون منذ تشرين الاول . وقد ظهر ذلك بوضوح في بداية كانون الاول ، عندما اصدرت ليياندونغ بيانات تصف لين بياو بأنه متآمر، دون ان تتعرض لماوتسي تونغ نفسه ، الامر الشبه مستحيل في الصين. وعلمت اذاعة موسكو بفحوى تلك البيانات، فأحاطتها بكثير من الدعاية في برامجها . لكن الطريف انها «نسيت» ان تشير الى ان حراس حمر ليياندونغ كانوا يتهمون لين بياو بأنه «خروتشيف جديد» ! (الدليل على ان اخصام ماو الصينيين لم يخرجوا من النطاق الايديولوجي الماوي) .

وفي وقت لاحق ، عرضت صور لوثائق ، تريد ان تظهر ان ليياندونغ كانت قد تلقت مبالغ مالية ضخمة من قبل بعض كبار الموظفين . من الصعب تقدير القيمة الاثباتية لتلك الوثائق ، لكن ، من الثابت ان تلك المنظمة كان يبدو انها تتمتع بموارد هامة . كان اعضاؤها يقومون بتنقلات عديدة ، وخاصة بواسطة الوسائل المحركة (ذات الثمن المرتفع نسبيا ،

في الصين) . وكانوا يتعارفون في الشوارع بكونهم جماعات كبيرة دائما، يضعون شارة من الحرير الاحمر عريضة ، حيث كتبت عليها احرف هونغ دي بنغ باللون الاسود ، وكذلك على رايتهم . وقد اكتسب بسرعة هؤلاء الشباب ، الاختصاصيون باستعمال قضبان الحديد وسلاسل الدراجات ، سمعة مرعبة ، وكانوا يعتادون الغارات الليلية الوحشية . واكثر من صيني شاهدهم يجتازون العاصمة في الليل قادمين نحو المدارس التي يريدون مهاجمة نزلائها .

جيش الشغيلة الحمر :

في هذه المرحلة تكاثرت المنظمات الجماهيرية بين الطبقة العاملة . لقد وصفنا سابقاً كيف ان الحراس الحمر اصبحوا قدوة ، رغم مختلف العوائق ، وكيف ادت سلسلة الاتصالات بينهم وبين الشغيلة الصناعيين الى دخول هؤلاء الاخيرين مسرح الثورة الثقافية . بيد ان الطبقة العاملة بعيدة عن ان تكون متجانسة . فيوجد داخلها فئات متمايزة ، تتعارض ميولها احيانا . ان بلدا اشتراكياً كالصين ليس بمنجى من هذه الظاهرة، التي سنصف بعض تجلياتها في القسم الثاني من هذا الكتاب .

وقد وجد ايضا الهجوم الرجعي البورجوازي ، المعاكس ، في الخريف ، مساندة من عدد من المجموعات المنظمة في المصانع . وهكذا نشأ في بكين (بشكل اساسي في مصنع المعادن رقم واحد) جيش الشغيلة الحمر الذي وجه كذلك حملاته ، في تشرين الاول ، ضد القيادة العامة الثالثة للحراس الحمر ، و(م.م.ث.ث) (التي يشرف عليها تشن بو-تا وكيانغ تسنغ) . اننا نملك القليل من المعلومات حول هذه المنظمة. لكن ، يبدو انها تتألف بشكل اساسي من عدد من العمال في الصناعة ، كان نظام العلاوات والدوافع المادية الذي وضعه بوو يي-بوو ، وزير الصناعة السابق ، في السنوات الماضية ، قد جعلها في وضع ممتاز . ويبدو ان عددا من المسؤولين النقابيين انضموا او ساندوا تلك المنظمة (في الماضي ، حاول ليو شاوشي تنظيم النقابات على النمط السوفياتي. وله اصدقاء فيها) . من هنا ، ينبغي دون شك رؤية مصدر سمعة ليو شاوشي المتفشية بأنه «رجل العمال» بينما يكون ماو رجل الفلاحين . كل ذلك يعود الى تقديرات «تخطيطية» ، لكنها بقوة تكرارها تجوز في البلدان الغربية على انها حقائق راسخة . والحقيقة ان ماو ذو نفوذ بين العمال كما بين الفلاحين .

الرد . نهاية تاوشو السياسية

الافتتاحية الخامسة عشرة :

في هذا الجو المتوتر وعبر الصراعات الحادة احيانا ، جرى شهر تشرين الثاني واتى كانون الاول . وبعد ان تركت الهيئات المركزية ، كعادتها ، الصراعات بين الميول تتطور خلال عدد من الاسابيع ، تدخلت من جديد .

في كلمة القيت بحضور ممثلين عن جميع المنظمات الجماهيرية في بكين ، اعلن شو آن لاي ، متصديا لهجوم لياندونغ ، ان «الرئيس ماو ونائبه لين بياو يثقان ثقة تامة بالمجموعة المكلفة بالثورة الثقافية » . بالاضافة الى ذلك ، نشرت **الراية الحمراء في عددها الخامس عشر** ، الصادر في الثالث عشر من كانون الاول، افتتاحية هامة بعنوان: «لننتزع انتصارات جديدة» ، تدعو الى سحق الهجوم الرجعي البورجوازي المعاكس . فرأت المنظمات المحافظة ، بعد ان ادانتها السلطات بوضوح ، المنتسبين اليها يتركونها بعدد كبير .

في السادس والسابع عشر من كانون الاول نظم الحراس الحمر المنتمون الى القيادة العامة الثالثة ، وقد تضاعف عددهم كثيرا في الاسابيع الاخيرة ، تجمعين ضخمين في ساحة العمال والفلاحين ، من اجل فضح ومحاربة خط ليو شاوشي . وقد شهد التجمع الاول تشن بو-تا وكيانغ تسنغ وكانغ شنغ ، وصحبهم في اليوم الثاني شو آن لاي وكامل المجموعة المكلفة بالثورة الثقافية . حضر هذين التجمعين مئة الف شخص ، وجرى خلالها فضح اعمال لياندونغ ومختلف الاتجاهات الرجعية التي تجلت في الحملة على القيادة العامة الثالثة. منذ ذلك الحين ، مضت الريح تجري كما تشتهي سفن تلك القيادة . في السابع عشر من كانون الاول سوف تضع شخصية هامة موضع الاتهام : وهو وانغ غن-تشونغ ، منسق نشاطات ضباط الارتباط و«محرك» ، اذا جاز القول ، الثورة الثقافية في جامعة تسنجهوا ومساعد تاوشو المقرب. آنذاك كان على هذا الاخير ان يشعر بتصدع مركزه .

ان الحملة التي شنت ضد القيادة العامة الثالثة و(م.م.ث.ث) كانت تتستر بشعار تاوشو : «يمكن انتقاد الجميع ، عدا ماو ولين» . كان تكتيك اخصام ماو يتغير حسب الظروف : محافظون احيانا، يستخدمون طوعا القمع المباشر وغير المباشر ، وأحيانا اخرى «جذريون» ، يوسعون نطاق المرامي المستهدفة ، ويخلطون بين جبهات النضال ويشوشون المسالك . خلال الصيف ، ظهر تاو شو بالوجه الاول ، عندما القى عدة خطب كانت تهدف بكل وضوح الى التقليل من شأن مشكلة ليو شاوشي. في الخريف ظهر بالوجه الثاني عندما حاول ان يغرق في البلبلة الهجوم

الذي اعلنته افتتاحية الراية الحمراء الثالثة عشرة . وقد عقب اتهام وانغ غن-تشونغ ساعد تاوشو الايمن ، اتهامه هو شخصيا . وقد اعلنت البيانات في تلك اللحظة ، انه قام بنقد ذاتي . ولم يقبل ذلك النقد. وبعد مضي اسبوعين غمرت بكين حملة دازيباو، لم يسبق بشدتها مثيل ، بسيل من «اللعنات» على ليو شاوشي وتنغ هزياو-بنغ اللذين اضيف اليهما اسم تاو شو ، منذ ذلك الحين ، وطوال عدد من الاشهر سوف يدوي في شوارع المدن الصينية هذا الهتاف : «يسقط ليو - تنغ - تاو » .

واستمر الفهم الخاطىء في الخارج لدور تاوشو وشخصيته حتى ذلك الوقت . ان تطرفه الكلامي وترقيته التي تمت بسرعة بالغة ، حملا المراقبين الاجانب على اعتباره «رجل حرب ، صعب المراس» . وعندما قامت البيانات بعملية نقده ، ظن ان المدعي المتهم كان ضحية هجوم معاد للماوية .

الوضع الجديد :

في برد كانون الاول القارص ، كان بالامكان سماع «المطالعة» الاتهامية ضد ليو شاوشي وتنغ هزياو بنغ عبر مكبرات الصوت عند جميع مفارق العاصمة. وكانت الجدران مغطاة بركام من الملصقات والصور الكاريكاتورية التي تفضحهما . كذلك كانت تفعل آلاف من جرائد الحراس الحمر . ورغم ان الصحافة الرسمية كانت تحمل على الخط الرجعي البورجوازي، فلم تكن بعد قد اوردت اسميهما . وكذلك الاذاعة . وحين التجمعين الاخيرين للحراس الحمر ، في الحادي عشر والسادس والعشرين من تشرين الثاني ، كانا يظهران ايضا على منصة تين آن من ، فلم تكن مسألتهما قد حسمت بعد ، من الناحية الرسمية . هل كانا عدوين ؟ ام كانا رفيقين ، ارتكبا اخطاء خطيرة ، بالامكان «استرجاعهما» ؟ هل كان التناقض تناحريا ام غير تناحري ؟ بقيت هذه الاسئلة معلقة . مع ذلك كان من الجلي تماما أن وضعهما السياسي كان قد ساء كثيرا ، وعادت تتصاعد الحملات ضدهما ، وأصبحت الصين كلها تعرف انهما من بين «المجادل فيهم» .

كيف نعرف وضعهما الشخصي ؟ فلم يشاهدا في اي احتفال رسمي بعد السادس والعشرين من تشرين الثاني . من المحتمل أن مصيرهما كان المصير المعد في الصين عادة للقادة المنتقدين بشدة ، ولم تحسم مسألتهما بعد : الاعتكاف في المنزل وعدم الخروج الا لحضور اجتماعات النقد والنقد الذاتي . في ذلك الوقت اوردت الصحافة الصينية ان السفراء

يقدمون اوراق اعتمادهم الى نائبة رئيس الجمهورية : سونغ شن‌ـلنغ ، وليس الى الرئيس ليو شاوشي .

والآن ، بعد ان جردا من نفوذهما السياسي ، بل من كل امكانية تدخل في امور الدولة ، كيف يفسر استمرار اعتبار الرجلين مسؤولين عن الاحداث اللاحقة ، وأن تصاعد الانتقادات بشأنهما لم يكف عن الاتساع ؟ ان هذا قد يبدو مخالفا للمنطق ، لان ما سيجري بعد ذلك ليس له اي علاقة بهما . ان خطهما فقط سوف يستمر بالوجود ، يطبقه ويدافع عنه رجال آخرون . وليست التعرجات اللاحقة للنضال مدينة بأي شيء لتدخلهما المباشر . لكن ، في بلاد كالصين ، تحتاج كل فكرة الى شخص يجسدها . فماو يجسد السلطة السياسية والخط الثوري والايديولوجية الماركسية. ومنذ ذلك التاريخ سيكون ليو شاوشي تجسيدا للخط الرجعي والتحريفية .

في الثالث عشر من كانون الاول ، نشرت **الراية الحمراء** افتتاحية تقدم بيانا بحصيلة الحركة وتمهد لمرحلة جديدة . ان الخط الثوري ، تبعا لها ، قد سجل انتصارات، لكن اصحاب الخط الرجعي البورجوازي والمسؤولين السائرين في الطريق الرأسمالي لم يجردوا من اسلحتهم . فهم يستعملون شعار المعركة ضد الخط الرجعي البورجوازي ، من اجل زرع الفوضى ، والهجوم بالحقيقة على الثوريين البروليتاريين ، عن طريق المكائد والتحايل . وقد رأينا بالفعل ان لياندونـغ اتهمت (م.م.ث.ث) بتطبيق الخط الرجعي البورجوازي . وقد عبرت الافتتاحية (١) عن ذلك بهذه الكلمات : «بما ان الجماهير الثورية تناضل بحزم ضد الخط الرجعي البورجوازي ، استعمل بعض الاشخاص السيئي النية شعار النضال ضد هذا الخط الرجعي البورجوازي من اجل تضليل الشعب وزرع الفوضى في كل مكان ...» «فهم يحاولون خداع قسم من الجماهير لتحريضها على محاربة القسم الذي يتبع اتجاها ثوريا» . وكانت هذه الافتتاحية تلمح الى واقع ان بعض العمال والفلاحين دفعوا الى مهاجمة حراس حمر ثوريين . وذكرت كذلك ان الخط الرجعي البورجوازي قد طبق في بعض الامكنة مع ان مجموعات العمل لم ترسل اليها. وهذا يعني ان بعض اللجان الحزبيةقد وقفت موقف لجان‌العمل واضطهدت ثوريين حقيقيين. وكانت طريقة البعض في معارضة الجماهير والعناصر الثورية تقوم على اتقاء الانتقادات بالادعاء الكاذب انها تستهدف ممثلي البروليتاريا .

وبالواقع ، كان يعتبر انه من الضروري تدمير القيادة العامة البورجوازية (ليو وتنغ) وحماية القيادة العامة البروليتارية (ماوتسي

---

(١) انظر انباء بكين العدد ٥١ ، ١٩ كانون الاول ١٩٦٦ .

تونغ) ، وذلك منذ نشر دازيباو ماو في تشرين الاول . والحال ، كان بعض المسؤولين ، ومن بينهم تاوشو، يتقون النقد بانتحال الانتماء الى القيادة العامة البروليتارية . فتقول الافتتاحية : «هذه مناورة خطرة وغادرة ، تنتمي الى الخط الرجعي البورجوازي» .

وقالت الافتتاحية ، ملمحة الى لياندونغ وأولئك الذين يحركون خيوطها ، ــ تاو شو احدهم ، كما راحت تؤكد دون انقطاع البيانات في الشوارع ــ : «ان السمة المميزة ، حاليا ، لنشاطات زمرة **الزوزي باي** في الحزب ، ولعدد صغير من الاشخاص ما زال مستمرا في الخط الرجعي البورجوازي ، هي البقاء خلف الكواليس ، وتحريك منظمات عمالية وطلابية ، كانوا قد خدعوها ، لبذر الشقاق وخلق الشيع ، واستعمال الاكراه والعنف وحتى اللجوء الى مختلف الوسائل غير المشروعة من اجل محاربة الجماهير» . وألحت الافتتاحية من جديد على ضرورة عدم استعمال القوة ، مهنئة بالمكتسبات ، منتهية الى نداء حازم الى الثوريين البروليتاريين ، من أجل «مضاعفة الجهود لتحقيق انتصارات جديدة لخط الرئيس ماو الثوري» .

القسم الثاني

من كانون الثاني ١٩٦٧ حتى نيسان ١٩٦٧

عقدة المشكلة

١

ثورة شباط في شانغهاي

احتداد التناقضات

انتقال مركز الثقل

بينت في القسم الاول كيف كانتالثورة الثقافية تتقدم في اتجاهين متوازيين ، منتقلة من الميدان الادبي والفني الى الميدان السياسي ، ومن جهاز الحزب الى الجامعات فالمصانع .

ولم تكشف هذه الثورة الثقافية ، المولودة في العاشر من تشرين الثاني عام ١٩٦٥ ، عن مرماها الا في الثالث من تشرين الاول عام ١٩٦٦، تاريخ بداية الصراع المكشوف ضد كتلة ليو شاوشي . ولم يمكن هذه المرحلة الجديدة ، التي حضرت لها اعمال الحرس الاحمر ، ان تبلغ غايتها الا بمؤازرة قوة اجتماعية ، هي الطبقة العاملة ، التي لم تكن حتى ذلك الوقت قد عبئت بتمامها .

طيلة خريف ١٩٦٦ ، كان يكبر الدور الذي تلعبه الطبقة العاملة الصينية في الثورة الثقافية ، ويصبح حاسما . ومن حينه ، مضى يتلاشى دور الطلاب ، الهام جدا في البداية . وهذا يفسر اننا شهدنا ، في نفس الوقت ، انتقالا لمركز ثقل الحركة الثورية من بكين ، العاصمة الثقافية والادارية ، الى مناطق هيلو نغيكيانغ (منشوريا ، سابقا) وشانغهاي ، الصناعية .

وشانغهاي خاصة ، سوف تجد نفسها ، ابتداء من تشرين الثاني ١٩٦٦ ، في طليعة الثورة الثقافية . ولهذا السبب يبدأ القسم الثاني من هذا الكتاب برواية الاحداث التي جرت فيها : وقد تبعت تلك الاحداث

مخططا نموذجيا لتطور الثورة الثقافية في القاطعات . رغم ذلك ، يحسن ان نحدد انه ، اذا كان العديد من المقاطعات قد عاش صراعات مشابهة ، فان الوقت اللازم لحلها كان مختلفا ، بسبب نوعية الظروف المحلية .

ولا شك بأن سبب استقرار الوضع الثوري في شانغهاي ، منذ بداية عام ١٩٦٧ ، يعود الى ارتفاع مستوى تنظيم وتسييس السكان . وقد امكن ملاحظة واقعة من نفس النوع في هيلو نغكيانغ وشانسي وكويتشيو . وبالمقابل ستكون هذه العملية في مناطق اخرى ، على الأخص في وسط وجنوب البلاد ، اكثر بطأ بكثير .

أحداث صيف ١٩٦٦ في شانغهاي :

لم يبدأ الوضع في شانغهاي يجذب الانتباه الا في تشرين الثاني ١٩٦٦ ، عندما تشكلت منظمات عمالية قوية ، اتهمت محافظ بكين ومساعده الاول بتطبيق خط ليو شاوشي .

وقبل ان نصل الى هذه الفترة يجدر بنا ان نروي بايجاز أحداث الصيف السابق . كان نفوذ لجنة شانغهاي البلدية كبيرا ، منذ العاشر من تشرين الثاني ١٩٦٥ ، عندما وقعت عليها مسؤولية اطلاق العيارات الاولى للثورة الثقافية ، وذلك بنقدها لووهان . فكانت تبدو كمعقل حصين للماوية . وكانت المنجزات المرموقة التي جعلت من المدينة ، منذ عام ١٩٤٩ ، عاصمة صناعية مشعة ، تزيد من الشعبية والاعتبار اللذين يتمتع بهما قادتها بين السكان . وقد كان حادث العاشر من تشرين الثاني الداوي من عمل عضوين في اللجنة البلدية بالتحديد وهما: ياو ون يان ، كاتب المقال الشهير ضد مسرحية «عزل هاي جوي» ، وتشانغ تشوون ـ كياو (١) ، احد المسؤولين في البلدية .

وفي بداية صيف ١٩٦٦ استدعي هذان الرجلان الى بكين ، ليصبحا عضوين في المجموعة المكلفة بقيادة الثورة الثقافية (م.م.ث.ث) وقد بقيا في العاصمة . فأصبح بذلك تشن بزين ، السكرتير الاول للجنة بلدية شانغهاي ، ومساعده تزاد تي ـ زيو المسؤولين الوحيدين عن مصير الثورة الثقافية في المدينة الكبرى ، مرفأ الصين الشرقية . وقد تكشفت تدريجيا عدم صلاحية الخط الذي يطبقانه .

في تموز ، كان هناك «مجموعات عمل» في عدد من المؤسسات التعليمية وعدد من المصانع ، عملت على نغم تلك التي في بكين . فحصلت

---

(١) تشانغ تشوون ـ كياو هو اليوم عضو في الهيئة الدائمة للمكتب السياسي . وقد سمي لهذا المركز بعد المؤتمر التاسع .

ضغوط واضطهادات مختلفة ضد طلاب وعمال . وبعد الدورة العامة الحادية عشرة ، ما ان أدانت اللجنة المركزية هذا الاتجاه ، حتى اتبعت اللجنة البلدية سياسة مشابهة لسياسة تاوشو : «دفن» حادث مجموعات العمل واجتناب اعادة اعتبار الثوريين ، ضحايا الاتهامات غير العادلة . وكما في بكين ، نشب «النزاع على الوثائق السوداء» (١) . الثوريون يطلبون اتلافها ولجان الحزب المحلية ترفض الطلب .

في الوقت الذي بدأت تنقلات الحرس الاحمر ، استقبلت شانغهاي بالتجاهل اولئك القادمين من بكين . ومن المحتمل ان سكرتيري البلديه قد نظرا بفتور الى قدوم هؤلاء المراهقين المشاغبين . كان عليهما ان يخشيا من ان يشيعوا تحركات قادرة على الوصول الى تحميلهما مسؤولية حادث مجموعات العمل . وقد لقيت اتصالات الحراس الحمر القادمين من بكين ، ان مع العمال او مع حراس شانغهاي الحمر ، مقاومة بأشكال مختلفة . وكان ذلك مصدرا لحادث حصل في الواحد والثلاثين من آب: فقد توجه وفد مؤلف من مجموعات من الحراس الحمر البيكينيين مصحوبين بعدد من حراس شانغهاي الحمر الى دار البلدية، يطلب مقابلة، فرفض استقباله . عند ذلك قرر الوفد احتلال جوانب المبنى احتجاجا على هذا الرفض . وقد استمر ذلك الاحتلال حتى الرابع من ايلول . وكان لهذا الحادث دوي بعيد في المدينة ، اثار غضب تشن بزين و تساو تي-زيو ، اللذين صمما على الرد . فناديا الى «حماية اللجنة البلدية» من المتمردين الذين وصفوا بالمشاغبين المعادين للاشتراكية ، مستفيدين من نفوذهما لدى السكان . فنظمت مظاهرة مضادة شرعت بطرد الحراس الحمر وما تم ذلك الا بعد اصطدامات عنيفة .

احتفظت الثورة الثقافية في شانغهاي ، تحت تأثير خط تاوشو(٢) الوسطي ، بطابع روتيني باهت. ولم يكن يريد تشن بزين وتساو تي-زيو اعطاء الحركة اتساعا اكبر، بل على العكس كانا يريدان الابقاء عليها ضمن الحدود المقبولة بالنسبة لهما . وقد استهدف عدد من عناصر «العصابة السوداء» ، لكن لجنة الحزب البلدية احتاطت جيدا لمنع الحركة من ان تذهب ابعد من ذلك ، وعلى الأخص ان يفتح ملف مجموعات العمل . وهكذا سقطت الثورة الثقافية في حفرة البيروقراطية . وقد حدد الصاق «الدازيباو» وتنظيم الندوات بكل أشكال التعليمات الادارية ، فكان تشن وتساو يقولان : «يجب التمييز بين الداخل والخارج» وباسم هذا المبدأ لم يكن ممكنا الاعلام عما يجري في المدارس والمؤسسات . وكان على نقد

(١) انظر ما سبق .
(٢) انظر ما سبق .

عدد من اعضاء الحزب الشيوعي ان يبقى داخليا ، ولم يكن مسموحا لغير الاعضاء بالمشاركة فيه .

بعد حادث الرابع من ايلول تجاوز الحراس الحمر تلك الموانع وألصقوا في شوارع المدينة اعلانات تدعو لفضح المسؤولين عن الحادث. وقد شددت هذه الاعلانات ، بكثير من الالحاح ، على ان الوقوف بوجه الحرس الاحمر هو خرق لقرار «البنود الستة عشر» . وشرع الحراس الحمر البيكينيون وقسم من حرس شانغهاي الاحمر الذي انحاز الى جانبهم ، بالتشهير المستمر بالتضييقات البيروقراطية التي يفرضها تشن وتساو على الثورة الثقافية في المدينة. فاعلان «البنود الستةعشر» يلح على ضرورة تعبئة الجماهير وتشجيع التعبير عن الافكار والانتقادات، وكان الشبان يؤكدون‌ان التفريق‌بين الداخل والخارج ليس سوى تدجيلا، انه مناورة لتخويف الجماهير وصرفها عن التعبير والتحرك . وقد احتج الحرس الاحمر بهذا المقطع من اعلان البنود الستة عشر ، حيث يمكننا ان نقرأ :

«ينبغي اعطاء الاولوية للاندفاع ، ولا ينبغي الخوف من الاضطرابات. على الجماهير ان تتحرر بنفسها ، ولا يمكننا العمل نيابة عنها. ان العمل بشكل مختلف يعني معارضة خط اللجنة المركزية ويعني معارضة تعبئة الجماهير ، انه تطبيق للخط الرجعي البورجوازي» .

وقد توصل الحراس الحمر ، رغم الصعوبات ، الى الاتصال بعمال كانت قد اضطهدتهم مجموعات العمل ، يناضلون من اجل اعادة اعتبارهم واتلاف «الوثائق السوداء» . وقد اتسع جمهور الحراس الحمر قليلا وأدت حدة تشهيرهم بخرق اعلان البنود الستة عشر الى اثارة الشعور بين عدد متزايد من الشانغهايين بأن هناك مشكلة حقيقية تطرح . ولم يكن بوسع التضييقات على الحرس الاحمر ان تكون تامة في تلك الظروف . وليس بوسع قادة البلدية مهما كان العداء الذي تثيره لديهم نشاطات الحراس الحمر ، ان يقمعوهم بشكل مفضوح ، بينما لا تنقطع الصحافة والاذاعة عن تمجيدهم ، وذلك دون المخاطرة بالظهور على معارضة لخط الحزب. كان «الجنرالات الصغار»يعرفون كيف يستفيدون من مجال المناورة هذا .

التمرد

انقلاب الموقف :

لقد اعطت افتتاحية **الراية الحمراء** ، الثالثة عشرة ، اشارة تصعيد جديد للنضال الثوري ، كان لها آثار واسعة ، ستظهر خلال عدد من

الاسابيع الخلاف الدائر في شانغهاي تحت ضوء جديد . لقـــد كانت افتتاحيه الثالث من اوكتوبر ، من خلال اداناتها لحادث مجموعات العمل السالف ، وباستنكارها للضغوط البيروقراطيه على الثوريين، وبتشهيرها العنيف بالعراقيل المستمرة امام تعبئة الجماهير ، كانت من خلال ذلـك كله تعلن الادانة السياسية لاتجاه هيئة شانغهاي البلدية ، ولكل من يتبع اتجاها مشابها في مختلف المناطق . وكانت الافتتاحيه تعلن صحة موقف الحرس الاحمر ، وهذا ما ضاعف على الفور من حرية عملهم .

ويجدر ان نشدد من جديد على الدور المهيمن الذي تلعبه الدعاية الرسمية في حياة الصين السياسية . فالافتتاحيات تنشر بملايين النسخ وتستعيدها الصحف والاذاعات المحلية ، ثم يعاد نشرها في كتيبات تقرا جماعيا ، وتستعاد موضوعاتها الاساسية باستمرار في مقالات جديدة . وتمارس هذه المقالات المكتوبة بأسلوب بسيط جدا ، والمعدة لتكون فـي متناول أقل القراء ثقافة ، تأثيرا كبيرا على الدوام .

في شهر اوكتوبر اكدت افتتاحية جديدة **للراية الحمراء** علـــى ان المسؤولين الدين كانوا يقفون بوجه الطلاب والتلاميد المتمردين باعتبارهم من «اليساريين» وحتى من المعادين للثورة ، انما كانوا يطبقون الخـــط الرجعي البورجوازي . والحال ، فقد كانت هذه هي الاشاعات التـــي نشرت حول الحراس الحمر في شانغهاي بوحي من قادة البلدية .

وفي نفس الاتجاه ، شرعت صحافة الحزب بحملة اعلاميـــة لحث العمال على الانطلاق بحيوية اكبر في حركة النقد ، وعلى عدم الاستسلام لخداع مناورات بعض القادة البيروقراطية . وقد ادى ذلك الى دفـــع الثوره الثقافيةفي المصانع : فانتشر فيها تعليق «الدازيباو» ، بينما قام عدد متزايد من العمال ، بدورهم بطلب محاسبة عدد من كوادر الحزب على موقفهم في مرحلة مجموعات العمل .

وقد امتدت هذه الحركة بسرعة في شانغهاي ، حيث يتجمع عدد كبير من العمال . وظهرت تنظيمات عمالية ، ضاعفت من اتصالاتهـــا بالحراس الحمر ، وأخذت بمساندة عملهم . وكانت (م.م.ث.ث) تشجع من بكين تلك العملية . وقد ارسل بالواقع مناضلان ماويان شهيران الى شانغهاي للاسراع بها ، وهما نيه يان ـ تسه ، استاذة الفلسفة في جامعة بكين ، والتي كتبت «الدازيباو الماركسي ــ اللينيني ، الوطني» الاول ، وكوي ـ تا ـ فو ، الطالب في جامعة تسنجهوا ، الشهير لوقوفـه بوجـــه مجموعات العمل ، التي قادتها وانغ كوانغ ـ مي ، زوجة ليو شاوشي . وقد قام هذان الشخصان بجولات في مصانع شانغهاي ليشرحوا فيها ما حصل في بكين ، ولحض العمال على القيام بعمل مماثل عندهم .

وفي بداية تشرين الثاني ، انشئت القيادة العامة للتمـرد الثوري

للعمال ، التي جمعت مختلف التنظيمات في مصانع شانغهاي ، العازمة على محاربة تشن بزين وتساو تي ـزيو . وقد تحالفت تلك المنظمة مع الحراس الحمر، وهي التي ستلعب منذ ذلك الحين دور المحرك، فشرعت بانتقاد المسؤولين الرئيسيين في البلدية ، ان لموقفهما في مرحلة مجموعات العمل ، او لمختلف العوائق التي وضعت امام نشاط الحراس الحمر في آب وأيلول .

وبدأت تتكاثر في شوارع بكين البيانات المعادية لهذين الرجلين . ومن حينه ، سيكونان في موقف الدفاع . فالريح غيرت وجهتها .

حادث آنفنغ :

لم تكن القيادة العامة «للعمال المتمردين» تضم كامل الطبقة العاملة في شانغهاي . وكان نفوذ البلدية من القوة بحيث بقيت موضع ثقة بنظر قسم من الشغيلة ، فظهر بذلك تياران في المصانع : تيار يناصر تشن وتساو وآخر يعاديهما ، وكانا احيانا يصطدمان بشكل عنيف .

وقد جرى احيانا التساؤل عما يمكن ان يكون مصدرا لانقسام الطبقة العاملة الصينية الى كتل متجابهة . ولا تبدو لي هذه الظاهرة غريبة . فهناك في كل مكان ميول محافظة وأخرى تقدمية وفي كل مكان هناك اناس يحصل وعيهم سريعا وآخرون يحصل وعيهم ببطء . وهذا يطابق غالبا ، وان كان ذلك بصورة غير صارمة ، اوضاعا اقتصادية مختلفة . وبهذا الصدد ، يصعب تقدير وجود شرائح فئوية متميزة بين الطبقة العاملة الصينية تتمتع بامتيازات مادية متفاوتة ، بشكل دقيق ، وذلك للنقص في المعطيات الاحصائية . لكن هذه ظاهرة ، لا ريب فيها ، وقد كانت في اساس مواقف سياسية وايديولوجية . وهذا ما اكده عدد من المؤشرات خلال الثورة الثقافية .

وقد تجلى هذان التياران المتناقضان ضمن الطبقة العاملة في شانغهاي ، بتشكيل منظمتين كبيرتين ، متجابهتين : من جهة ، القيادة العامة الرافضة للسياسة التي تتبعها البلدية ، ومن الجهة الاخرى ، كتيبة الدفاع الاحمر عن ماوتسي تونغ . وهي منظمة محافظة ، انشئت بوحي من البلدية نفسها التي تحميها . وعند هذا الحد من رواية الاحداث، لا ندهش بالطبع من ان تعلن كلا المنظمتين انتماءهما الى ماوتسي تونغ، ومن ان تتهم الواحدة الاخرى باتباع خط ليو شاوشي الرجعي البورجوازي.

في بداية تشرين الثاني طلبت القيادة العامة للتمرد الثوري للعمال من تشن بزين وتساوتي ـزيو ، المثول امام ممثلي منظمتهما لتقديم نقد ذاتي : فرفضا ، قائلين انهما يؤيدان التمرد على البورجوازية ، لا التمرد

عليهما ، الممثلين للبروليتاريا . وقد ادى ذلك الى نشوء مناظرات وندوات بين مجموعات متخاصمة ، شملت المدينة بكاملها .

حينئذ قررت القيادة العامة ارسال وفد ، الى بكين ، ليقدم تقريرا عن الوضع في شانغهاي الى هيئات الحزب المركزية ، ويفضح امر المحافظ ومساعده . فعمل تشن وتساو ، بالاتفاق مع مسؤولين آخرين في مكتب الحزب للصين الشرقية ، بحيث يوقف متظاهرون القطار الذي يحمل المبعوثين . وقد اعتقد هؤلاء المتظاهرون ، مخدوعين باشاعات كاذبة ، انهم حيال رجعيين . فأوقفوا القطار في آنغنغ ، وهي محطة صغيرة في شمال نانكين . وقد حصل ذلك في التاسع من تشرين الثاني ١٩٦٦ .

التدخل الاول لبكين :

كان الوضع في شانغهاي نموذجيا . وقد عرف عدد من المقاطعات امرا مشابها . ويحسن بنا هنا ان نستطرد لندل على كيفية تصرف القيادة المركزية في بكين في حالة مثيلة . كانت المعارضة التي لقيتها الحركة الثورية في عدد من فروع الحزب في شانغهاي بعيدة عن ان تعتبر كمظاهر انشقاق . وقد اعطت الانباء التي توردها وكالات الصحافة الاجنبية ، غالبا ، انطباعا بأن الحالة كانت كذلك ، وهي في ذلك على خطأ. فلم تكن قوة بعض التيارات المحافظة ، اطلاقا ، تضع موضع التساؤل استمرارية الادارة والولاء الايديولوجي والسياسي بالنسبة للحزب الشيوعي الصيني وقيادته ، على الاقل بشكل علني . ومن جهة اخرى، هذا وحده يفسر العنف في صراع الاتجاهات ، فكل واحد كان مقتنعا بأنه يعمل لصالح الاشتراكية وبموجب عقيدة ماوتسي تونغ ، ويستثنى من ذلك بالطبع من الجهة المحافظة عدد من المحرضين الذين يخفون مراميهم الحقيقية . ومن اجل ذلك كانت السلطات في بكين ، في حالة شبيهة ، تحاذر من فقدان برودة اعصابها .

وبسبب من فقدان التجربة ، لم تخل مبادرات الحرس الاحمر و«المتمردين» العمال ، المندفعين في الثورة الثقافية ، من الخطأ والاضطراب. وذلك ما يمكن ان يفسر واقع اصطدامهم بشيء من التحفظ من جهة فروع الحزب المحلية . وعندما كانت تتخذ اجراءات تحد من هذه النشاطات ، كان ينبغي حساب جانب الجدة فيها ، واعطاء تلك التنظيمات المحلية فرصة التكيف مع الوضع غير المألوف ، ولتتجاوز ميولها البيروقراطية . فلم يكن المقصود التشهير النزق بمسؤولين محليين باعتبارهم عناصر معارضة . وهنا ايضا يتبدى اهتمام ماوتسي تونغ ، البارز في كتاباته ، بألا توسع ، دون اعتبار ، مرامي النضالات الثورية.

فكانت القيادات الماوية تشير بدعايتها المكتوبة او الشفوية ، بشكـــل متدرج ومتزن ، الى الاتجاه الواجب اتباعه ، ملحة على ضرورة تعبئـــة الجماهــير .

فليس بالامكان الحكم على الميول العميقة لهيئة حزبية محلية ، الا بعد مرحله طويلة نسبيا . فاذا ما تكيفت مع الوضع وتوصلت الى قيادة الجماهير في العمل السياسي، يمكن «العفو عما مضى». اما اذا استمرت العوائق امام تعبئتهم ومبادراتهم ، رغم التوجيهات المستمرة ، فلا يعود ذلك مجرد مظهر للبيروقراطيه ، بل يكون علامة على معارضـــة نافذة . فكانت تتدخل حينذاك هيئات الحزب المركزية .

وهذا يفسر ارسال (م.م.ث.ث) رئيسها المساعد ، تشانغ تشوون كياو ، الى شانغهاي مسقط راسه ، بعد حادث آنفنغ ، في تشريـــن الثاني . وقد اسندت اليه بكين نوعا من «رسالة تحذير» فكان عليه أن يبلغ المسؤولين البلديين ، بالاضافه الى الامر باطلاق سراح المعتقلين فـــي انفنغ ، تحذيرا من نزوعهم الى الحد من انتقادات السكان ومن تقسيمهم لهم الى كتل لشل فعالية تعبئتهم ، وكان ذلك دعوة واضحة لهم للاقلاع عن تطبيق خطهم السياسي السابق .

وبينما كانت **يومية الشعب والراية الحمراء** تمتدحان شعـــار : «لنا حق في ان نتمرد» (١) وبينما كان قد اعيد وضع «ضم» السلطـــة ومفهوم النظام المطلق العائد الى المراتب العليا ، موضع الشك ، أصبـــح امرا لا يصفح عنه ان يعامل مسؤولون محليون اولئك الذين ينتقدونهم ، كرجعيين ، او ان يسعوا لنسبة نشاطات معادية للاشتراكية الى اولئك الذين يبدون أشد تمردا ، ومنذ ظهور الافتتاحية الثالثة عشر ، التـــي بدأت فضح مجموعات العمل ، ومع امتداد حركة النقد في كل البلاد ، كان بقاء هذه المناورات يضع اصحابها على عتبة معارضة الحزب .

تلاحق الخلافات :

كان كل ما اتهم به تشانغ تشوون-كياو ، تشن وتساو ، هو المناورة خفية بقسم من المنظمات الجماهيرية لتعارض القيادة العامـــة العمالية ، باللجوء الى العنف . وربما كان يتساءل ، عند مغادرته شانغهاي ، حول امكانية رؤيتهما وقد غيرا من خطهما السياسي . وفي كل حال فقـــد

---

(١) تحتوي الماركسية على جملة مبادىء تستحيل في النهاية الى هذه الجملة : «لنا الحق في ان نتمرد» . وهي جملة مأخوذة مـــن نص لماوتسي تونغ ، وقد جعل منها الحراس الحمر شعارا لهم .

وصله جواب لا يحتمل الغموض ، خلال الاسابيع التي تلت ، عندما قام اعضاء من كتيبة الدفاع الاحمر بنهب منزله في شانغهاي . ولم يتحسن الوضع في شانغهاي بل انه وصل الى نقطة حرجة ، اتسمت بتجدد الحوادث . ومن حينه ، ستبدأ بكين بالتدخل بشكل مكشوف .

ومن اجل محاربة سياسة ماوتسي تونغ عمد المعارضون ، بشكل اساسي ، الى استخدام ميل مرؤوسيهم الى التطبيق البيروقراطي للتوجيهات التي يتلقونها . وبالواقع ، كان ينبغي لهؤلاء فترة من الزمن ليتخلصوا من طاعة تنظيمية لم تكن بخدمة اتجاه سياسي ثوري . ويتطلب ذلك وضوحا في الرؤية : فالمتمردون كانوا يعلنون ماويتهم ، وكذلك يفعل المسؤولون الحزبيون المنتقدون منهم . فكان كل واحد يستعيد ضد الاخر الشعارات الرسمية والاصطلاحات الماركسية . فكيف يميز ، في هذه الظروف ، الثوري من غيره ؟ وكانت تلزم الشجاعة لمن يريد التخلي عن رؤسائه . ان نظام الطاعة الشيوعي نظام صارم ، والتخلي عنه يجر متاعب كثيرة ، منها الطرد . واذا كان الممثلون المرئيون والمعترف بهم لذلك الحزب يدينونك ، فكيف تبرر عملا غير نظامي باسم مصالح الحزب العليا ؟ فكان لا بد من التردد ، بقدر ما كان شعار : «لنا حق في ان نتمرد» امرا غير عادي في الصين، بل في الحركة الشيوعية العالمية كلها.

رغم ذلك ، فمنذ اللحظة التي يرتسم فيها وعي واضح بين كوادر فرع معين من جهاز الحزب ، للدور الضار الذي يلعبه بعض قادتهم ، كان هؤلاء القادة يجدون انفسهم في نفس الوقت معزولين ومجردين من سلاحهم الأمضى : طاعة مرؤوسيهم العمياء، ومن حينه تصبح معارضتهم للخط الرسمي مشلولة .

وما رجوع تشانغ تشوون-كياو الى شانغهاي ، في كانون الاول، الا بقصد المساعدة على الاسراع بتلك العملية ، ومنع استمرار الميول البيروقراطية لصالح المعارضين . فأعلن على الملأ ان (م.م.ث.ث) تدين نشاط بزين وتساو تي-زيو . وعمل بشكل خاص على اثارة وتشجيع حركة تمرد ضدهما بين كوادر هيئة شانغهاي البلدية، حيث كان شخصية معروفة ، وقد اعطى ذلك ثماره . ففي الثامن عشر من كانون الاول ، قام عدد كبير من بينهم بتعليق بيانات تشير الى تخليهم عن السكرتيرين .

وقد ادى ذلك ، بالاضافة الى ان القيادة العامة للتمرد الثوري للعمال ومجموعات الحراس الحمر، كانتا قد ضاعفتا كثيرا من جمهورهما، خلال الاسابيع الماضية ، الى خلق ظروف ملائمة لحصول اتحاد واسع ضد المسؤولين البلديين وعزلهم . وكانت سياسة هذين الاخيرين على محاذاة الفشل .

النزعة الاقتصادية :

لقد شكل عمال شانغهاي ، وقد عبئوا تماما ، فصيلة الطليعة للبروليتاريا الصينية التي اصبح دورها حاسما في الثورة الثقافية ، وأعطت لتلك الثورة زخما لم يسبق له مثيل . على ذلك ، كان على المعارضة لتقوم بهجوم مضاد في هذه المرحلة ، ان تنطلق في هجوم يرمي مباشرة الى بعثرة صفوف الطبقة العاملة . وأسهل الاسلحة المستخدمة في حالة كهذه هي النزعة الاقتصادية . يحتمل هذا التعبير معان مختلفة، وعلينا ان نحدد ما يفهم بهالماركسيون . تقوم النزعة الاقتصادية على تحويل النضال العمالي عن اهدافه السياسية الى مجاري المطالب المادية المحضة . وهذا تكتيك مستعمل بكثرة عندما تخوض الطبقةالعاملة معاركها . ومن المشهور ان لينين قد رأى نفسه يجابه هذه المشكلة في بداية النضالات البروليتارية في روسيا ، ويوجد العديد من الامثلة الاخرى في تاريخ شتى البلدان .

وهكذا ، حين انتقال الثورة في الصين من المدارس والجامعات والمكاتب ومختلف الاوساط الثقافية ، الى المصانع ، لجأت القوى البورجوازية الجديدة المعارضة للخط الماوي الى النزعة الاقتصادية .

وشرع تشن بزين وتساو تي-زيو بتضليل الجماهير العمالية عن طريق منح مكاسب مادية ، بحجة انه يمكن القبول بخسائر اقتصادية طالما انها معوضة بمكاسب سياسية . ولا يبدو أن الاجراءات التي اتخذت كانت ترتسم في اطار خطة محددة جيدا . فكانت متنوعة ، وحتى انها متناقضة احيانا ، وبدت معدة على الخصوص لخلق وضع اضطراب ومضايقة .

ومن غير المحتمل ان تكون الاجراءات التي اتخذت من اجل اثارة الموجة «الاقتصادية» (اعطاء العلاوات ، سحب الاموال المودعة في البنوك لصالح المشاريع ، الخ) ، صادرة عن الهيئة البلدية . لان هذه ، كانت قد انقسمت منذ ان سلك بعضاعضائها طريق الانشقاق . لكن ، يبدو ان تشن وتساو قد تصرفا باسمها ، بصورة غير شرعية . ويمكن ان نتصور، بالاحرى ، ان هذه الاجراءات قد اتخذت بعد مشاورات سرية الى حد ما، بين الرجلين وبين عدد من مديري المصانع في شانغهاي ، الذين يتبعون اتجاها مماثلا لاتجاههما . وقد استمر بعضهم عن معرفة بحقيقة الامر ، والاخر عن انخداع ، بالقبول بقيادة البلدية . وهكذا اصبحت قيد التنفيذ الاجراءات «الاقتصادية» في فروع صناعية مختلفة .

كان تشن وتساو يقصدان بذلك تدعيم سلطتهما على القسم المتضائل

من العمال الذي كان يخضع لتأثيرهما ، بكسب ولائه عن طريق توزيع شتى الامتيازات . وفي بعض القطاعات منحت زيادات مختلفة في الأجور ذات مفعول «رجعي» ، والعديد من الترقيات .

ويبدو انه كان لاجراءات اخرى هدف خلق جو من الانقسامات والاصطدامات في المؤسسات من اجل منع وحدة العمل . وأعطيت فجأة، اجور مرتفعة لطلاب كانوا قد اتوا يشتغلون في المصانع بموجب توجيهات الحزب . كانت الغاية واضحة : اثارة حسد رفاقهم في العمل ، من العمال . وكان القرار بتطبيق نظام علاوات جديد ، ذي نسب أرفع ، يذهب باتجاه تنويع الفئات في الأجور وتحطيم الوحدة العمالية .

ومنذ ان منحت المكاسب في بعض القطاعات، بدأت قطاعات اخرى بالمطالبة . وانتشر بسرعة كبيرة مناخ «اقتصادي» . فقام عمال مياومون بالمطالبة بملاك ثابت . وقامت اتصالات بين الاشخاص الذين يمارسون مهنا واحدة من اجل صياغة مطالب خاصة بمهنتهم .

ولا نرى سببا يعيب على العمال رغبتهم بتحسين وضعهم ومستوى معيشتهم . ولم يكن يتعارض مع الخط الثوري واقع ان عمال شانغهاي ارادوا اصلاح نظام الأجور . فقد كان يوجد لا مساواة في الدفع تسبب كثيرا من الاستياء . وقد اتبع في السنوات السابقة على الثورة الثقافية، في الميدان الصناعي ، سياسة ترمي الى ربط معدل الأجر بالمردود، الامر الذي ضاعف من شدة وصعوبة العمل . وكانت تلك الاجراءات قد اتخذت تحت اشراف بوو يي-بوو ، وزير الصناعة ، وقد انتقدت بشدة خلال الثورة الثقافية ، وفي صحافة الحزب الشيوعي الرسمية. والتهمة الرئيسية الموجهة الى نظامالأجور هذا هي تشجيعهعلى ولادةارستوقراطية عمالية ، وتقسيمه للشغيلة ، بتفريقه لمصالحهم . وكان هناك عدد من البنى الادارية وعدد من الاساليب المستخدمة في التخطيط المنقولة عن النمط السوفياتي ، بوحي شبيه . فكان ينبغي ادخال تغييرات كاملة اليها وهي ضرورة كان يحس بها العمال الصينيون .

غير انه ليس من المستغرب ان نعتبر ان هذه المشاكل قد عالجها تشن وتساو بروحية مختلفة . واذا كان بالامكان تغيير عدد من أشكال التسيير انطلاقا من انتقادات واقتراحات العمال ، بسرعة نسبية ، فان تغيير نظام الاجور والتخطيط لا يمكن ، بالمقابل ، ان يتم الا على صعيد وطني ، وتبعا لادارة شاملة واجراءات مناسبة . فيوجد فرق ، بالطبع، بين اصلاح كهذا يشرع به من اجل جعل البنى الفوقية الادارية ديموقراطية ، بين استغلال مشاكل الأجور من بيروقراطيين محليين من

اجل طمس الطابع السياسي للنضال (١) .

واذا كنت اشعر بالحاجة لاعطاء كل هذه التفصيلات فذلك بقصد تبيان خطل تفسير أحداث شانغهاي ، الذي قدمته صحف فرنسية يتراوح اتجاهها -بشكل يثير الفضول- من اقصى اليمين الى اقصى اليسار . وبالواقع ، كانت تقدم «الاقتصادية» على انها مظهر للعداء بين الطبقة العاملة والحرس الاحمر . فيكون العمال قد واجهوا بالمطالب المادية «مجذوبي» الماوية ، المنادين بأولوية العنصر السياسي على العنصر الاقتصادي . وتفضح هذه التفسيرات تجاهلا تاما لحقائق الحياة السياسية والاجتماعية في الصين . كما تفضح خطا من شأن الدور السياسي للبروليتاريا . وقد نالت هذه التفسيرات ، بقوة تكرارها، دون تكذيبها ، اعتبارا في كثير من النفوس . بيد انها لم تكن قائمة بتمامها على تكهنات خاطئة . فالفكرة المسبقة التي هي في اساس هذه الرؤية للأمور ، هي ان البروليتاريا الصينية تعارض ماوتسي تونغ ، « الزعيم الفلاحي» . ولا يفعل هؤلاء المبتسرون ، المبسطون ، المتخيلون سوى تشديد ستار الجهل الذي يفصلنا عن الصين . وهم يشجعون على اخطاء فظيعة في الحكم على ذلك البلد ، وعلى استصغار مضحك لامكانياته الحقيقية .

وما يبدو انه يدل على ان مناورات تشن وتساو لم يكن لها قصد اخر سوى اغراق المدينة في البلبلة، هو طابعها المتناقض جزئيا : في بعض المؤسسات كانا يضاعفان من علاوات المردود ، والتي ، كما هو معروف ، ترمي الى زيادة الانتاجية . وفي مشاريع اخرى كانا يدفعان الى شل العمل . وكما حصل في بكين (٢) ، هناك احتمال قوي بأنهما كانا يتمتعان بتأييد عدد من المسؤولين النقابيين ، الناشئين بكنف ليو شاوشي ، والذين جعلوا من انفسهم «خيوط تحريك» لخط تشن وتساو . وحسب طريقة شائعة في الصين ، تقوم على اتهام اليسار بأنه اليمين ، حرض تشن وتساو عمال البحر وسكة الحديد على الاضراب ردا على ازدياد نفوذ القيادة العامة للتمرد الثوري للعمال ومختلف المنظمات الجماهيرية التي تدعمها ، بحجة انها تمثل الخط الرجعي البورجوازي. فتوقف العمل جزئيا في خدمات شانغهاي البحرية والمواصلات وفي مختلف المؤسسات ، حيث كان قسم من الشغيلة ما يزال يثق بتشن وتساو . وقد دعا «الشريكان» العمال الى ترك اماكن عملهم ، وعملا على

---

(١) وقد اعلنت اللجنة المركزية ، دون دخول بالتفصيلات ، ان المسائل الاقتصادية ينبغيان تسوى في المرحلة النهائية من الثورة الثقافية.

(٢) انظر القسم الاول .

منح العديد من اذونات السفر ، حتى يستطيع هؤلاء العمال الذهاب الى بكين ، تحت ستار «المبادلات الثورية» ، للاحتجاج على نشاطات «رجعيي شانغهاي» ، وقد بذلا اموالا وفيرة في سبيل هذه التنقلات . فقام اشخاص يحملون مبالغ كبيرة من المال ، بزيارة المحلات التجارية في المدن ، بقصد شراء سلع كالدراجات والترانزيستور وآلات التصوير والساعات ، مما هدد بحصول ندرة في بعض السلع وباغراق تجارة المدينة في الفوضى ، بقلب بنى الاقتصاد الموجه .

رد «المتمردين» :

في بداية هذه السنة ، عام ١٩٦٧ ، تعيش شانغهاي ساعات حرجة . فكان يستلزم ردا سريعا وقويا من اجل تقويم الوضع. وقد قام به بشكل اساسي العمال المتجمعون في«القيادة العامة للتمرد»، وساندت عملهم عشر منظمات جماهيرية اخرى في المدينة . وفي الخامس من كانون الاول وجهت هذه المنظمات الاحدى عشرة **رسالة الى اهالي شانغهاي كافة** ، نشرت في **ون هوي باو** ، وهي جريدة هامة في المدينة ، كان الثوريون قد تسلموا ادارتها . في تلك الرسالة فضح الهجوم «الاقتصادي» المضاد ، وأطلقت صفارة الانذار ، فجذب الانتباه الى التفكك الذي كان قد دب في بعض القطاعات والخسائر الجسيمة التي يمكن ان يجرها على الاقتصاد الوطني . وأطلقت نداءات عاجلة الى العمال الذين بقوا في مراكزهم ، كي يضاعفوا جهودهم ، من جهة ، والى اولئك الذين كانوا قد انجروا ، كي يفهموا اخطاءهم ويعودوا الى العمل ، من الجهة الاخرى . وكانت الرسالة تلح بشدة على احترام قرار البنود الستة عشر والمبادىء الموجهة التي وضعتها اللجنة المركزية في المقدمة ، والتي بموجبها كان ينبغي «القيام بالثورة ودفع الانتاج معا» . وتوجهت الرسالة الى العمال المخدوعين ، القائمين بالاضراب بالقول : «اننا نرحب بحرارة بعودتكم من اجل القيام سوية بالثورة ودفع الانتاج معا» .

وفي السادس من كانون الاول ، سيطر «المتمردون» على جريدة اخرى هامة في شانغهاي تسمى : «تحرر» . ولم تتم تلك العملية دون اصطدامات ، فقد حاولت منعها منظمات معارضة . ومرة اخرى ، تجددت مجابهات مختلفة ، وقام المتمردون بنشر **بلاغ عاجل من عشر نقاط** (١) ، في التاسع من كانون الاول ، وكانوا قد اصبحوا سادة اكبر صحيفتين في المدينة . ويدعو ذلك البيان ، من جديد ، العمال المضربين الى العودة الى مراكزهم . وكانت اجهزة الدعاية في شانغهاي تحت

---

(١) راجع انباء بكين العدد الرابع ــ ٢٣ شباط ١٩٦٧ .

سيطرة الثوريين ، فشرعت على الفور ، بكل ما لتلك الاجهزة من قدرة في الصين ، بحملة تشهير بالنزعة الاقتصادية ، تساندها منظمات «المتمردين» في المدينة ، فألصقت في الشوارع آلاف الملصقات الملونة ، تظهر عمالا يحطمون مقاومة بيروقراطيين قابعين وراء «متراس» من اكياس الذهب ، وألصقت الى جانبها بيانات ، بأعداد كبيرة ، تطلب من اولئك الذين تركوا مركز عملهم العودة اليه . وهبت موجة جديدة من الصور الكاريكاتورية ، وكانت احداها تمثل ليو شاوشي وتنغ هزياو بنغ منهمكين بشكل محموم ، بدهورة قطار الثورة عن طريق وضع حزم من الاوراق المالية على الخط الحديدي ، وقد اشتهرت تلك الصورة الكاريكاتورية كثيرا ، وأعيد طبعها مرارا فيما بعد .

وامتلأت شوارع بكين ايضا ببيانات وشعارات تطلب الى الزائرين من شانغهاي العودة اليها واستئناف العمل . وفي بكين ، كما في شانغهاي ، اغلقت المتاجر المخصصة لبيع الدراجات وأجهزة الراديو وسلع اخرى غالية الثمن ، وأوقف تموينها ، بحيث توقفت تماما الموجة «الاقتصادية» ، وألغيت اذونات السفر وجمدت ارصدة المشاريع ، ومنع دفع زيادات الأجور، وأعلن ان المسؤولين عن اعمال التخريب سيعاقبون. وقامت المنظمات الجماهيرية في شانغهاي بالتعاون مع قوى الامن بتطبيق تلك الاجراءات .

تدخل الاجهزة المركزية :

ولا تفوت ملاحظة سعة التيار المعادي للثورة خلال تلك الاحداث التي رويناها . وقد رأى فيها عدد من المعلقين الاجانب كثيرا من الدلائل على قوة المعارضة لخط ماوتسي تونغ . هذا التفسير ليس خاطئا ، ولكن من اجل ان يكون دقيقا ، عليه ان يأخذ بالحسبان السياق السياسي الخاص الذي كان ينتظمها . وينبغي ان نشير الى واقع ان المعارضة لم تجر خلفها قسما من الجماهير الا بادعاء انتمائها لماوتسي تونغ وباستعادتها للشعارات الرسمية . فكان تشن وتساو يدعيان ايضا انهما يمثلان البروليتاريا ويتهمان «المتمردين» بالعداء للماوية وبتطبيق الخط الرجعي البورجوازي. وذلك ما كان يحد، بقدر كبير ، من مدى مناورات المعارضة .

لقد اشرت الى ان السلطات المركزية كانت تمتنع عن التدخل في النزاعات المحلية بقصد فسح المجال امام تطور المواجهة بين منظمات الحزب المحلية وبين الاهالي ، ثم التقييم ، بهذا الشكل ، لموقف الطرف الاول من الطرف الثاني ، وبالعكس . ولا يمكن ان يفسر البروز الذي اتخذته بعض نشاطات المعارضة ، وكذلك حادث « مجموعات العمل » ،

بجزء كبير منه ، الا بأن تطورها كان بتسهيل من قادة الثورة الثقافية . ألم يؤكد اعلان البنود الستة عشر ، منذ شهر آب ، انه لا ينبغي الخوف من صراعات الاتجاهات هذه ، ومن أحتداد التناقضات السياسية والاجتماعية الناتجة عنها ؟ ولا يمكن تفهم حدة واندفاع هذه المجابهات الا لأن خطرها كان قد قبل عن قصد ، وحتى انها كانت بمعنى ما متمناة(١)، وتستجيب هذه الطريقة لاهتمام عميق لدى ماوتسي تونغ بالتربية السياسية للجماهير . ويجب ان لا ننسى ان الغاية القصوى من الثورة الثقافية هي في تغيير عقلية الانسان . والحال ، فان هذا التغيير لا يمكن ان يحصل بواسطة التدابير الادارية : من اجل غرس الايديولوجية الماوية في كل النفوس ، ينبغي لها ان تتجسد في نضال عملي . وفي هذا النضال ، على البشر ، بمفردهم ، ان يتوصلوا الى تمييز ما كان ثوريا وما لم يكنه ، بشأن مشاكل محددة . وذلك يتطلب تبادل الافكار والنقاشات والخصومات والجدل وصراع الاتجاهات العنيفة احيانا ، وهذا ما كانت تولده الثورة الثقافية ، والذي كانت تتغذى به بدورها . زد على ذلك ، انه بفضل تلك الامور ، يرى المجتمع وقد انطبع بهذا الصراع بين خطين موجودين في الحزب . وكان بذلك اسهل عبر هذا «المكبر» تمييز الجذور الاجتماعية للمعارضة واجتثاثها .

وفي هذا السبيل كانت تدخلات فعالة من الاجهزة المركزية تعقب فترات عدم تدخل واسعة نسبيا . وتطبع هاتان الدورتان كل مرحلة كبرى من الثورة الثقافية .

وفي كانون الاول ١٩٦٧ ستقوم الاجهزة المركزية بالتدخل في شانغهاي ، من جديد ، بما ان التناقضات قد تطورت حينذاك الى تناقضات تناحرية .

(١) وذو دلالة في هذا الصدد التصريح التالي، الذي ادلى به شو آن لاي لوفد عمالي من ستشوان ، جاء يستشيره . وقد اعيد طبعه في بيان الصق في شوارع بكين في الثالث والعشرين من كانون الاول ١٩٦٦ :

«لقد خولني الرئيس ماو ان اقول لكم انه سيحدث بالضرورة اضطرابات في الجنوب الغربي ، اضطرابات واسعة . فلا ينبغي الخوف منها . ان المشاكل تنضج عبر الاضطرابات .

«لقد طلبتم استدعاء لي شنغ تسيان و لي تا شانغ (السكرتير الاول لمقاطعة ستشوان ومساعده) الى بكين . ليس للجنة المركزية موقف محدد بهذا الشأن. يمكنكم ان تقرروا ما يطيب لكم، فاللجنة المركزية لن تتدخل» .

فوجهت اللجنة المركزية والحكومة واللجنة العسكرية للجنة المركزية و(م.م.ث.ث)، رسالة الى المنظمات الثورية في شانغهاي، المذكورة سابقا، وأيدت **بلاغها العاجل**.

وعمم البلاغ العاجل والرسالة الى اهالي شانغهاي (١) بواسطة الاذاعة في كل البلاد، بينما شرعت كامل اجهزة الدعاية بالثناء عليهما وبالاستشهاد بهما، الامر الذي خلق على الفور ظروفا في غاية الملاءمة «للمتمردين»، وشكل الدعم الذي لقيته المنظمات الاحدى عشرة من اللجنة المركزية عامل نجاح حاسم في الصراع الذي كانوا يخوضونه، وهذا بالطبع قد فتح اعين اولئك الذين كانوا يناهضونهم، حتى ذلك الحين، لانهم مقتنعون عن صدق نية بأن اتجاههم كان خاطئا. وغدا منذ ذلك الحين مستحيلا على تشن وتساو الايهام بأن سياستهما كانت تتمتع بمساندة اللجنة المركزية، التي حسمت النقاش، بشكل لا يحتمل الالتباس، لصالح «المتمردين الثوريين». واهتزت كذلك بعمق المنظمات الجماهيرية التي كانت، حتى ذلك الوقت، تساند تشن وتساو، وتخبطت في ازمة. فكان عليها اما ان تتفتت او تعترف بأخطائها، فتغير من خطها وتتحالف مع من كانت تخوض المعارك ضدهم في السابق. وكانت افتتاحيات صحافة الحزب تطلب بشكل محدد الترحيب بهؤلاء المخدوعين، العائدين الى التحالف.

وفي الثاني عشر من كانون الاول ١٩٦٧ ذكر مقال صادر في **«يومية الشعب»** و**«الراية الحمراء»** انه «يجب علينا القيام، بأناة وحزم، بعمل سياسي وايديولوجي بين الجماهير المخدوعة لحين، وعلينا ان نكون مقتنعين بأن الغالبية الساحقة من هذه الجماهير تريد الثورة. وما ان توضح الامور، حتى يمكنها تمييز الخطأ من الصواب، والعودة الى خط الرئيس ماو الثوري البروليتاري». وبدهي ان تلك التحالفات لم تكن لتنزل، بالسرور، الاحقاد والخلافات. وقد احتاجت ازالة الانقسامات نهائيا الى وقت كبير، لكن تدخل الاجهزة المركزية، كان يسهل هذه العملية التي جرت بعد ذلك، في شانغهاي على الأقل، دون صعوبات مفرطة. فخلال فترة من الوقت وجيزة نسبيا، تم خنق الموجة «الاقتصادية». واستقر الوضع واستؤنف العمل، بفضل عمل المتمردين السريع والحيوي، المدعوم من السلطات المركزية والمساند من كامل جهاز دعاية الحزب.

وكانت دورة عصيبة من الثورة الثقافية، قد دارت في شانغهاي.

---

(١) انظر ايضا انباء بكين العدد الرابع ٢٣ كانون الاول ١٩٦٧.

فالاتساع الذي بلغه الصراع ودخول الطبقة العاملة الكثيف على المسرح السياسي ، ودور الثقل الذي لعبته ، والحملات المضادة العنيفة التي قامت بها المعارضة ، كل ذلك كان يشير الى مراحل حاسمة سوف تبدأ، وينبغي الدخول فيها .

دروس الحركة :

حملت تلك الشهور السبعة الاخيرة من الثورة الثقافية عبرا عديدة لماوتسي تونغ ولانصاره . بالطبع كانت البروليتاريا ، بنظرهم ، هي التي تقود الصين ، غير انه في بنى سلطتها نفسها كان يوجد تناقضات . وفي بعض القطاعات ، هناك اشخاص يحكمون باسم الشعب ، كانوا قد فقدوا ميزاتهم الثورية .

وبالاجمال ، تبعا لما اكد ماوتسي تونغ مرات عديدة ، كان الحزب سليما . ألم تكن كوادره قد اعدت من خلال العمل ، وألم يقم الحزب ، منذ ثمانية عشر عاما ، بتطوير البلاد بنجاح ؟ رغم ذلك فان شرا متسربا الى التقدم المحفوف بالمخاطر ، يترصده : هو فقدان حيويته الثورية . فهناك حيث كان الكوادر قد كفوا عن كونهم خداما للشعب ليصبحوا بيروقراطيين ، بدأت بالتهديد ظواهر فساد وانحطاط . وكان عدد منهم قد سار في طريق التحريفية. وبالطبع كانوا أقلية، لكنهم كانوا مصممين، ويسيطرون على «جيوب» من السلطة ، الامر الذي يضاعف قوتهم. وكان جهاز الحزب وجهاز الدولة يقدمان مواقع تخف ملائمة ، حيث بامكان المعارضين الارتداد والقيام بنشاطات خفية .

دون شك ، هذه هي الاعتبارات التي قادت ماوتسي تونغ الى الاستنتاج بأنه ، من اجل وقف هذه العملية ، ينبغي تجريد الكوادر ، من ذلك النوع ، من السلطة لنقلها الى الثوريين .

بيد ان ذلك لا يكفي . فلا يتساوى مجرد اعادة توزيع للمسؤوليات مع ادخال دم جديد . وبما ان الخلل في بعض قطاعات السلطة الشيوعية كان ناتجا بشكل اساسي عن انقطاع بين هذه السلطة وبين الجماهير ، كان ينبغي اعادة تأسيسها والعمل بحيث تمارس تحت رقابة متزايدة من الشعب . وكانت تمثل شكلا منها الامكانية المتاحة للجميع بنقد نشاطات كوادر الحزب على جميع المستويات . لكن ، كان ينبغي ايضا تكون بنى جديدة تكرس تلك الرقابة .

وبذلك كان على المنظمات الجماهيرية «المتمردة» ، في مرحلة معينة من نضالها ، ان تعزل المسؤولين الحزبيين الذين تعارضهم ، وأن تعين بعد ذلك ممثلين من بين قادتها ، للحلول مكانهم ، وأن تحافظ دائما على

امكانية اطلاع القادة الجدد على آرائها وانتقاداتها .

نقل السلطة :

يبرر العدد الثاني من «**الراية الحمراء**» الصادر في النصف الثاني من كانون الاول ١٩٦٧ ، نقل السلطة بهذه العبارات: «يجب على المتمردين الثوريين ان يحددوا كفاية لهم انتزاع سلطة القيادة التي يمسك بهـــا المسؤولون السائرون في الطريق الرأسمالي (زوزي باي) » (١) . وتقول المجلة ، بما معناه ، ان هؤلاء كان بامكانهم معارضة الخط الثوري بشكل عنيد ، لانهم يتولون مراكز قيادية . وبسبب ذلك كان بامكان العوائـــق التي اقاموها ، خلال حركة النقد ، ان تكون عديدة وصعبـــة التجاوز ، احيانا . وبفضل السلطه التي استأثروا بها ، كان بامكانهم استخدام كتل من جهاز الحزب ، واستغلال الميول البيروقراطية والعبودية والتطبيـــق الأعمى لأوامرهم من الكوادر الموضوعة تحت امرتهم . وقد استخدمـــوا صلاحياتهم الادارية من اجل طرد الاشخاص الذين كانـــوا ينتقدونهم ، وحتى لسجنهم في بعض المناطق . وفي الامور المالية جروا علـــى نفس المنوال ، من اجل اطلاق الموجة «الاقتصادية» . فكـــان ينبغي علـــى البروليتاريا ان تنتزع تلك السلطة التي تحتكرهـــا عناصر بورجوازية ، تحريفية ، ومعادية للثورة ، وأن تمارسها هي بنفسها .

وقد عادت الى هذا الموضوع افتتاحية شديدة الاهميـــة **ليومية الشعب** ، في الثاني والعشرين من كانون الاول(٢) ، فاشارت منذ سطورها الاولى الى ان الرئيس ماو واللجنة المركزية يساندان الحركة التي تقـــوم على انتزاع السلطة من المسؤولين التحريفيين . وأكدت الصحيفة على ان «هذه السلطة ، حيثما استأثر بها ممثلو البورجوازية ، يجدر الاستيلاء عليها» ، وتضيف : «لقد خلص المتمردون الثوريون من محـــن وتقلبات هذه الشهور الاخيرة ، بدروس عميقة . لقد رأوا اكثر فأكثر ، ان الثورة الثقافية اذا قاست من الصعوبات ، فلأنهم ، ببساطة ، لم يستولوا علـــى السلطة » .

وقد حدث ذلك الانتقال للمرة الاولى في شانغهاي . بعد هجـــوم

---

(١) راجع انباء بكين العدد الرابع ــ ٢٣ شباط ١٩٦٧ ــ : «ايهـــا الثوريون البروليتاريون لنتحد» .

(٢) انظر : «ايها الثوريون البروليتاريون اتحدوا بشكل واسع من اجل انتزاع السلطة من المسؤولين السائرين في الطريق الرأسمالي» : انباء بكين العدد الخامس ــ ٣٠ كانون الاول ١٩٦٧ .

«المتمردين» والهجوم «الاقتصادي» المضاد ثم الرد القوي الـذي تبعه ، اصبح مسؤولا لجنة شنغهاي البلدية في عزلة شديدة ، لان اللجنـة المركزية للحزب كانت قد قدمت دعمها الرسمي لاخصامهما . وتخلى عنهما القسم الاكبر من معسكرهما ، وفقدا رصيدهما . وبذلك كانت قد توفرت الشروط لتجريدهما من الوظائف ، وليمارس السلطة، التي كانت بحوزتهم في السابق ، ممثلون عن «المتمردين الثوريين البروليتاريين» ، من الان فصاعدا . وقد تجسد ذلك بتأسيس كومونة شانغهاي فـي الخامس من شباط ، والتي اتخذت اسم اللجنة الثورية لبلدية شانغهاي، فيما بعـد .

وقد سمي مجمل هذه المشاهد التي عاشتها الصـين كأحداث صاخبة ومثيرة ، بثورة كانون الاول .

لم تكن شانغهاي المنطقة الوحيدة من الصين التي انتشر فيها وبـاء النزعة الاقتصادية . فقد نشأت نفس الظاهرة في المدن والمقاطعـات الاخرى ، حيث كان مستوى تعبئة الجماهير مثيلا . وبحدة أقل فـي بكين ، لان البلدية كانت قد كفت عن كونها بين ايـدي عناصر معارضة ، وبقوة في تينتسين ووهان شينانغ وسي نغان . على ذلك ، في كثير من المناطق، تكون الثورة الثقافية قد مرت في دورات مشابهة للتي وصفناها في شانغهاي ، ستطرح فيها ايضا مسألة السلطة ، وسوف يدوي بقوة صدى عاصفة ثورة كانون الاول في كل البلاد ، آتيا يضيف صفحـة جديدة على تاريخ الصين .

٢

هجوم شباط المضاد

في شباط ١٩٦٧ ، كانت الشوارع الصينية تقدم مشهدا رائعا : الحيطان والواجهات وحتى الارصفة ، كلها مغطاة بالملصقات والشعارات بأحرف كبيرة، والرسوم الكاريكاتورية. وكانت هذه الاخيرةتظهر كسلسلة من الرسوم ذات الحجم الكبير ، تروي بسخرية و«خبث» مختلف حوادث النضال الجاري . وتستهدف على العموم ليو شاوشي وزوجته وانـــغ كوانغ مي ، وتنغ هزياو بنغ وتاو شو . غير ان وزراء مختلفين وموظفين كبار كانوا دوريا موضوعا لها . وقد ساهم عدد هذه الرسوم المتزايـــد وألوانها البراقة ومهارة اصحابها الساخرة ، باعطاء شوارع المدينه مظهر صفحات ضخمة من كتاب مصور . ويشاهد في هذه السلسلة مـــن الرسوم الكاريكاتورية الفحص الشعاعي لليو شاوشي الذي تظهر اشعـة اكس قلبه «الاسود» — اللون الذي يرمز في الصين الى الشر الاعظـــم وذروة تعبيره هي التحريفية — . وهناك نرى تاوشو وقد فتح دكانـــا للتأمين متخصصة بحماية التحريفيين . وفي مكان اخر يقف هولونـــغ باللباس والشارات التقليدية التي تخص بها اوبرا بكين صناع الحـروب في الصين الاقطاعية . ولم تكن هذه الرسوم من عمل الفنانين او طـلاب الفنون ، الا في البداية . بعد ذلك ، انصرف كل من يشعر ببعـــض الموهبة من العمال والشغيلة المغمورين ، الى رسمها: فكان يولد، تلقائيا، شكل فني جديد. وليس لنا الا ان نأسف لعدماهتمام السلطات الصينية بالتعريف الذي يستحقه هذا الخلق الرائع ، خارج البلاد . وقد بدت لي تلك الموجة من الرسوم الكاريكاتورية نموذجا للفن الشعبي ، اكثر بكثـير من الاعمال التصويرية النادرة، التي امتدحت فيما بعد، باعتبارها اعمالا بروليتارية ناجحة .

ولم تنج بكين من الحمى التي بدت تتولى الصين في مطلعهذا العام. كانت المواكب تشق المدينة ، طيلة النهار والعمال والشغيلة يتوجهون الى

الاحتفالات الخطابية ، سيرا على الاقدام او في الشاحنات ، في عرض من الاعلام الحمراء ، وصور ماوتسي تونغ ورايات وشارات مختلفة . وكانت مجموعات كثيفة من الناس تذهب وتأتي الى المفارق الكبرى من مركز العاصمة والشوارع الرئيسية وساحة تين آن من الشاسعة ، فتتشكل التجمهرات : وتحدث النقاشات والاتصالات وتتبادل المعلومات . ولم يحدث مرة ان وزع ذلك القدر من البيانات ، وبيع ذلك العدد من صحف الحرس الاحمر والتنظيمات العمالية . وكانت الصحف في هذه الفترة لا تحصى يباع منها نحو ٢٠٠ في بكين بشكل منتظم . ويأتي بانتظام عمال وطلاب لتوزيعها على مفارق الطرق الحيوية . وبينما كانت صحافة الحزب المركزية التي تفرط في الانتقاء ، لا تنشر معلومات حول مسيرة الصراعات الجارية خلال الثورة الثقافية . وكانت تلك المنشورات تعكس بصورة اكثر حيوية النقاشات والمجادلات ومختلف التقلبات التي طبعت تلك الثورة . وكان وجود هذه الشبكة الاعلامية الموازية ، يتيح لكل الصينيين ان يكونوا على علم بالاحداث دون ان تتخذ الاخبار والاتهامات التي تحتوي عليها هذه المنشورات طابعا رسميا . وكانت هذه الصحف على الأخص وكذلك الملصقات الجدارية هي التي تنتقد ليو وتنغ وتاو ، بينما كانت تمتنع عن ذلك الصحف المركزية .

وأقامت المجموعة المكلفة بقيادة الثورة الثقافية ، قرب ساحة تين آن من ، مركزا للاستقبال ، لم يكن يفرغ : كان يأتي ، دون انقطاع ، ممثلون عن مختلف منظمات العاصمة والمقاطعات لطلب المعلومات وطرح الاسئلة وابلاغ الرسائل والتقارير . وتقف عربات مجهزة بمكبرات الصوت في النقاط التي يكثر التردد عليها ، تذيع باستمرار بلاغات عن المنظمات الجماهيرية . وكان لهذه المنظمات في المدارس والمؤسسات كذلك مكبرات صوت ، تبث هناك ايضا النداءات والبلاغات المختلفة . واذا ما قام بين تجمعين مناظرة بهذه الطريقة ، وغالبا ما كان يقوم ، نتج عنها تشويش فظيع .

وغالبا ما كان اشخاص يقومون باستعراضات على اصوات الدفوف والطبول ، حاملين يافطات عليها رسم مزدوج لصور مزينة لماوتسي تونغ ولرموز السعادة ، احتفالا بنقل السلطة الذي يكونون قد قاموا به في مكان عملهم . وفي مثل هذه الحالة ، كان يعلق على واجهات المؤسسات او الجامعات والمدارس ، على جانبي المدخل ، الواح ضخمة من الخشب الاحمر ذكر عليها ولادة لجنة ثورية . ويزين اعلى البناء بقطعة كبيرة من القماش الاحمر ، المفضض ، مغطاة بورود عديدة الالوان ، ويعلق على المدخل لفافات ضخمة من الورق القرمزي ، وهذه من لوازم ايام الاحتفالات . وفي وقت متأخر من الليل يسمع انفجار المفرقعات وهي علامات اخرى على الابتهاج .

مشاكل نقل السلطة

وضع متشابك :

منذ نهاية كانون الاول وبداية شباط ١٩٦٧ شوهد ظهور العلامات الاولى لانتصار الماويين على المعارضة . وقد تبع انتقال السلطة في شانفهاي انتقالات اخرى ، وبالتحديد ، في تسنغتاو ، وبعدها بقليل في كامل منطقة شانتونغ . وبعد ذلك انتقلت السلطة على مستوى المقاطعات، على التوالي في مناطق الشاسي والكويتشيو والهيليو نغكيانغ . وبذلك تمت تصفية قسم لا بأس به من المعارضين ، بينما قامت عناصر الثورة الثقافية الشابة ببث الحيوية في جهاز الدولة . وكان ذلك عنصر نجاح قيم ، لكن مداه كان محدودا بالصعوبات المختلفة ، التي سنأتي على ذكرها .

ولم يتعد المجال الجغرافي لعمليات نقل السلطة تلك ، المناطق التي ذكرت . ولم يكن بوسع الثورة الثقافية ان تتطور بنفس السرعة في مجمل البلاد ، بسبب سعة الاراضي الصينية وتنوع بل اختلاف الظروف المحلية : وبذلك كان المعارضون في بعض المناطق على قوة تتيح لهم المناورة . فكانت حركة السلطة في هذه المناطق تتقدم ببطء . واستمر الصراع يشتد ويضعف . ويدخل في هذه الفئة ، مثلا ، بدرجات مختلفة ، مقاطعات ستشوان وكيانغسي ويونان وشنسي ومنغوليا .

وظهر حينذاك تشابك في اوضاع متغايرة . وأحيانا ، كان يحدث ان تبقي السلطة ، على مستوى المقاطعة ، بين ايدي المعارضين ، مبدئيا على الاقل ، بينما تكون السلطة قد انتقلت الى «المتمردين» في بعض بلديات تلك المقاطعة . وأحيانا اخرى كان يحدث العكس : مقاطعة يسيطر عليها «المتمردون» ، بينما يعشش المعارضون في بعض بلدياتها . فكان ميزان القوى بين المتمردين والمعارضين ، يختلف ليس فقط من مقاطعة الى اخرى بل من محلة الى محلة .

واخذ يدخل هذا الوضع المبلبل عنصر تعقيد جديد .

ظاهرة مفاجئة :

كان انتقال السلطة الحاصل في شانفهاي ، وذاك الذي تبعه بعد قليل في مقاطعة هيليو نغكيانغ ، موضع ثناء مستمر في صحافة الحزب، التي كانت توصي بالاقتداء بهما. لكنها كانت تضيف دائما ، انه لا ينبغي القيام بهذا الانتقال الا اذا كان لا مناص منه . ويبدو ان قيادة الحزب المركزية لم تكن ترى ضروريا القيام بنقل للسلطة على المستويات الاخرى: المدارس والمصانع او الاقسام الادارية والتقنية التابعة لها . ودون ان

يستبعد ، لم يعتبر الزاميا : القيام به على مستوى واسع . وتظهر القراءة الدقيقة لافتتاحيات **يومية الشعب والراية الحمراء** ، التي تعود الى تلك الفترة ، ان ولاء غالبية الكوادر الوسطى والدنيا في الحزب ، كان يعتبر امرا محققا ، رغم الاخطاء التي كان لعدد منهم ان يرتكبها في هذا الامتحان الصعب .

غير ان الاسابيع الاخيرة من كانون الاول والاولى من شباط، شهدت في عدة مناطق عمليات نقل متعددة للسلطة على المستويات الدنيا من الادارة وجهاز الحزب . وكان يبدو ان الجماهير مضت عفويا الى ابعد مما كان متوقعا .

وكان لذلك نتيجتان : الاولى كانت اظهار مقاومة المعارضين على تلك المستويات ايضا : فرغم أنهم كانوا معتبرين أقلية فقد اظهروا عن قدرة على وضع العراقيل بشكل محسوس . وهنا ، ايضا ، وحتى في المناطق التي انتقلت السلطة فيها على المستوى البلدي والمقاطعة ، لم يشمل ذلك كل المؤسسات والمكاتب والمدارس في تلك المدينة او المقاطعة. هذا الوضع الخاص يمكن تفسيره بشكلين مختلفين : اما ان ذلك النقل لم يكن يبدو فيها ضروريا ، لان لجنة الحزب او لأن اخصام الخط الثوري كانوا قادرين على الصمود في وجه «المتمردين» . فكان ميزان القوى بين «المتمردين» وبين «المحافظين» يختلف ليس فقط من مقاطعة الى اخرى او من محلة الى غيرها ، بل من مكان عمل الى اخر . وكما حدث عام ١٩٦٦ ، فقد استمر الصراع بين الخطين يتعرج عبر نزاعات متعددة تمتد في عدد من قطاعات المجتمع الصيني . اما النتيجة الثانية لهذه الموجة العفوية من نقل السلطة ، الذي كان يتم غالبا بشكل سريع ودون اعداد كاف ، هي خلق مشاكل دائمة سوف تثقل سير الاحداث .

مشكلة الكوادر :

كانت اولى هذه المشاكل وأكثرها حدة ، هي مشكلة الكوادر . لقد صاحب نقل السلطة انشاء اجهزة جديدة على جميع المستويات ، دعيت اللجان الثورية ، وكانت تتكون من قادة المنظمات «المتمردة» . وكان ضروريا ان تساهم الكوادر في الهيئات القيادية الجديدة ، الى جانبهم ، على الاقل عناصر الكوادر التي لا يمكن اعتبارها تحريفية ، وهي الغالبية كما اكد اعلان البنود الستة عشر . ان خبرتهم ونضوجهم السياسي وقدرتهم التنظيمية كانت ثمرات عشرات السنين من العمل الثوري، فهي تشكل ثروة ثمينة لا غنى عنها . ولم يكن بامكان الهيئات الجديدة ان تتركز وتعمل بشكل صحيح دون مساعدتهم . غير اننا كنا قد رأينا نوع الصعوبات التي كان على الكوادر ان تواجهها في المراحل السابقة من

الثورة الثقافية . فقد استخدمت «مجموعات العمل» وبعض هيئات الحزب المتأثرة بخط ليو شاوشي عددا من الكوادر من اجل مكافحة العناصر الثورية من الجماهير والتضييق عليها . وفي السابق كانت الجماهير تنظر الى اغلب الكوادر نظرتها الى «المجرمين» ، على الأقل في عدد من الامكنة : فكانوا احيانا ضحايا الخط الرجعي البورجوازي ، وأخرى المنفذين له ، فكان موقفهم صعبا ، بلا ادنى شك . ويحدث لهم ان يترددوا ويتخذوا موقفا ، اعتبره البعض ملتبسا .

وكذلك كان عدد من الثوريين الشبان يضمر لهم مشاعر حذر او كره . اضف الى ذلك ان الامتيازات المادية التي كان قسم منهم يتمتع بها كانت تفقدهم عطف بعض العمال . رغم ان هذه الامتيازات متواضعة بحد ذاتها ، لكنها تثير الحساسية في الصين حيث مشاعر «المساواتية» Egalitarisme قوية .

وحصل مرارا ان المتمردين ، وقد اخذ بهم الاستعجال والفوران ، اللذان تثيرهما اللحظات الكبرى ، لم يحسنا تقدير دور الكوادر . فكانوا يخطئون من حيث الخلط بين بيروقراطية بعض المسؤولين وبين الموقف المعادي للثورة . وكانت تلك نظرة تبسيطية للامور : فالبيروقراطي ليس حقا الصورة المثالية للمناضل الثوري ، ولكن مجرد كونه كذلك لا يسمح لنا باتهامه بالتحريفية او بالخيانة . وبذلك حصل تفريط بعدد كبير من الكوادر ، في غالب الاحيان . بل كان يوجد بين عدد من الشغيلة والطلاب اتجاه لعزلهم جميعا ، دون تمييز . وبغياب قدرتهم ونشاطهم غدا صعبا ، احيانا ، القيام بأعباء الادارة والتسيير التي اسندت الى عناصر شابة ينقصها الاعداد والخبرة .

انني اصر هنا على تحديد ما كان عليه وضع الكادر المعزول ، لانه كتبت في كثير من الصحف الغربية اشياء غير صحيحة بهذا الشأن . لقد كان بعض هذه المقالات يحاول الايهام بتذبيح حقيقي للمعارضة ، بكلامه عن التصفية والاستعمال المبالغ لتعابير صينية ملتوية ، كانت ترجمتها الحرفية توهم بعنف اكبر . وقد كان ميل الصينيين الى استعمال التعابير العسكرية المصورة من نوع: «لنقصف القيادة العامةللبورجوازية»، او : «لنجتاح معاقل التحريفية» يثير كثيرا من الخلط بشأن العنف الدموي للصراعات الجارية ، حتى لدى الصحافيين الرصينين . وقد اكدت وكالة صحافة اجنبية ، بعد ترجمة مشوهة لتعبير صيني مجازي يعني : «لنفتح نار النقد على الخط الرجعي البورجوازي» ، اكدت بكل راحة بال ان انصار ماوتسي تونغ قاموا بالقاء اخصامه في النار !

وبالحقيقة ان عزل احد الكوادر ، حتى ذاك المتهم بالتحريفية لم يكن يرفق بتوقيفه ، فكيف اعدامه ؟ فكانت الكوادر المعزولة تستمر

بالقدوم يوميا الى مكان عملها ، وتقبض اجورها كالمعتاد ، ولم تحرم الا من بعض المكاسب المادية المرتبطة بالوظيفة التي عزلت منها كاستعمال سيارات المشروع . ويخصص قسم من وقتها للقيام باعمال يدوية بسيطة : نقل الفحم او صيانة اجهزة التدفئة او اعداد الطعام . ويحدث ذلك في الصباح ، عادة . وتخصص فترة بعد الظهر للدراسات السياسية واجتماعات النقد والنقد الذاتي . ولا ينكر ان تكرارها والضغط المعنوي الذي تحاول ممارسته على الفرد ، امر مرهق . رغم ذلك ، فان مقارنتها بالقصاص الجسدي او التعذيب افتراء دنيء .

ولم يكن عزل احد الكوادر ينهي انتقاده ، لأن الصينيين مقتنعون، وقد ساهم ماو كثيرا بذلك الاقتناع ، بأن الانسان بوسعه دائما أن يتغير. وطالما ان المعارض لا يسجن ولا يعدم ، فلا يبقى الا السعي لتغيير آرائه. وهكذا يظهر ان النقد والنقد الذاتي هما عملية اعادة تربية للشخص الذي يخضع لهم . وكان على نقد النشاطات السابقة للكوادر المعزولة ان يستمر من اجل صحة تحليل ما يجب أن يحول في المؤسسة او المدرسة ، وكان ذلك يستغرق بعض الوقت .

في شباط ١٩٦٧ ، كان يشاهد في المؤسسات التي ظهر فيها اتجاه عفوي للمبالغة بعزل الكوادر ، مجموعات كثيفة من المسؤولين المعزولين تذهب في الصباح الى العمل اليدوي ، بينما كانت تشاهد بعد الظهر في صفوف كثيفة ايضا في الجمعيات العمومية للمؤسسة ، لتكون موضع نقد .

وكانت نتيجة تلك الحالة ، كما هو متوقع ، ترديا في النشاطات العادية للمكاتب والمؤسسات . وقد بدا ذلك بشكل ظاهر في الاسابيع الاولى من شباط .

وانهار بعض الكوادر امام عنف النقد الذي كان هدفا له . وتردد قسم من الرأي العام ووقف متسائلا امام بعض المبالغات . فكان بعض الكوادر في المؤسسات والمدارس ، ينتقد احيانا بحدة ، ولاسباب تافهة، واقفا في صف طويل امام المنصات . وكان يزيد من توتر ذلك الجو العنف اللفظي الذي يألفه الصينيون .

ويجبر المدانون على اعتمار الطراطير ، وهذا رمز تقليدي في الصين للعار السياسي . وقد دفع هذا العمل ماوتسي تونغ الى التدخل الحازم من اجل منعه ، بل انه صدم برؤية عدد من الكوادر ذات الماضي المجيد ، تهان من قبل بعض الفتيان . ويظهر ان احدا لم يكن بمأمن من هذا النقد المسعور . ألم يوصف المارشال شوته ، احد ابطال تحرير الصين الى جانب ماوتسي تونغ ، بـ «العجوز الأبله»، في احدى الملصقات الجدرانية؟

وكان البعض قد بدأ بالهمس بأن «المتمردين» و«الجنرالات الصفار» انما يبالغــون .

الميول نحو الانشقاق والروح التآمرية :

لقد كان من نتيجة عدم الاعداد الكافي ، الذي تم معه عدد مـــن عمليات نقل السلطة ، ليس غياب الوحدة بين المتمردين وكوادر الحــزب فحسب ، بل ادى احيانا الى بعثرة منظمات المتمردين انفسهم . وغالبا ما كان الطلاب والعمال يتوزعون على منظمات جماهيرية متعددة ، متفقـــة مبدئيا على النضال سوية ضد خط ليو شاوشي ، لكنها سريعة الاختلاف على الوسائل التي يجب ان تطبق . وبالاضافة الى ما يحتمل من اختلافها في الرأي حول كوادر الحزب كانت هذه المنظمات تنقسم بشـــأن عمليات نقل السلطة ، بقدر اختلافها حول انشاء اللجان الثورية . وكانت بعض المنظمات الجماهيرية تعجل باعلان نقل السلطة لصالحها ، بسبب تنافسها مع منظمات متمردين اخرى ، لتظهر انها الاكثر ثورية . وكانت تلـــك الاعمال ، في مثل هذه الحالة ، تبدو كحركات اقلية ، قليلة الاهتمـــام بتأمين دعم واسع من جانب العمال والطلاب في تلك المنطقة .

وكانت هناك منظمات اخرى متحدة حين القيام بنقل السلطة ، ما تلبث ان تنقسم بعده ، فتبرز خلافات حول تعيين المسؤولين من المنظمات في اللجان الثورية . فكان بعضهم يريده تمثيلا نسبيا والاخر يطلبـــه متساويـا .

وتدعي بعض المجموعات الافضلية : «نحن اول من تشكل ونحن من لعب الدور الاكبر ، فيحسن بالمنظمات الاخرى ان تحل نفسها وأن يلتحق اعضاؤها بمنظماتنا» . فكان المقصودون يجيبون : «لا بحث . في الثورة الجميع متساوون» . وعلى هذا الشكل كان يجري حوار الطرش ، تنقله احيانا مكبرات الصوت في باحات المصانع والجامعات .

والذي كان يعيق ايضا وحدة صفوف المتمردين ان المنظمات المتعددة كانت تابعة لقيادات عامة ، غالبا ما تكون متميزة بل متنافسة ، مشكلـة على مستوى مجموعة من المؤسسات او على مستوى المدينة كلها . ولـم يكن باستطاعة اشخاص يعرفون بعضهم البعض جيدا ، في مشغل واحد او مكتب واحد ، ان يتحدوا لان قياداتهم في الخارج كانت مختلفة . ولم يكن هذا التركيب العامودي يتفق تماما مع حاجات الحركـــة : فكانت الوحدة بين الاشخاص العاملين سوية مهددة «بالانعزال عن الجماهـــير» لكونها خاضعة للاتفاقات التي يجب ان تعبر «القمة» . ومن اجل معالجة هذه الصعوبة اوصت صحافة الحزب بالقيام بتحالفات نسبية للقســـم الاداري او التقني المحليين : معمل ، قسم ، الخ . وأشاعت عن تجربـة

ناجحة ، من هذا النوع ، في معمل للنسيج في كوي يانغ . وكان قصد قادة الثورة الثقافية هو بالطبع تخطي النزاعات بين القيادات بتشجيع الوحدة في القاعدة . لكن ذلك لم يثمر الا قليلا .

ودامت الانشقاقات والانقسامات في مناطق مختلفة ، بينما كانت تنمو الروح التآمرية . وكانت بعض اللجان الثورية قد انشئت دون اتفاق كبير من الطلاب والشغيلة ، فكان لها صفة تمثيلية سطحية وسلطة محدودة . وقد ادى غياب عدد كاف من الكوادر المجربين من صفوفهم ، من اجل مساندتهم ، الى قصور في قدراتهم الادارية . وبذلك كان قليلا نسبيا عدد اللجان التي نالت منذ انشائها «الدمغة» الرسمية من السلطات الماوية .

تيار شباط المضاد :

تظهر الثورة الثقافية الصينية كتعاقب متناقض بين تيارات يمينية وأخرى يسارية . لقد بدا ، اساسا ، ان تعبئة الجماهير ونقل السلطة كحملة يسارية لزعزعة اتجاه يميني يستخدم قسماً من جهاز الحزب لغاياته . وقد جرت هذه الحملة الى مبالغات ، تطلبت تصحيحا ، حاد به بعض المعارضين الى اليمين . حصل ذلك في نهاية شهر شباط عام ١٩٦٧ . وسمي هذا في تاريخ الثورة الثقافية : «تيار شباط اليميني المضاد» . وسنقوم بذكر مصدره ووصف مظاهره ثم عملية احباطه .

السياق الاجتماعي والسياسي :

كانت الصين في ذروة الفوران : اعمال جماهيرية ، عمليات نقل للسلطة على مستويات عديدة . واتخذت الثورة الثقافية طابعا صاخبا وحماسيا . وغرق المجتمع الصيني في عاصفة هائلة . وبالطبع كان للاضطراب والقلق حظ من هذا الغليان السياسي الوجداني ، الذي يثير خيال كثير من «متحررينا» الباريسيين ، لو كانوا له شهودا .

لقد كانت تلك الهزة العنيفة ضرورية لنسف الغطاء الحديدي الذي كانت تهدد باحكامه حول الصين الميول البيروقراطية والتحريفية . وطبقا لما كان قد قاله ماو في ايار ١٩٦٦ ، بدىء بالهدم ، وعلى البناء ان يأتي فيما بعد . لكن الخطر كان يتجلى في ان ينمو الهدم بمنطقه الخاص وفي ان يولد بالتراكم والتسارع شبه فوضى . والحال ، فقد بدت ظواهر سلبية : توقفت عن العمل اللجان الحزبية ، العاجزة عن التكيف بمرونة مع نوعية الوضع، في حين ان اللجان الثورية كانت تنغرس ببطء وصعوبة، احيانا . وقد بلغ من زعزعة «ضم» السلطة عن طريق نقد الكوادر ان بدأ، هنا وهناك ، نظام الطاعة الجماعي بالانحلال ، وتنظيم العمل بالتعرقل . وقد شمل ذلك جميع نواحي الحياة اليومية . وفي بعض الاحيان ، اصبح

مستحيلا على الشرطة تنظيم سير الدراجات : فكان كثير من المواطنين يعتبرون انفسهم احرارا في مخالفة تعليماتها ، بمجرد التذكير بعبارة ماوتسي تونغ : «لنا حق بأن نتمرد» . وفي الحدائق كان بعض الفتيان يتزحلق على المياه المتجمدة بخلاف التعليمات التي تشير اليها لوحات بارزة . وفي اغلب الاحيان كان العمل مهملا لصالح النشاطات السياسية الخارجية . وكانت القطارات مستمرة بحمل عدد كبير من الاشخاص للقيام بمبادلات ثورية . لكن ، بينما كانت فترة النقل المجاني قد انتهت ، كان كثير من المسافرين ما يزال يرفض الدفع .

واذا ما كان لهذا الوضع ان يسوء ، فقد يظهر فراغ سياسي ، حتى ان البنيات التنظيمية على المستويات الوسطى من المجتمع كانت تنذر بالتفكك . ومن جهة المعارضة ، كان بامكانها استغلال هذه الظروف لتنشط .

المركزية والنزعة العفوية :

كل ماركسي يعتبر ان البروليتاريا هي الطبقة الوحيدة التي يجب ان تستقطب وتقود الجماهير في الثورات، باعتبارها الاكثر ثورية، ويجب ان تمارس هذه القيادة عبر عناصرها الاكثر وعيا وتصميما ، منظمين في حزب شيوعي . وقد خصص لينين العديد من الكتابات للبرهنة على هذه الموضوعة ، المعتبرة حاليا جوهرية بالنسبة للماركسية . ويعتقد ماو بصحتها وقد وجه عمله طيلة الثورة الثقافية تبعا لتلك المبادىء .

ولا ينبغي للقيادة الشيوعية للجماهير ان تستبعد امكانية الجماهير في التعبير واخذ المبادرة والنشاط ، وهذه هي الديمقراطية . ولكن ، لكون هذه الجماهير منقسمة الى طبقات، وللطبقات ميول وطاقات نضالية وافكار متميزة . اذن على القيادة الشيوعية ان تمركز الافكار والمبادرات التي تعتبرها صحيحة ، وأن تقيم سياستها على هذا الاساس ، على ضوء الماركسية . وهذه هي «الديمقراطية المركزية» التي يدعوها ماوتسي تونغ وحدة الاضداد . والتوازن الذي يجب ابقاؤه بين هذين العنصرين توازن دقيق . وينبغي اعتبار الثورة الثقافية وتعبئة الجماهير التي تبعثها ، من وجهة النظر الماركسية ، كمحاولة لتعويض المبالغة بالمركزية بمضاعفة لديمقراطية الجماهير . وفي شباط ١٩٦٧ ، ولد تطرف الديمقراطية لدى الجماهير، النزعة العفوية — مبادرات مشوشة خارجة عن اطار اتجاه سياسي محدد — التي كان عليها ، بدورها ، ان تصحح باعادة احلال قدر من المركزية .

تصحيح ، حملات صحفية :

لم يكن ينبغي ان تأخذ تلك المركزية اشكالا عنيفة وقمعية ، والا لانقطعت حينئذ التعبئة الجماهيرية ، وبذلك يكون قد ضحي بالتطور اللاحق للثورة الثقافية ، والذي كان ما يزال ضروريا . فينبغي العمل بمركزية لكن بشكل مرن ومحسوب .

على ذلك ، دعيت المنظمات الجماهيرية الى تصحيح اخطائها بنفسها، واطلقت حملة صحفية في هذا السبيل . وبذلك اشتدت المركزية على الصعيد الايديولوجي ، لتعويض أضعافها على الصعيد التنظيمي ، بما ان عزل عدد من الكوادر كان قد عرقل عمل اللجان الحزبية فيبعض الامكنة. وتطورت الحملة الصحفية حول موضوعين ، يقوم الاول على التشهير بالميل الى التفتت الى مجموعات صغيرة ، وبالروح التكتلية فاوردت الصحف بكثرة مثل : تسنغ تاو حيث كان المتمردون قد شرعوا بتصحيح ذلك النوع من الاخطاء وكذلك اوردت التصحيح الذي بدأته بنجاح «فصيلة لوسن» (١) في شانغهاي .

وكانت تقوم حركة التصحيح ، التي بدأت في مناطق مختلفة ، على عقد اجتماعات لجميع المنتسبين الى مجموعة ما ، ليطلب منهم نقد من انتخبوا من القادة وسياستهم . وقد نصحت صحافة الحزب بعقد جلسات تصحيح «مشرعة الابواب» وهذا يعني السماح للمنتسبين الى منظمات اخرى بحضور تلك الاجتماعات وأن يبلغ ايضا انتقاداتهم .

وشددت الصحافة المركزية كذلك على ضرورة الاتجاه نحو ما كانت تسميه بالتحالف الكبير ، عانية بذلك تفضل جمع ٩٥٪ من الشغيلة وكوادر الحزب ، في كل وحدة عمل او تعليم مأخوذة على حدة. وبالواقع كان الاعتقاد راسخا بأن التحريفيين أقلية لا تتجاوز ٥٪ من السكان . وبذلك يجب ان ترفض الميول التكتلية والانشقاقية ، دون خوف .

اما الموضوع الثاني للحملة الصحفية فقد تركز حول مشكلة الكوادر المصيرية . في النصف الثاني من شهر شباط نشرت **الراية الحمراء** في عددها الرابع افتتاحية بعنوان: «يجبانتعامل الكوادر معاملة سليمة»(٢) شددت تلك الافتتاحية على ضرورة القيام بالنضال برؤية واضحة وعلى ان العناصر التي تسربت الى صفوف الكوادر من غير البروليتاريا كانت قليلة العدد : «ان توسيع جبهة النضال بشكل خاطىء وتصويب سهام النضال ضد جماهير الكوادر انما يعود الى عدم التمييز بيننا وبين العدو

---

(١) انظر انباء بكين العدد العاشر الصادر في السادس منآذار ١٩٦٧ .
(٢) انظر انباء بكين العدد العاشر الصادر في ٦ آذار ١٩٦٧ .

وهذا امر بالغ الخطورة» . فكان ينبغي ان يعمد الى تفحص معمق لنشاط الكوادر على مختلف المستويات لتمييز من كان جيدا ، او جيدا نسبيا منهم ، طبقا لاعلان البنود الستة عشر . اما بشأن الذين قاموا بارتكاب الاخطاء كان ينبغي بعد القيام بنقدهم اعطاءهم امكانية اصلاح اخطائهم : «يجب نقدهم من اجل مساعدتهم ، وما ان يتم ذلك فيكون صدرنا رحبا ونسارع الى معاونتهم» .

ولا يجب ان يستبعد بذلك ان تظهر اقلية من الكوادر ، مؤلفة من عناصر سائرة بعناد في الطريق الرأسمالي ، عاجزة عن اصلاح اخطائها او غير مكترثة به ، وقد حاول الحزبان يعمم في صحافته بعض التجارب الناجحة في هذا المضمار ، وعلى الأخص في منطقة هيلو نغكيانغ . وقد قام قسم الدعاية التابع للجنة المركزية بالصاق بيانات في مختلف الامكنة، تحتوي على مقتطفات من اقوال ماوتسي تونغ مأخوذة من احد فصول الكتاب الاحمر المتعلق بالكوادر . وعلى الأخص هذه العبارة : «علينا ان نعرف كيف نحكم على الكوادر فحين نحكم على كادر من الكوادر يجب الا ننظر فقط الى مرحلة قصيرة من حياته او الى حادث واحد في عمله ، بل يجب ان ننظر الى جميع مراحل حياته والى جميع اعماله» .

وكان هذا تلميحا بالغ الوضوح الى كوادر الحزب من ذوي الماضي النضالي المجيد ، وانه كان تجدر حمايتهم في حين انهم لم يوفروا وتبعا لعادة دارجة في الصين ، تسهل منها خصائص اللغة الصينية فقد لحنت هذه المقتطفات ، وكثيرا ما كانت تنشر عن طريق الاذاعة .

كانت الدعوة الى اعادة اعتبار الكوادر المعزولين ظلما ، تحتوي على خطر اعادة التحريفيين الى وظائفهم . ويمكن للعودة الى المركزية ان تعقب مبالغات النزعة اليسارية والعفوية بمبالغات يمينية مقابلة . وهذا ما حصل فعلا ، مشيرا بذلك الى بداية «تيار شباط اليميني المضاد» .

ظهور التيار المضاد :

هذه فترة من اهم فترات الثورة الثقافية غير انها كذلك من اكثرها غموضا . وفي الوقت الذي كانت فيه الملصقات الجدرانية تعطي كمية مدهشة من المعلومات حول الاحداث الجارية ، فقد احتفظت بصمت تام حيال الظروف الدقيقة التي ظهر وتطور فيها التيار المضاد . وقد بقيت المجادلات داخل الهيئات القيادية للحزب ، التي اتسمت بها هذه الفترة، سرية في اغلبها ، بعكس ما حصل بالنسبة لاحداث المرحلة السابقة وليس لدي قدرة توضيح كل سمات تلك المرحلة . وما سأقوم بعرضه يطابق ما كان باستطاعة رجل الشارع ان يعرف عنها في ذلك التاريخ .

ويبدو ان بعض قادة الحزب كانوا منهمكين لأقصى درجة بالميول العفوية لعزل كثيف للكوادر ، التي ظهرت خلال حركة نقل السلطة ويبدو كذلك ان البعض منهم قد تحفظ بشأن الخط السياسي لتعبئة الجماهير دون قيد، الذي اتبع منذ الدورة العامة الحادية عشرة في آب سنة١٩٦٦ . وبالحقيقة قد يبدو انموقفهم نفسه قد تقارب مع موقفكتلة ليو شاوشي، وانهم دعوا الى خط اكثر اعتدالا يعقد مساومة معهم . وقد ادانت اللجنة المركزية ذلك الموقف في وقت لاحق ، باعتباره مظهرا جديدا للخط الرجعي البورجوازي . ولا يمكننا ان نورد سوى اسم تان شن لن ، وزير الزراعة وعضو المكتب السياسي بين دعاة التيار المضاد ، الامر الذي جعله يصنف في الفئة المعارضة لخط ماوتسي تونغ . وقد ذكرت اسماء اخرى في فترات مختلفة من الثورة الثقافية ، لكن المصادر كانت غير اكيدة ، وبما ان اولئك الاشخاص قد احتفظوا بمناصبهم حتى الان فيمكننا الشك المطلق بمسؤوليتهم في اطلاق التيار المضاد ، او اعتبارها ثانوية على الاقل . اما تان شن لن فينسب اليه التصريح بأنه اذا كان قسم كبير من الكوادر قد طبقالخط الرجعي البورجوازي حيال الجماهير، فان المتمردين قد طبقوا الخط الرجعي البورجوازي حيال الكوادر . والحال فان اتهام شخص او مجموعة الاشخاص بارتكاب خطأ «خطي» في الظرف السياسي لتلك الفترة ، امر بالغ الخطورة . انني اجهل ظروف تفوه الوزير بتلك العبارات: هل كان ذلك علنا امام منظمات جماهيرية ، او سرا اجتماعات الهيئات القيادية ؟. هذا ليس واضحا . بيد انه في ذلك التاريخ كان كثير من التصريحات والشعارات يلقى تعميما واسعاً بواسطة شبكات الاعلام الموازية التي تشكلها الملصقات الجدرانية وصحف المنظمات الجماهيرية بالاضافة الى البيانات والكتيبات التي تنشرها ، فاستعيدت اقوال تان شن لن ، وكانت حجة ستقوم المعارضة باستخدامها .

وقد اعاد تان شن لن بمبادرة شخصية كثيرا من الموظفين المعزولين في وزارة الزراعة ، فأتهم في هذه المناسبة باعادة اعتبار عدد من التحريفيين . وقد اتخذت اجراءات مشابهة في وزارة هامة اخرى . ان وقائع مماثلة كانت تثير اهتماما شديدا لدى الماويين ، لانه يمكن لهذه الظاهرة ، بتطورها ان تؤدي الى الغاء نتائج النضالات السابقة ، وكانت قد بدأت تشهد عودة عدد من انصار بنغ شنغ الى مراكزهم التي فقدوها في الهيئات القيادية . ويشكل انتعاش اليمين هذا ، على مستوى القيادة في الادارة والحزب ، اول وجه لتيار شباط المضاد .

وقد جرت سيرة تان شن لن القائل بان المتمردين كانوا قد طبقوا الخط الرجعي البورجوازي حيال الكوادر ، جرت كذلك الى حركة اخرى مليئة بالاخطار . وقد تجلت هذه المرة بشيء من الاتساع ، لا على مستوى

الهيئات العليا فحسب بل كذلك في الجامعات والمصانع .

تناقض اضافي :

كانت منظمات المتمردين تتألف من اعضاء في الحزب ومن خارجهم . متجمعين بروح نقد لعدد من المسؤولين من ذوي الاتجاه الذي كان يعتبر منحرفا عن خط ماوتسي تونغ السياسي .

وقد ولدت مبالغات المرحلة السابقة والمعاملة غير الصحيحة لعدد بالغ من الكوادر ، والسمعة السيئة التي كانت تحاول اقوال تان شن لن الصاقها بالمتمردين الثوريين ، ولدت عند قسم من اعضاء الحزب وعصبة الشيوعيين ميلا متمكنا للانسحاب من منظمات المتمردين (تعني كلمة عضو في الحزب شخصا منتميا الى تنظيمه دون ان يتولى مسؤولية خاصة . فهي تتميز اذن عن كلمة كادر) . وفي جو تلك الفترة المشحونة بالانشقاقات والاختلافات ، تفجر عدد من مجموعات المتمردين ، وشهد كذلك تشكيل منظمات اخرى يتكون المنتسبون اليها ، بنسبة كبيرة ، من اعضاء في الحزب والعصبة ، والذين كانوا ينتقدون رفاقهم القدامى في النضال .

كان التناقض الاول يفصل بين المنظمات الجماهيرية المتمردة ، التي تلعب دور الطليعة في الدعوة للسياسة الماوية ، وبين المنظمات التيتسيطر عليها المعارضة . وأشد تناقض جديد يضاف اليه ، ناشىء عن انقسام المنظمات المتمردة نفسها . والحال ، كان امرا خطيرا ان يأخذ بالوجود خط تقسيم بين الاعضاء وبين غير الاعضاء في الحزب .

والواقع ان المبدأ الستراتيجي الذي غالبا ما اكد عليه ماوتسي تونغ هو توحيد ٩٥٪ من الجماهير ومن اعضاء الحزب في نضال يهدف الى عزل المعارضة ثم تجريدها من نفوذها . وهي معارضة لا تمثل الا اقلية ، سوى « قبض ، كما كانت تكرر دون انقطاع الدعاية الرسمية . وكان اعلان البنود الستة عشر يلح بكثير من الاصرار على هذه النقطة . هذا بينما بدا واضحا ان مسيرة الثورة الثقافية قد حادت عن هذا المخطط في بعض الامكنة مما كان يعرضها للخطر ، اذا ما اتسعت هذه الظاهرة .

كان ماوتسي تونغ ، كماركسي اصيل يعتقد انه لا يمكن لنضال جماهيري ان يكون فعالا الا اذا وضع تحت قيادة مركزية لحزب شيوعي. وكان مبدأ وحدة الكوادر والجماهير يجيب على الاهتمام بالعمل بشكل يجعل من نشاطات الجماهير مسنودة من الكوادر . بينما كان يظهر اتجاه معاكس .

كان ذلك الاتجاه يقيم عقبتين اثنين امام تطور الثورة فمن جهة كان يشطر صفوف المتمردين ، بزيادته من عدد المنظمات المتواجدة ، ومن

تباينها . ومن جهة اخرى كان بذلك يؤصل من التشيعية والروح التآمرية . والحال لا يمكن لممثلي منظمة ثورية واحدة ، القيام بالسلطة ، ولا يكون القيام بها الا بمجمل تلك المنظمات . فكان ينبغي ان تتحد : الامر الصعب اكثر فأكثر .

واذا كان للمتمردين ان يتجمعوا في منظمات متميزة، كما بدأ يحصل هنا وهناك، فان اعضاء الحزب والعصبة كانوا معرضين لان يجروا الى النضال لا ضد الخط الرجعي البورجوازي ، بل ضد ثوريين آخرين . وطالما ان المعارضة لم تكن قد القت سلاحها ، رغم اضعافها ، وبما انها ما تزال تحتفظ بنقاط ارتكاز ، وتمارس التأثير علىمنظمات جماهيرية، لذلك كانت تستطيع استغلال هذا الموقف لغاياتها . وقد اظهر قادة هذه المعارضة ، وهم في مراكز قوية ، عن مهارتهم في جولات عديدة . فكان باستطاعتهم ، بطرق ملتوية ، ان يحاولوا اجتذاب اعضاء الحزب والعصبة للمشاركة بلعبتهم ، وليأتوا لمساندة او لتقوية الميول المحافظة . وبالفعل شكل هذا الموقف مطية لهجوم جديد على المتمردين . هذا هو الوجه الثاني لتيار شباط المضاد .

الحملة ضد المنظمات الجماهيرية المتمردة .

كانت اخطاء مجموعات الطليعة تهدد بحرمانها من قسم من حلفائها بين مناضلي الحزب . وقامت المعارضة باستغلال الاستياء الذي اثارته مبالغات الحركة العفوية ، واستنكرت الفوضى في محاولة لاجتذاب المترددين والناقمين والمعتدلين على اختلافهم ، للقيام بحملة مضادة على المتمردين ، والنيل من عملية نقل السلطة .

هذه المناورة ايضا لم تنفصل عن التكتيك المعتاد القائم على «خفق الراية الحمراء من اجل اسقاطها» ، وكانت في الغالب تسلك سبل الايقاع والعمل السري : فسارت شائعات كاذبة تحاول ان تظهر قادة المنظمات الثورية كأشخاص فاسدين او وصوليين . ويرجع الى هذه الفترة تاريخ العودة مرة ثانية الى «نظرية الاصل العائلي» ، التي سبق وأن رأينا بعض الحراس الحمر المضللين يثيرها ، في تشرين الثاني سنة ١٩٦٦ . فاشيع ان المنظمات الثورية تتألف من ابناء بورجوازيين او رجعيين ، وذلك للحط من سمعتها . وجرى في المصانع تقديم بعض العمال ، من اصل فلاحي ، على انهم ابناء اقطاعيين . ومن جديد تردى شعار «أب رجعي ابن ساقط » (١) .

واشيع كذلك ان المتمردين هم بالحقيقة عناصر معادية للحزب . اما نقل السلطة فكان من الصعب تصويره كعملية معادية للحزب ، اذ كانت

---

(١) انظر القسم الاول .

الصحافة والاذاعة تشيدأن به باستمرار . لكن عملاء المعارضة تغلبوا على هذه الصعوبة بحيلة بالغة . فكانوا يقولون :

«في بعض الامكنة قام الزوزي باي بتمثيل عمليات نقل للسلطة ليخدع الجماهير» (وهذا ما حصل فعلا في كانتون خاصة ، وفي بعض الاجهزة التابعة لوزارة الزراعة) لقد تظاهروا بالتخلي عن السلطة ، لكنهم لم يفعلوا سوى تسليمها الى منظمات رجعية ، وتابعوا تسييرها عبر تلك المنظمات .

عندها سادها تخوف من عمليات نقل مزيف للسلطة .

وكثرت في قسم من المدارس والمصانع الخلافات حول هذا النقل للسلطه . وعندما كانت اللجان الثورية الجديدة تنظم جمعيات عمومية كانت تقوم بالتشويش مجموعات معارضة . فيشتم المعارضون كل اقتراح يصدر عن اللجنة الثورية ، ويجري سباب ، ويسود الاجتماع هرج ومرج لكن ذلك لم يكن الا جانبا بسيطا من الفوضى. فقد ظهر في بعض الامكنة اتجاه اكثر اثارة للقلق ، اذ توصل بعض المعارضين ، باستخدام هذه الانقسامات ، الى اقامة منظمات محافظة جديدة او الى احياء القديمة ، وانطلقوا بحملات جسدية ضد الثوريين .

وعلى هذه الصورة ، ثار النزاع «على الاختام» في مجموعة من المصانع والاقسام الادارية والثقافية في بكين (وقد حصلت احداث مشابهة في المقاطعات) وأراد اشخاص معارضون للجان الثورية، منعها من الاستيلاء على مختلف الاختام العائدة الى اللجنة المحلية للحزب ، من اجل ختم وثائقها. فكان الاستيلاء على هذه الادوات مصدرا لسلسلة من الاشتباكات. ولم يكن ينتهي النزاع اذا تمكنت احدى المجموعات من الاستيلاء عليها، اذ تقوم عناصر المجموعة المعارضة بالهجوم على مركز الاولى فتحطمه ، في محاولة لاستعادة الاختام. وقد ادى ذلك في عدد كبير من الامكنة الى خلق توتر أعاق حسن سير العمل . وانطلق المعارضون في عمليات خطف متوالية ، فقامت المنظمات المحافظة بخطف واعتقال قادة المنظمات المتمردة، وكذلك فعل المتمردون بقادة المنظمات المحافظة ، وسرعان ما شملت هذه العمليات كوادر الحزب . فاختطف المتمردون الكوادر التي تدافع عنها منظمات المحافظة بينما اختطف المحافظون الكوادر التي تؤيد المتمردين . وكان يطلق سراح المعتقلين بعد ايام لكن الاضطراب كان يشتد بالطبع .

كان هذا الجو من الاثارة عسيرا ، غير انه لم يتعد باغلبه نطاق المتصادمين . اما الكلام الذي قيل احيانا عن حرب اهلية بل اضطرابات خطيرة ، حول هذا الموضوع ، انما هو مبالغة مضحكة وليس بامكان محصول الصدامات في هذه الفترة الا ان يكون طفيفا ، فينحصر ، الا ما

ندر ، بكدمات وجروح بسيطة .

فضلا عن ذلك ، لم يكن لتلك المشاجرات احيانا اي طابع دراماتيكي. وتروى في بكين هذه النادرة التي حصلت في مطعم احد المؤسسات: قرب الساعة الحادية عشرة حصلت مشادة بين طباخين ينتميان الى منظمتين مختلفتين ، بينما كانا يقومان باعداد طعام الغداء الذي يقدم في الساعة الثانية عشر . وبعد نقاش حاد اخذا بتبادل الشتائم — وللشتائم السياسية في الصين وقع جارح مثلما للشتائم التي تطعن في الاصل العائلي والتي تصاحب المشاداتعادة — فأدت الاتهاماتالمتبادلة بالتحريفية والرجعية الى نشوء تجمع وراء كل من الطباخين من زملائهما الفرانين والفسالين ، حسب المنظمات المتنافسة التي ينتمون اليها . وما ان فرغت قائمة الشتائم ، واللغة الصينية غنية بها بشكل خاص ، حتى اشتبكوا بالايدي ... والملاعق والصحون . عندئذ حصلت مشاهد بطولة كوميدية جديرة بتلك التي رسمها رابلية او فلدنغ .

وشكلت كتل الخبز المعدة على البخار ، الدفعة الاولى من الذخيرة وتبعتها قبضات الرز اللزج ، ثم المكرونة والخضار وقطع اللحم . وعند الظهر حين اقترب العمال من ابواب المطعم ، كان المعسكران يتراشقان بالبقايا الاخيرة من الوجبة التي كانت تغطي الارض وتلطخ الجدران .

احباط تيار شباط المضاد

تحديد :

يكون من الخطأ الاعتقاد بشمول الصعوبات ، التي قمت بوصفها ، والتي صادفتها الثورة الثقافية . لقد ذكرت في بداية هذا الفصل ان ميزان القوى بين المتمردين والمعارضين كان يختلف من محلة الى اخرى بل من مؤسسة او مدرسة الى اخرى . وتبعاً لذلك يختلف حجم الاضطرابات والعوائق امام الحركة الثورية . وكانت المقاطعات الثلاث والبلديتين الاثنين ، حيث تم نقل السلطة منذ البداية ، تشكل معقلا حصينا للقوى المتمردة وذلك لا يعني اطلاقا ان المعارضة كانت تسيطر على البقية . فقد زعزعت موقفها بقدر كبير نشاط المنظمات الثورية ، الطلابية والعمالية . رغم ذلك فمن اجل ان يتجسد ذلك بتأسيس لجان ثورية، كان ينبغي الوقت الضروري لتتجاوز تلك المنظمات صعوباتها الداخلية . ومنذ تلك الفترة ، كان عدد المناطق التي انشئت فيها لجان ثورية كبيرة ، لكن السلطات لم تكن تعترف بها فورا ، بقصد دفعها اولا لتدعيم وتوسيع قاعدتها الجماهيرية .

ان الصعوبات التي صدفت بعض القياديين ، والانقسامات وتفكك

اللجان الحزبية بسبب عزل عدد كبير من الكوادر ، لم تكن بعيـدة عن ان تكون شاملة .

ولم يكن تيار شباط المضاد بأكثر من ظاهرة ذات اتساع وطني تبلغ كل المناطق وكل قطاعات المجتمع . فلم يمس اعادة اعتبار التحريفيين سوى وزارتين ، ولم يحصل الهجوم المضاد الذي استهدف المتمردين الا في عدد محدود نسبيا من المناطق . وغالبا ما فسرت في الخارج ، بشكل تعممي بعض الانباء التي تصف تعقدات حاصلة آنذاك، وهذه غباوة لان الاستمرار بتقديم لوحة عن صين فريسة للفوضى ، حيث الماويون على اخر رمق ، يجعل من نجاحهم اللاحق امرا لا يفسر . وقد كان حجم المظاهر السلبية عاديا لكنه لم يمنع مكافحتها بقوة وذلك لتجنب امتدادهـا بالذات . ان احداث شهر آذار ١٩٦٧ تظهر ان الثوريين الماويين كانوا يسيطرون علـى الموقف ، الامر الذي سمح لهم بالقضاء على العوائق المذكورة سابقا ، خلال فترة قصيرة من الوقت ، كما سنقوم بعرضه الان .

التيار المضاد يتحطم :

كانت المهمة الاولى التي تقع على عاتق ماوتسي تونغ وانصاره هـي كبح تيار شباط المضاد ، فقد فضحت الصحافـة محاولات تبرئـة كوادر تحريفية . ودافعت عن المتمردين فأكدت انهم لم يرتكبوا سوى اخطاء في التقدير وليس اخطاء خططية . وقد اعطيت توجيهات تستوحي هذه الاعتبارات الى قادة المنظمات الجماهيرية لكنها لم تنقل بواسطة الصحافة الرسمية . وفي الوزارتين الاثنتين، حيث ولد تيار شباط المضاد، تدخل قادة (م.م.ث.ث) لاعادة وضع الحركة الثورية في الطريق الصحيح . واستنكرت الصحافة الرسمية التيار المضاد دون ذكر اسماء وتفاصيل .

وقد حذرت **الراية الحمراء** بتعابير مقنعة ، مألوفة لهذه النشرة ، حذرت من محاولة اعادة الزوزي باي الى صفوف الثوريـين . فكانت افتتاحيتها لشهر آذار (١) تعلن انه «ليس مسموحا ان يفرض علـى الجماهير اولئك الذين يبقون على اخطائهم ، واولئك غير المميزين بوضوح عن الخط الرجعي ، البورجوازي، وأن يعاد ادخالهم الى اجهزة القيادة».

وقد نشرت كذلك مقالات تحتوي على اشارات مماثلـة في **يومية الشعب** ، ونقلتها الاذاعة ، وضاعف اعضاء (م.م.ث.ث) من اتصالاتهم

---

(١) راجع «حول الاتحاد الثوري المثلث» انباء بكين العدد الثاني عشر ٢٠ آذار .

بالمنظمات الجماهيرية وقاموا بجولات في مختلف المناطق ، يدعون للأخذ بنفس الاتجاه .

مشكلة دقيقة :

لقد شرحت جميع الاسباب التي كانت تدعو ماوتسي تونغ للاستناد الى حركة جماهيرية كبيرة في سبيل التغلب على معارضيه ، وطالما ان انتصاره لم يتأمن بكامله ، كان يمضي بالاستخدام الكامل لهذا السلاح . في شباط ١٩٦٧ لم تكن المعارضة مهزومة بعد وبالتالي بقيت التعبئة الشعبية امرا اساسيا . وكان ينبغي ان تستمر المنظمات الجماهيرية المتمردة التي كانت راس حربة ستراتيجية رئيس الحزب ، بلعب اكبر دور ممكن .

لكن المركزية كانت ضرورية لتجنب تحول الثورة الثقافية الى فوضى . وبذلك كان يجب الابقاء على توازن دقيق وصعب بين هذين العنصرين ، يستدعي اجراءات مرنة ولبقة . فكان تطرف الحركة «اليساري» يغذي بدوره تطرفا في المركزية يمينيا ، يجبر باستمرار على السير بين هاويتين .

وكان حل مشكلة الكوادر مفتاح الموقف . فهو الوحيد الذي يسمح بالحفاظ على عدد منهم ، ليصبحوا عماد اللجان الثورية . وكذلك سوف يسهل كثيرا اتفاق بهذا الشأن من وحدة المنظمات ، التي نخرتها في كثير من الامكنة الروح التآمرية والانقسامات .

والواقع انه في المؤسسات والمدارس ، حيث تتنازع منظمات جماهيرية ، كانت الاختلافات تتجه نحو التمركز حول مشكلة الكوادر . وكان يوجد على العموم انقسام الى كتلتين ، تتألف كل منهما من منظمة كبرى ومن منظمات تدور في فلكها . وقد لوحظ في مثل هذه الحالة ان كوادر الحزب التي تدافع عنها احدى الكتلتين باعتبارها ثورية ، كانت تهاجمها الاخرى باعتبارها تحريفية وبالعكس . ويقول آخر : بينما يكون فلان بالنسبة للكتلة (أ) ثوريا فاصلة فهو تحريفي بالنسبة للكتلة (ب) . وبينما يكون علان ثوريا بالنسبة لـ (ب) فهو تحريفي بالنسبة لـ (أ) . وبالتالي ، حيث يوجد وضع مثيل كان هناك عدد قليل جدا من الكوادر الذي لا يطاله نقد هذه المجموعة او تلك ، والحاصل على الاجماع ، ليستطيع ممارسة سلطة فعلية . ويجب ان يبقى حاضرا في الذهن هذا التداخل في النزاعات ، ليفهم تتابع الاحداث .

ولم يكن بامكان الهيئات القيادية للحزب ان تتدخل لحسم هذه المشاكل ، دون ان تجعل بنفس الوقت من مشاركة الجماهير بالثورة

الثقافية امرا نافذا ، وأن تنضب حيويتها وتعود عن المبادىء المتبعة حتى ذلك الحين ، فكان ينبغي ان يستمر العمال والطلاب بتقييم الكوادر. ولكن كي تكون هذه الاحكام جدية عليها ان تقلع عن المبالغات السابقة لتعتمد طريقة التحقيقات المعمقة والنقاشات المطولة ، ويقتضي ذلك غربلة نشاط مختلف الكوادر خلال فترة طويلة من حياتهم النضالية ، وليس خلال الاشهر الاخيرة فقط . وهذا التفحص المعمق كان من شأنه ايضا ان يجنب اعادة اعتبار المعارضين .

وكذلك دعت صحافة الحزب المنظمات الجماهيرية الى الوحدة . كما ينبغي مكافحة الروح التآمرية وازاحة الخلافات المتعلقة بنقاط ثانوية وتعزيز التحالف الكبير . وهنا ايضا كانت توجد صعوبة ذات شأن . فالواقع انه في عدد من الامكنة كان هناك منظمات محافظة سيطرت المعارضة عليها بشكل خفي . فكانت تدافع بالحقيقة عن كوادر تحريفية. فلم يكن مطلوبا الاتحاد العاجل مع هذه المجموعات ، على اساس من التسويات المغامرة التي لا يمكن ان تؤدي بالنهاية هي أيضا الا لاعادة اعتبار المعارضين . فينبغي الاتحاد لكن دون انتقائية : أوصت صحافة الحزب بالشروع بالعمل على التوضيح والاقناع بالعودة بالمنتسبين الى تلك المجموعات الى موقع ثوري بالبرهنة على انهم كانوا مخدوعين من اخصام ماوتسي تونغ .

ان هذه السياسة البارعة تذكر باعمال التطريز الدقيقة التي تحتفظ بسرها المطرزات الصينيات اللواتي لا يمكن تقليدهن . اما صاحب الموهبة التي لا تبارى وسيد الديبلوماسية الذي سيكون صانع هذه السياسة فهو شو آن لاي ، رئيس الوزراء : سوف يكون في كل مكان ، في الوزارات ، في المصانع ، في المدارس ، في بكين وفي المقاطعات ، لا يأخذ به كلل رغم اعوامه الثمانية والستين : يضاعف من محادثاته مع الحراس الحمر والعمال ، ويشرح دون كلل تعاليم ماوتسي تونغ وطريقة تطبيقها . وقد طبعت شخصيته القوية بصورة عميقة نهاية الفصل الثالث من عام ١٩٦٧ ، فساهم مساهمة ضخمة لخنق الفوضى وفض النزاعات نتيجة نشاطه المباشر وحضوره الجسدي احيانا في الوزارات ومختلف الادارات والمؤسسات وبمهارته وقدرته على الاقناع .

ان عملا بهذا التعقيد لا يمكن بالطبع ان يقوم به رجل واحد بسحر الكلمة وحده ولا بمجرد التعاليم مهما كانت حكيمة ، ولا بالمهارة ولو كانت خارقة . فكان ينبغي له مطية بنيوية صلبة منظمة من رجال مجربين كي تكون الاطار الضروري . اين يوجد هؤلاء ؟ لقد احتفظت كوادر الحزب في مناطق عديدة بثقة الجماهير، ولم تكن قد حادت عن الطريق الثوري، فيمكن استخدامها اذن ، لكن موضوعهم كان يثير مشاكل معقدة في عدد

من المناطق . وكان تقييم دورهم في المنظمات الجماهيرية مهمة عسيرة ، وتتطلب فترة من الوقت . فكانت ضرورات الحفاظ على الهيئات الادارية واعادة المركزية السياسية والتنظيمية في هذه القطاعات تتطلب حلولا اخرى .

في هذه الظروف سيغدو للجيش الصيني ، جيش التحرير الشعبي (ونمن غيفانغ غن) ، المستودع الثمين للكوادر التي كانت الثورة الثقافية بحاجة اليها .

تدخل جيش التحرير الشعبي (ج.ت.ش) :

لقد كانت مهمات الجيش الصيني العسكرية ، خلال الثورة الثقافية محدودة جدا . في هذه الفترة كان دوره مزدوجا فقد قام اولا بالابقاء على تسيير الفروع الحيوية بنشاط البلاد كالطيران المدني والتجاري ، وبعض المصانع والمطابع الخ : ويدعى هذا الجانب من عمل (ج.ت.ش) بالرقابة العسكرية . ويقوم بهذه الرقابة جنود قليلون ، دون سلاح ، يؤمنون حسن سير المؤسسات او المكاتب المعنية بحيث لا توقفه ندوات ونقاشات الثورة الثقافية ، والتي لم يكن تدخلهم يضع نهاية لها ، على الاطلاق .

لقد وضعت جانبا ، كي لا اعقد رواية الاحداث ، احد وجوه تيار شباط المضاد : وهو اطلاق موجة «اقتصادية» في الارياف . ويبدو انه لا ريب بأن وزير الزراعة، تان شن لن ، يتحمل قسطا كبيرا من المسؤولية في هذه القضية . فقد شرع البعض في عدد من الكومونات الشعبية ، تبعا لتعليمات سيئة النية ، بتوزيع المخزون ، فالارصدة المالية محدودة جدا اذ انه لا يدفع عملياً مرتبات مالية، وبتزييف «نقاط العمل»، وبتغيير وحدة الحساب . وهكذا عرفت مناطق فوكين وكيانغ سي ويونان اضطرابات خطيرة ، بينما كان العمل الزراعي يعاني من نوع من التواكل بالاضافة الى تفكك اللجان الحزبية والفوضى الناتجة عنها .

فشرع جيش التحرير الشعبي ، اذن ، بتصحيح الآثار الناتجة عن هذه الموجة «الاقتصادية» . فقدمت كوادر عسكرية لاعادة تنظيم فرق الانتاج ، بينما قام عدد كبير من الجنود بمساعدة الفلاحين على فلاحة الحقول في موسم الربيع ، في المكان الذي كان فيه الانتاج معرقلا وكذلك اسندت اليهم حراسة المخازن والمستودعات .

اما الوجه الثاني لعمل الجيش فكان في دعم اليسار ، الذي دعت اليه احدى الافتتاحيات بتاريخ ٢٥ من كانون الاول ١٩٦٧ ، وقد ازداد ذلك التدخل خلال تيار شباط المضاد .

كان المقصود الدفاع عن المنظمات المتمردة ، بوجه الحملات المضادة التي كانت تتعرض لها ، والحيلولة دون ان تنعزل بنتيجة اخطائها ، فيتم سحقها بعد ذلك . وكان هذا الدعم للمنظمات يقوم ايضا على مساعدتها للقيام بحملات تصحيح ، ولتتحد مع المنظمات الثورية الاخرى وتحسن معاملة الكوادر . وعلى وجه التحديد كان ينبغي على الجنود ان يفردوا خيوط التقييمات المتباينة حول هؤلاء الاخرين الذين كانوا موضع هجوم ودفاع من مجموعات متعارضة . وبالطبع ، لم يكن الجيش يتدخل اينما كان ، بل في امكنة محدودة نسبيا ، حيث كانت تطرح هذه المشاكل بحدة .

وقد مارس نشاطه بشكل مرن جدا ، عبر فرق الدعاية الشهيرة ، فكانت الفرقة تتألف من عشرة جنود عزل ، يقصدون المدارس أو المكاتب او المصانع ، حيث كان وجودهم ضروريا ، للمشاركة بندوات المنظمات الجماهيرية ومنعها من التفاقم . ولا يجب ان نرتكب خطأ الاعتقاد بأن هذه الفرق نابت عن اللجان الحزبية المتردية : فلم يكن لها سلطة التقرير بالنيابة عنها : فيقتصر واجبها على الحفاظ على عدد كاف من الكوادر في مراكزها للقيام بالاعباء الادارية اليومية . وبذلك ، في مثل هذه الحالة كان يقوم الجنود بالرقابة العسكرية وبدعم اليسار في آن واحد .

لكن فرق الدعاية لم يكن لديها امكانية اعطاء الاوامر للمنظمات الجماهيرية . وحيال الخلافات التي كانت تفصل العمال والطلاب ، يقع عليها مهمة تمييز الميول الثورية عن المحافظة ، ثم اقناع العمال والطلاب بتطبيق ما كان متفقا من الخط الماوي ولها ايضا أن تقنع المنظمات المحافظة بعدم صحة اتجاهها كما ان تقنع المنظمات الثورية بخطأ بعض تصرفاتها . ويعود الى الجنود اشعار هؤلاء وأولئك بضرورة ازاحة الروح التآمرية وتوحيد اكبر عدد ممكن من اجل استهداف المرامي الحقيقية للثورة الثقافية : قبضة الزوزي باي . ونظرا لأن جنود فرق الدعاية لم يكن لهم حق استعمال القوة ، بموجب تعليمات اللجنة العسكرية ، وبما انه لم يكن بوسعهم اللجوء الى وسائل السلطة ، لذلك كان عملهم بذلا لكنوز الديبلوماسية والصبر ، الفني بهما كثيرا المزاج الصيني .

لقد حصلت لي فرصة الحديث مع جنود مكلفين بهذا العمل في احد مصانع بكين ، فشرحوا لي طريقة عملهم . كان يفرض ان يساهم اعضاء فرق الدعاية تلك ، بالعمل الانتاجي في نفس ظروف العمال والمستخدمين ، يسكنون في منطقة عملهم ويتناولون وجباتهم في المطاعم ذاتها . بذلك تكون علاقاتهم وثيقة بالقاعدة . ولا يكتفون بالتشاور مع قادة المنظمات حول وجهات النظر المختلفة ، بل يعملون للحصول على اكبر عدد ممكن من آراء الشغيلة . ويبذلون وسعهم لا لدعم كتلة او

منظمة بعينها ، بل كل المبادرات السليمة من اية جهة أتت . وبشكل خاص، يسعون الى اقامة تمييز بين التناقضات التناحرية وغير التناحرية وسط الشعب ومع العدو . غير انه كان يجب عليهم عدم اجراء ايـة مساومة حول المسائل المبدئية الاساسية . وكثيرا ما كانوا ينظمون حلقات دراسة لمؤلفات ماوتسي تونغ ، يتم اختيارها بالنسبة لمشاكل معينة من اجل دفع العمال الى النظر الى المسائل بمفاهيم ماركسية — لينينية . وكان الجنود يسعون كذلك للحيلولة دون أن تمنع منظمة ما حرية تعبير المنظمات الاخرى ، عن طريق اعاقة اجتماعاتها او بياناتها .

سمات خاصة لـ (ج.ت.ش) :

من اجل فهم دور جيش التحرير الشعبي ، خلال الثورة الثقافية، من الضروري تحديد بعض مميزاته . وكذلك ينبغي الابتعاد عن التفسير المختلف تماما لاحداث شباط ١٩٦٧ ، الذي قدمته صحف غربية . بعد ان رسمت تلك الصحف لوحة قاتمة لبلد تفترسه الفوضى ، حيث كانت المصانع قد اغلقت ابوابها تقريبا ، بينما ينهمك العمال بالتخاصم او القيام برحلات بواسطة القطار ، قدمت تدخل الجيش وكأنه تدخل العسكريين القادمين لاجبار المضربين على العودة الى عملهم . ولنا ان نشير الى ان صحيفة «الأومانيته» الشيوعية الفرنسية ، قد تميزت بنوع خاص ، من هذه الناحية .

ان الجيش الصيني يمتاز بأنه الجيش الوحيد في العالم الذي يقبل صراحة بأولوية السياسي على العسكري . أن اولوية الانسان على المادي والايديولوجية على التقنية هي المبدأ الاساسي الذي يوجه عمله. ولا استطيع هنا الخوض في التفاصيل حول معنى هذا المبدأ وتطبيقه ومداه : ويكفي أن اذكر ان جنود جيش التحرير الشعبي هم مناضلون سياسيون بقدر ما هم رجال مسلحون مكلفون بحماية الحدود الصينية. وقد أعد جنود (ج.ت.ش) ليلعبوا دورا سياسيا في المجتمع ، وهذا الدور ليس فرعا من مهمتهم العسكرية ، فهو يعتبر بنفس الاهمية ، على الأقل . وقد قابل تدخل (ج.ت.ش) في الثورة الثقافية ، من حيث الجوهر ، ممارسته لدوره السياسي . وكيف لنا ان نفهم دوره اذا كنا نتصوره بشكل زمرة عسكرية تقوم بالقمع ؟

وعلى النقيض ، ان كون النظام الشيوعي قد استطاع بناء جيش يتمتع بثقة كبيرة وبنفوذ كبير بين السكان ، انما هو تفوق له ، اذا ما علمنا الى اي حد جعل من كلمة جندي نفسها مقيتة ، التعسف التاريخي للاقطاعيين من كل نوع و«خوات» مختلف الجماعات العسكرية التي كانت تجتاح الصين حتى عام ١٩٤٩ . ولم يتوصل الشيوعيون الصينيون الى

ذلك الا بالابقاء ، في جيشهم ، على اسلوب حياة بسيط وعمل نزيه ، بجعل عسكريهم يلعبون دورا اجتماعيا متطورا جدا ، وبأقامتهم لعلاقات نقد ونقد ذاتي بين كوادر الجيش والجنود كما بين الجيش والشعب .

في البلدان الغربية ، يصعب تكوين صورة حقيقية لما يمكن ان يكون عليه جيش كهذا ، يجب التسليم بأن افراده هم دعاة سياسيون بقدر ما هم مقاتلون . لقد قام تدخل الجيش الصيني في الثورة الثقافية في شباط ١٩٦٧ ، بأغلبه على عمل مطول ودقيق من الاقناع والبرهنة. وعلى تلك الصورة وحدها كآن يمكن الجواب على تطلبات وضع سياسي واجتماعي ، حيث يجب التشديد من المركزية ، دون التضحية بالتعبئة الجماهيرية التي قصد بها اعادة الحيوية الى الحزب والنظام الشيوعيين .

الدولة تظهر من جديد عن سلطتها :

لقد صاحب العودة الى المركزية تزايد في النشاط الحكومي المتعلق مباشرة بمسيرة الثورة الثقافية . فصدر عدد من البلاغات الرسمية يشير خاصة الى منع القيام بنقل للسلطة في الوزارات والاقسام الادارية التابعة لها ، الامر الذي لا يعني الرجوع عن حق انتقاد المسؤولين فيها . وبالحقيقة سيكون كل الوزراء الصينيين موضع نقد علني عبر الملصقات، في هذا الوقت او ذاك . غير ان عزل احد الوزراء لا يمكن ان يقوم به سوى المكتب السياسي . يضاف الى ذلك انه لم يكن مسموحا احلال لجنة ثورية مكان لجنة حزبية في احدى الوزارات. فكان المكتب السياسي يحتفظ بحق تسمية مسؤولين جدد في المراكز الهامة ، على ضوء مقترحات المنظمات الثورية في الوزارة المعنية .

وكان هناك اعلانات اخرى حاملة لتوصيات من الحكومات ، تطلب بذل اكبر الجهود لتأمين ايام عمل من ثماني ساعات . وتحدد انه لا ينبغي التغيب دون عذر عن العمل ، وانه يجدر الامتناع عن اي اهمال للأجهزة او تبذير للاموال . وكذلك وجه نداء الى الفلاحين لاتمام الفلاحة الربيعية في هذه الفترة التي يقترب فيهآ الشتاء من نهايته . وكان هذا النداء ينوه بأن غالبية الكوادر الساحقة في الارياف هي جيدة او جيدة نسبيا وأن اولئك الذين ارتكبوا اخطاء عليهم ان يجدوا المناسبة لاصلاحها . وبعد عدد من الاسابيع وجه نداء مماثل الى الشغيلة والكوادر في القطاعين الصناعي والتجاري .

وقد قررت الهيئات الحزبية والحكومية اتخاذ عدد من التدابير نفذتها الشرطة ضد منظمات اتضحت ميولها المعادية للماوية ، متخلية (الهيئات) اخيرا عن شيء من تحفظها للفترة السابقة . فأعلنت وزارة

الداخلية منع منظمة «لجنة العمل المتحد» (لياندونغ) ومنظمة «جيش الشغيلة الحمر»، وقد تعرضنا في القسم الاول من هذا الكتاب لنشاط هاتين المنظمتين . وفي نفس الوقت اعتقل عدد من زعمائها لمخالفتهم القانون . وقد سبب ذلك احتلال عدد من مكاتب تلك الوزارة من قبل المنتسبين لهاتين المنظمتين ، اتوا يحتجون ضد التدابير التي لحقت بهما .

الاتحاد المثلث :

كان ينبغي اعادة المركزية ، لكن دون تصلب . وليس هناك مجال للبحث باعادة البنيات التنظيمية القديمة الى اماكنها . ان وجود فرق دعاية (ج.ت.ش) يقدم مؤقتا قاعدة للتشديد من المركزية ، بيد انه لم يكن كافيا .

وتستلزم صيغة جديدة توفر حركة بأكبر سرعة ممكنة بين الاطراف والمراكز ، بين الشعب والقادة ، بنية لا تعيق حركية الجماهير وتتحكم بالنزعة العفوية والفوضى في نفس الوقت . ويجب القضاء على التصلب التراتبي واقامة هيئات قيادية على صلة بالشعب ، وأن يدخل هذه الهيئات عدد كاف من الكوادر المجربين المقبولين ، لتصبح فعالة . فكان على اللجان الثورية للاتحاد المثلث ان تجيب على تلك التطلبات ، فتكون مؤلفة ، بنسب متساوية ، من ممثلين عن الجماهير معينين منهم في المؤسسات والمدارس . ومن ممثلين عن كوادر الحزب المخلصين للخط الماوي ، منتخبين منهم كذلك . ومن ممثلين عن الجيش على مستوى البلديات والمقاطعات . وقد أبدل العسكريون في المؤسسات والمدارس بممثلين عن الميليشيا انتخبوا هم ايضا من الشغيلة والطلاب .

وهكذا كان على اللجان الثورية ان تتيح ضم نخبة من المناضلين وأن تمكن من القيادة المركزية للثورة ، بكونها ثمرة لديمقراطية الجماهير في الوقت ذاته . ولا مجال للشك بأن هذه الصيغة التي رأيتها تعمل بشكل حيوي ، اتاحت للشعب الصيني مراقبة متزايدة على الاشخاص الذين سيكلفون بمهام قيادية جديدة . لكن ، يمكننا الملاحظة ان الاتحاد المثلث يختلف قليلا عن مثل كومونة باريس ، الذي ذكر به في آب ١٩٦٦ ، الذي كان ينص على انتخاب الجماهير على جميع المستويات للجان قابلة للعزل في كل وقت من المنتخبين (١) .

---

(١) ينبغي التحديد : ان اعضاء لجان الاتحاد المثلث هم ايضا منتخبون وقابلون للعزل . فالاختلاف عن كومونة باريس ليس عند هذه النقطة بل يكمن في واقع ان المنتخبين ، في الاتحاد المثلث ، عليهم ان يتوزعوا بشكل متساو على الفئات الثلاث المذكورة .

ومن جهة اخرى ، لم يكن ممثلو الجيش على مستوى البلديات والمقاطعات ، والذين يشكلون ثلث تلك اللجان ، معينين من الجماهير ، بل من الهيئة العسكرية في اللجنة المركزية . وما يفسر بداهة هذا التخلي عن نموذج كومونة باريس هو صعوبات الفترة السابقة .

وقد اتخذت اجراءات حازمة لمنع اللجان الثورية من ان تبتعد بدورها عن الجماهير وتصبح مجموعات بيروقراطية . فكان عليها ان تنقسم الى ثلاث فرق ، الاولى مكلفة بالادارة ، والثانية بالقيام بتحقيقات دائمة لمعرفة مطالب الاهالي وحاجاتهم واقتراحاتهم . اما الثالثة فمكلفة بالعمل في الانتاج في ظروف عادية . وكانت هذه الفرق تقوم بالتنقل ، وتتناوب مختلف وظائفها في مواعيد دورية . واذا ما ابقي على هذه الاجراءات ، كما يبدو انه يفرض ، فانها ستكون شديدة الفعالية في خنق البيروقراطية .

نجاحات جديدة للثورة الثقافية :

كان نمو اللجان الثورية يتطلب تطوير حركة التحالف الكبير . فمن اجل ان تعين الجماهير ممثلين عنها وعن الكوادر ، كان ينبغي ، بالواقع، قيام وحدة جماهيرية واسعة . وكذلك كان تشديد المركزية التنظيمية مرتبطا بها . لذلك عملت الهيئات القيادية على تشجيعها . وسيقوم شو آن لاي ، خاصة بدور فعال في هذا السبيل .

في الثاني والعشرين من شباط انشيء بحضور شو آن لاي مؤتمر (تجمع او رابطة) الحراس الحمر في مؤسسات التعليم العالي في بكين (الهونغ داهوي) . وبذلك اتحدت القيادات العامة الثلاث التي رأينا خلافاتها في تشرين الثاني وكانون الاول . وقد قاد الى ذلك، الغاء منظمة لياندونغ واعتقال عدد من قادتها ، والمحادثات العديدة التي اجراها ممثلو القيادات العامة الثلاث مع اعضاء (م.م.ث.ث) ومنذ تصفية تاوشو في كانون الاول ، كانت الميول المحافظة والانقسامية بين الحراس الحمر ، آخذة بالتراجع . وقد نشر بيان ، بمناسبة هذا التوحيد، ووجه نداء يدعوان الحراس الحمر في كل البلاد الى الاتحاد. وستعقد مؤتمرات من هذا النمط في غالبية المدن الكبيرة والمتوسطة ، الامر الذي ادى الى الاسراع بالوحدة في طول البلاد . رغم ذلك ينبغي بعض الوقت حتى تتوطد تلك التحالفات على مستوى القاعدة .

وكان البيان يشيد بماوتسي تونغ وعقيدته بأسلوب وجداني مفخم، غالبا ما يستعمله الحراس الحمر . وجدير بالذكر انه يعيد التأكيد على المبادىء التنظيمية القائمة على المركزية الديمقراطية . ويشدد ايضا على

ضرورة اتحاد اليسار بالغالبية الكبرى من الجماهير ، تبعا للظروف والامكانيات الحالية من اجل عزل اليمينيين الى اكبر حد ممكن، وهذا هو المبدأ الاستراتيجي للثورة الثقافية .

ويلح البيان ايضا على ضرورة مصادرة السلطة من اولئك الذين انحرفوا عن الخط الثوري ، خط البروليتاريا والاشتراكية . ويشير البيان الى انه حيث اقتضى ذلك ينبغي تطبيق المبدأ الماركسي الذي يقضي بتحطيم آلة الدولة . ويعين كذلك ضرورة تشديد ديكتاتورية البروليتاريا ، واقامة وتدعيم نظام ثوري جديد ، وهذا ما كان يتلاءم مع تطلبات اللحظة .

وكذلك ذكر البيان بضرورة التحالف الكبير والاتحاد المثلث والدور القيادي الذي يجب ان تلعبه الطبقة العاملة . وشدد على ضرورة استناد النضال الى مؤلفات ماوتسي تونغ ، وعلى تغيير المفهوم عن العالم، وغرس افكار التفاني للجماعة والشعب ، في النفوس .

وفي التاسع عشر من آذار انعقد مؤتمر الفلاحين في منطقة بكين. وقد حضره شو آن لاي وأشار الى انه ينبغي اعطاء اهتمام خاص بالانتاج وبالزراعة الربيعية . وطلب بالتالي عدم نقل السلطة في المخافر ، حتى ولو كان ذلك ضرورياً . وألقى تشن بوتا كلمة برزت فيها اهتمامات مماثلة .

اما اهم مؤتمر في هذه السلسلة من المؤتمرات الحاصلة في هذه الفترة ، كان المؤتمر الذي عقده عمال ومستخدمو العاصمة في الثاني والعشرين من آذار . وقد اتسمت الخطب التي القيت في هذه المناسبة باهتمامات المرحلة : اعادة التنظيم الثوري والعناية بالانتاج ، ووحدة الثوريين وتدمير البنى التحريفية ومكافحة التيار المضاد. وأعلن شو آن لاي ان النداء الذي وجه الى المؤسسات الرأسمالية قد استجيب له . وشدد على الدور القيادي للطبقة العاملة ملمحا الى التيار المضاد بهذه الكلمات: «ان صراعا طبقيا حادا ما زال يجري في ظروف معقدة جدا . نأمل ايها الرفاق ان تضاعفوا من يقظتكم الثورية ، فنحقق التحالف الكبير ونطبق بثبات سياسة الاتحاد المثلث ، ونكبح التيار المضاد الرامي الى اعادة الرأسمالية » .

وقد استعيدت هذه النقاط في قرار اعلن ، بالاضافة اليها، تدبيرا شديد الاهمية : كان على التحويل الجذري لنظام تسيير المؤسسات ان يقود الى حركة عميقة في المصانع تستهدف التخلص من العناصر غير المنتجة وتسهل كثيرا من العمليات الادارية. ويشير قرار الثاني والعشرين من آذار الى التحويل الاساسي لـ «نظام التسيير التحريفي والهيئات البيروقراطية المغالية ، التي اقامتها في عدد من المؤسسات زمرة الهيئة

الحزبية السابقة لبلدية بكين ، التحريفية المعادية للثورة» . وقـــد ادى هذا المؤتمر بعد ذلك الى انشاء هيئة مؤقتة دعيت : مؤتمر العمال (كونغ دا ــ هوي) .

وقد انشىء في نفس الفترة «مؤتمر الحراس الحمـــر في مدارس بكين» الذي مد بحركة التحالف الكبير وتممها . وبعد فتـــرة من الوقت طلبت اللجنة المركزية العودة الى الدروس في تلك المؤسســات ، بنفس الوقت الذي تكون قد تأمنت فيه مسيرة الثورة الثقافية والتفحـــص النقدي لمواد التعليم والطرق التربوية ، بقصد الشروع بتحويلها الثوري.

وقد توصلت هذه الاجراءات الى لجم الفوضى التي كانت قد ظهرت في شباط ، ومحاولات المعارضة التي حاولت الاستفادة منها ، وفـــي نهاية الفصل الاول من عام ١٩٦٧ كان الماويون قد توصلوا الى جعـــل الوضع مستقرا استقرارا ملموسا . رغم ذلك لم تكن المشاكل قد حلت من اساسها وسوف يظهر ايضا عدد من الصعوبات .

٣

من آذار الى نيسان ١٩٦٧

آثار التيار المضاد

الوضع الدقيق لشو آن لاي :

« ـ في الهيئة القيادية التي اقمتموها ، ليس هناك اي كادر من القسم السياسي (١) . ما هو السبب ؟

« ـ انهم جميعا محافظون » .

الرجل الذي يتوجه اليه هذا الجواب ، هو رئيس الحكومة الصينية ، شو آن لاي .

فتأمل محدثيه ، برهة، وهم من الشغيلة الشبان في قسم للدعاية، يستقبلهم بنفس الوقت الذي يستقبل فيه ممثلين عن مختلف المنظمات الجماهيرية في العاصمة ، ليستعلم منهم عن الوضع في مؤسسة كل منهم . لقد احتفظ وجهه ذو القسمات الدقيقة وقامته بفتوة مدهشة . وكثيرا ما يلطف الود اسلوبه الحازم في الحديث ، ويلقي على الاشخاص الذين يخاطبهم نظرة يلمع فيها ذكاء خارق .

ومنذ بداية المقابلة لم يكف المندوبون الشبان عن التعجب لدقة وعدد الاسئلة التي طرحها عليهم ، والذاكرة المدهشة التي اظهر عنها ، وقدرته على ان يستخلص مباشرة جوهر المشكلة ، وأن يفرد الخيوط الرئيسية لما كان يبدو الاكثر تشابكا . فقال :

« ـ يجب التمييز بين الاشخاص الذين يظهرون نزعة محافظة في الامور التنظيمية وبين اولئك الذين ينشرون ايديولوجية محافظة، وحيال كوادر القسم السياسي ينبغي القيام بتحليل طبقي» .

---

(١) المقصود هو مجموعة من كوادر الحزب .

وبشكل دوري ، كان كبار قادة الحزب او الاعضاء الهامون في (م.م.ث.ث) يستقبلون على هذه الصورة ممثلين عن مختلف المنظمات الجماهيرية التي تشكلت في المدن والمقاطعات خلال الثورة الثقافية ، للقيام بالنضال الايديولوجي ، فيتحادثون معهم ويستطلعون ، ويقدمون لهم تحليلا عن مجمل الوضع في البلاد، وأحيانا يعطون توصيات وتعليمات عملية. وكانت هذه تبقى غير رسمية ، لكنها تنشر بشكل واسع عن طريق الملصقات والتسجيلات على الاشرطة، في المؤسسات والمدارس والمكاتب حيث تقوم هذه المنظمات بالنضال .

لقد اطلق تيار شباط المضاد كل مقدرات رئيس الوزراء الصيني . فقد عمل شو آن لاي على اقناع المنظمات الجماهيرية الثورية بسلوك اكثر صحة حيال الكوادر ، وبأن تعاملهم معاملة سياسية أقل تشددا : وهذه عملية دقيقة يجب ان تتم دون ان تستطيع الاتجاهات اليمينية التي تستغل اخطاء اليسار ان تخرج منها بأسلحة جديدة ضده . ولا يجب القيام بما يمكن ان يضعف كفاحية القوى المتمردة او يحد من اندفاعها ، والحفاظ على الروح الحزبية في هذه الثورة الثقافية الصاخبة ، حيث تصبح الميول والتيارات الايديولوجية هو امر حيوي وصعب. وهذا يتطلب تبصرا ومرونة لانه لا ينبغي خرق القاعدة التي تقضي بأن تتعلم الجماهير وتتربى بنفسها . وهي مهمة عسيرة لأن عددا من اليساريين كانوا يظهرون مهووسين بكل ما يمس احترام هذا المبدأ . ولا يجهل رئيس الوزراء ان اصواتا سترتفع بنقده .

في تين آن من الصقت شعارات تطالب باخضاع شو آن لاي للنقد. ولا شك ان شو آن لاي كان يشعر بمسؤوليات ثقيلة ملقاة عليه ، عندما كان يخاطب ثوريي بكين الشبان في تلك القاعة القائمة في مركز المدينة، والتي تسمى مركز استقبال مجلس الدولة .

ينبغي اذن القتال ، والوجه الى المستقبل ، دائما . من اجل ذلك ينبغي مناداة كل ما هو حسن في النفوس واثارة الأمل ايضا ودائما ، الذي ترمز اليه في الصين الراية الحمراء ، منذ نصف قرن ، ورفع الحماسة والشجاعة ، والفرح والغضب ، والدعوة الى الكفاح للهدم والبناء والحب والكره ، لان الثورة كما قال ماوتسي تونغ هي دراما مثيرة .

وفي تين آن من قام عمال وطلاب بتعليق شعارات ترد على الحملات التي كان رئيس الوزراء موضوعا لها ، فكانت حروفها العملاقة تعلن ان :

«شو آن لاي هو رفيق السلاح الحميم للرئيس ماو» .

«اولئك الذين يعارضون شو آن لاي هم معادون للثورة» .

كيف يولد النزاع نزاعا آخر :

لم يكن بامكان النضال ضد تيار شباط المضاد ان يكون فعالا الا بشرط تصحيح المبالغات التي جعلت منه ممكنا . وقد بذل شو آن لاي في هذه الفترة نشاطا كبيرا : فهو، على الأخص ، الذي تدخل للقضاء على الاضطرابات والمبالغات التي ظهرت في بعض الوزارات خلال حركة النقد . وفي العديد من المناسبات ادلى بتصريحات تذهب باتجاه اعادة النظام الى العمل ومعاملة أقل قساوة بكثير للكوادر ، وتقدم اسرع نحو التحالف الكبير .

بيد ان نزاعا جديدا داخل الهيئات القيادية اضيف الى النزاع الناشىء عن ظهور اتجاه يميني لادانة «المتمردين» . وقد نشأ عن التحفظات التي اثارتها الاجراءات المتخذة لشل التيار المضاد ، عند مسؤولين آخرين .

واذا ما كان البعض قد قدر ان «متمردي» المنظمات الجماهيرية قد ذهبوا الى ابعد من اللازم فان آخرين يقدرون الان ان هناك تخطيا للحدود باتجاه معاكس. ألن تؤدي الرغبة بتشجيع التحالف الكبير الى نشوء مخاطر تسويات متسرعة وانتقائية بين المنظمات الثورية والمنظمات المحافظة؟ وأكثر من ذلك، ألم يثر الالحاح على طلب معاملة للكوادر ، اكثر تساهلا ، اتجاها معاكسا في بعض الوزارات ، كان ينبغي مكافحته دون تمهل ؟ فكان في نظر هؤلاء الذين يضعون هذه التحفظات ان التشديد على مشكلة الكوادر انما هو خطأ . فهذه مشكلة تنظيمية ، والنضال هو قبل كل شيء سياسي وايديولوجي ، وهو لم ينته بعد، وبذلك قد يخاطر به عن طريق اجراءات تجريبية ومفاجئة. وكانت المعارضة تفسر كل تنازل كاتجاه نحو المصالحة وتستغله دون تمهل لاهدافها الخاصة . وهذا ما تبرهن عليه جيدا اعادة تان شن لن الاعتبار لعناصر يمينية .

وكذلك تدخل الجيش ، لا يجب ان يتم دون حذر . فلا ينبغي ان يصبح قاعدة كلما كان هناك اضطرابات . فالاضطرابات كانت طبيعية بما ان الثورة الثقافية كانت تحيا عن طريق تعبئة الجماهير . وكيف يمكن لهذه ان تناضل وتصفي الزوزي باي اذا كان هناك افراط في المركزية وتفريط بحرية الكلام والعمل التي عرفتها الجماهير ؟

كان الذين يعبرون عن هذه الآراء داخل (م.م.ث.ث) يشكلون تيارا يمكن اعتباره الاكثر يسارية في ظروف تلك الفترة . فكانوا يظهرون اعتبارا لدور الجماهير الشعبية والمنظمات المتمردة اكبر منه لدور الكوادر والجيش . وفيما بعد اظهر الآخذون بهذا الاتجاه ، اكثر فأكثر ، نزعة الى التطرف العفوي الذي اتسمت به الايام الاخيرة من كانون الثاني والاسابيع الاولى من شباط : وكان هذا مسببا لنزاع جديد بين

الاتجاهات ، تميز به الفصل الثاني من عام ١٩٦٧ .

لقد ظهر موقف شو آن لاي بالاجمال في منتصف الطريق بين تيارين متطرفين ، وهذا ما يفسر ، دون شك ، صفة الاعتدال التي اطلقها عليه عدد من المراقبين الاجانب . غير انمثل هذه التعابير ، قد تدعو الى الالتباس ، لان اعتدال شو آن لاي في وضع بمثل هذه الصعوبة كان يوحي به حس سياسي حاد . فكان بذلك شديد النسبية. ان التشديد من المركزية ، كان بالنسبة له ، ضروريا ورديفا لتعبئة الجماهير ، ولا يمكن لنا ان نشدد على جانب وحيد من الاثنين دون الانحراف عن الماركسية . والكوادر والجيش انما يلعبان دورا لا غنى عنه ، ولا ينبغي اعاقته . وقد كان الجيش خاصة ، تحت قيادة لين بياو، معقلا للقوى الثورية وينبغي الوثوق به . بالاضافة الى ذلك ، اذا كان يؤمل الاستناد الى الجماهير فلا مجال للخوف من ان يؤدي التحالف الكبير الى تسويات مع المحافظين . وما كان ذلك الا مبالغة بعدد ونفوذ المحافظين .

وهناك اعتبار اخر كان عليه ان يلهم شو آن لاي : لم يكن جميع من لا يلتزم بكل آراء ماوتسي تونغ، معارضا متصلباً لسياسته. وبالتالي كان من الافضل كسبه حين الحاجه عن طريق تنازلات تكتيكية محدودة. ويمكن ان يكون ثمينا دعم اولئك الذين لا يمارسون معارضة منهجية ، حين بعض الاجتماعات والتصويتات او في حال مؤتمر للحزب. وهذا بلا شك هو السبب في ان تان شن لن ، رغم الاتهام القاسي الذي تعرض له ، على أثر تيار شباط المضاد ، سمح له بالبقاء في مركزه ومتابعة عمله مع «مساعدة» «متمردي» وزارته وهي صيغة وسطية بين العزل والبقاء دون قيد او استثناء. عند ذاك اثار هذا التسامح غضب متطرفي (م.م.ث.ث) الذين رأوا فيها تنازلا لا يغتفر .

نحو منتصف آذار انعقد اجتماع للهيئات القيادية للثورة الثقافية، احيط بقليل من الدعاية : اعلن عنه ، بعبارات مقتضبة ، دازيباو وضع في شوارع بكين . وقد اشار بعد ذلك بيان اخر ، بنفس الانجاز، الى انه قد ادى الى «نتائج مرضية» . وهناك مجال للاعتقاد بأن النضال ضد تيار شباط المضاد كان على جدول اعمال ذلك الاجتماع ، وأن شو آن لاي نجح بترجيح وجهة نظره . ومن المحتمل ايضا ، كما سنرى ، ان العناصر الراديكالية ، التي تطرح نفسها على انها اليسار ، حصلت هي بدورها على تنازلات .

بيد ان المشاكل في الثورات تتلاحق دون انقطاع . فكان المجرى المقبل للاحداث سوف يشعل من جديد النزاعات الكامنة تحت رماد التسويات .

القسم الثالث

من نيسان الى ايلول ١٩٦٧

الصخب الكبير

١

من نيسان حتى حزيران ١٩٦٧

النقد الجماهيري الثوري الكبير

« خروشوف الصيني »

في نيسان ١٩٦٧ ، سوف يعود الخط الماوي الى الهجوم، ويسجل عددا من الانتصارات . ويبدو ان من طبع ماوتسي تونغ عدم الخوف من الصعوبات ، والاحتفاظ بثقة وتفاؤل نادرين ، بوجه أخطرها . لقد كانت أحداث المرحلة السابقة صاخبة ، مليئة بالاخطار الاكيدة . وكان نزاع جديد بين الماويين انفسهم ـ بعضهم يشدد على دور الجماهير ، والاخر على دور كوادر الحزب ـ جاء يضاف الى الصراع الاول الذي يفصلهم عن كتلة ليو شاوشي . وكان الانشقاق يهدد الهيئات القيادية للثورة الثقافية ، وعلى الأخص (م.م.ث.ث) ، مع ان رئيس الحزب كان قد اعتنى بوضع انصاره فيها دون غيرهم ، منذ تنحية تاوشو . من البدهي تماما ان وضعا كهذا قاد الى حرمان الحركة الثورية من التوجيه ، والى المساعدة على الفوضى في الظروف المضطربة لتلك الفترة . وهكذا صرح ماوتسي تونغ في تموز ١٩٦٧ ، تبعاً لبيانات وضعت في بكين ، ان تلك الفترة من الثورة الثقافية كانت خطرة بنوع خاص . ان زعيما آخر قد يكون اعتقد نفسه مستثنى ، وربما رجع عن مشروع ظاهر الاخطار . لكن ماو ، على النقيض ، رأى ان الوقت حان لتجديد المعركة .

ان اتساع الحملة ضد خط ليو شاوشي والآخذين به ، انما كان تبعا لتوجيهاته. وتم البدء بحركة نقد، ذات سمات ايديولوجية واضحة، تمس كل ميادين الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية ، حيث كان لنفوذ رئيس الجمهورية تأثيرا . وسوف تجري هذه الحركة في آن

واحد على جميع مستويات المجتمع ، مع مشاركة الاهالي في العديد من اجتماعات المناقشة والدراسة .

كان ليو شاوشي قد اصبح مجردا من السلطة وقاصرا عن اي نشاط سياسي مباشر . لكن تأثيره بعيد عن الانقطاع ، لأن جذوره كانت في كل ما يمكن ان ينطوي عليه المجتمع الصيني من تراث واتجاه محافظ . كان الرجل نفسه ملجوما ، لكن الخط السياسي الذي يجسده استمر في البقاء والمقاومة بأشكال معقدة . وسوف يساهم الحث على اعادة النظر فيه على المستوى الايديولوجي ، على ازالة العوائق أمام التطور الثوري. كان ماو يأمل بالدخول في مرحلة نقد أعمق ، ان يكون بوسع الجماهير تمييز الاهداف المشتركة للنضال ، وأن يقوي ذلك حركة التحالف فيما بينها . وفي هيئات الحزب القيادية كذلك ، حيث يتجلى الصراع بين خطين ايضا ، قد تسمح هذه الحركة المتزايدة بتحديد المشاكل تحديدا أفضل ، وتساعد على وحدة القواعد الثورية .

هذا الهجوم الجديد كان من شأنه ان يرضي الجناح اليساري في (م.م.ث.ث) ، بما انه يخشى من توقف النضال في منتصف الطريق . وبالفعل سوف تقطع خطوة جديدة في النضال ضد ليو شاوشي . ومنذ ذلك الحين لن يبقى النقد عن طريق البيانات في الشوارع فقط ، دون طابع رسمي : فسوف تقوم صحافة الحزب المركزية بتحمل مسؤوليته. مع ذلك ، لن تتخذ ادانة رئيس الجمهورية سوى طابع شبه رسمي ، لأن اسمه لم يرد بعد في **يومية الشعب والراية الحمراء** . وسوف يسمى دون ذكر اسمه ، بحيلة من تلك الحيل التي يملك سرها الصينيون ، بهذين التشبيهين : «أعلى المسؤولين السائرين في الطريق الرأسمالي» و«خروشوف الصيني» . وأذكر بأن من الساري في الحياة السياسية الصينية ان لا يسمى المعارض من مركز عال ، الا بعد الانتهاء من النضال ضده ، وبعد اجتماع عناصر الاتهام نهائيا ، والحكم بالعقوبة السياسية التي ترافق طرده عادة (١) .

وقد دعيت هذه المرحلة الجديدة في نقد ليو شاوشي ، في الصين، مرحلة «النقد الجماهيري الثوري الكبير» .

وبالفعل ، سوف يشارك فيها مجمل الاهالي : في الجامعات

---

(١) لم يكن لانتقاد ليو شاوشي اسميا من الصحافة الصينية الرسمية ان يحصل الا في خريف ١٩٦٨ ، حين انعقاد الدورة العامةالحادية عشرة وبعد القرار بطرده . وقد حدث مثل ذلك عام ١٩٥٥ خلال قضية كاو كانغ .

والمدارس كلها ، وفي جميع المصانـع والادارات ، راحت المنظمـــات الجماهيرية والمجموعات او الافراد العاديون بكتابة او الصاق دازيباو من ثمرات تفكيرهم ، يشرحون فيها كيف مورس النفوذ التحريفي في مكـان عملهم ، او حاول ذلك . وهكذا لقي التعبير عن الافكار تشجيعا جديدا . وسوف يكونبوسع الجميع أن يتربى وأن يعمق معرفته بطبيعةالتحريفية. ان يرتفع وعي الاهالي السياسي عبر هذا التبادل الواسع للآراء ، هـذه كانت هي الغاية التي سعى اليها القادة الماويون .

لقد علق عدد من البيانات لم يسبق له مثيل . ولم تعد الجدران كافية ، فكان عليهم ان يجدوا مواضع اخرى : فصنعوا الواحا للاعلان في باحات المصانع ، مجدوله من القش المثبت الى قوائم خشبية. واستعملت المطاعم ايضا : فكانت تمد اسلاك حديد متينه من حائط الى اخر ، يعلق بها الدازيباو بالملاقط ، وهذا ما يحول قاعات المطاعم الى متاهات واسعه ذات جدران صانتة حيث تفوح رائحة حبر نفاذة .

وطنية ام انهزامية :

هذه المرة ، دخل مجمل جهاز دعاية الحزب الرسمي المعركة بكامل قوته . في الحادي والثلاثين من آذار ، بدأت الاذاعة الوطنية والصحافة الرسمية فضح اتجاه ليو شاوشي السياسي ، مشيرة اليه بالتشبيهـين المذكورين سابقا .

وقام تزي–بن يْ ، المحرر في **الراية الحمراء** الذي اتينا علـى ذكره (١) حين نقد ما يدعى بالعصابة السوداء ، بفتح النار في جريـدة الحزب النظرية ، في مقال طويل بعنوان «وطنية ام انهزامية» ، سيكون دويه عميقا (٢) . لقد ظهر تزي بن–يْ على المسرح خلال الثورة الثقافية، ولم يكن قد تولى سابقا سوى مسؤوليات ثانوية ، فلم يكن مشهورا(٣). وهو ينتمي الى مجموعة من الايديولوجيين الشبان الذين بلغوا منذ ايار ١٩٦٦ ، مراكز عالية ، وعضو في (م.م.ث.ث) . ويبدو رجلا فـي الاربعين من عمره ، له وجه مثقف ، قاسي الملامح ، تضفي عليـه النظارات السميكة هيئة من العبوس الغامض . خطيب عادي ، وقد ادت مواقفه اليسارية المتطرفة الى تجريده من صلاحياته عام ١٩٦٨ . فـي مقال «وطنية أم انهزامية» وضع مطالعة اتهامية شديدة التفصيل ضد

(١) انظر ما سبق .
(٢) انظر «انباء بكين» العدد ١٥ ، ١٠ نيسان ١٩٦٧ .
(٣) اعتقد انه كان استاذا للفلسفة في جامعة بكين .

ليو شاوشي (١) ، فاتهمه باستعمال نفوذه عام ١٩٥٠ من اجل تشجيع انتشار فيلم اعده وكتبه قبل عام ١٩٤٩ ، مخرج سينمائي ، لجأ بعد ذلك الى هونغ كونغ . والفيلم هو : **«التاريخ السري لبلاط تسنغ»**. يمجد هذا الفيلم الدور الذي قام به الامبراطور كوانغ سيو ، في مرحلة ما يسمى ، في الغرب ، بحركة «البوكسرز» . ويمثل الامبراطور اتجاها اصلاحيا داخل الارستوقراطية ، يعارض الامبراطورة تسوهي . يؤكد تزي بن ـ يُ ، ان هذا العمل السينمائي يقدم كوانغ سيو وأنصاره كوطنيين راغبين باحياء الصين ، وذلك دون ان يبرز الاعتداءات الاجنبية التي كانت الصين ضحيه لها في ذلك الوقت ، ويقدم صورة غير صحيحة عن «البوكسرز» او اليهتوان ، كما يسميهم الصينيون. فيقول صاحب المقال: هذا بينما كان اليهتوان يشجعون في ذلك الحين على حركة مقاومة شعبية ضد الامبريالية .

انطلاقا من هذه النقطة ، يحاول تزي بن ـ يُ البرهنة على ان الدعم الذي قدمه ليو شاوشي لنشر ذلك الفيلم ، انما يدل على اتجاهه البورجوازي ، من حيث الاساس ، في الشؤون الايديولوجية . ويذكر، دعما لهذه الدعوى ، الاجراءات التي اتخذها ليو شاوشي في السابق ، والتي كانت تشجع الابقاء على القطاع الخاص في الزراعة كما في الصناعة . ثم يتهمه بأنه كان ميالا الى المساومة خلال الحرب ضد اليابان والحرب التي تبعتها ضد الكومينتانغ . وكذلك يتهم المقال ليو شاوشي بمعارضة «القفزة الكبرى الى الامام» وبالقيام بدور مشؤوم في حركة التربية الاشتراكية . ويضع في الاتهام ، على الخصوص ، دوره خلال الثورة الثقافية في فترة مجموعات العمل . ان كل ذلك كانت قد نشرته بيانات الحراس الحمر . لكن هذه هي المرة الاولى التي تضع فيها جريدة رسمية للحزب ، رئيس الجمهورية موضع الاتهام بصدد الخط الرجعي البورجوازي الذي اتبع أثناء الثورة الثقافية . بالاضافة الى ذلك ، نشرت **الراية الحمراء** ، في العدد ذاته ، سلسلة من المقالات حول هذا الموضوع ، كان من بينها تقرير عن نشاط مجموعة العمل في جامعة تسنجهوا ، في حزيران وتموز ١٩٦٦ . هذا ولم يكن احد يجهل ان وانغ كوانغ مي ، زوجة ليو شاوشي ، هي التي كانت تشرف على تلك المجموعة . في هذه المقالات ، شدد على الدور الضار الذي لعبه خط ليو ازاء الكوادر ، والذي كان يرمي الى الوقوف بها في وجه الجماهير، من اجل منع وحدة العمل في النضال الثوري .

---

(١) دعاه «أعلى المسؤولين السائرين في الطريق الرأسمالي» ، وسيذكر تنغ هزياو ـ بنغ لـ «مسؤول عال اخر سائر في الطريق الرأسمالي».

وظهر في صحافة الحزب حشد من المقالات حول نفس الموضوع : كانت تؤيد ، دون كلل ، ان على حركة النقد الجماهيري الثوري القائمة ، ان تحث على التحالف الكبير، وتسمح بتحقيق التحالف المثلث ، وأن تتقدم بنضال الثوريين البروليتاريين من اجل نقل السلطة وتحطيم التيار المضاد ، نهائيا .

في هذه الاثناء كانت تحصل مظاهرات يومية في شوارع بكين . جميع المنظمات الجماهيرية ، كل واحدة بدورها ، تظاهرت هاتفة مختلف الشعارات المعادية لليو شاوشي وتنغ هزياو بنغ وتاوشو . وكل الهتافات كانت تذوب في صرخة واحدة: «دا داو ليوتنغتاو !» اي يسقط ليو تنغ تاو !

وفي نفس الفترة ، عادت تظهر من جديد البيانات والرسوم الكاريكاتورية . وقد لوحظ احدها على الخصوص ، معلقا بآلاف النسخ في جميع انحاء المدينة ، حيث تشاهد صور .فوتوغرافية تمثل زوجة ليو شاوشي خلال رحلة رسمية مع زوجها ، كانا قد قاما بها الى اندونيسيا ، لعامين ماضيين . وكذلك العديد من النسخ عن صور وضعت عليها الصلبان (١) تظهر وانغ كوانغ مي ، طافحة بالسرور ، ترتدي فستانا على الطريقة الصينية التقليدية ، تشرب الشمبانيا او ترقص مع الرئيس السابق سوكارنو . وقد عرض ايضا الفيلم الوثائقي المحقق خلال تلك الرحلة ، حيث يظهر ان النشاطات الصالونية ، البعيدة عن البروليتارية ، قد شغلت كثيرا ليو شاوشي وزوجته .

في هذه الاثناء كان يمكن ايضا رؤية فيلم **«التاريخ السري لبلاط تسنغ»** ، الذي قام تزي بن-يْ بنقد معمق له . وفي وقت قصير جدا، اعدت نسخ عديدة عنه لتمكين الجماهير من الحكم عليه بنفسها . وبالحقيقة ، جرت العادة في الصين بنشر كل وثيقة ذات اهمية عامة، على المستوى الوطني بأقصى سرعة ممكنة . فاذا كانت الوثيقة فيلما ، فيعاد انتاجه بنسخ عديدة ، وترسل في انحاء البلاد الاربعة . ويعرض في كل مكان عمل وجامعة او مدرسة خلال حفلات مجانية خاصة ، يعلن عنها بواسطة مكبرات الصوت .

وجرت مظاهرات ، شبيهة بتلك التي اتينا على وصفها ، في شانغهاي ونانكين والشانسي والشانتونغ ، وفي العديد من المقاطعات الصينية ، وكذلك اقيمت مهرجانات في الجيش . وكان لمجمل حركة النقد هذه ان تدوم أشهرا عديدة .

ويدل العاشر من نيسان عام ١٩٦٧ على تاريخ هام : ذلك اليوم عقد

---

(١) كعلامة على الاحتقار والعداء .

تجمع كبير من مئتي الف شخص ، في جامعة تسنجهوا ، في نفس مكان المعركة الصعبة التي جرت خلال صيف عام ١٩٦٦ ، بين الطلاب الثوريين ومجموعة العمل . وهناك القيت سلسلة من المطالعات الاتهامية ضد نشاطات وانغ كوانغ-مي ومساعديها . وقدمت الى الجماهير تقارير مفصلة عن سير الوقائع ، وكذلك شهادات ضحايا مجموعة العمل . هذا ، ومن جهة اخرى كان المتهمون يجلسون الى المنصة : وانغ كوانغ-مي نفسها ، يصحبها بوو ويي-بوو وزير الدفاع السابق .

فيما بعد ، نشر بشكل واسع ريبورتاج مصور وكذلك صور عن المهرجان . وظهرت الخطب والتقارير التي القيت خلال هذه المناسبة في صحافة المنظمات الجماهيرية وفي العديد من المناشير المستنسخة التي القيت بكثرة في الشوارع .

كزيو يانغ :

شكل الفحص المعمق لكتاب ليو شاوشي عنصرا بالغا في النقد الجماهيري الثوري . والكتاب هو : «نظرية الاتقان الذاتي للشيوعي» وقد ترجم الى الفرنسية تحت عنوان : **كي تكون شيوعيا جيدا** . وقد اعطى ماوتسي تونغ نفسه توجيهات في ذلك الحين ، ليقرأ الجميع الكتاب وينتقدونه . وقد حدد بأن ذلك النقد ينبغي ان يكون بشكل حي ، عن طريق ربطه بالمشاكل السياسية التي كانت مطروحة في كل وحدة عمل. وتم في ذلك الحين بيع الكتاب في الشوارع من اجل تمكين الثوريين من الحصول عليه .

كان نقد هذا الكتاب هاما ، لانه يشكل عاملا جوهريا في التربية السياسية للجماهير التي كان يأمل رئيس الحزب بتشجيعها عبر الثورة الثقافية البروليتارية .

لسنا في هذا الكتاب بصدد ذكر كل الاتهامات التي وُجهت الى مؤلف ليو شاوشي . بذلك سأقتصر على عدد من النقاط الاساسية . لقد اثار انتقاد «**كي تكون شيوعيا جيدا**» ، العجب في الخارج ، احيانا . كان الكثير من المراقبين يعتبرون هذا الكتاب كتابا ماركسيا صارما ، والعديد من المجموعات الموالية للصين عبر العالم توصي بقراءته . وبذلك كانت مفاجأة عامةعندما بدأ في الصين تقديم الكتاب باعتباره تحريفيا ومعارضا للعقيدة الماوية . وبالفعل ، لا يظهر هذا التعارض ابدا بنفس الوضوح والنقاء للعقول الاوروبية ، ولا يمكن تمييزه الا بتفحص النص بانتباه .

نموذجي بهذا الشأن الفصل المعنون : «الموقف ازاء الافكار الخاطئة والصراع داخل الحزب» . في البدء ، يؤكد ليو شاوشي من جديد

الموضوعات الكلاسيكية التقليدية حول هذا الموضوع : «ينبغي رفض كل ليبرالية» . و«لا ينبغي الخوف من الصراع الضروري داخل الحزب» . و«يجب ان يكون هذا الصراع عنيدا ويستهدف كل الاخطاء المبدئية» . رغم ذلك يعطي ليو شاوشي مجالا واسعا لتحديد تلك التأكيدات : وكانت هذه التمييزات من الكثرة ومن اللباقة حتى انها ادت في النهاية الى ابتعاد جوهري عن الموضوع الاولي. وهكذا يحاول ليو شاوشي ان يبرهن على وجود اتجاه يسميه «يساريا» و«دوغمائيا» نحو اثارة نزاعات ومجادلات ، دون انقطاع ، داخل الحزب . ويحاول اغلب المقاطع التي يتشكل منها هذا الفصل ان يفضح ما يسميه المؤلف بالموقف «المفرط» و«هوس النضال» و«عادة رفض كل تسوية» و«جعل الحبة قبة» ويقول: «تبعا لهؤلاء الناس ، الذين قد يقال عنهم مصابين بمس من الجنون ، كل سلام داخل الحزب يكون قابلا للادانة». ويمضي النص هكذا على صفحات كثيرة . ويمكن لكل ذلك ان يبدو دون دلالة خاصة ، اذا لم يجد فيه القارىء المنتبه انكارا مضمنا لماوتسي تونغ وصدى لقضية بنغ تهـهيه. و«الذي به مس» ، ومصاب بهوس النضال هو بالطبع رئيس الحزب ، ووزير الدفاع السابق ، الذي عزله ، هو ضحية موقفه المفرط .

وهنا تستلزم الاشارة الى ان كتاب ليو شاوشي وضع عام ١٩٣٩ وأعيد نشره عام ١٩٦٢ . على ذلك ، فالمقاطع التي ذكرت تعود الى عام ١٩٦٢ ، وهي نتيجة مختلف التعديلات التي ادخلها الكاتب ، في ذلك الحين . ونحن نذكر ان ذلك التاريخ هو تاريخ مطالبة بنغ تهـهيه باعادة اعتباره . ومن المميز كذلك ان هذه الحملات ضد «اليساريين» و«الدوغمائيين» تعود الى عام ١٩٦٢ . وهذا العام ، في تاريخ الحركة الشيوعية ، بعيدا عن ان يكون دون اهمية : فهو العام الذي اصبحت فيه علنية الاختلافات في وجهات النظر بين الحزب الشيوعي الصيني والحزب الشيوعي السوفياتي، وهو العام الذي تبنى فيه المسؤولون السوفياتيون، تحت قيادة خروشوف، في نهاية المؤتمر الثاني والعشرين، خطا سياسيا نعته الصينيون بالتحريفي ، ووقفوا ضده بشكل عنيف . في ذلك الحين كان موقف الحزب الشيوعي الصيني هو ان الخطر الذي يتهدد الحركة الشيوعية العالمية كان خطرا تحريفيا يمينيا . اما الخروشفيون ، من جهتهم ، فقد هاجموا ما كانوا يسمونه بـ «زمرة ماوتسي تونغ» التي تصفها صحافتهم بـ «اليسارية» وبـ «الدوغمائية» . في تلك الظروف، وباعتبار الآداب السياسية داخل الحركة الشيوعية ، ان يدخل قائد كبير كليو شاوشي ، في كتابه هجوما على الدوغمائية واليسارية ، دون التنويه بالانتهازية اليمينية والتحريفية ، لا يمكن ان يفسر عمليا ، الا

كتعبير عن وجهات نظر ، من جانبه ، اكثر قربا ، الى وجهات نظر السوفيات منها الى ماو .

وهناك مقاطع اخرى من الكتاب استنكرت باعتبارها حملات مبطنة ضد ماوتسي تونغ . يوحي ليو بأن لا يكون هناك «أبطال» او «رجال عظام» في الحزب . ويقوم ايضا بالتلميح الى «اشخاص يسعون دائما من اجل الارتفاع بقيمتهم الذاتية» فيقول : «فهم يحبون اثارة الخلافات داخل الحزب والدس من وراء ظهور هؤلاء وأولئك ، وينصرفون الى المكايد من اجل بذر الشقاق» . وهكذا تمتد تلميحات مثيلة عبر عدد من الصفحات ، وهذا ما سمح للماويين ، خلال الثورة الثقافية ان يؤكدوا ان «كي تكون شيوعيا جيدا» كان مؤلفا معدا لتحضير الرأي العام وكوادر الحزب لنوع من «نزع الماوية» شبيه ب «نزع الستالينية» الذي حصل في الاتحاد السوفياتي . وقيل انه يمهد لوثيقة ما تشبه التقرير السري الشهير الذي قدمه خروشوف الى المؤتمر العشرين عام ١٩٥٦ .

ومن اكثر الاتهامات التي تكرر توجيهها الى كتاب ليو شاوشي هو انه كان ايضا مجموعة من التذكرات الكونفوشيوسية وناتجة عن تأثيرات مثالية واقطاعية . وهذا شيء يصعب ادراكه على الغربيين ، القليلي الاطلاع عادة على عقيدة كونفوشيوس . وبالطبع ان الراي العام الصيني اكثر تحسسا لهذا الجانب من نقد الكتاب . لقد طبعت الكونفوشيوسية بقوة العادات في الصين . فهناك ميراث بكامله من الشكلية والاخلاقية ما زال يجثم على عقول عدد كبير من سكانها . ويبرز في ذلك التراث ، التي جعلت الثورة الثقافية منه هدفا تحاربه ، كونفوشيوس الذي فرض على الصين عبادة الطقوس ، التي اصبح كثير منها في العادات وكيفت بحسبها الطابع الوطني بقسم منه . على ذلك ، فقد رأينا ان التحريفية هي فساد الثورة بالتراث .

بحسب الانتقادات التي اتينا على ذكرها ، تقع شخصية ليو شاوشي وفكره ومؤلفاته على مفترق التراث والثورة . وقد اتى التأثير الكونفوشيوسي يتركز في نظريته حول الاتقان الذاتي للشيوعي التي هي في المركز من كتابه . ان مجمل التوصيات التي يوجهها الى المناضل الشيوعي والمبنية على عبادة القيم الاخلاقية الفردية (تربية ذاتية ، انانية) تذكر بالمناخ الكونفوشيوسي . هذه التربية الذاتية الفردية تسمى في الصينية الكزيويانغ ، وهي كلمة من العنوان الصيني للكتاب وتعني فن الحياة او النبل . واذا كان هذا غامضا جدا للغربي العادي ، فهو واضح تماما للشخص المطلع على الفلسفات الآسيوية القديمة . ومن جهة اخرى لم يخطىء بعض المختصين بالشؤون الصينية من الاوروبيين في فهم الكتاب : فقد كتب ايتامبل ، في المؤلف الذي خص به كونفوشيوس ، ان

ليو شاوشي ، بعكس ماوتسي تونغ ، لم يكن راغبا باجتثاث تأثير معلم الصين القديمة الفيلسوف ، ووصف كتابه **«كي تكون شيوعيا جيدا»** ، بأنه تأليف (!) ما بين الماركسية والكونفوشيوسية .

لم يتسم نقد كتاب ليو شاوشي بأي طابع اكاديمي . فكان عاريا عن اي شكلية ، عميقا وحيا . وكان مبنياعلى انتقادات الطلاب والعمال الشبان، والتي اظهرت بياناتهم غالبا عن كثير من وضوح الرؤية ونفاذها. وهنا ايضا ، يمكننا ان نأسف لعدم احاطة هذه الجوانب من الثورة الثقافية ، بأي اعلام في الخارج، ولأن الصحافة الصينية باللغات الاجنبية لم تنشر بشأن ليو شاوشي سوى نصوص تبسيطية ، ذات قيمة نظرية مشكوك بها ، باستثناء مقالي الراية الحمراء (١) ، المطولين .

استمرار التناقضات

الاول من ايار عام ١٩٦٧ :

لقد وُجه هذا الهجوم الجديد ضد ليو شاوشي بشكل يرضي تيارين متناقضين . فمن جهة ، كان يزيد من حدة القطيعة مع رئيس الجمهورية ، دافعا ايضا بالحركة الثورية ، التي كان يخشى البعض ان تسقط في التسويات وعدم الفعالية . ومن الجهة الاخرى ، يشدد على ضرورة معالجة مشكلة الكوادر بشكل عقلاني ، والحفاظ على المركزية ، مهدئا بذلك من مخاوف شو آن لاي . وبالفعل كان قسما كبيرا من حملة نيسان ١٩٦٧ ضد ليو شاوشي ، يقوم على فضح موقف مجموعات العمل المفرط ، الذي قادها في حزيران ١٩٦٧ ، والتي قامت بعزل كوادر الحزب بعدد كثيف ، في بعض الجامعات (٢) . كان يشكل هذا التذكير بحوادث اصبحت قديمة ، تحذيرا غير مباشر ضد الميول العفوية التي ظهرت لاسابيع خلت . هذه التركيبات الايديولوجية ، التي يذكر تشابكها بمواطن الاخطبوط ، نموذجية في صينيتها . وهي لا تسهل بالطبع العرض التاريخي للثورة الثقافية. فلنقل اذن، تبسيطا وتلخيصا،

(١) «جوهر الاتقان الذاتي هو التخلي عن ديكتاتورية البروليتاريا» و«وطنية ام انهزامية» . انظر انباء بكين العددين ١٥ و٢٠ لعام ١٩٦٧ .

(٢) انظر انباء بكين العدد ١٥ ، ١٠ نيسان ١٩٦٧ : «الهجوم على عدد كبير من الناس لحماية قبضة منهم ، هو جزء مكمل للخط الرجعي البورجوازي » .

ان حملة نيسان ضد ليو شاوشي كانت تبرز بشدة واقع ان الحملات التعسفية ضد عدد كبير من كوادر الحزب ، كانت خاطئة كمحاولات النيل من العناصر الثورية الطليعية ، وقمعها . وعلى النقيض ، ظهر الخط الماوي الثوري وكأنه في منتصف الطريق بين هذين الاتجاهين . فلم يكن بامكانه القبول ببقاء الثوريين والجماهير دون حراك أمام القهر . ولم يكن بوسعه ، اكثر ، القبول بأن تؤدي تعبئتهم الى نفي دور الكوادر . فكان ينبغي اتباع خط وسطي يقوم على تعبئة الجماهير والسماح لغالبية الكوادر ان تلتحق بها وتقودها وتنظم نضالها . وقد قلنا ان صيغة الاتحاد المثلث كانت التعبير عن هذه التطلبات المتضافرة .

وتم عدد من الانتصارات في هذا المجال ، كان اكثرها اثارة انشاء لجنة بكين الثورية في العشرين من نيسان . وقد حصل تجمع كبير في ساحة العمال والفلاحين ، في هذه المناسبة ، حضره القادة الرئيسيون للحزب . في ذلك اليوم القى كل من شو آن لاي وكيانغ تسنغ ووزير الأمن سي فو-تشي رئيس اللجنة الجديد ، خطبا تشيد بذلك الانتصار للخط الثوري . وكانت كذلك مناسبة للتذكير بالمبادىء التي ترشد الثورة الثقافية البروليتارية ولاطلاق نداءات الوحدة في كل البلاد .

مع ذلك ، بقي تقدم الثورة الثقافية بطيئا . وطوال الاشهر التالية، سوف يقوم عدد قليل جدا من اللجان الثورية على المستوى البلدي والمقاطعات . بينما بقي قسم كبير من اللجان التي تكونت باستعجال في المصانع والمدارس في شهر شباط ، موضع جدل وشقاق ، ولم تكن لها الصفة التمثيلية الكافية .

وفي بداية الصيف ستقوم الصحافة بالاعلان عن انشاء احدى تلك اللجان الثورية في مقاطعة تسنجهاي ، وبعد فترة ، عن اشادة التحالف المثلث في اكاديمية العلوم . وقبل ذلك ، في ايار ، وجهت التحية رسميا الى اقامة لجنة ثورية في معهد الملاحة الجوية . لكن الحصيلة، الهزيلة على الجملة ، اقتصرت على ذلك .

وبشكل تدريجي ، بالواقع ، لن يتلاشى التناقض الذي ظهر داخل القيادة الماوية بين شو آن لاي ونقاده اليساريين ، بل سيتبلور في صراع اكثر حدة ، وسوف ينعكس داخل المنظمات الجماهيرية ويجمد لوقت طويل امكانيات التحالف الكبير ، بنفس الوقت الذي جاء فيه يعرض للخطر تدابير التدعيم المتخذة في آذار ونيسان ، وبداية الوحدة التي كانت قد جلبتها .

وتبعا لبيانات جدارية صدرت في حزيران ١٩٦٧ ، كان الانقسام محسوسا من جديد منذ بداية ايار . هناك اسباب عديدة لان نعود بتجدد النزاع هذا الى الاول من ايار ، والذي كان هدأ مؤقتا في آذار

ونيسان . في يوم عيد العمل ، ظهر على المنصة الرسمية، وسط دهشة المراقبين الاجانب ، اشخاص كانوا قد انتقدوا بشدة سابقا ، كالمارشال العجوز شوته والاقتصادي شن يون . وكان يمكن ملاحظة ان شن يي وتان شن-لن ، وزيرا الخارجية والزراعة ، كانا يحتفظان بمركزيهما الاعتياديين في التسلسل ، رغم ضلوعهما في تيار شباط المضاد ، ورغم حملة البيانات الشديدة عليهما منذ شهرين . كان ذلك ، بكل بداهة ، نتيجة تدابير التهدئة المتخذة بمبادرة من شو آن لاي من اجل ازالة غل ومخاوف العديد من الكوادر ، الذين قلبهم الاندفاع المفرط لبعض المنظمات الجماهيرية .

وقد لوحظ ذلك في الصين والخارج ، وأدى الى اثارة سخط قسم من مسؤولي (م.م.ث.ث) ، الذين رأوا فيه ارتساما لاتجاه خطر نحو التصالح ، فشرعوا اذن بالتصدي له .

«مسعورو» الثورة الثقافية :

لقد حان الوقت لتقديم هؤلاء الرجال ، ولتبيان ما كان تاثيرهم . يمكن اعتبار اربعة من مسؤولي (م.م.ث.ث) الممثلين الرئيسيين لهذا التيار . الاول هو وانغ لي : كادر شاب في لجنة بلدية بكين السابقة ، حيث كان احد أوائل الاشخاص الذين وقفوا بوجه نفوذ بنغ شنغ و«عصابته السوداء» الشهيرة . وكرفاقه الثلاثة كان مغمورا ، فيصعب رواية سيرته الذاتية ولو بخطوطها العامة . ليس من المؤكد انه كان عسكريا ، لأن جميع اعضاء (م.م.ث.ث) تقريبا كانوا يرتدون اللباس الموحد في التظاهرات الهامة (وكذلك اعضاء الحكومة) ، رغم ذلك ، مما قد يدفع الى الظن بأنه كان عسكريا ، هو انه لم يشاهد ابدا دون لباسه الاخضر الغامق . ويبدو بين الخامسة والثلاثين والاربعين ، من العمر ، هذا اذا كنا نستطيع الحكم على هذه الامور في آسيا . طويل القامة وضخم الجثة ، له وجه مستدير تبدو عليه الطيبة . في الفترة التي اتكلم عنها ، كان مسؤولا عن جهاز الدعاية، وهو منصب شغله على التوالي اشخاص شهيرون .

الى جانبه ، كان كوانغ فنغ وهو على النقيض منه جسديا . صغير، نحيل ، يضع نظارتين سميكتين . وهو رجل كثير الحركة ، عصبي المزاج كان يرى في المهرجانات يدخن دون انقطاع . وقد اكتسب شعبية كبيرة بين حراس حمر العاصمة ، بتقديمه دعم (م.م.ث.ث) للقيادة العامة الثالثة حين الصراع ضد لياندونغ . ويمكن الظن انه ينتمي ، هو ايضا، الى كوادر الجيش ، لانه يرتدي دائما لباس جيش التحرير الشعبي .

وأكثر شعبية منه ايضا هو تزي بن-يْ الذي وصفنا هيئته ونشاطه خلال الاشهر السابقة. وعدا المجد الذي ناله لدعمه القيادة العامة الثالثة للحرس الاحمر ، فهو يتمتع بنفوذ يكسبه اياه النضال الذي قاده ، منذ بداية عام ١٩٦٦ ، ضد بنغ شنغ وعدد من المقالات التي وقعها ، وأكثرها شهرة مقاله الجديد : «وطنية ام انهزامية» .

هؤلاء الرجال الثلاثة هم ايضاً محررو **الراية الحمراء** الرئيسيون. في مجرى الاشهر القادمة ، سيظهرون كممثلين لاتجاه «متصلب» داخل (م.م.ث.ث) . وسوف تلحق الهزيمة والكسوف بالاول والثاني ، ابتداء من ايلول . اما تزي بن-يْ فقد بقي في مركزه، بالتخلي عنهم دونشك، وقتا اطول ، لكنه انتهى بأن طرد بدوره ، بعد ثمانية اشهر .

وينبغي ايضا ذكر اسم الفارس الرابع من هذا الاتجاه ، والذي سيلعب دورا هاما ، دون شك ، في الحوادث القادمة ، لكنه أقل ظهورا من الاخرين : وهو لين كي ، والذي لا اعرف منه شيئاً ، للاسف ، سوى انه كان ايضا عضوا في (م.م.ث.ث) . ولا اتذكر انني رأيته في تظاهرات عامة .

في ربيع ١٩٦٧ ، كان هؤلاء الرجال ، وخاصة الثلاثة الاول ، في ذروة شهرتهم ونفوذهم. وكان نفوذهم يتخطى الاوساط الطلابية، ويمتد الى كثير من المنظمات الثورية في العاصمة وحتى في المقاطعات ، لانهم قاموا بمهمات كثيرة في كل مكان تقريبا . في الاسابيع القادمة ، ستجد سياستهم صدى اكيدا عند عدد من تلك المجموعة . وكانوا في تلك الفترة أفتى قادة الحزب ، ما خلا ياو ون-يوان وهو ذو اتجاه مختلف. وكثيرون كانوا يرون فيهم رجال مستقبل وحتى قد يقودون الصين فيما بعد ، عندما يغيّب العمر الأماجد القدماء . ومن المعقول ان هذا العنصر لم يفت الاشخاص المعنيين ، وستأخذ المجابهة اللاحقة ، التي سيقومون بها ، بعض طابع الصراع بين الاجيال .

مسألة تان شن لن وشن يي

بالنسبة لهؤلاء الرجال الذين يمثلون الجناح اليساري في (م.م.ث.ث) لم يلعب شن يي (وزير الخارجية) و تان شن لن (وزير الزراعة)الدور الذييجب ان ينتظر منالقادة الثوريين، في الثورةالثقافية، فينبغي ازاحتهما . ألم يرتكبوا في فترة مجموعات العمل اخطاء خططية؟ الا ينتمي ابن شن يي الى منظمة ليااندونغ ؟ وبالنسبة لشن-لن ، أليس هو المسؤول عن تيار شباط المضاد ؟ كان موقف الوزيرين ضعيفا . فقد تعرضوا للانتقاد ، ولم تكن نادرة البيانات التي تذهب الى حد اعتبارهم

كمعادين للثورة . لكن ، كان يسندهم شخص قوي جدا : شو آن لاي . ورئيس الوزراء هو ثوري مجرب ، واقعي ، ورجل يتمتع بحس سياسي فائق . على ذلك ، كان شو آن لاي ذا ماض لا يمكن مهاجمته تقريبا، وذا نفوذ واسع في الصين كما في خارجها . كان يعتقد ان الوقت لم يحن للحكم بشأن شن يي وتان شن-لن ، رغم الاخطاء الجدية المقترفة، وعلى الأخص تان شن-لن فيعتبر انه ينبغي ان يبقيا في منصبيهما، وأن يقوما بنقد ذاتي ، ويكون لديهما فرصة التكفير . محافظون في الشؤون التنظيمية ؟ ربما ! لكن للأمر ناحيته السلبية وناحيته الايجابية ، لان ذلك يشهد بالحقيقة على تمسك وثيق بالدور القائد للحزب . تحريفيون ؟ هذا ليس مؤكدا ، وبالتالي تصبح ازاحتهم سابقة لأوانها .

كان شو آن لاي في ذلك التاريخ يعتقد انهما وزيران ماهران ويصعب استبدالهما . بالاضافة الى ذلك ، وعلى الأخص في ظروف تلك اللحظة ، كان رئيس الوزراء مقتنعا بضرورة تطمين الكوادر على جميع المستويات ، ومنعهم من تضخيم صفوف المعارضة . على ذلك ، فتصفية قادة جدد في الهيئات المركزية ، يعني الحمل على الاعتقاد بأن كتلة ليو شاوشي كتلة واسعة . فكل ما يجري على المستوى القيادي له على الفور انعكاسات مباشرة أو غير مباشرة على ما يجري للمستويات الاخرى، في الصراعات الجارية في المجتمع ، فأي تصفية جديدة في قيادة الحزب كان يمكن ان تفسر كبرهان على عمق خطر ليو شاوشي وكاشارة لهجوم جديد على كوادر الحزب : ولم يكن هذا مرغوبا به . وبذلك كان شو آن لاي يحمي الوزيرين ضمنيا ، بالاضافة الى آخرين ، ويلح في كل مرة على حضور اجتماعات الاتهام الذي يستهدفهما .

ويمكن الاعتقاد ان رئيس الوزراء الصيني رجل يعرف حمل مسؤولياته : فلم يكن امرا لا يحتاج الى الشجاعة الدفاع عن وزيرين قليلي الشعبية ، ضد رجال شبان ، كان يظهر ان الرياح تجري كما يشتهون . وهكذا سنرى الخلاف يكبر بينه وبين هؤلاء الاخيرين، ويتحول الى عداء .

ما كان يثير الانقسام في الهيئات القيادية ، سوف يثيره بين مجموعات المتمردين . وقد ظهر الجناح اليساري في (م.م.ث.ث) ساخطا اكثر فأكثر لهذا الاهتمام بمراعاة الكوادر . ورأى فيه عقبة امام الثورة وشرع بفضحه . واتجهت اتجاها مماثلا منظمات جماهيرية كان يؤثر عليها ذلك الجناح . ومن جديد اتسعت الحملة ضد الكوادر في بعض الجامعات والمصانع . وعاد الى الظهور التيار العفوي الذي أبطأ تقدمه في آذار . ولم يفت ظهور اتجاهات معارضة من جانب منظمات

اخرى . واحتدت من جديد النزاعات والانقسامات . وبدأت تتصدع جديا التحالفات التي كانت تتقدم بدأب في نهاية الفصل الاول .

اعمال عنف جديدة :

وعاد الى الظهور في قطاعات متفرقة الانقسام الى كتلتين كبيرتين. وأحيانا ، لم يكن الانقسام قد زال. او كانت حدته قد خفت على الاكثر، في آذار ونيسان . وكانت مسألة نقل السلطة ما تزال عامل شقاق كثير الانتشار . وعلى الرغم من النجاحات التي سجلت في الفترة السابقة وحملة الصحافة الشديدة وتدخلات فرق دعاية جيش التحرير الشعبي، كان ما يزال هناك امكنة لم يتبع نقل السلطة فيها ولم يدعم بالتحالف الكبير والاتحاد المثلث . وكانت بعض اللجان الثورية المكونة في شباط ، ما تزال دون اعتراف رسمي ، وبقيت موضع جدل من قسم من الشغيلة والطلاب . ان مشكلة الكوادر كانت قد عولجت بشكل افضل في آذار ونيسان ، الامر الذي سهل بداية تقارب ، غير كاف ، مع ذلك ، لازالة الخلافات . في ايار ، كان يسار (م.م.ث.ث) برفضه لسياسة الاعتدال والمرونة ازاء الكوادر ، لا يمكن الا ان يعمق النزاعات ويشدد من الشقاق ، ويطيح بالنتائج المحققة في الشهرين الماضيين ، والتي ما تزال طرية العود .

وسيشهد ولادة الصراع من جديد ، بين الاتجاهين اللذين تجابها من قبل ، دون ان يغلب احدهما الاخر . كانت المنظمات الجماهيرية التي قامت بنقل السلطة لصالحها ، تتألف غالبا من عناصر ديناميكية ، من الحزب او من خارجه ، والتي عجلت بالحركة بنزق . كانت منظمات اخرى تجادل بصحة عملهم بتبيان انهم لم يستطيعوا تأمين التحالف مع الكوادر ، وكان اعضاء الحزب والعصبة يميلون الى التواجد في المنظمات الاخيرة بأعداد كبيرة . وهناك قسم من هذه المنظمات كان محافظا ، ويستعمل هذه الحجة للدفاع عن كوادر تحريفية ، وبتحريض منها على محاربة المنظمات المتمردة ، كما كان الحال في شانغهاي في كانون الاول ١٩٦٦ ، وخلال تيار شباط المضاد . لكنها عديدة ايضا المنظمات التي عارضت عن حسن نية نقلا للسلطة، كان قد أزاح عددا مفرطا في الارتفاع من كوادر الحزب ، وأدى الى العفوية والفوضى . في اغلب الحالات، كان على هذين الاتجاهين ان يتوافقا ، دون ان يؤدي ذلك الى استفادة العناصر المحافظة ، التي كان بامكانها استغلال التسوية والعودة الى السلطة من بعدها . هنا ، كانت كل الصعوبة . ونتذكر البراعة التي كان على شو آن لاي ان يستعملها لتطبيق هذا الخط السياسي الدقيق ، لأن هؤلاء المحافظين كانوا نشيطين ، خاصة في المقاطعات ، ويستطيعون

الاستفادة من بعض الاعتدال . في مقاطعة ستشوان ، بقي عدد منهم في السلطة . وكانت بعض المنظمات الجماهيرية الهامة تهاجم الثوريين ، بتحريض منهم . واحيانا كانت تسيل الدماء . وفي امكنة اخرى ، وعلى مختلف مستويات الادارة وفي مختلف قطاعات المنظمة الشيوعية ، كانت هناك كوادر تحريفية تسعى الى الاحتفاظ بمراكزها والى الدفاع عن نفسها باستعمال الاتجاهات المحافظة بين الجماهير والكوادر الاخرى . كانت المعارضة منذ ذلك الحين مجردة من السلطة في كثير من الامكنة ، لكن مناورات المقاومة كانت مستمرة على الصعيد المحلي .

وبما ان المحافظين مستمرون في القتال ، كان وانغ لي ولين كي وكوانغ فنغ وتزي بن-يُ يعتقدون انه ينبغي محاربتهم وليس السعي الى التهدئة : من اجل ذلك ، كانوا يريدون استخدام القوة الوحيدة التي اظهرت حتى الان عن قدرتها على جعل العدو يتقهقر : وهي المنظمات الجماهيرية الثورية ، التي يجب الحفاظ على ديناميتها وعفويتها ، وليس لجمها عن طريق تحذيرات وحملات تصحيح قد تشوه سمعتها .

اما شو آن لاي فكان يميل الى التشديد على دور الكوادر : ينبغي تحريرها من التأثير المحافظ . على ذلك ، فان مواصلة الاخطاء المقترفة بحقهم في شباط ، واعادة اطلاق اليسار الى الهجوم، دون حذر، يعنيان المجازفة مرة اخرى باعادة ادخال الكوادر في قوقعتهم ، بل ايضا في أسوأ احتمال ، دفعهم بأعداد كبيرة نحو التيار المحافظ ، حامل خط ليو شاوشي . وعلى النقيض كان ينبغي ان تتحد المنظمات اليسارية والكوادر الثورية ، وتناضل مجتمعة لعزل الخصم (كتلة ليو) ، بنزع اي دعم جماهيري له وبتفتيت صفوفه .

اثناء شهر ايار ، قام وانغلي وكوانغ فنغ وتزي بن-يُ ولين كي ، باجتياز الخطوة التي لا رجوع عنها ، وأطلقوا هجوما موجها ، من حيث المبدأ ، ضد «الخط الرجعي البورجوازي» . لكنه بالواقع يستهدف شو آن لاي ، بعد ان اقتنعوا بأنه داعيته الجديد . لقد بدأ ذلك بحملة لم يسبق لها مثيل ضد شن يي وتان شن-لن ، قامت بها منظمات جماهيرية في بكين . لكن شو آن لاي كان المرمى عبر هذين الشخصين . وهذه تظاهرة جديدة لذلك الاسلوب السياسي غير المباشر ، الذي يحتفظ الصينيون بسره . وظهرت بيانات في الشوارع، بعشرات الاعداد، تفصل اخطاء الوزيرين وتظهرهما كتحريفيين . وتكاثرت على الجدران الشعارات التي تدعو الى «قصف» (١) شن يي ثم «الاطاحة به» . وذات يوم شوهد

---

(١) نقـد .

يتهادى في مركز المدينة «بالون» كبير ، ربطت اليه يافطة كتب عليها : «يسقط تان شن-لن» . وأحيانا كانت الحملات ضد شن وتان تنتهي باتهام شو آن لاي ، بشكل خجول في البداية ، ثم بوضوح اكثر فاكثر. وفي الخامس عشر من ايار ، احتلت وزارة الخارجية ، الشيء الذي جاء يزيد من حدة جو التوتر الموجود . كان يهدف هذا الهجوم الى اظهار الاتجاه العفوي ، من جديد ، في المصانع والمدارس ، والى زيادة عدد الكوادر المنتقدة ، الامر الذي سيولد مقاومة ، لكنها ستكون هذه المرة اقوى منها في شباط . وطرحت من جديد مسألة نقل السلطة ، التي كانت ما تزال معلقة في كثير من القطاعات . وساءت العلاقات بين اولئك الذين قاموا بنقل السلطة بشكل عفوي ، وبين اولئك الذين ينكرون ذلك ، فكان الاخيرون يأخذون على الاولين بأنهم لم يعرفوا كيف يعطون الكوادر مكانها ، او رفضوا ذلك . فكانت تتبادل النعوت والاهانات الخطيرة . وكل مجموعة تتهم الاخرى بتطبيق خط ليو شاوشي ، وكانت تنشب العراكات .

في بكين ، كانت تظهر اكثر فأكثر بيانات تحمل صور اشخاص جرحى ، بينما كانت مجموعات تتبادل الاتهام بعدم احترام اعلان البنود الستة عشر ، وبالنضال بوسائل العنف وليس الاقناع .

وقد ادى ذلك الى ظهور مقال في **يومية الشعب** ، في الحادي والعشرين من ايار بعنوان : **فلنوقف الودو** . والودو هو الصراع الجسدي العنيف ، والذي يتعارض مع **الو ندوو** اي الصراع بالاقناع والبرهان . في بكين ، كان هناك مجموعات تضع الخوذات وتتسلح بقضبان الحديد، تقتتل في امكنة العمل وفي الشوارع احيانا . ولا يمكننا القول بأن هذه المعارك كانت يومية وشاملة ، لكن الجو السائد آنذاك كان متوترا دون شك .

يدل شهر حزيران من عام ١٩٦٧ على الميلاد العاشر لظهور مقال ماوتسي تونغ المسمى : **«في الحل الصحيح للتناقضات وسط الشعب»**. وقد استغلت السلطات هذه المناسبة من اجل القيام بحملة دعائية جديدة تهدف الى محاربة اعمال العنف والى تشجيع النقاشات السلمية بين المنظمات المتجابهة .

وبالواقع ان ماوتسي تونغ في مقاله الذي يعود الى عام ١٩٥٧ ، يبرهن على ان العنف لا ينبغي ان يمارس الا ضد الاعداء ، وأن للتناقضات الموجودة وسط الاهالي طابع مختلف ، بشكل عام ، وينبغي ان تعالج عن طريق النقاش والاقناع . وخلال الثورة الثقافية كانت الصحافة الصينية تقول انه لا يوجد تناقض تناحري الا بين عدد صغير جدا من التحريفيين من جهة ، وبين جماهير الشعب الصيني من الجهة الاخرى . فلا يجدر

اذن بقسم من الجماهير ان يستعمل العنف ازاء قسم اخـــر منها ، ولا ينبغي وسط الشعب اللجوء لسوى الاساليب الديمقراطية . وعندمـــا يكون قسم من الجماهير مخدوعا بالتحريفيين وينضم الى منظمة محافظة، لا ينبغي اللجوء الى الاعمال الوحشية ضده . ينبغي القيام بعمل سياسي قوامه الشرح والاقناع ، من اجل اعادته الى الطريق الثوري . ولا ينبغي، بداهة ، الاقتتال بين المنظمات الثورية .

عادت تلك الحملة الصحفية بتهدئة مؤقتة لاعمال العنف . لكنها لن تستمر طويلا ، اذ ان العراكات ستستأنف ابتداء من منتصف حزيران .

وقد نالت هذه الحوادث تعليقات كثيرة في الخارج ، قدمتها غالبا على انها علامة الفوضى والحرب الاهلية التي تتهدد الصين . ومن المؤكد ان ذلك لم يخل من المبالغة . مع ذلك ، هل من الصعب جـــدا فهم ان الثورة التي لا تنقطع ، التي يرغب بها ماو ، تستلزم هكـذا اضطراب ؟ وأن تلك الحوادث استقبلتفي الصين ببرودة اعصاب، واعتبرت طبيعية في فترة الثورة الثقافية ؟ ومن جانب اخر ، لم يكن لاتساعها اي شـــيء منذر بالخطر حقا . ان العراكات بين الطلاب او بين العمال لا تســـاوي الفوضى . ويكفي ان نعرف ان حوادث مشابهة اصبحت «عملة دارجة» في المدن الجامعية اليابانية والفرنسية والايطالية ، دون ان يجرؤ احـد على الاعتقاد ان الحرب الاهلية تفتك بتلك البلدان .

مشكلة الجيش

الحزب والجيش والجماهير :

يمكن للنزاع بين شو آن لاي والجناح اليساري في (م.م.ث.ث) ، والذي قلت انه في مصدر هذه الاصطدامات ، ان يبدو صعب الفهـــم بالنسبة لاشخاص قليلي الاطلاع على الماركسية . غير ان الحـــال ليس كذلك بالنسبة للصينيين ، الذين يعالجون هذه المشاكل ويعيشونهـــا بحماس . هذه المشاكل معقدة في الظاهر ، لكن مسألة واحدة تكمـــن وراءها ، بالواقع ، قديمة قدم الحركة الشيوعية نفسها ، وهي مسألة الدور الخاص الذي يجب ان يلعبه الحزب الشيوعي في الثورة . هـــل الثورة من صنع الجماهير ام من صنع الحزب الشيوعي ؟ والجـــواب النظريهو انها حركة جماهيرية تقودها نواة منالمناضلين منظمة في حزب مركزي . ولكن يمكننا ان نتساءل : اي العنصرين ، الجماهير ام الحزب، هو الأولي ؟ والجواب هنا أقل سهولة بلا شك ويتغير تبعا للظروف . كل ماركسي سيقول ان الجماهير والحزب ضروريان لتحقيق المشروع الثوري ويأبى الاشارة الى اولوية ما . لكن ذلك لا يمنع ان الحزب في ظروف ما

يتقدم الجماهير وفي ظروف اخرى يحصل العكس ، وفي بعض الاوضاع التاريخية والاجتماعية ، تصبح الحركة الجماهيرية اكثر اهمية ، على الأقل مؤقتا . آنذاك يميل بعض المناضلين الى الثقة العمياء بتلك الجماهير . لكن، اذا تغير الموقف ، اذا تجاوز الحزب تخلفه عن الجماهير، عندها ، يمكن للايمان المطلق بالجماهير ان يعيق دوره القيادي . وفي ظروف شبيهة ، قام لينين بنقد هذا التقديس المبالغ ازاء الجماهير ، والذي سماه «اليسارية» مرض الشيوعية الطفولي .

ان الثورة هي عملية اسراع بالتاريخ ، تمر دائما في ادوار متعددة. فأولئك الذين يكونون في الطليعة في لحظة ما يمكنهم بسهولة ، بسبب عدم فهم المسيرة اللاحقة للحركة ، ان يسيروا في طريق خاطىء ويتأخروا عن الركب . وتقدم الثورة الفرنسية كما ثورة اوكتوبر والثورة الصينية امثلة متعددة على ذلك ، من الوضوح والشهرة حتى انه لا ضرورة لذكرها .

وقد عرف وانغ لي وكوانغ فنغ ولين كي وتزي بن-يُ نفس المصير المشؤوم ، خلال الثورة الثقافية البروليتارية . فقد وجدوا انفسهم ، بعد ان كانوا على رأس الحركة في مرحلتها الاولى ، في صراع مع الوضع الجديد . وبالواقع كان من المغري ، بالنسبة لمناضلين شبان كانوا قد ارتفعوا في عواصف الثورة الثقافية ، اعتبار الجماهير الصينية العامل الحاسم في التقدم الثوري . وبالمقابل كان الحزب مهددا بأن يروا فيه جهازا يحدق به التصلب ، حيث وجدت فيه اعداد كبير من العناصر التحريفية ملجأ لتقوم بالمناورة ضد الشعب . ان تعليلا مثيلا ليس أقل تعسفا لان الحزب في مجمله كان باقيا على امانته للخط الماوي . ان الحجم الهام نسبيا للمعارضين في اللجنة المركزية ، لا يعكس ابدا الوضع على المستويات الوسطى والدنيا من تسلسل الحزب ، حيث يتمتع رئيس الحزب وسياسته بنفوذ وثقة مرتفعين ، لدى غالبية المناضلين .

بالاضافة الى ذلك لا يمكن تفكيك التنظيم الشيوعي ، من الناحية الادارية الا بمجازفة خطيرة باقتصاد وأمن البلاد . ولا يمكن ان يدوم الى الأبد واقع ان الكثير من اللجان الحزبية كان قد توقف عن العمل ابتداء من عام ١٩٦٧ . هذا ومن ناحية استراتيجية بحتة ، لم يكن عملا ذكيا ، بالنسبة للماويين ، فيما لو اهملوا كوادر الحزب وحاربوها مجتمعة ، وذلك ما كان قد يؤدي الى رميها في أحضان المعارضة بحيث تزيد من صفوفها . كان ينبغي اذن تفحص نشاطاتها وموقفها من الثورة الثقافية، بل ماضيها ايضا، ولفظ الفئة المتواطئة منها مع ليو شاوشي، والاحتفاظ بالعدد الاكبر الذي بقي رغم الاخطاء ، امينا للسياسة الثورية . ان تدخل

الجيش ، عن طريق فرق دعايته ، هو الذي سمح ، كما رأينا ، بالحفاظ على المركزية السياسية والتنظيمية .

ان «يساريي» (م.م.ث.ث) : وانغ لي ولين كي وكوانغ فنـــغ وتزي بنـــيُ ، الذين يتحسسون فعالية تعبئة وديموقراطية الجماهـير اكثر من ضرورة المركزية ، سوف يقادون ، عن طريق دينامية موقفهـم نفسها ، الى اعادة النظر بدور الجيش . وهنا قاموا بعمل سوف يظهر مميتا ، بالنسبة لنشاطهم السياسي .

مشاكل سياسية في الجيش :

منذ ان امر ماوتسي تونغ ، في الحادي والعشريـــن من شباط ، الجيش بالتدخل في الثورة الثقافية لدعم اليسار ، وجد الجيش نفسه مكلفا بمهمة ثقيلة ، وبالواقع ، كثيرا ما كان يوجد خلافات في الرأي بين المنظمات الجماهيرية القائمة . في ذلك الوضع المختلط نسبيا ، كان من الصعب غالبا فرز المشاكل وتمييز المنظمات التي كانت محافظة عن تلك اليسارية الثورية ، فجميعها بالواقع كان يعلن انتماءه الى ماوتسي تونغ وخطه السياسي .

وكانت المعارضة التي ما تزال قوية في المقاطعات تحترس جيدا من التعبير عن نفسها علنا . ولم تكن بحاجة للقيام بذلك ، للدفاع عن نفسها، لانها كانت في موقف الدفاع . وقد أُضعفت وقهرت في عدد من الامكنة، فكان تأثيرها على المستويات القيادية من الحزب قد زال عملياً منذ تصفية تاوشو . فكانت منهمكة على الأخص بالاحتفاظ بالسلطة ، حيث لم يكن «المتمردون» القوة من اجل اسقاطها. وكانت خطتها تقوم على عدم الظهور بكثرة وعلى المشاركة في الحركة من اجل اقتناصها وتوجيهها الى غاياتها، او كبحها .

وبذلك كانت المنظمات المعارضة للخط الثوري بشكل واضح، صعبة الاكتشاف . اضف الى انه ينبغي مراعاتها ، لأن المنتمين اليها كانـــوا اشخاصا من الشعب مضللين ، لا يجب اخضاعهم للقمع بل تنويرهـــم سياسياً واقناعهم .

وهكذا نتصور صعوبة عمل الجيش . ورغم انه عمل ، بشكل عام، بكثير من التبصر والحذر في الدعم الذي كان يعطيه للمنظمات ، فقـــد تعرض للانتقاد من مجموعات مخاصمة ، فـي مناخ التمرد للثـــورة الثقافيـــة .

---

(١) نشرت المذكرة في بيانات في شوارع بكين .

وصدرت مذكرة (١) عن اللجنة العسكرية في شباط ١٩٦٧ تحتوي على توصيات في ثمانية بنود ، تمنع الاغارة على مراكز الجيش والهجوم المسلح على الجنود. **وعلى هؤلاء الجنود ، من جهتهم ان لا يستخدموا اسلحتهم .**

وقد اعرب يسار (م.م.ث.ث) عن تحفظات بشأن تدخل الجيش ، دون شك خشية من ان يكبح التطور الحر لنشاطات الجماهير السياسية. ومن اجل تسكين مخاوفه صدرت مذكرة جديدة عن اللجنة العسكرية ، في السادس من نيسان ١٩٦٧ ، تحتوي على ستة بنود . ولنتذكر ان لين بياو هو الذي يرأس تلك اللجنة . وقد اكدت هذه المذكرة من جديد **منع استعمال الاكراه، واللجوء الى الاقناع** ، وذلك تجنباً لضغط الجيش على الجماهير ، ومن ان يضيق من مجال تحركها .

وكانت المذكرة تمنع على الجيش حل اية منظمة جماهيرية ، حتى ولو بدت رجعية (٢) ، او القيام بأي اعتقال ، الا عند توفر براهين واسعة على جرم الافراد المعنيين . وأخيرا كانت توصي بالاحتراس من ان تؤثر عناصر يمينية على عمل الجيش السياسي، فتقوده الى دعم منظمات سيئة .

رغم اعتدال العسكريين هذا ، والذي وحده يفسر الاضطراب النسبي الذي كان موجودا في الصين آنذاك ، قام «يساريو» (م.م.ث.ث) شيئا فشيئا باعادة النظر بدور الجيش . فقد رأوا ، مقتنعين بمراوحة الثورة الثقافية وبأن عددا من القياديين التحريفيين ما زالوا في مراكزهم ، رأوا في شو آن لاي وفي بعض قادة الجيش السائرين على خطاه، عوائق امام حركة الجماهير ، وأشخاصا غير قادرين على فهم المرحلة الجديدة من الثورة الثقافية الصينية، التي بدأت، وغير راغبين بالقيام بها حتى النهاية.

بيد ان الهجوم على الجيش وقادته ، لم يكن سهلا . فكان هذا بقيادة لين بياو معقلا لسياسة ماوتسي تونغ . وأكثر من ذلك ، كان العنصر الاساسي في سلطة الدولة ، والقوة الوحيدة التي بقيت مستقرة في تلك الفترة المضطربة . وهو وحده كان، بفضل نفوذه وحزمه ، قادرا على اعادة الهدوء في كل لحظة ، وعلى اسكات النزاعات بين الكتل .

---

(١) نشرت المذكرة في بيانات في شوارع بكين .

(٢) على اثر هذه المذكرة اطلق سراح عدد من اعضاء لياندونغ وجيش الشغيلة الحمر ، كانوا قد اعتقلوا في بداية آذار ، ما عدا عدد صغير جدا منهم كانوا متهمين بالقتل . وقد نشرت هذه المذكرة ايضا في بيانات في شوارع بكين .

وبالتالي كان ينبغي العمل على ان لا ينقسم هو نفسه الى كتل . ولو انه انقسم الى اتجاهين ، مثل الطبقة العاملة او الطلاب في بعض القطاعات، لما كان بقي اي حاجز يمكن ان يصمد امام الفوضى . وهكذا كانت توصيات خاصة تمنع على العسكريين تشكيل منظمات جماهيرية، وبعكس ما حصل في مكان اخر ، كان العزل المحتمل لقادة عسكريين من كتلة ليو شاوشي موكولا الى اللجنة العسكرية وليس الى جماهير الجنود .

ومن جانب اخر ، لم يتم عزل اي قائد عسكري هام ، عدا لــــوو جوي-كنغ ، الرئيس السابق للأركان المتواطىء مع بنغ شنغ . فكان من المناسب اشاعة الشعور بأن الجيش كان متحدا بقوة وراء ماو ولين. وقد وجه الاتهام الى مسؤول في الجيش خلال تيار شباط المضاد ، ورغم انه تعرض للانتقاد فقد بقي في منصبه ، وعاد الى الظهور في ساحة تين آن من ، في الاول من ايار الى جانب شن يي وتان شن-لن . ومن الواضح تماما ان الجيش كان يعامل بحذر، وأنه كان يجب عدم المساس بوحدته.

في ووهان ، حصل حادث خطير في تموز ، حيث ظهر ان كتلة من جيش التحرير الشعبي انقادت الى مساندة منظمات محافظة ، فأتاحت «للمتصلبين» في (م.م.ث.ث) فرصة الحملة عليها .

٢

تموز وآب ١٩٦٧
حادث ووهان وهجوم « المسعورين »

حوادث ووهان

محن وانغ لي وسي فو ـ تشه :

ووهان مدينة ثلاثية تقع في الحوض المتوسط لنهر يانغتسي . وتتكون من تجمعات هان كيو و هان يانغ و وو شانغ . وهي مرفأ مبني في بداية الجزء القابل للملاحة من النهر ، وكذلك مركز صناعي ضخم . وتعتبر ووهان، ان من حيث اهميتها الاقتصادية او من حيث عدد سكانها البالغ ثلاثة ملايين ، ومركزها الستراتيجي ، احدى اهم مدن الصين .

وهذه هي المدينة التي انطلق منها ماوتسي تونغ في سباحته الشهيرة في نهر يانغتسي ، في السادس عشر من تموز عام ١٩٦٦ . وهنا ايضا ، مارس نفوذه مدة طويلة ، رجل كنا قد تحدثنا عنه ، وهو وانغ جن_تشونغ . كان هذا نائبا ، ومحافظ المدينة وعضو اللجنة المركزية والسكرتير الاول للحزب في مقاطعة هوبي. وكان صديق تاوشو ومساعده المقرب ، وقد عاونه في بكين اثناء شهري آب وأيلول عام ١٩٦٦ ، مع ضباط الارتباط . وفي حزيران ١٩٦٧ ، كان وانغ جن_تشونغ قد عزل ووضع تحت الاقامة الجبرية في بكين ، منذ عدة اشهر . لكن ووهان لم تكف عن كونها احد تلك القطاعات التي تحتفظ فيها المعارضة بتفرعات قوية ، وحيث بقي اصدقاء تاو في مركز قوي ، يترصدون فرصة القيام بهجوم مضاد . كان الحزب الشيوعي الصيني يبدو انه لا يخشى ان يترك القادة العسكريين والمدنيين يبقون سنوات طويلة في المكان ذاته ، بعكس بعض الاحزاب الشيوعية الغربية ، التي تتجنب تشغيل احد كوادرها فترة طويلة جدا في نفس المنطقة ، حتى لا

يقيم فيها «اقطاعة» سياسية شخصية ، تسمح له فيما بعد باتخاذ موقف مستقل. وقد ادى ذلك في الصين الى نشوء اقطاعيات بيروقراطية في بعض المقاطعات نافذة محليا ، وقد تكشفت خلال الثورة الثقافية كمعاقل للمعارضة .

لقد نشأت منظمات جماهيرية عملاقة في ووهان . وكانت احداها من حجم نادر حقا ، اذا اقتصرنا على اسمها المدهش : «منظمة المليون بطل» . وهي ذات اتجاه محافظ ، ويدعمها سرا مسؤولون محليون من اصدقاء وانغ جن-تشونغ وتاوشو ، كانت تدافع عنهم . وتجابه منظمات اخرى قديرة هي ايضا : القيادة العمالية العامة المتحالفة مع مجموعات قوية تتألف خاصة من الطلاب والتلاميذ .

في التاسع عشر من حزيران وقعت اصطدامات بين تلك المنظمات ، بل ان معركة عنيفة حصلت بينها على الجسر الكبير الذي يقطع نهر يانغتسي ، ادت الى سقوط عدد من القتلى . والحالة هذه ، كانت القيادة العسكرية برئاسة تشن-تزه-تاو تساند منظمة المليون بطل، زاعمة انها ترى اليسار فيها .

هذا الوضع الذي كان يسوء يوما فيوما ، اثار اهتمام بكين ، حتى انها ارسلت في الحادي عشر من تموز ثلاثة من كبار القادة الى ووهان : شو آن لاي نفسه ، و سي فو-تشه وزير الامن ورئيس لجنة بلدية بكين الثورية ، و وانغ لي المسؤول عن الدعاية وعضو (م.م.ث.ث) .

وبعد عدد من المحادثات ، اجراها شو آن لاي بقصد جمع المعلومات على الخصوص ، استقل الطائرة الى العاصمة ، بسبب مشاغل اخرى ، تاركا وراءه مرافقيه من اجل انهاء المهمة .

والرواية التي اقدمها تستند الى تلك التي رواها ، بعد ذلك ، مبعوث من اللجنة المركزية امام العاملين في المشروع البكيني الذي كنت اشتغل لحسابه .

في الثامن عشر من تموز عقد اجتماع في مركز القيادة العسكرية، بحضور وانغ لي وسي فو-تشه ، وكبار المسؤولين العسكريين في المدينة . فأطلع مبعوثا بكين المجتمعين على ان (م.م.ث.ث) تعتبر ان الدعم الذي تقدمه القيادة العسكرية الى «المليون بطل» ، المنظمة المحافظة ، عملا خاطئا .

عند ذلك فوجىء وانغ لي وسي فو-تشه باصطدامهما برفض محادثيهما القاطع للاستجابة لاشاراتهما ، واستمر الاجتماع وبقي كل طرف على موقفه . حينذاك ابدى تشن تزه-تاو استياءه ، بينما خرج

المفوض السياسي للوحدة (٨٢٠١) من قوى الامن (البوليس السياسي) من الاجتماع غاضبا .

وفي اليوم التالي – التاسع عشر من حزيــــران – كان لمأساة ان تحصـــل .

قامت منظمة المليون بطل بتعبئة المنتمين اليها ، بعد ان أعلمت بما دار في اجتماع اليوم السابق . فترك هؤلاء عملهم ، وخرجوا مسلحـــين بالسكاكين والحراب والهراوات ، معتمرين الخوذات ، في شاحنــــات زودهم بها الجيش ، واحتلوا المراكز الاستراتيجية من المدينة : مفــارق الطرق – المرفأ – المحطة – المطار . وقد ساعدتهم في ذلك الوحـــدة (٨٢٠١) ، التي رافقتهم وأتت تساندهم بالعربات المصفحة .

ومنذ الفجر ، بينما كان يسود حر خانق في تلك المنطقة ذات المناخ القاري ، كانت المدينة بأكملها قد عبرتها جماعات محمومة خطت في كل مكان بأحرف ضخمة شعارات تدعو الى اسقاط وانغ لي وسي فو–تشه، والى اخراجهما من ووهان . وكان العديد من مكبرات الصوت التـــــي تملكها منظمة المليون بطل ، يدوي بالشتائم والتهديدات ضد مبعوثـــي بكـــين .

ومنذ التاسعة صباحا ، تم تطويق مكان اقامة المبعوثين بعدد كبير من «الابطال» ، منعوا الدخول اليه . وبعد ساعة ، دخلت مجموعة مـــن المدنيين المسلحين بالهراوات ويضعون الخوذات، للقبض على سي و وانغ.

لكن هذين وقفا بوجههم . تقدم سي وعرّف بنفسه كوزير للأمـــن ونائب لرئيس الوزراء ، وقال لهم متحديا : «أتجرؤون على خطفـــي او قتلي ؟» . فصدع المقتحمون قليلا ، وترددوا . ربما كانوا يجهلون مكانة من يريدون خطفه . اما وانغ لي فكان أقل مهابة . فهو أصغـــــر سنا ، ومكانه في تسلسل الحزب أقل علواً . ماذا يمكن ان يمثل هذا «الفلام»؟ وتقدم الهاجمون ، لكنهم عادوا الى التردد، لأن حراس وانغ لي شهروا مسدساتهم .

وبقي الطرفان وجهاً لوجه في جو بالغ التوتر ، بينما كان الحـــر الرطب يجعل العرق يتصبب على وجوه المتخاصمين القطبة . وفجـــأة حصلت ضجة في المكان . كان يصل عدوا ، مكشوف الصدر ، رجـــل عسكري هو تشن تزه–تاو . فابتعدوا ليتيحوا له المرور . هل جاء من اجل حماية الرجلين ؟ كلا . كان يريد ، اولا ، ان يحصل منهم علـــى تراجع عن ادانة منظمة «المليون بطل» وأن يزيلوا عنه كل تهمة . فقال ، بما معناه: «ان موقفكما يثير غضبة الجماهير. ها هي نتيجة مناوراتكما».
لكن سي ووانغ بقيا لا يتزحزحان ، وانسحب تشن .

عند ذلك وصل رجال عسكريون وابعدوا المدنيين ، وصوبوا رشاشاتهم الى مرافقي المبعوثين . فطلب سي ووانغ من حراسهما انزال اسلحتهم . وفي الحال اقتيد وانغ . وبقي سي فو-تشه سجينا في المسكن .

وُضع وانغ لي في سيارة عسكرية حيث تعرض لضرب شديد : فكسرت ذراعه ، وأصبح مهددا بفقد احدى عينيه . واقتاده رجال من الوحدة (٨٢٠١) الى مركز القيادة العسكرية ، حيث كان يتجمع جمهور من اعضاء منظمة «المليون بطل» . ودُفع بوانغ لي الى شرفة البناية . كانت ثيابه ممزقة ووجهه ينزف دما ، بينما يصرخ الجمهور في أسفل البناية ، ملوحا بالكتاب الاحمر : «يسقط وانغ لي ! وانغ لي اخرج من (م.م.ث.ث) » . «وانغ لي لا يمثل القيادة العامة البروليتارية للرئيس ماو ! » .

وجذب احدهم وانغ لي من شعره بوحشية ، ليحني له رأسه ، فقاوم مترنحا . واقترح شخص اخر تركه يستريح حتى اليوم التالي ، ليستطيع الاجابة على الاسئلة . فصاح الجمهور غاضبا : «كلا . فليجب في الحال» . وأخيرا ، اقتيد وانغ لي ، الذي اصبحت ثيابه خرقا تلتصق بجسده بالدم والعرق ، مسافة كيلومترات في الشوارع ، وقد علقت الى رقبته لوحة ، كُتب عليها : «وانغ لي ، التحريفي» . وعند مروره ، كان الناس يتجمعون حوله ، موجهين الاهانات .

بينما كانت تحصل هذه المشاهد المؤلمة ، صممت مجموعات اخرى من منظمة «المليون بطل» على القيام بهجوم على المنظمات الاخرى والخلاص منها . وبينما كانت مكبرات الصوت التابعة لهم ، والموزعة في القسم الاكبر من المدينة ، تصيح بضجيج هائل بأن «الابطال» يتبعون خط ماوتسي تونغ ، وبأن اخصامهم رجعيون، كانت فرقة من «الكوموندوس» مدججة بالسلاح ، تطوق المدينة الجامعية والمنطقة الصناعية : ففي هاتين المنطقتين كان اخصامهم من القيادة العمالية العامة والمنظمات الطلابية في مركز قوي . كان «كوموندوس» منظمة «المليون بطل» يقومون بالهجوم مزودين بالاسلحة الاوتوماتيكية ، بحماية العربات المصفحة ، بينما قامت بوجههم المتاريس ، ومن وراءها ترمى عليهم قنابل «المولوتوف» . وساد في هذا القسم من مدينة ووهان جو حرب اهلية ، وتلوث الجو برائحة البارود والدماء ، وتم الاستيلاء على المنطقة الصناعية والمدينة الجامعية بعد معارك عنيفة .

وما ان وصل خبر هذه الحوادث الى بكين حتى اتخذت تدابير عاجلة : فاستقل شو آن لاي على الفور الطائرة باتجاه ووهان . لكن ، في لحظة الهبوط وصلته رسالة من ضبّاط الطيران في مركز المراقبة تحذره

من فخ نصب له . كان تشن تزه-تاو قد حرك قسماً من الحامية ، وأحاط المطار بالعربات المصفحة والجنود ، مبدئيا ، من اجل استقبال رئيس الوزراء ، لكن بالواقع من اجل اعتقاله ، فاستكان هذا وقصف راجعا .

وفي العشرين من تموز نزلت ووهان وحدات من البحرية والطيران. فاحتلت المدينة الجامعية والمنطقة الصناعية ، القسم من المدينة الذي تأثر بشدة من جراء الحوادث السابقة . وباشرت كذلك بمفاوضات مع منظمة «المليون بطل» والوحدة(٨٢٠١)كي تنسحبا من المراكز الاستراتيجية وتطلقا سراح السجناء .

وتبعا للرواية التي سردت في بكين ، عمل جنود احدى الوحدات ذات الرقم (٨١٩٥) والتي بقيت مخلصة ، على تولي حراسة وانغ لي ، ومن اجل هذا كان عليهم ان يلجأوا الى الحيلة ويوهموا بأنهم يريدون اقتياده من اجل حمله على القيام بنقد ذاتي . فحاولوا نقله بواسطة طائرة هيليكوبتر ، دون نجاح . وأخيرا نجح وانغ لي بالفرار سرا، يرافقه المفوض السياسي للوحدة (٨١٩٥) ، بعد مسيرة اضطرارية من ٢٠ كيلومترا عبر الحقول . وبعد وصوله الى ثكنة عسكرية تقع في الوادي، توجه وانغ لي بالسيارة الى مطار مجاور . وقبل ان يصل اليه ، كان عليه ان يجتاز عدة نقاط تفتيش اقامها على الطرقات اعضاء من منظمة «المليون بطل» ، الذين لم يتعرفوا عليه . انني اجهل في اية ظروف اطلق سراح سي فو-تشه .

رد فعل بكين :

لقد توصل تشن تزه-تاو وزعماء «المليون» الى جر اعضاء منظمتهم والجنود في المغامرة ، عن طريق الايهام بأنهم هم انفسهم يمثلون خط ماو الثوري ، وأن وانغ وسي هما رجعيان . وكما حصل في شانغهاي في تشرين الثاني وكانون الاول عام ١٩٦٦ ، كان هذا التشويش ممكنا بقدر ما كانت جميع الفئات تعلن انتماءها الى ماو ، وبقدر ما امتنعت الهيئات المركزية عن التدخل ، وتركت الصراعات المحلية تتطور دون ان تعلن انحيازها الى كتلة او الى اخرى . وعندما كانت الهيئات المركزية تخرج عن حيادها ، وتدين احدى الكتل ، كانت هذه تتلاشى بسرعة ، لانه لا يعود بامكانها الادعاء بالثورية . وهكذا شاهدنا خلال حوادث شانغهاي ادانة فصيلة الدفاع الاحمر من قبل سلطات بكين . لكن حوادث ووهان تحتوي على عنصر جديد ذي خطورة لم يسبق لها مثيل : أدانت (م.م.ث.ث) تلك الكتلة ، بلسان شخصيتين هامتين منها ، فرفضت الرضوخ . فقد رُفض اللوم الموجه الى منظمة «المليون بطل» وتشن

تزه ـ تاو ، والذي قام بابلاغه سي فو ـ تشه ووانغ لي . وهذا ما يفسر ان حادث ووهان استوجب تدخلا من هيئة اعلى، لا يمكن رده : وهو تدخل ماوتسي تونغ نفسه . وتمثل مبادرة رئيس الحزب في آن واحد ، على الموقف المتوتر الذي كان موجودا وعلى النفوذ الذي يمارسه على الصينيين.

ووجهت الرسالة الى القيادة العمالية العامة ومجموعات الحراس الحمر المتحالفة معها . وقد وضع رئيس الحزب كامل الوزن المعنوي لسلطته في الدعم الذي قدمه ، وأدان بوضوح نشاطات «المليون بطل». وقد نقلت الرسالة وحدات البحرية ووزعتها في ووهان على شكل مناشير ، وأذاعتها في جميع مفارق الطرق . وقد اطلع عليها جميع السكان في وقت قصير جدا ، بفضل الفعالية المدهشة للاساليب الدعائية الشيوعية .

لا يمكن فهم أبعاد نداء من ماوتسي تونغ الا اذا اخذنا فكرة عن النفوذ الذي يمارسه في بلده ، وهو نفوذ واسع جدا . ويصعب علينا تصور ظاهرة مماثلة في بلادنا. وانني اعرف جيدا ان كثيرا من الاشخاص ذوي الافكار المسبقة سيرفضون بكل بساطة التصديق بامكان تمتع النظام الصيني ورئيسه ، بالشعبية . ومع ذلك فشعبيتهما لا تقارن .

وينتج عن ذلك امر هام . فالواقع ان الغالبية الساحقة تعطي منتهى الاعتبار لتحكيمات ماوتسي تونغ ، ان بسبب النفوذ النادر الذي يتمتع به ، او نتيجة التمجيد المستمر لفكره وعقيدته ، من قبل الدعاية. وبشكل عام تستجيب غالبية الصينيين بحماس واستعجال لتوجيهاته . ولا يدخل في ذلك اي اكراه ، كما يعتقد غالبا عن خطأ في الغرب ، بل هو ثمرة تأييد شديد الثقة بسياسته . ولقيت تدخلات ماوتسي تونغ خلال الثورة الثقافية صدى كبيرا. في كثير من الحالات، ساعدت بفعالية لا تنكر على تهدئة النزاعات بين الكتل وعلى العودة الى الوحدة . وكان لقضية ووهان ان تقدم مثلا نموذجيا على ذلك .

بعد قليل ، اذيعت رسالة اخرى في المدينة . وكما في شانغهاي في شباط ، كانت موقعة من الحكومة واللجنة المركزية والهيئة العسكرية والمجموعة المكلفة بالثورة الثقافية . وقد اشير فيها ، كما ينبغي ، الى مساعدة الثوريين وادانة منظمة «المليون بطل» المنظمة المحافظة ، وهذه بعض المقتطفات منها (١) :

«... ان بعض المسؤولين عن القطاع العسكري في دوها ، ارتكبوا

---

(١) هذه الترجمة ليست رسمية : فلم تنشر المطبوعات الصينية باللغات الاجنبية هذه الوثيقة .

اخطاء خطيرة ، ضمن مهمتهم بدعم اليسار ، في الاتجاه والخط . فقد حلوا القيادة العمالية العامة (١) ، المنظمة الثورية ، التي صنفوها معادية للثورة ، وقد قاموا باعتقال اشخاص ينتمون الى العديد من المنظمات الثورية الاخرى . ان ذلك لا يمكن القبول به ! يجب اعادة اعتبار اولئك الاشخاص واطلاق سراح المعتقلين ، دون تحفظ .

«ان بعض المسؤولين العسكريين في ووهان استخدموا قسما من الجماهير ضللته منظمة «المليون بطل» . وقد شوهوا الوقائع وحاولوا جره في اتجاه خاطىء ، عن طريق الحيلة والافتراءات .

«لقد حارب هؤلاء المسؤولين ، دون خجل ، خط الرئيس ماو الثوري البروليتاري ، وتوجيهات اللجنة العسكرية الصائبة . وقد حرضوا اشخاصا سيئي الاطلاع على محاربة الهيئات المركزية والمجموعة المكلفة بالثورة الثقافية . بل انهم لجأوا في عملهم هذا الى اساليب بربرية من نوع فاشي ، فهاجموا واختطفوا وضربوا مبعوثين من قيادة الحزب.

«لقد اثار هذا الحادث السياسي الخطير سخط الجماهير والجنود والكوادر العسكرية الثورية ، وقد ادانهم كل شعبنا . ان الجيش البري والطيران والبحرية في كل البلاد تقف ضدهم ، وقد غرقوا في بحر الاتهامات التي يوجهها اليهم العسكريون والمدنيون ، بالملايين .

«يجب التحقيق في موضوع عدد صغير من الافراد الاشرار وأزلامهم الذين نفذوا ذلك العمل ، ومعاقبتهم بموجب القانون» .

«لقد دافعت بحزم عن الخط الثوري البروليتاري للرئيس ماو وعن فكره ، القيادة العمالية العامة والقيادة العامة الثانية واكانغ (٩١٣) والهز نهيا جونغ ، والهزن هو-دا والهزن هيا-نونغ والسان لين ، في مدينة ووهان . ان النصر لكم ايها العمال والفلاحون والجنود والمثقفون الثوريون ، ولحزبنا العظيم وللرئيس ماو قائدنا العظيم ولخطه الثوري» .

«ان الهيئات المركزية للحزب تدعو الجماهير المخدوعة الى وعي اخطائها واصلاحها والى العودة الى الخط الصحيح للرئيس ماو والى الاتحاد معالثوريين ضد العدو المشترك وفضح مكايد المسؤولين السيئين عن القطاع العسكري في ووهان وزمرة القادة السيئين لمنظمة « المليون بطل » .

---

(١) حصل هذا الحل في شباط ١٩٦٧ . وبعد ذلك ، تبعا لتعليمات السادس من نيسان الصادرة عن الهيئة العسكرية ، سمح القادة العسكريون في ووهان ، من جديد، بوجود القيادة العمالية العامة، وان بتحفظ .

«وهي تدعو جميع الذين اقترفوا اخطاء الى الوعي . وما ان يظهروا عن قدرة على اصلاح اخطائهم وعلى استحقاق ثقة الثوريين ، حتى ينبغي العفو عنهم ... »

وعلى الفور اتخذت اجراءات لاعادة النظام والتهدئة : فجرد «المليون بطل» من اسلحتهم ، وتقدم اعضاء هذه المنظمة بالاسلحة التي كانوا يملكونها من كل نوع الى السلطات . وزال احتلال المباني والنقاط الاستراتيجية ، واستؤنف العمل .

وتم اعتقال تشن تزه-تاو واقتيد الى بكين . وعين مسؤولون عسكريون جدد . وكان للهدوء ان يعود بسرعة . فقد استطاع احد اصدقائي الذي كان في رحلة في وسط الصين ، اجتياز ووهان بعد اسبوع من الحادث . ومن المعقول انه لم يكن بامكان اجنبي المرور اذا كان ما يزال هناك اضطرابات . وقد استطاع هذا المسافر أن يرى بنايات لحقها الضرر ، وآثار الرصاص وبقايا المتاريس ، وشاهد العربات العسكرية متمركزة على مفارق الطرق ، لكن الحمى كانت قد انخفضت كليا ، كما بدا واضحا .

مع ذلك ، كان الانذار خطيرا : فاذا كانت اخطأت جريدة « فرانس سوار» عندما كتبت بعنوان «الحرب الاهلية في الصين» بعد حادث ووهان ، فان «لوموند» اخطأت كذلك عندما لم تر في ذلك سوى حادث عادي ، ضخم كثيرا . لقد كانت تلك اللحظة ، دون شك ، من أحرج لحظات الثورة الثقافية ، وقد احاطته بكين بكثير من الجدية .

وما ان عرفت اخبار الحادث الكبير ، حتى تنظمت مظاهرات ضخمة في جميع أطراف الصين ، ضد تشن تزه-تاو و«رجعيو ووهان» وفي ليلة واحدة غطيت جدران بكين بمئات الرسوم الكاريكاتورية وآلاف الشعارات بأحرف عملاقة ، تندد بذلك العمل .

ووصلت الاعمال المؤيدة لوانغ لي وسي فوتشه ذروتها ، بتنظيم تجمع عملاق بعد ظهر يوم وصولهما في الخامس والعشرين من تموز . لقد كان جمع مليون شخص في ساحة تين آن من أهم انواع التظاهرات الممكن حصولها في الصين ، وهذا ما حصل في ذلك اليوم . وفي مثل تلك الحالة ، ترسل جميع المؤسسات والجامعات والمدارس قسما من عناصرها في مسيرة الى الساحة . وينظم انطلاقها حسب مواعيد محددة حتى لا يصل الجميع في وقت واحد ، وكي يتمكنوا من التوزع بشكل مناسب في انحاء الساحة الواسعة . ويرسل الجيش كذلك قسما من رجاله يتظاهرون دون سلاح . وهكذا يتجمع خلال ثلاث او اربع ساعات مليون رجل .

في الساعة الخامسة بعد الظهر من الخامس والعشرين من تموز ، صعد الى المنصة أعلى قياديي الحزب وتوجهوا الى الجمهور . ولم يكن ماو حاضرا التجمع ، لكن رئيس الجيش ، الرجل الثاني بعده ، كان يظهر الى جانب وانغ لي وسي فو-تشه . وكان حضوره في ذلك الظرف يعطي فكرة عن الاهمية المعلقة على ذلك الحدث . وكان يعني ان اخطاء القيادة العسكرية في ووهان لا يلزم الجيش ، وأن هذا الاخير يقف الى جانب مبعوثي (م.م.ث.ث) .

هجوم المسعورين

استهداف جيش التحرير الشعبي

حوادث كانتون :

لقد تم بسرعة تطويق حوادث ووهان ، الخطيرة بحد ذاتها ، رغم اتساعها ، لكنها سوف تؤدي مع ذلك الى نتيجة هامة . وبالفعل سوف يجد مسعورو (م.م.ث.ث) فيها مبررا لهجوم على جيش التحرير الشعبي : بما أن قسما من الجيش في ووهان سمح بأن يجر الى الوقوف ضد الخط الثوري . هذا يعني انه لم يكن صافيا كالبلور . ومنذ ذلك الحين سوف ينتشر في الصين هذا الشعار : «اسقاط زمرة المسؤولين السائرين في الطريق الرأسمالي داخل الجيش» . وقد اطلق هذا الشعار بصورة غير رسمية في البدء ، ثم استعادته أجهزة الحزب الرسمية في افتتاحياتها في الاول من آب ، بمناسبة العيد السنوي لتأسيس جيش التحرير الشعبي . فكتبت **الراية الحمراء في عددها الثاني عشر** في افتتاحية (١) بعنوان : **على البروليتاريا ان تحمل السلاح** : «في اللحظة الراهنة تشن عبر البلاد حملة واسعة لنقد القبضة من أعلى المسؤولين السائرين في الطريق الرأسمالي ، داخل الحزب **والجيش** . ذلك هو الاتجاه العام للنضال» . وقد ادخل هذا الشعار في الصحافة الرسمية كوانغ ننغ الذي كان في ذلك الحين رئيس التحرير المساعد **للراية الحمراء** .

لقد اشار ماوتسي تونغ ، في المقابلة التي اجراها معه ادكار سنو ، عام ١٩٦٥ ، الى ان صياغة الشعارات في الصين كانت مسألة دقيقة ، لانه بامكانها ان تؤدي الى نتائج غير متوقعة على الجماهير الواسعة من السكان . وبالفعل ، كادت الدعوة الى النضال ضد «زمرة التحريفيين»

---

(١) انظر انباء بكين العدد السابع والعشرين ، ٧ آب ١٩٦٧ .

في الجيش تجر البلاد الى فوضى شديدة . لو ان الجنود شرعوا بالنقاش لمعرفة من كان تحريفيا في الجيش ومن لم يكنه ، لتهدد الجيش بالانقسام الى كتل . وأكثر من ذلك ، فالايحاء بأنه كان يوجد تحريفيون في الجيش ، قد يدمر مركزه وسلطته المعنوية . وبالتحديد قد يصبح دعمه لليسار امرا مستحيلا . فهذا الدعم قائم على القبول من مجمل الشغيلة او الطلاب في مكان معين ، بتحكيم العسكريين. عند ذلك سوف ترفض الكتل التي يدينها الجيش الانصياع ، بحجة يسهل ذكرها وهي ان العسكريين التي هي بصددهم هم تحريفيون من نوع العسكريين في ووهان . ويصبح العمل الدقيق لفرق دعاية جيش التحرير الشعبي الرامي الى تشجيع التحالفات وحل مشكلة الكوادر، موضع اتهام عنيف. ويصبح الجيش مهددا بالعجز عن القيام بدوره الموحد ، وعن ممارسة المركزية . هذه المرة كان المسعورون يلعبون ورقة الجماهير ضد الجيش، بعد ان لعبوا ورقتها ضد الكوادر وجهاز الحزب . وقد تبلور ذلك النزاع في كانتون خلال شهر آب من عام ١٩٦٧ .

ان كانتون هي عاصمة مقاطعة كوانغ تونغ في جنوب شرق الصين. تقع بمواجهة تايوان (فورموزه) وهونغ كونغ . فهي مدينة ذات اهمية استراتيجية وسياسية من الدرجة الاولى .

ومقاطعة كوانغ تونغ هي احدى المقاطعات التي بقيت المعارضة فيها منفرسة بشيء من القوة . وقد كان تاوشو ، وقتا طويلا ، المسؤول الرئيسي عن هذه المنطقةوله فيها عدد لا بأس به من الاصدقاء. استطاعت تلك المعارضة الدفاع عن نفسها ببعض المهارة ، تبعا لخططها المعتادة في محاولة التأثير بشكل خفي على الثورة الثقافية عن طريق العمل على الاستيلاء على حركتها . واستطاعت خداع قسم من الاهالي والابقاء عليه منقسما الى كتل متخاصمة ، بادعاء الانتماء الى ماوتسي تونغ وخطه الثوري . وفي ذلك توصلت الى احباط تطور الثورة الثقافية . فكانت الطبقة العاملة موزعة على مجموعات متخاصمة ، بالاضافة الى الطلاب وبقية الاهالي كذلك . ويعود مصدر ذلك الانقسام الى بداية عام ١٩٦٧ . في ذلك التاريخ حصلت محاولة لنقل السلطة ، لكنها لم تضم سوى كتلة من المنظمات الجماهيرية ولم تستطع الحصول على مساندة وركيزة واسعتي الشعبية . وعندما انشئت في الثاني والعشرين من شباط لجنة تحالف ثوري ، لم تحصل على اعتراف السلطات المركزية في بكين . وشيئا فشيئا ، انقسمت المدينة الى قسمين : من جهة تجمعت المنظمات المؤيدة للجنة ، ومن الجهة الاخرى المنظمات المعادية .

وراحت الخلافات ، الذي سعرها اخصام ماوتسي تونغ ، تتفاقم ، وبدل ان يتقدم التحالف الكبير راوح مكانه .

ليس من الممكن رواية تطور هذه النزاعات ، التي تمتد من بداية عام ١٩٦٧ حتى شهر ايلول منه ، بشكل تفصيلي ، لانها بمنتهى التعقيد، على الجملة ، بروز وضع متسم بالنقاط التالية : استخدمت اللجنة من اجل التحالف الثوري المقامة في الثاني والعشرين من كانون الثاني بواسطة نقل للسلطة ، من قبل انصار لتاوشو . هل كان ذلك الموقف موجودا منذ البداية ام نشأ تدريجيا ؟ تلك نقطة تختلف حولها مختلف منظمات كانتون .

على كل حال ، لقد استعملت اللجنة من اجل التحالف الثوري من قبل المحافظين وسخرت لمحاربة الثوريين في نطاق الاشقاق الى تكتلين الذي فصل بين المنظمات الجماهيرية في المدينة خلال الاسابيع التالية .

عندما كان يجري نقل السلطة بشكل سيء في منطقة ما ، ويطرح مشاكل مستمرة ، كانت توضع المقاطعة تحت مراقبة القيادة العسكرية. تلك كانت حال مقاطعة كوانغ تونغ وهكذا كان على جيش التحرير الشعبي ان يتدخل في الصراعات التي كانت تدور في كانتون . وقد رفض دعم اللجنة ، وأعلن حلها وساند المجموعات التي تعارضها .

وفي السابع عشر من نيسان جاء شو آن لاي الى كانتون ، حيث أيد ، كما يبدو ، تلك الاجراءات . ولم يقبل انصار اللجنة السابقة من اجل التحالف الثوري نصائح رئيس الوزراء وتوصيات الجيش الا ساكتين .

خلال الصيف ، اتاح لهم حادث ووهان فرصة اولى للعودة الى وضعها موضع الاتهام : فاعتبروا ان حل الجيش للجنة السابقة هو مناورة معادية للثورة مشابهة لتلك التي تمكنا من ملاحظتها في ووهان ، عندما حلت كذلك القيادة العمالية العامة فيها . وبعد فترة من الوقت، عندما ظهر شعار مسعوري (م.م.ث.ث) الداعي الى النضال ضد التحريفيين في الجيش ، كان ذلك بالنسبة لهم نعمة هبطت من السماء. وقد استخدم انصار تاوشو ذلك الشعار لمقاصدهم المعارضة في جو تلك الفترة المختلط والمتسم بتشابك الصراعات والاتجاهات والمكايد والتأثيرات الخفية . فقد دفعوا عند ذلك بالمنظمات الجماهيرية الى اتهام هوانغ يونغ-شنغ ، المسؤول العسكري الرئيسي في المدينة ، بأنه «تآن شن-لن كانتون» . وقدم حل اللجنة الحاصل في آذار ، زورا ، على انه صادر عن تيار شباط المضاد .

خلال صيف ١٩٦٧ ، غطيت المدينة بالاعلانات الداعية الى اقالة هوانغ يونغ-شنغ . وكذلك هوجم شو آن لاي الذي كان مساندا له . ومنذ ذلك الحين جعل هذا الاتهام لقادة جيش التحرير الشعبي في كانتون ، من تحكيمهم في الصراع بين الكتل امرا شديد الصعوبة .

ولذلك بلغت المجابهات بين انصار وأخصام لجنة الثاني والعشرين من كانون الثاني ، درجة من العنف غريبا ، وانتقلت طوال شهر آب الى مرحلة صراع مسلح حقيقي .

كانت تحصل معارك شبه يومية في المدينة ، فكانت هذه مسرحا لحوادث دامية ، تجوبها الشاحنات المحملة برجال مسلحين (١) .

كانت المجموعات المدنية المتخاصمة مزودة بالاسلحة الاوتوماتيكية ، فحصل اطلاق نار ، مرات عديدة ، في كانتون . وخاصة في العشرين من آب حيث وقع العديد من الضحايا : خلت هذه المدينة ، المشهورة مع ذلك بكونها في الاحوال العادية واحدة من اكثر مدن الصين حيوية ومرحا . خلت من المارة بينما اشتبك «كوموندوس» مختلف المنظمات في معارك شوارع حقيقية . ولم يستطع حضور الدوريات العسكرية اعادة الهدوء لان المنظمات المناصرة للجنة التحالف الثورية لم تتردد بفتح النار عليها. ان هرب عدد من السجناء بموجب القانون العام في ظروف غامضة ، والذين انصرفوا من اجل العيش الى النهب في مدينة تمسها الفوضى ، والاعدامات الفورية التي ذهب ضحيتها هؤلاء من قبل الاهالي الذين سئموا من شرورهم ، وتحركوا لمطاردتهم ، كل ذلك اتى ايضا يزيد من جو الاضطرابات والاحقاد .

لقد ادى شعار «المسعورين» النزق الى هجوم ضد جيش التحرير الشعبي والذي في كانتون كاد يغرق الثورة الثقافية في الفوضى .

شو آن لاي المرمى الرئيسي «للمسعورين» :

لقد اتخذت الحملات على الجيش بروزا في كانتون لكنها عرفت ايضا بعض الامتداد في مناطق اخرى . فأعاد كثير من المجموعات التي أدانها الجيش ، النظر في تحكيمه ، وقام بهجوم مضاد . كان منطقها بسيطا : اذا لم يدعمنا الجنود ، فليس لاننا نحن على خطأ ، بل لانهم هم متأثرون بالتحريفية . في قطاعات مختلفة اتهمت فرق دعاية جيش التحرير الشعبي بأنها تحت سيطرة رجال يشبهون تشن تزه تاو وبأنها من أمثال «رجعيي ووهان» .

وهذا يمثل مرة جديدة على تعقيد الحياة السياسية في الصين : فالواقع ان اليمين يقدم نفسه تماما كاليسار ويتهم اليسار الحقيقي بأنه اليمين . ان اليمين الصيني هو بالتأكيد الاكثر خجلا في العالم .

---

(١) تعرضت معسكرات الجيش لغارات «الكومندوس» الذين سرقوا منها الاسلحة النارية بسهولة كبيرة لأن الجيش كان محرما عليه استخدام اسلحته في الردع .

رغم ذلك ، لم يكن الهجوم على الجيش يشكل سوى جانبا من استراتيجية المسعورين، اما الجانب الاخر فكان النضال ضد شوآن لاي. ان اي حملة سياسية في الصين لا يمكن لها ان تستغني عن الشعارات من اجل اجتذاب الجماهير . والشعار الذي اطلق من اجل لغم مركز شو ان لاي يستحق التفحص . كانت صحافة الحزب الرسمية قد روجت احيانا ، في ايار وحزيران ، فكرة ان كتلة ليو شاوشي كانت بدات بالانهزام . وزعم عند ذلك اليساريون المتطرفون انها لم تهزم الا في الميدان التنظيمي . حقا قد نجح في قلب عدد من المعارضين وتجريدهم من وظائفهم ، لكن ذلك الخط بقي قويا على الصعيد السياسي والايديولوجي ، وهنا ايضا ينبغي محاربته . وبكلام اخر ، يمكن للبعض ان لا يكون منتميا الى كتلة او فئة من نمط تحريفي ، بالتأكيد ، لكنه قد يكون ذا افكار او اتجاهمشابهين. وهذا كان يبطن انتانشن-لن وشن يي، بالتحديد ، لا يستطيعان التمتع بأي ظرف مخفف وينبغي وضعهما الى جانب ليو وتنغ . وبذلك شهد تجدد حملة بيانات تستهدفهما . وقد بلغت هذه الحملة ذروتها في تموز وآب . وقد ظهر وزير الخارجية ، السهل التصوير كاريكاتوريا بسبب عادته في وضع نظارتين سوداوتين ، في رسوم نقدية ، غطت جميع جدران مركز بكين .

وحاول الماويون المتطرفون ، زاعمين ان النضال ضد خط ليو شاوشي لم يكن قد انتهى ، جر عدد من منظمات بكين الى هجوم موجه ، اولا ، ضد شن يي وتان شن-لن ، ومن ثم بوضوح متزايد ضد شو آن لاي ، الذين اعتبروا انه هو الذي يقف دون عزلهما ، وبذلك انه ، موضوعيا ، من كتلة ليو شاوشي .

وأكثر فأكثر ، غالبا ما كان البيكينيون وهم ذاهبون الى عملهم في الصباح ، يكتشفون ملصقات وضعت في الليل ، تهاجم رئيس الوزراء. وبشكل مواز ، تطورت مناورة اكثر خطورة بكثير ، كانت تستهدف القيام بالضغط على الحكومة والتي كان شو آن لاي رئيسا لها ، والنيل منها باظهارها كهيئة غير قادرة على القيام بمهماتها بسبب المعارضة الشعبية.

وعلى هذه الصورة تتفسر كامل سلسلة من الحوادث الحاصلة في بكين . ومن شبه المؤكد ، الان ، انها لم تكن عارضة اطلاقا . في بداية ايلول تم من جديد احتلال وزارةالخارجية من قبل قسم من العاملين فيها وأشخاص من خارجها ، وألحقت بها الاضرار .

وينبغي التذكير انه كان مستحيلا على مستخدمي وزارة ما عزل وزيرها ، لان هذه الصلاحية تعود الى المكتب السياسي (١) ، بعكس ما

---

(١) انظر ما سبق .

كان يحصل على مستويات اخرى من الادارة ، حيث كان للشغيلة الحق باصدار قرار بايقاف عمل رؤسائهم في التسلسل . ولهذا السبب لم يكن ممكنا الاتجاه الى «قلب» شن-يي ونقل وظيفته الى لجنة ثورية . كان احتلال وزارة الخارجية يحاول تخطي هذا المنع : وقد ادى الى اعلان نقل السلطة ليس على مستوى كل الوزارة بل على مستوى لجنة الحزب التي تشرف عليها . وقد اعلنت في وقت لاحق عدم شرعية ذلك النقل . ومن البدهي ان كل ذلك قد اعاق بقدر كبير عمل الحكومة .

وشهد ايضا سلسلة من اعمال العنف ضد الممثلين الدبلوماسيين لبلدان مختلفة ، كانت للصين معها علاقات حسنة . كانت تلك الحوادث تهدف الى وضع الحكومة في مأزق : فاما ان تدينها مخاطرة بالظهور مجاملة ازاء العدو ، واما ان تساندها ، وهكذا تخضع عند ذلك لديكتاتورية الشارع .

في السابع عشر من آب هوجمت القنصلية السوفياتية ونهبت ، وأحرقت سيارة دبلوماسية . وفي التاسع من آب كان قد حصل حادث بين مجموعات من الشبان الصينيين وبين دبلوماسي مونغولي ، كان يقوم بشراء حاجياته في العاصمة . ولكن حصل ما هو اكثر خطورة : الهجوم على الارسالية البريطانية في بكين ، ليل الثاني والعشرين من آب ، على اثر مظاهرة اثارتها السياسة الانكليزية في هونغ كونغ . وقد احرق قسم من البنايات المخصصة للدبلوماسيين البريطانيين ، واعتدي على القائم بأعمال بريطانيا العظمى السيد دونالد هوبسون . ورغم ان جنودا ورجال شرطة صينيين قاموا بحماية الارسالية (يتفق الشهود على الاعتراف بأن هؤلاء تصدوا للمهاجمين وأصيبوا بجروح منهم) فقد غلبهم عدد المهاجمين ، بينما كانت تحدث مشاهد عنيفة . وعندما وصلت نجدات جيش التحرير الشعبي الى المكان ، كانت بناية القنصلية تصبح رمادا .

ويرجح ايضا انه ينبغي ان ننسب الى ضغط «المسعورين» هذا على الحكومة الصينية والى الشغب الذي نتج عنه ، بعض المبادرات القليلة الدبلوماسية التي اتخذت في ذلك الوقت : وقد كانت احداها ارسال برقية الى جمعية كمبودية من اجل الصداقة مع الصين ، تكاد تدعو الى الثورة في المملكة الخميرية . ومن المحتمل ايضا ، في النزاع الذي كان قائما بين الصينيين الشيوعيين في هونغ كونغ وبين السلطات البريطانية ، ان اتجاهات راديكالية هادفة الى ارجاع المستعمرة البريطانية الى أحضان الصين الشعبية ، تلقت التشجيع ، بينما بقي الموقف الرسمي للحكومة الصينية اكثر تمييزا .

لقد شكل حريق القنصلية البريطانية في بكين ، والانفعال الكبير الذي احدثه في العالم ، نقطة الماء التي جعلت الكيل يطفح . وسوف يرد

شو آن لاي ، المستهدف من «المتطرفين» ، بقوة وحزم .

الصين في آب ١٩٦٧ :

كان الوقت مناسبا . لقد كان صيف ١٩٦٧ واحدا من اكثر الصيوف التي عرفتها الصين التهابا . فقد وصلت فيه توترات الثورة الثقافية الى نقطة الذروة ، اللحظة الاكثر حدة وحرجا من النضال .

مع ذلك ، كان الوضع ، في مجمله ، بعيدا عن ان يكون بغير صالح ماوتسي تونغ وأنصاره . فقد اقام نقل السلطة الثوريين على عدد من المقاطعات والمدن . وفي مقاطعات ومدن اخرى تشكلت لجان تحضيرية للتحالف الكبير : كانت تلك الحال في مونغوليا والكيانغسي والهونان والهوونان والتشكيانغ والكيانغسو . وبرزت خطوط قوة تظهر ان الماويين قد عززوا تدريجيا من مركزهم . في الاشهر السابقة ، استطاع المعارضون الاعضاء في اللجنة المركزية ، باستعمال صلاحياتهم في المقاطعات ، مقاومة المتمردين . لكن عددا منهم قد أقيل وحرم من امكانية النشاط المباشر . كانت تلك حال لي شنغ-تسيان في ستشوان وليو تان-تاو في الشنسي . ولم يبق المعارضون اقوياء بالحقيقة الا في كوانغ تونغ . وقد رأينا بالواقع اية اضطرابات قام بنشرها في هذه المنطقة انصار تاوشو .

ان تجدد الحوادث واشتدادها خلال صيف عام ١٩٦٧ لا يمكن ان يفسر ، على ذلك ، بقوة المعارضة ، بل بالحركة التي اطلقها وانغ لي وأتباعه ، الذين اتوا بتناقض جديد على الموقف السياسي ، بتوسيعهم من جبهة النقد ليطال شو آن لاي .

وكان لالحاحهم على المطالبة بتوسيع النضال ضد ليو شاوشي ونفوذه الايديولوجي هدف الحمل على الاعتقاد بأنه يجب أن يصبح رئيس الوزراء مرمى جديدا للثورة الثقافية . وقد شرع «المسعورون» بحملة تحريض واسعة في بكين لجعل الناس يؤالفون هذه الفكرة . وكان الفضح اليومي لشن يي ، الذي كان شو آن لاي يفرض ابقاءه في منصبه حتى ذلك الوقت ، يشكل عنصرا دائما منها . فالهجوم على شن يي ونعته بالمضاد للثورة كان احراجا لرئيس الوزراء الذي يدافع عنه ، واعطاء مظهر من اليقين للفكرة القائلة بأن هناك تحريفيين ما يزالون ممسكين بالسلطة . وقد ذهب «المسعورون» ابعد من ذلك . خلال الصيف ، بدأت مجموعات مختلفة في العاصمة بالمطالبة الصاخبة بـ «الانتهاء» من ليو شاوشي ، وذلك بتحريض واضح منهم . وكان المقصود هو اجتياز مستوى جديد في الصراع ضد ليو شاوشي . مثلا ان تعلن الهيئات المركزية ادانته السياسية وطرده ، رسميا . وكانت بيانات وشعارات عديدة ، وضعت

في المدينة ، تعبر عن هذه الرغبة . هذا الفليان كان يهدف هنا ايضا الى خلق الشعور بأن الثورة الثقافية ما زالت متأخرة ، مكبوحة . وعندما يحين الوقت ، يقال للجماهير انها كانت كذلك بسبب معارضة شخصية معينة ، عند ذلك لن يمتنع احد عن البوح باسمه : شو آن لاي . وقد قادت مطالبة مجموعات مختلفة بالانتهاء من ليو شآوشي بعض اعضائها الى البدء باضراب عن الطعام امام زونغ نان هالي ، القصر الامبراطوري السابق ، حيث يوجد مركز اللجنة المركزية . فأقاموا خياماً امام المدخل وعلقوا لافتات تطالب بأن يخرج ليو شاوشي ويقوم بنقد ذاتي امام الجماهير قبل الواحد والثلاثين من تموز . فدعي ، من اجل ارضائهم جزئيا ، الى اجتماع جديد للهيئات القيادية في الخامس من آب ، قام خلاله شو آن لاي بنقد ذاتي ، بالفعل . وقد سمحت مكبرات الصوت التي وضعت خارج الاجتماع بان تسمع الجماهير المجتمعة هناك جميع الكلمات التي تبودلت خلال الجلسة . عند ذلك رجع انصار «المسعورين» عن اضرابهم عن الطعام . لكن زعماء الاتجاه المتصلب في (م.م.ث.ث) لم يكونوا يريدون القاء اسلحتهم ، ومنذ السادس من ايلول اعلنوا ان النقد الذاتي لم يكن مقبولا ، وأن خط ليو شاوشي قد ضاعف من نشاطه وانتقل من جديد الى الهجوم . هذه الطريقة في النظر الى الامور قادت الى احتداد النزاعات في كل مكان تقريبا ، والى الاضطرابات التي وصفناها .

كانت الاختلافات في كثير من الامكنة تعيق العمل كما العودة الى الدروس في التعليم . وعندما كانت المناظرات تقتصر على تبادل الاعلانات ذات الحروف الكبيرة كان ذلك اضطرابا محتملا . لكن ، كان هناك اوقات حيث لا يكتفى بالتبادل الكلامي. فكانت العراكات متكررة، وفي المقاطعات كان الدم يجري احيانا . وكانت بكين تشهد ، من وقت لآخر ، توافد مجموعات آتية الى العاصمة هربا من اعمال العنف في مدنها الاصلية . وقد انتشر الاجرام الغير موجود تقريبا في الاحوال العادية ، بالاستفادة من غياب القمع من قبل الشرطة او الجيش ، ومن حرية العمل المعطاة للجماهير . وقد سجلت حوادث سرقة ، وتهريب بعض المواد كذلك ، لان الاضطرابات كانت تعرقل من حين لآخر التموين المنتظم لبعض التجمعات. ألم يكن هناك نزاعات حادة تقسم بالفعل صفوف عمال سكة الحديد ؟ بكين نفسها ، المقبرة من أهدأ الحواضر الصينية ، كانت في آب مسرحا لاضطرابات لم يسبق لها مثيل . وقد حصل اطلاق نار حتى في سوق كزيتان ، تبعته اعمال تدمير مختلفة .

لقد تضاعف تواتر الاصطدامات في عدد متزايد من المدارس وأمكنة العمل . وأكثر فأكثر اتجهت المنظمات الجماهيرية الى الانقسام الى

كتلتين . وقد حصلت نزاعات كثيرة حول اللجان الثورية المولودة في شباط . بشكل مستمر ، كانت احدى الكتلتين تعتقد ان ذلك الانشاء كان صائبا ، وترى الاخرى ان نقل السلطة ذاك ، الذي تم دون تحالف ودون اتحاد مثلث ، لا يتفق مع خط ماو . هذه المواقف كانت تتواجد، وبحسب الظروف المحلية ، في عدد من الامكنة متجه نحو التزايد ، الامر الذي يثير الاهتمام . وبدأت مجموعات كانت متفقة حتى ذلك الوقت على نقل السلطة وانشاء اللجان ، بدأت بالانقسام . ومنذ حزيران ، بدأ قسم من العمال والمستخدمين برفض الانصياع لتوجيهات تلك اللجان . لم يعلنوا الاضراب : كانوا يشتغلون كما يرون ، مع كل النتائج المعرقلة التي كان ذلك يؤدي اليها .

وبالطبع كان هناك نزاع دائم حول الكوادر ، وأكثر من اي وقت مضى كان يحصل نمط الموقف الذي وصفته : الكتلة (١) تدافع عن (أ) باعتباره ثوريا ، بينما الكتلة (٢) تراه تحريفيا . وبالنسبة لـ (ب) ، كان يحصل العكس ، (٢) تعتبره ثوريا و(١) تحريفيا . منذ حزيران كانت الاوضاع قد ساءت . عندما كانت كتلة ما تنظم مهرجانا ، ترسل الكتلة المعارضة لها «الكوموندوس» الذين يعطلون الاجتماع ويحتلون المنصة . وكان لتنظيم مجموعات الصدام اتجاها نحو الانتشار . فتتخصص في تدمير مكبرات الصوت التابعة لاخصامها ، وفي نزع ملصقاتها او اختطاف زعمائها او الكوادر التي تدافع عنها .

لم يحدث ابدا ان حملت جدران المدينة هذا القدر من البيانات والصور التي تظهر اناسا مصابين بجروح ، او مراكز مخربة . وكان يرى ايضا صور فوتوغرافية يحيط بها السواد ، دعوات حزينة وضعتها في الشوارع مجموعات تريد تكريم عدد من اعضائها ذهبوا ضحية اعمال عنف ، وتصحبها الاتهامات والتنديد بالمجرمين . وكان يمكن ان يرى كذلك صور اخرى لاشخاص احياء ، متهمين من مجموعات باغتيال عدد من اعضائها ، وتصحبها نداءات الى «الجماهير» لتقوم باعتقالهم .

وبذلك نشأ وضع يثير القلق . وكان خطيرا بشكل خاص النضال في كانتون ضد الجيش ، والقائم على شعار يهدد بشطره . وكانت ظاهرة الكتل ، بامتدادها الى جيش التحرير الشعبي ، تهدد بالتفريط نهائيا بعملية التحالفات وتشكيل اللجان الثورية . وكان يمكن للانقسامات الدائمة ان تقود الى الفوضى . وسوف يظهر رد فعل قوي من اجل ايقاف تلك العملية .

٣

تحطيم العوائق الأخيرة

التدخل الجديد لماوتسي تونغ

الغياب الثاني لماوتسي تونغ :

لقد شددت سابقا على واقع أننفوذ رئيس الحزب يلعب دورا فائق الاهمية ، لا يمكن ان يقارن مع ما يمكن ان يوجد في بلدان اخرى . وقد رأينا كيف كان ماوتسي تونغ غائبا عن بكين في حزيران وتموز ١٩٦٦ ، في حين كان يجري صراع بين الاتجاهات ذو اهمية خاصة . وقد اشرت الى الاسباب التي جعلتني اعتبر ذلك الغياب اراديا : كان ماو يتنحى جانبا من اجل فسح مجال الامتداد امام ذلك النزاع ، ليعود بعد ذلك ويعالج المشكلة بكل سلطته المعنوية والسياسية .

وبعد شهر واحد من سنة اخرى تكررت نفس الظاهرة . كان ماوتسي تونغ في آب ١٩٦٧ غائبا عن بكين في الوقت الذي بلغ النزاع بين شو آن لاي وبين وانغ لي وأنصاره ذروة الشدة . وهنا ايضاً ، اعتقد ان رئيس الحزب الشيوعي الصيني قد فعل ذلك عن قصد ، من اجل ان ينتقل التناقض ، بتطوره ، الى مرحلة نضج تعجل بحله .

ماو يحسم النقاش :

في بداية ايلول ، عاد ماو الى بكين وحسم النقاش لصالح شوآن لاي: **كان ذلك انعطافا بالغا في الثورة الثقافية**. بين تيار «المسعورين» العفوي من جهة وبين اعادة التأكيد على ضرورة المركزية من جهة اخرى ، اختار ماو الامر الثاني من الخيارين .

كان تقييم شن يي عنصرا مهما في نزاع الصيف . فأعلن ماوتسي تونغ وأذاع رأيه في هذا الموضوع ، قال بما يعني : «في هذه الاربعين

يوما الاخيرة ارتكب وانغ لي اخطاء اكثر من شن يي في اربعين سنة»(١). وأعلن ايضا ان الملف الاتهامي الذي جمع ضد وزير الخارجية محشو بالمبالغات ، وغير ذي قيمة . وسوف يبقى هذا في منصبه ، حيث يحاول اصلاح اخطائه بعمل افضل ، آخذا بعين الاعتبار الانتقادات التي تلقاها. اما بالنسبة «للمسعورين» فقد قام رئيس الحزب بتخطئتهم ، مع المجموعات التي كانوا يؤثرون عليها ، وبالتحديد في وزارة الخارجية .

كان شو آن لاي حاصلا على دعم ماوتسي تونغ ، وشرع قياديو (م.م.ث.ث) وعلى الأخص تشن بورتا وكيانغ تسنغ ، بجولات تفسير لدى بعض المجموعات المشاغبة في العاصمة من اجل تبرير نشاط رئيس الوزراء . وانتهت في وقت سريع الحملة الموجهة ضده وكذلك الحملة التي كانت تستهدف شن يي وتان شن-لن .

وأعلن ماوتسي تونغ كذلك ان المسؤولين في الجيش يتمتعون بثقته. وطلب بوقف جميع الحملات ضد جيش التحرير الشعبي ، مشددا على ان اخطاءه خلال الثورة الثقافية كانت تافهة ، وأنه قد أصلحها . ودعى بالتالي الى اطلاق حملة وطنية من اجل «مساندة الجيش» . وأعطى توجيهات خاصة بشأن كانتون وساند هوانغ يونغ-شنغ . وقد اشار شو آن لاي بوضوح لدى استقباله مبعوثين عن الكتل المتخاصمة في كانتون ، الى ان اللجنة المركزية تثق بهذا الاخير ، وتمنع مقارنته بتان شن-لن . وقد جعلهم يوقعون على اتفاق من اثني عشر بندا ، يهدف الى وقف الصراع بينهم والى التشجيع على وحدتهم . وأنشئت مجموعة تحضيرية للتحالف الكبير في المقاطعة وعين هوانغ يونغ-شنغ رئيسا لها. من جهة اخرى ، ومن اجل وضع حد نهائي للاضطرابات في كوانغ تونغ، أبلغت اللجنة العسكرية الى المجموعات المتمردة ، في الخامس من ايلول، الامر بتسليم الجيش جميع الاسلحة التي تمتلكها .

اعادة النظام

تطهير (م.م.ث.ث) :

كان يستلزم رجوع الى النظام . وقد شرع به تبعا لمحورين : الاول باللجوء الى قمع معتدل ، يضع حدا للحرية المطلقة للمرحلة السابقة . والآخر بالحث على التحالف بين المجموعات الثورية الجماهيرية ، التي فرطت به المبالغات السابقة .

---

(١) ليس دون سخرية ، كما نرى . وماوتسي تونغ شهير في الصين بـ «كلماته» ، التي يروى الكثير منها .

وطرد من (م.م.ث.ث) : لين كي ووانغ لي وكوانغ فنغ ، واحتفظ تزي بن ـ يُ بمنصبه ، لكن دوره اصبح اكثر امحاء . وقد قيل انه قام بنقد ذاتي بشأن حوادث الصيف .

وبدأت عند ذلك حملة فضح واسعة للتطرف اليساري ، عن طريق البيانات في الشوارع ، ولكن ، ايضاً في الصحافة الرسمية : حيث كان يمكن ان نقرأ ما يعني ان اولئك الذين يدعون انهم اكثر يسارية هم في الواقع يمينيون ويلعبون دورا ضارا . انهم يريدون شق القيادة العامة البروليتارية (تلميح الى محاولة اعتبار شو آن لاي عدوا لماو) وجيش التحرير الشعبي . ان الدعوة الى النضال ضد قبضة الزوزي باي في الجيش ، التي ظهرت في الصحافة الرسمية في الاول من آب ، هي شعار خاطىء .

اما الصحافة الجدارية فكانت اكثر بيانا . فكشفت عن ان وانغ لي واتباعه كانوا قد شكلوا مجموعة سرية تدعى هيئة جيش السادس عشر من ايار ، وتختصر بـ ٥ ــ ١٦ (١) ، وأن تحقيقا قد افتتح حول هذا الموضوع . وكان لنا ان نرى في شوارع بكين تدريجيا ظهور صور فوتوغرافية لاشخاص ينتمون الى تلك المجموعة ، مسؤولين عن الحملات ضد شو آن لاي . كانوا متهمين بكونهم في اصل اضطرابات المرحلة السابقة وبأنهم عن قصد اثاروا مجابهات ـ وودو ـ واعتقل كذلك عدد من المسؤولين عن حريق البعثة البريطانية الذي حصل في الثاني والعشرين من آب . وظهر على جدران المدينة هذا الشعار: «لنقطع اليد السوداء». وفي الاصطلاح السياسي الصيني تعني عبارة «اليد السوداء» التدخل الخفي لقوة سياسية سرية وسيئة القصد . وقيلت اتهامات مختلفة ضد مجموعة ٥ـ١٦ ، ليس ممكناً ايرادها هنا . وبشكل اساسي يمكن ان تلخص في هذا القول : ان الخط الرجعي البورجوازي ، خط ليو، (اذكّر بأنه استمرت نسبة جميع الكوارث الى ليو ، رغم انه كان يستحيل عليه اي نشاط منذ أمد بعيد ، وذلك لان الافكار في الصين لا يمكن ان تنتشر دون تجسيد انساني) . بقدر ما كانت تنزل به الهزائم ، كان عليه ان يغير من خططه : فكان عليه بعد ان هزم المحافظون ان يلجأ الى اليسارية المتطرفة ليبلغ الاهداف نفسها والتي كانت في هدم الثورة الثقافية وفي تحطيم وحدة قيادة ماو العامة البروليتارية .

---

(١) ١٦ ايار ١٩٦٦ : تاريخ المذكرة الشهيرة عن بدايات الثورة الثقافية انظر ما سبق والملحق الثالث .

اما بالنسبة لوانغ لي وكوانغ فنغ (١) فيمكننا ان نقف مترددين امام اتهامهما **شبه الرسمي** بأنهما قد طبقا خط ليو شاوشي بشكل مختلف . فقد اشير اليهما ، في الاوقات الاولى للثورة الثقافية البروليتارية ، بأنهما ، على العكس ، نصيران حازمان لماوتسي تونغ . لكن شعاراتهما النزقة وفقدان الحس السياسي لبعض تصرفاتهما ، كانا غير مقبولين بالنسبة للقادة الصينيين . ومن المؤكد انه كان باستطاعة عناصر محافظة، معادية لماوتسي تونغ ، ان تستخدم التيار الذي اثاراه ، وقد استخدمته في اطلاق حملات جديدة وفي محاولة اغراق الثورة الثقافية في نوع من الفوضى ، وقد ظهر ذلك بشكل خاص في كانتون . ان تكون أخطاء وانغ لي وكوانغ فنغ قد ساعدت ، موضوعيا ، على مناورات المعارضة ، هذا امر واقع . وأن يكون عملاء المخابرات الاجنبية او الفورموزيةقد استغلوا الاضطرابات وزادوا من نشاطاتهم ، ذلك امر ليس بعيد الاحتمال . لكن، لغياب المعلومات الدقيقة وربما للجهل ببعض الوقائع ، يمكننا رغم ذلك ان نشكك بأنهما كانا متواطئين معها بشكل واع ومباشر . وبذلك يبدو ان الاتهام بالعداء للثورة التياوردته بشأنهما بيانات وصحف الحراس الحمر، احيانا ، مبالغ به ، وتحتمل نسبته الى تلك الاجتزاءات التي تتطلبها العواطف السياسية الكبيرة ، التي لا يمكنها الاستغناء عن الدعاية .

توجيهات ماوتسي تونغ :

في النصف الثاني من شهر ايلول ، كانت مجموعات كثيفة من البيكينيين تتجمع عند المنعطفات حول بيانات مخطوطة ، مطولة . كانت تشير الى ان ماوتسي تونغ كان في الاسابيع الماضية غائبا عن بكين ، وأنه قد قام بجولة في المقاطعات ، في الشمال وفي الوسط الجنوبي وفي شرق الصين .

فكانوا يتدافعون حول تلك البيانات ، من اجل قراءتها ونسخها . وبعد الانتهاء من القراءة ، تتشكل مجموعات صغيرة تناقش محتواها ، بحماس . وسوف تقوم المنظمات الجماهيرية بطبعها او باستنساخها . ان ذلك النص المطول سوف يجوب الصين كلها ، على شكل كتيبات ومناشير وبيانات ، او على الاشرطة المسجلة . وسوف يعاد طبع فحواه مرات ومرات . وغالبا ما ستورد مقتطفات منه في الاشهر القادمة . وقد فوجئت بمناسبة انتقالي بالطائرة داخل البلاد بالمضيفة وهي تقرأ عبر مكبر الصوت النص المطول للتوجيهات . وتلك علامة على الاهمية المعلقة على تلك التوجيهات بقدر ما هي اشارة الى القوة التي تمارس بها الدعاية

(١) لا ادري شيئا من امر لين كي ، فلا يمكنني ان احكم بشأنه . اما تزي بن-يُ فلم تجر ادانته سياسيا في ذلك التاريخ .

الصينية . رغم ذلك ، لم يظهر ذلك النص في صحافة الحزب الا في وقت متأخر وبشكل خجول ، لان النشرات المحلية فقط قامت بنشره ، مثل **يومية بكين** او **ون هوي باو** في شانفهاي وليس **يومية الشعب** او **الراية الحمراء** ، الجريدتان المركزيتان للحزب الشيوعي الصيني . ان هذا النوع من الاعلام الموازي ، الذي يتم خارج اقنية الدعاية الرسمية، يهدف الى عدم اعطاء سوى طابع شبه رسمي لبعض التوجيهات . وبلا شك يمكن ادخال تغييرات عليها، في حال تطلب تعرجات الموقف السياسي تلك التغييرات . رغم ذلك لا يبدو ان ذلك قد حصل ، ولكن يمكن ان نقدر من هنا خصوصية الحياة السياسية في الصين .

ليس لدي ترجمة كاملة لذلك النص ، ولا يمكنني ايراده كملحق في نهاية هذا الكتاب . وبذلك اجدني مضطرا لتلخيصه في نقاطه الرئيسية .

يبدأ رئيس الحزب بالتأكيد على الوضع الممتاز للموقف السياسي: ان هذا يمكن ان يبدو مدهشا بعد الوصف السابق ، لكن ماو ، بالواقع، كان يريد على الأخص تكذيب تأكيد «مسعوري» (م.م.ث.ث) القائل بأن المعارضة كانت قد انتقلت الى الهجوم . ان المكسب الرئيسي الذي حققته الثورة الثقافية ، بحسب ماو ، هو ان الجماهير قد عبئت بتمامها في نضالها السياسي الواسع النطاق ، وأن مستواها الايديولوجي قد ارتفع بشكل هائل . ويشدد ، بارتياح ، على ان الثورة الثقافية البروليتارية قد اصبحت موضوع الحديث الرئيسي في كل مكان ، في امكنة العمل كما في الاحياء وفي المنازل . ولا يمكن تكذيب تأكيد ماو هذا ، لأن الشعب الصيني هو اليوم بالتأكيد اكثر شعوب العالم تسييسا .

ويخصص ماو مقاطع مطولة لمشاكل تحالف المنظمات الجماهيرية ويعطي النصائح من اجل انشاء اللجان الثورية للاتحاد المثلث على جميع مستويات الجهاز الاداري . فيقول ان المفتاح الرئيسي في الاتحاد المثلث هو في «تحرير» عدد اكبر من كوادر الحزب . (لقد تلاعب بعض المعلقين الاجانب بمعنى كلمة «تحرير» . فهذا التعبير لا يعني في اللهجة السياسية الصينية ، اخراجهم من السجون بل تحريرهم من النقد ، اي ان العديد من الكوادر يجب ان يقبل اعادته الى مهامه القيادية السابقة، بعد النقد الذاتي) (١) . وكان هذا تطلبا مستمرا منذ آب ١٩٦٦ ، ونشر اعلان البنود الستة عشر ، لكن تعرجات الحركة وانحرافاتها العفوية كانت قد اعاقت تطبيقه .

---

(١) او في مهام أدنى ، تبعا للحالة .

لقد استطاع ماو ان يلاحظ ، خلال جولته ، ان العديد من الكوادر، على كثير من المستويات ، قد تعرضوا للانتقاد . ويبدو انه قد فوجىء في بعض الامكنة بأن الجماهير تظهر الكثير من الحقد ازاء قسم من الكوادر . وحتى اذا اخذنا بالحسبان دور الشعارات العفوية ، والمبادرات اليسارية المتطرفة ، فاننا نصادف هنا ظاهرة عميقة . ويؤكد ماوتسي تونغ دون مداورة ان هذه «الكوادر كانت قد انعزلت عن الجماهير» . لماذا انتقدها الطلاب والعمال وأحيانا عاملوها بقسوة ، وأجبرت على اعتمار قبعات العار وعلى حمل لوحات مشينة ، وهي ممارسات يدينها ، من جانب اخر ، ماوتسي تونغ ويمنعها ؟ ولم يتردد رئيس الحزب بالقول بأن بعض الكوادر ينال اجورا اعلى ، ويعيش في بيوت مريحة اكثر ، وفي متناوله السيارات ، فيفسر هذا الطلاق ومشاعر الجماهير الفاترة ازاء الكوادر . وكذلك التسلط الذي اظهره بعض الكوادر وعدم اهتمامه باستشارة معاونيه ومرؤوسيه قبل اتخاذ القرارات . وبذلك يوحي ماوتسي تونغ بوجوب تغير كل ذلك .

وبالنسبة للتحالف بين المنظمات الجماهيرية فيجب ان يتم بعد التشاور فيما بينها : وينبغي رفض ادعاء بعضها التي ترفض القبول بالتحالف الا اذا شكلت «نواته» . فيقول ماو ساخرا : «ان اي منظمة لا يمكن ان تعلن نفسها انها نواة التحالف ، والمنظمات التي تعتبر نفسها كذلك هي الاكثر بلها» .

ويعتبر الرئيس ، ذاكرا المنظمات ذات الاتجاهات الرجعية ، انها كانت قليلة العدد . والقيام بالاعتقالات ، كما يرى ، ليس طريقة حسنة. فلا يجب على الحكومة ان تعتقل سوى عدد قليل من الاشخاص ، بناء على طلب الجماهير وبمساعدتها .

ويشدد ماوتسي تونغ على ان التحالف هو امر مرغوب فيه بشكل خاص في صفوف الطبقة العاملة : فيدعو ، بتعابير واضحة جدا ، الى وقف الصراعات بين الكتل داخلها . وقد استشهد بعباراته في هذا الموضوع مرات تفوق الحصر ، وتكررت يوميا تقريبا في صحافة الحزب: «لا يوجد نزاع ذو اهمية اساسية داخل الطبقة العاملة . ولا يوجد اي سبب لان ينقسم العمال ، تحت ديكتاتورية البروليتاريا خاصة ، الى منظمات تنتمي الى كتلتين كبيرتين متعاديتين» .

وهكذا تمتد توجيهات ماوتسي تونغ على العديد من الصفحات . وسوف يكون توزيعها الواسع في اساس مراحل جديدة من الثورة الثقافية ، التي ستتسم بنجاحات اكيدة للوحدة ولظهور لجان ثورية جديدة .

العودة الى الهدوء :

سوف يقوم جهاز دعاية الحزب بجهد واسع للدعوة الى تدعيم التحالف ، الامر الذي سوف يرافقه نقد عفوية «المسعورين» . ومن اجل التصدي لاقوال هؤلاء في المرحلة السابقة ، شدد على أن الخط الرجعي البورجوازي ، بعيدا عن ان يكون قد استعاد الهجوم ، فهو على النقيض قد هزم . وللمرة الاولى اعلنت الصحافة الرسمية ان **انتصارا** حاسما قد تحقق عليه . وكررت القول بأن القيادة العامة البورجوازية قد دمرت . وكان هذا يعني ، بوضوح ، ان الاعضاء الرئيسيين في كتلة ليو شاوشي قد اصبحوا مجردين من السلطة ، وأن المعارضة قد قطع رأسها ، وهي عاجزة عن القيام بهجوم واسع . ودوت كذلك من جميع الجهات نداءات لدعم الجيش . ونشرت المقالات الكثيرة التي تمتدحه . وقيل ان جيش التحرير الشعبي هو دعامة ديكتاتورية البروليتاريا . وبفضله كان للثورة الثقافية ان تسير : فوحدة الجيش والشعب كانت عنصرا اساسيا في نجاحها ، ولا ينبغي لأي مبرر الهجوم على عسكرييه . وكما في نيسان عرف نقد ليو شاوشي عودة الى الازدهار . وكان المقصود ، مرة اخرى، بتعيين مرمى مشترك ، المساعدة على الوحدة ضده . وبذلك عاد ما يسمى بنقد الجماهير الثوري : ومن جديد أزيلت الغشاوات عن مؤلفات رئيس الجمهورية ، واستعرضت سياسته في الميادين العلمية والتربوية والصناعية والعسكرية من اجل فضحه . ومن جديد كتبت ونشرت آلاف البيانات . وشهدت جميع المؤسسات تقيم ألواحا خشبية خارج مبانيها وفي شوارع المدينة : حيث وضعت عليها رسوم كاريكاتورية وبيانات كتبت بعناية ، كانت تجدد باستمرار . وكان الهدف في ان يعرف الجميع ، عند مرورهم من امام المصنع ودون ان يدخلونه ، المشاكل السياسية الرئيسية التي يجري نقاشها داخله . وفي نفس الوقت ، كان ذلك يخفف عن جدران وواجهات المحلات التي اختفت منذ اشهر تحت غطاء قليل الجمالية من الملصقات المتراكمة .

وعاد شو آن لاي الى سابق عهده ، رئيس الوزراء الذي لا جدال فيه . وكان هناك بيان ملون علق بآلاف النسخ في كل الصين ، يظهره مع مجموعة من خمسة اشخاص حول ماو : الى جانب لين بياو وتشن بو-تا وكيانغ تسنغ وكانغ شنغ . وهكذا رأت البلاد كلها نفسها تتذكر انه كان ينتمي الى ذلك «الديركتوار» المؤلف من انصار ماو ، والذي يحب الصينيون تسميته بعبارة القيادة العامة البروليتارية .

ولم تكن مفاجأة قليلة الشأن ، رؤية شن يي يعاود الظهور امام الجمهور ابان اعياد الاول من تشرين الاول ١٩٦٧ بمناسبة الذكرى الثامنة عشر لتأسيس الجمهورية . فقد استمرت الحملة عليه عددا من الاشهر،

منذ شباط ١٩٦٧ . كان لشن يي حس ساخر اشتهر به كثيرا . في البداية ، كان يستقبل الانتقادات دون ان يتخلى عن ابتسامته . ورويت في الصين نوادر لا تحصى بهذا الشأن . وقد اظهر على الأخص ازاء الحرس الاحمر عن سخرية لاذعة ، غير متردد بالسخرية منهم في فترة حيث كان يرتجف امامهم كثير من الوزراء .

كان قادما ، مرة ، الى المطار لاستقبال وفد أجنبي ، فاستوقفه بعض الحراس الحمر. نزل شن يي من السيارة وأصغى بمظهر من الانتباه الكثير الى الموعظة المتقطعة التي وجهها اليه الشباب ، والمؤلفة من مقتطفات من اقوال ماوتسي تونغ . وبعد انتهاء الوعظ ، شكر شن يي اولئك المرشدين الشبان وصعد الى سيارته . وقبل ان يذهب ، انحنى الى النافذة وفتح كتابه الاحمر ، وقال : «وبدوري اسمحوا لي ان استشهد بالرئيس ماو في الصفحة ٣٢٠. (عدد صفحات الكتاب الاحمر ، ٢٧٠. صفحة في الصينية) . يقول الرئيس ماو : «شن يي رفيق جيد . وهو ينتمي الى العصابة الحمراء» . وأقلعت عند ذلك سيارة الوزير بينما كان الحراس الحمر ، وقد تملكهم الهياج ، ينهمرون عليه باللعنات.

ويروى ايضا انه خلال جلسة نقد ذاتي علنية امام منظمات بكين الجماهيرية ، تعاقب على المنصة شبان من الحراس الحمر ، يكيلون الاتهامات لشن يي ، وكان احدهم شديد اللهجة بنوع خاص . وهو ينهي خطابه وقف الوزير وأتى ينحني امامه ، ثم رفع رأسه وتوجه الى القاعة وقال بلهجة من الندم والسخرية : «شن لن يفعلها من جديد ! » فأثار بذلك موجة عامة من الضحك .

مع ذلك كان لمعنويات شن يي ان تضعف ، على مر الايام ، وانحطت قواه . وليس للاشاعات التي انتشرت حول سوء صحته اي شيء من الدبلوماسية ، دون شك . في الحادي والثلاثين من ايلول ، خلال احتفال بالعيد الوطني في اليوم التالي ، وبحضور المدعوين الاجانب ، كان الذي ظهر الى مائدة الحكومة رجلا شاحبا نحيلا . لقد احتفظ بمنصبه في الوزارة كما في المكتب السياسي ، لدفاع ماوتسي تونغ عنه . رغم ذلك لم يكن لسلطته ولشعبيته ان تعودا كما كانتا قبل الثورة الثقافية .

في الخريف ، كانت العودة الى النظام قد تقدمت كثيرا ، وعاد هدوء عام الى البلاد . ومنذ ذلك الحين سوف يعمل ماوتسي تونغ على تدعيم انتصاره . وكانت الثورة الثقافية تخرج من الصخب .

القسم الرابع

من الأول من تشرين الاول ١٩٦٧
حتى الرابع والعشرين من نيسان ١٩٦٩

من انتصار حاسم الى انتصار كلي

١

من تشرين الاول ١٩٦٧ حتى شباط ١٩٦٨

ان الشهور الثلاثة عشرة من الثورة الثقافية ، التي تبعت الاول من تشرين الاول ١٩٦٧ ، كانت مختلفة كثيرا عن الشهور السابقة . فقد كان الصراع من اجل تصفية عدد من القادة المعارضين لماوتسي تونغ ، قد انتهى بأغلبه . ومن الان فصاعدا سوف يهدأ تدافع الامواج . فلن يكون علينا بعد ان نرى ذلك التناوب للدورات المتقاربة والمعقدة التي تميزت بها الحركة حتى ذلك الحين . ومن اجل هذا تشغل هذه المرحلة من الثورة الثقافية مكانا ، أقل اهمية كميا ، في هذا الكتاب .

النضال ضد التكتلية

صراع ، نقد ، تحويل :

مع تصفية التيار اليساري المتطرف ، اجتازت الثورة الثقافية اخر مرحلة لها من مراحل الاضطرابات الكبرى . ما عدا مرحلة وجيزة نسبيا، في ربيع ١٩٦٨ ، التي كان يجب ان تشهد مجابهات جديدة ، ومنذ ذلك الحين سوف تسير بسرعة كبيرة ، بينما كان ماوتسي تونغ وأنصاره يدعمون نجاحاتهم بشكل منظم . وكان على ذلك ان يؤدي في تشرين الاول ١٩٦٨ الى انعقاد الدورة العامة الثانية عشرة للجنة المركزية ، التي ستشهد تكريسها .

في تشرين الاول ١٩٦٧ ، غداة ذلك الصيف اللاهب الذي وصفنا مسيرته المضطربة بنوع خاص ، كانت تستلزم اعادة ترتيب . وكانت الصحافة الرسمية تصرح بأن «القيادة العامة البورجوازية» ، قيادة ليو شاوشي ، قد دمرت وأن الثورة الثقافية قد حققت انتصارا حاسما . لكن ، باعتبار طريقة النضال التي اعتمدها ماوتسي تونغ واهتمامه

بالعمل على مشاركة كل الاهالي في المجادلات والنزاعات ، كان المجتمع الصيني قد اهتز بقدر كبير .

ان الانشقاقات المتعددة التي نزلت بالمنظمات الجماهيرية ، والنزاعات الداخلية ، واحتداد اعمال العنف ، والعزل المستمر لعدد مفرط من كوادر الحزب بسبب عدم الاتفاق بين المنظمات بالحكم عليها ، ووحدة الجيش المهددة ، كل ذلك كان يرهن الانتصارات المحققة ضد المعارضة . كان ينبغي اذن معالجة هذه العوائق من اجل تعزيز انتصار ما يزال هشا. ومنذ وقت طويل ، منذ آذار ١٩٦٧ على الأقل ، كان يمكن تمييز اهتمام لدى قادة الحزب بالتضييق من دائرة تعبئة الجماهير ، والقسم من الاضطرابات الذي كان يصاحبها ، من اجل توسيع دائرة المركزية . لكن استمرار المعارضة من جهة ، ووجود تيار يساري متطرف من جهة اخرى ، قد عرقلا التقدم في ذلك الاتجاه . على ذلك ، كان هذين العائقين قد أزيلا في تشرين الاول ١٩٦٧ . ولم يعد هناك اي عائق امام مواصلة العمل الذي بدىء في آذار ١٩٦٧ ، والقائم على تشجيع التحالفات بين الجماهير وتدريجيا على استعادة الكوادر غير المنخرطين تماما في سياسة ليو شاوشي او القابلين للتخلي عنها بسرعة . وهكذا نمت ، سريعا ، ظروف تكوين لجان ثورية صلبة . وما ان يتم ذلك ، حتى يكون بالامكان طرح اعادة بناء منظمات الحزب ، بتطهيرها من المعارضين ومن اولئك الذين اظهرت الثورة الثقافية فسادهم او تبرجزهم. ويأتي انعقاد مؤتمر الحزب ، بعد ذلك ، يكرس تلك التغييرات .

ان تعزيز الوحدة والتدعيم التنظيمي الذي تشجع عليه ، كانا ضروريان ، بالاضافة الى ذلك ، من اجل الانتقال بالثورة الثقافية الى مرحلة جديدة ، مرحلة التحويل : كاي ، بعد مرحلتي الصراع والنقد : تو ـ بي ، اللتين امتدتا طوال العامين السابقين ، وفي فكر ماوتسي تونغ، على الثورة ان تشتمل على هذه المهمات الثلاث . كان ينبغي ان تقلب الجماهير بعض المسؤولين ، لكن عليها ايضا ان تنتقد جميع الجوانب السلبية لعملها السياسي والايديولوجي كي تحولها تماما ، بعد ذلك ، في اتجاه ثوري . وهكذا كان هناك مجال لتغيير التعليم والفن وعمل الاجهزة الحكومية . ولا يمكن ان يتم ذلك الا بحسب مخطط اجمالي ، يتطلب تطبيقه الاعداد البنيوي للجان الثورية في المصانع والمدارس والمؤسسات الادبية والفنية . ان مجمل هذه التطلبات كانت ترسم اتجاه الاشهر القادمة .

تجديد نقد الجماهير الثوري :

ان شدة الصراعات بين الكتل والانشقاقات في المرحلة السابقة ،

اتجهت بوضوح الى تحويل المعركة عن مجراها الرئيسي ، للانحراف به الى نزاعات داخلية . خلال الصيف ، اهمل تقريبا نقد جميع جوانب سياسة ليو شاوشي ، الذي شرع به في نيسان ، لتحل محله النزاعات التي وصفت سابقا . في تشرين الاول ١٩٦٧ ، بعث من جديد ، ودعيت الجماهير الشعبية الى الانصراف اليه بحيوية . وكما في نيسان ، كان الهدف المقصود هو المساعدة على الوحدة بالابقاء على الانظار متجهة الى مرام مشتركة ، لمنعها من التحول الى نقاط تصويب جانبية . وبذلك شهد من جديد ، في الجامعات والمؤسسات ، تكاثر البيانات التي تحاول تحليل النفوذ الذي استطاع «الخط الرجعي البورجوازي ، خط خروشوف الصين» ان يمارسه على ادارتهم وعملهم السياسي .

في الاسبوع الثاني من ايلول ، نشرت **الراية الحمراء**، العدد الرابع عشر ، مقالا افتتاحيا هاما بعنوان : «لنحقق التحالف الثوري الكبير ، في مجرى نقد الجماهير الثوري» (١) . كانت هذه الافتتاحية تشير الى ضرورة تركيز ضربات الثوريين البروليتاريين ضد عدوهم المشترك ، وضم قواهم . وقد دشنت هذه الافتتاحية سلسلة طويلة من المقالات التي سوف تستعيد موضوعاتها دون كلل ، كما هو معروف عن الدعاية الصينية . وقد احيطت عبارة ماو التي تدعو الى الوحدة ، والتي تعود الى نص التوجيهات التي اعطاها في بداية الشهر بعد عودته من المقاطعات: «لا يوجد نزاعات اساسية داخل الطبقة العاملة»، احيطت بدعاية واسعة. وقد أعادت طبعها بيانات ، بأحرف مذهبة يعلوها رسم الرئيس، وألصقت في جميع انحاء الصين . ان تلك العبارة تظهر ، حتى في صياغتها ، الاهتمام الذي تجسد بعد ذلك باعادة الوحدة اولا الى صفوف الطبقة العاملة ، من اجل ان يسمح لها ذلك بالقيام التام بدور الطليعة ، الذي يجب ان يكون ، تبعا للمبادىء الماركسية ، دورها .

نداءات من أجل التحالف الكبير وتشهير بمجموعة ٥ — ١٦ :

في هذه الفترة ، تكاثر اذن التشجيع على التحالف الكبير ، وكانت الصحافة والاذاعة تشددان دون انقطاع على ضرورته ، وفي نفس الوقت على شرور التكتلية ، التيار الاجتماعي الرجعي ، والتعبير عن وجهات نظر البورجوازية الصغيرة الضيقة وروحها التآمرية وشيعيتها . زيادة عن ذلك ، كان يقال ان التكتلية قد شجع عليها ودفع بها الى درجة تفاقم قصوى ، اشخاص يدعون لانفسهم كل ما هو اكثر الى اليسار ، لكنهم كانوا يمينيين بالواقع . ان هذا التعبير المعقد ، هو التعبير الذي كانت

---

(١) راجع انباء بكين العدد التاسع والثلاثين ، ٢٥ ايلول ١٩٦٧ .

تستعمله الصحافة الرسمية للاشارة الى مسعوري مجموعة ٥ ــ ١٦ اليساريين المتطرفين .

وبذلك بدأت حملة تشهير هامة بتلك المجموعة ، من اجل الحث على التحالف وازالة آثار أحداث الصيف . وسوف تتم هذه الحملة ، مرة اخرى ، بواسطة شبكة الاعلام الموازية المؤلفة من الملصقات الجدارية وصحف الحراس الحمر والمجموعات العمالية ، لكنها لن تظهر في اية لحظة في الصحافة الرسمية المركزية .

وهكذا كان يمكن مشاهدة بيانات في بكين تشهر بوانغ لي ولين كيه وكوانغ فنغ . ودوريا ، كانت تشاهد بيانات من نوع اخر ، تحمل صور اشخاص اكتشف انتماؤهم الى مجموعة ٥ ــ ١٦ . وتصحبها اتهامات مختلفة تحاول ان تظهر ان الاشخاص المعنيين قد اثاروا اضطرابات ، خلال الصيف ، ودفعوا الى اعمال عنف بين مجموعات متعارضة. وبشكل عام كانت تلك الملصقات ملونة وتحمل شعار : «لنقطع اليد السوداء» . وأذكر بأن الصينيين يشيرون بهاتين الكلمتين الاخيرتين الى مثيري الاضطرابات، الذين يستغلون عدم تدخل قوى الشرطة والجيش لينصرفوا الى مناورات خفية لاثارة الانقسام والتخريب .

وكانت تباع كذلك صحف مختلفة ، في منعطفات بكين، حيث توجد فيها مقالات حول مجموعة ٥ــ١٦ ، تروي تاريخها وتاريخ زعمائها ، على ضوء الاعترافات التي تقدمها التحقيقات الجارية . مع ذلك ، كانت تلك الصحف قليلة العدد ، وكذلك الملصقات التي تحدثت عنها ، وبقيت المعلومات التي قدمتها ، معلومات اجمالية . وهذا لأن النضال ضد التكتلية واليسارية المتطرفة ، منذ بداية الشهر ، كان مصحوبا بنداءات من اجل اليقظة الثورية . وقد دفعت السلطات الى الظن بأن جو الاضطراب والفوضى الذي انتشر هنا وهناك ، كان قد استغله عملاء استخبارات اجنبية للقيام بنشاطات تجسس . وانتشرت كذلك اشاعة قوية تقول بأن احتلال وزارة الخارجية في آب قد تبعه اختفاء وثائق سرية شديدة الاهمية . وفي جامعة بكين ، حذر كيانغ تسنغ الطلاب من تسرعهم ، وطلب منهم الاقلال من الصاق البيانات في المدينة ، والسهر على ان لا تتضمن معلومات قابلة للاستغلال من قبل أعداء النظام والعملاء الاجانب . ولهذا السبب ، دون شك ، لم تبلغ حرب البيانات ضد مجموعة ٥ــ١٦ ، في اية لحظة ، الاتساع الذي بلغته في الفصول السابقة حملات تشهير مشابهة، تستهدف مجموعات وشخصيات اخرى.

مطاردة الخارجين على القانون والجواسيس :

لقد اظهرت اضطرابات الصيف خبايا المجتمع الصيني . كل

الطبقات وكل الفئات الاجتماعية كان قد شملها غليان الحركة، ومن بينها قسم من الخارجين على القانون .

ويجدر القول بأن الخارجين على القانون ، في الصين ، لم يعودوا اليوم ذلك العالم المنظم ، المتفرع ، الذي كان قبل عام ١٩٤٩ . فالرقابة الصارمة التي يمارسها الحزب الشيوعي الصيني ، في الاوقات العادية ، على الحياة الاجتماعية ، وواقع انه عرف كيف يعيد الى العمل اليدوي قيمته واحترامه ، ساهما في اضعاف عدد العصاة وأعادا «الشقاوة» الى حجمها النسبي . رغم ذلك لن يكون واقعيا الاعتقاد بأنها قد اختفت تماما . فما زال يوجد في المدن انواع مختلفة من الخارجين على المجتمع: اشخاص فقدوا انتماءهم الطبقي ، وتجار صغار لا ينتظرون سوى فرصة القيام بنشاطات غير مشروعة . وقد اتاح تلك الفرصة ، خلال الثورة الثقافية ، الارخاء الضروري من اكراهات الدولة للسماح بتطور الصراع الجماهيري ، وبشكل رئيسي خلال صيف ١٩٦٧ ، وعدم تدخل قوى الامن ، بينما كانت تتسع الاضطرابات . وقد اشير في تلك الفترة الى حوادث سرقة ونهب وحتى حوادث قتل .

ويبدو ايضا ، اذا ما اخذنا بما قاله في ذلك الحين المسؤولون في السياسة الصينية ، ـ لكن هذا صعب التقييم ـ ان بعض تلك العناصر قد يكون دخل في منظمات سياسية ، وساهم باعطائها اسلوب عمل ، اكثر قربا من اسلوب العصابات منه الى اسلوب الحركات الثورية : وهذا يمكن تفسيره بواقع ان قسما من العاملين في بعض المصانع ، القليلة العدد بالحقيقة ، كان مؤلفا من متشردين سابقين ، يعملون هناك من اجل اعادة تربيتهم ، لاعطائهم فرصة العودة الى المجتمع والتمتع بحياة طبيعية. وقد يكون هؤلاء الاشخاص انضموا الى مجموعات مؤسستهم ، وفي جو اللحظة ، عادت اليهم «نزعتهم» ، فكان لهم ان يؤثروا عليها ويجعلونها ترتكب المخالفات .

ويبدو ايضا ان السلطات كانت كذلك مهتمة بنشاط مختلف العملاء السريين الموجودين في الصين القارية ، وبعض المعادين للشيوعية المتصلبين . وبدهي ان عدم تدخل قوى الامن كان له ان يشكل تشجيعا لهؤلاء الاشخاص ايضا . وبذلك دُفع الى الظن بأن الانشقاقات والصراعات الداخلية وأعمال العنف التي لا تفعل سوى صب الزيت على الحريق وجعل بعض المشاكل عويصة والخلط بين مرامي الثورة لتحطيم صعودها ، قد اثارها هؤلاء الاشخاص او استغلها .

لقد حصلت مبالغات كثيرة ، في جميع البلدان وتحت جميع الانظمة ، باستعمال تلك الوسيلة القائمة على القاء مسؤولية الاضطرابات التي يمكن حدوثها ، على عاتق العملاء والجواسيس الاجانب مما يجعلنا

مترددين بعض الشيء بذكرها هنا . لكن دون المبالغة بتأثيرها ، يجب الاقرار بوجود التجسس ومناورات الالهاء ، ومن المحتمل كثيرا ان الصين الشعبية مستهدفة بنوع خاص .

هذه كانت ، على كل حال ، الاسباب التي ذكرها قادة الثورة الثقافية من اجل دعوة المنظمات الجماهيرية الى حملة «تطهير للصفوف الطبقية» ، بهدف تطهيرها من الوجود المحتمل للجواسيس الفورموزيين والعملاء المحرضين او ايضا المخربين .

فألفت المنظمات الجماهيرية لجان تحقيق لمراجعة الملفات الايديولوجية لاعضائها (اشرت سابقا الى ان لكل صيني ملف من هذا النوع ، محفوظ في «ارشيف» اللجنة الحزبية في مكان عمله) . فجرى اذن فحص ماضي كل واحد بمفرده .

واتخذت سلسلة من التدابير . اولاها كانت ، ذات طابع وقائي ، تمنع كل مشبوه من الانتماء الى منظمة جماهيرية . ويدخل في هذه الفئةالاعضاء القدامى في الكومينتانغ (دون استثناء) والرأسماليون والملاك العقاريون السابقون ، والاشقياء السابقون ، والاشخاص الذين صنفوا يمينيين في وقت او آخر ، وكذلك كل شخص يشتبه بأنه كان له علاقات وثيقة مع اعضاء كتلة بنغ شنغ او كتلة ليو شاوشي . وفي رأيي ، ان عدد الاعضاء المطرودين ، بهذا الشكل، من المنظمات الجماهيريةوالمحرومين من حق المشاركة في الثورة الثقافية لا يمكن ان يتعدى ما بين ٥ و١٠٪ من المجموع. لكن تلك السلسلة من الاجراءات لم تكن مصحوبة بالعقوبات، وتختلف بذلك عن السلسلة الثانية التي تقوم على تمييز ، من بين السابقين ، جميع العناصر ذات الملفات المثقلة ، لتخضعهم لمراقبة عميقة وتحقيقات متجددة ، من اجل الكشف عما اذا كانوا يستطيعون اثارة الاضطرابات والانشقاقات ام لا ، بقصد الاضرار بالتطور الطبيعي للثورة الثقافية البروليتارية . ان ملفات التحقيق هذه كان يجمعها مدنيون من المنظمات الجماهيرية وترسل شيئا فشيئا الى قوى الامن ، الذين لم يكونوا يلجأون الى الاعتقالات الا اذا توفرت أدلة جرمية ثابتة .

ان تصفية مثيري الاضطرابات الخطيرة والانشقاقات ، وهي تصفية جذرية من حيث المبدأ لكنها غير دموية ، كانت تهدف بديهيا، كما التشهير بشرور «اليسارية» وتصفية زعمائها ، الى اعادة الوحدة الى المنظمات في مختلف امكنة العمل والمدارس ، وهكذا الى تسهيل الاتفاقات من اجل اقامة اللجان الثورية .

نداءات جديدة لصالح الكوادر :

يقوم انشاء اللجان الثورية على مبدأ التحالف المثلث ، وبذلك ينبغي

ان يعود ثلث المراكز الى كوادر الحزب . فكان ينبغي ان تتفق المنظمات المختلفة على تعيين هذه الاخيرة . ومن اجل ذلك كان ضروريا ان تتخلى عن اعتراضاتها على كوادر ارتكبت اخطاء ، دون ان تكون بذلك تحريفية، الامر الذي يسمح لها بالعودة الى وظيفتها . لقد اشرنا سابقاً الى مقدار حدة تلك المشكلة وكيف ان بعض المجموعات ، لاسباب متنوعة ، وخشية من ان تترك تحريفيين يفلتون ، كانت تميل الى استهداف العديد من الكوادر ، وأن تظهر عن تشدد حيالها .

ونشرت حينذاك سلسلة لا تنتهي من المقالات تحاول ازالة عدم الثقة تلك . كانت تذكر باستمرار انه منذ بداية الثورة الثقافية قد جرى التأكيد عن أن الكوادر التحريفية كانت اقلية ضئيلة . ومن جديد جرى التشديد على ان القسم الاكبر منها ، رغم مختلف الاخطاء ، ما زالت استعادته التامة ممكنة ، وأنه تنبغي الشجاعة من اجل توجيه النداء اليهم . ومنذ ايلول ، كتبت **يومية الشعب** تقول انه «ينبغي الاجتراء على اللجوء الى الكوادر» . وفي الثامن من تشرين الاول ، صرح شو آن لاي في كلمة القاها في ووهان ، مستقبلا زوارا يابانيين ليبرهن لهم بأن حوادث تموز لم تعد سوى ذكرى ، صرح بأن الثورة الثقافية البروليتارية كانت «بمعنى ما ، حركة تربية للكوادر» .

ان هذه الجملة تشهد على اهتمام رئيس الوزراء باسقاط الكراهية ازاء الكوادر ، واستبدالها بعمل تكوين ايديولوجي ، الامر الذي يتفق مع الصيغة الصينية : «توسيع دائرة التربية وتضييق دائرة القمع» . ومن اجل هذا الهدف افتتح في كل الصين دورات دراسةلفكر ماوتسي تونغ، التي كان لين بياو قد اعلن عن انعقادها القريب في خطاب له القاه في ساحة تين آن من ، في الاول من تشرين الاول ، يوم العيد الوطني .

دورات دراسة فكر ماوتسي تونغ :

لقد نظمت هذه الدورات في المدن الكبرى . فأقيمت مراكز متفرقة وزودت بالمدرسين العسكريين ، واعتمد نظام يسمح لجميع المؤسسات والمدارس ، كل منها بدورها ، ان ترسل الكوادر التي بقيت موضع خلافات في وجهات النظر . وكان يرافق تلك الكوادر زعماء المنظمات الجماهيرية في المنطقة المعنية . وبذلك تستأنف النقاشات بشأنهم تحت اشراف المدرسين العسكريين ، الذين كانوا يحاولون استخلاص حلول مقبولة من جميع الاطراف .

ولم يكن لهذه الدورات الدراسية هدف تسوية مشكلة الكوادر فقط ، بل محاربة النزعة التشيعية والروح الفئوية ، ايضا . وأقيمت مراكز اخرى ، بواسطة القدرة التنظيمية الهائلة للنظام الماوي ، وكان

يجب ان يأتي اليها ليس فقط الكوادر وزعماء المنظمات ، بل الطلاب والشغيلة في المصانع . ودوريا ، خلال فترة يومين او ثلاثة على التوالي، اتت غالبية الصينيين ، مجموعات صغيرة ، الى تلك المراكز ، حيث قرئت ونوقشت مقالات لماوتسي تونغ مخصصة للوحدة والحل الصحيح للتناقضات . وكان ذلك يتفق مع وجهة نظر عزيزة على رئيس الحزب ، تبعا لها، تصبح فكرة ما قوة لا تقهر عندما تستولي على الجماهير. فكانت الدورات اذن تهدف الى خلق جو قوي من الوحدة في البلاد .

وكانت تلك الدورات تجري تحت شعار : «محاربة النزعة الفردية ونقد التحريفية» (توسوبي كزيو). وكان لشعار «مكافحة النزعةالفردية»، بالاضافة الى معناه العام (تحويل العقليات وسيادة الروح الجماعية) ، معنى اكثر مباشرة : كانت الافتتاحيات العديدة في تلك الفترة ، التي تمجد هذا الشعار ، تشير الى انه ينبغي ان يدفع كل واحد الى غرس افكار بروليتارية في ذهنه ، وأن يبعد، ، على الأخص ، النزعة التشيعية والروح الفئوية البورجوازية الصغيرة ، وهي ناتجة بالتحليل الاخير عن روح جماعية ناقصة .

وقد استمرت تلك الدورات الدراسية الايديولوجية اشهرا عديدة، بينما كانت تتجدد بكثرة المقالات التي تدعو الى الوحدة والى اعادة استيعاب الكوادر ، التي فهمت اخطاءها وأصلحتها .

« دعم الجيش ومحبة الشعب » :

وكان ضروريا كذلك ، من اجل ازالة آثار اضطرابات الصيف ، صد الاتجاه السيء الى مهاجمة الجيش ، الذي ظهر بين بعض المدنيين ، وبموازاة حملات الدعاية الاخرى جرت حملة من اجل الاشادة بالجيش وبمساهماته في الثورة الثقافية البروليتارية .

نشرت الصحافة الصينية في ذلك الوقت عددا كبيرا من المقالات حول هذا الموضوع ، مصحوبة بروايات مختلفة تمتدح التضحيات التي قام بها بعض الجنود خلال الاشهر السابقة. وقد اتت غالبا على ذكر جندي يدعى لي ون-تشونغ ، الذي قضى غرقا بعد ان انقذ حياة عدد من الحراس الحمر تعرضوا لحادث وقوع في الماء . وسوف يذكر لين بياو نفسه لي ون تشونغ وكذلك الوحدة التي ينتمي اليها ، على لائحة شرف الجيش ، كعيد تذكاري ، وسيعطى لتلك الاحتفالات دوي عظيم .

وفي جميع انحاء الصين ستنظم مظاهرات تجمع عسكريين ومدنيين وتدعو الى وحدة نشاطهم. يجب ان يساند الشعب الجيش وعلىالجيش ان يحب الجيش : وهذا ما سيقدم شعارا جديدا للثورة الثقافية ، سيظهر ، دون حساب ، على الجدران وفي الصحف .

وفي نفس التاريخ ، كان يمكن الاطلاع عبر الصحافة الرسمية على ان ماوتسي تونغ يستقبل ، دوريا ، العديد من كوادر الجيش في القاعة الكبرى من قصر الجمعية الشعبية . وتعددت تلك اللقاءات ، بمعدل لقاء واحد في الشهر . وخلال تلك الاجتماعات ، التي لم يتسرب بشأنها اي خبر ، من المحتمل ان لين بياو وربما ماوتسي تونغ نفسه قد اخذ الكلام، لتحليل الاخطاء السابقة وتعيين الاتجاه السياسي الذي ينبغي اتباعه . وبالاضافة الى ان تلك الاجتماعات اظهرت من جديد الثقة التي كان يمنحها اكبر قائدين للجيش ، فقد تكون ايضا استجابة للاهتمام بأن لا تمس الجيش النزعة التكتلية والانقسامات .

ان أحداث الصيف ، والنداء من اجل النضال ضد التحريفية في الجيش ، والانقسام الذي بدأ يطال بعض الوحدات هنا وهناك ، كانوا يهددون تماسكه . وقد نظر الى هذا الخطر بكثير من الجدية ، ونظمت تلك الاجتماعات بهدف القضاء عليه دون امهال . كان ماو يريد تجنب ان يناقش ويتنازع الجنود حول الاحداث الماضية ، او بشأن بعض قادتهم . فكان يحدد ، دون اي التباس محتمل ، نظرته الى الثورة الثقافية البروليتارية والتقييم الواجب اتخاذه بشأن مختلف اطراف حوادث الصيف ، مستخدما كامل سلطته المعنوية والسياسية . وكان ذلك يعطي صفة رسمية ، بشكل معين ، لتفسير تلك الاحداث . وما كان الامر بالضرورة كذلك ، فيما لو ان احدا غير لين بياو وماوتسي تونغ قام بابلاغه .

انشاء لجان ثورية جديدة :

ان الجهود التي شرع بها في مختلف الاتجاهات التي ذكرتها اخذت تثمر تدريجياً .

ان عددا من المقاطعات ، حيث لم يمكن انشاء اللجان الثورية في السابق ، على اثر صراعات الكتل والاختلافات الهامة ، تجاوزت تلك العقبات. وبتدعيم الوحدة، ادركت بشكل افضل ضرورة اعادة استيعاب الكوادر . وبتقوية مساندة الجيش ، اصبح ممكنا تحقيق الاتحاد المثلث. وبشكل تدريجي ، كان ممثلون عن الجماهير والكوادر والجنود يأخذون مكانهم على رأس الهيئات القيادية الجديدة لبعض البلديات والمقاطعات .

وفي الاول من تشرين الثاني ووسط دعاية كبيرة اعلن انشاء لجنة ثورية في مونغوليا الداخلية . وفي كانون الاول وكانون الثاني اعلن عن انشاء هيئات مشابهة في كيانغسي ووهان . كانت اعادة النظام تسير بشكل متسارع .

٢

من شباط حتى تموز ١٩٦٨ عودة تيار يميني الى الظهور

الثورة تحت النظام

تحويل التربية :

لا يمكن تصور شيء أقل اثارة من مسيرة الثورة الثقافية بين ايلول ١٩٦٧ وشباط ١٩٦٨ . وكان التباين مع الاشهر السابقة من الوضوح حتى انه امكن الظن بأن الحركة منذ ذلك الحين سوف تتلاشى في نوع من الرتابة . ان اسلوب الحراس الحمر والتطرف والغنائية الثورية والمناقشات الكبرى كانت تبدو وكأنها تنتمي الى الماضي .

وبشكل منتظم كانت الصحافة تعلن عن ان مقاطعات جديدة شكلت لنفسها لجانا ثورية . وفي نهاية كانون الثاني اصبح لمقاطعتي كانسو وهونان لجنتيهما . وفي منتصف شباط تبعتهما لجنتي هوبي وهووبي، المقاطعة المشاغبة التي عاصمتها ووهان . وفي الرابع عشر من شباط كانت قد شكلت لجان ثورية في جميع دوائر ونواحي بكين .

وعاد الطلاب والتلاميذ الى متابعة الدروس . وكانت السياسة حقا ما تزال مستولية على اهتمامهم . ففي الصباح كان يجري تعليم المواد الاساسية كالرياضيات واللغات ، وبقي بعد الظهر مخصصا للثورة الثقافية . وكان يؤمل ان تجتاز هذه مرحلة الصراعات والمجادلات. ولهذا السبب كانت الدعاية تشجع الجهود الهادفة الى خلق تربية بروليتارية. وهذه كانت السمة الاكثر اهمية في الوضع الناشيء التي تجنب الثورة الثقافية اللون شبه القاتم التي اصطبغت به منذ ايلول .

كان اول التدابير التي اتخذت ، بموجب توجيه اعطاه ماوتسي تونغ ، هو تشجيع الرياضة الجسدية في المدارس وادخال التدريب العسكري اليها . وفي تشرين الثاني ، من جهة اخرى ، احيطت بدعاية

كبيرة تجربة جرت في جامعة تونغستي في شانغهاي ، والتي تعد المهندسين على الأخص . وتقوم تلك التجربة على جعل الجامعة مركزا انشائيا ، بشكل يربط الدراسة بالممارسة العملية للعمل الى حد أقصى. وقد الغيت الكليات والمكاتب التربوية واستبدلت بلجان متخصصة تجمع طلابا ومدرسين وتقنيين من مركز الانشاء . ولكون الاولوية للسياسة ، كان لكل لجنة مدرسها السياسي ولكل صف كادره السياسي .

وأعلنت الصحافة عن مشاريع اخرى ، كان بعضها جريئا جدا : سوف يكون ممنوعا بعد الان اجبار التلاميذ على اعادة صفوفهم ، وسوف تلغى حدود السن . وامتحانات الدخول نفسها سوف تلغى ، لكون القبول مرهونا بمقاييس سياسية واجتماعية. وجرى التشديد، خاصة، على ان المدارس يجب ان تفتح ابوابها ، بالدرجة الاولى ، امام فتيان العمال والفلاحين والجنود .

وبالاختصار ، كان يبدو ان مرحلة اكثر بناء قد دخلت ، تكتسب من الايجابية ما تفقده من الحماس والملحمية . وقد شددت افتتاحية «السنة الجديدة» ، عند اعلانها للمهام السياسية لعام ١٩٦٨ ، شددت، بشكل ذي دلالة ، على ضرورة احياء وتعزيز منظمات الحزب الشيوعي ، التي كان بعضها يقوم بدور باهت منذ اشهر ، وحتى انه كف عن العمل على المستويات الدنيا. وبذلك كان يتجه نحو نظام اجتماعي جديد، مطهر بنار الثورة .

« دعم اليسار وليس الكتل » :

كان الهدوء قد عاد . وفي كثير من الامكنة تحالفت الكتل. واستمر الاختلاف في وجهات النظر بالوجود حول العديد من المشاكل ، لكنه اذا كان بقي يثير النقاشات ، في المؤسسات كما خلال دورات الدراسة ، فانها كانت تجري في جو ودي. فقد توقفت المجابهات . وتوجه ملحق من فرق دعاية جيش التحرير الشعبي الى مصانع جديدة ، حيث قام بقيادة النقاشات وحاول ان يجعلها بناءة ، وغير لاذعة . فتقهقرت النزعة التكتلية بشكل كبير .

وقد اوضحت افتتاحية **ليومية الجيش** (١) ، بتاريخ الثامن والعشرين من كانون الثاني ١٩٦٨ ، مبادىء الخط السياسي المتبع حينذاك من قادة الحزب الشيوعي الصيني . وقد احتوى عنوان المقالة نفسها على فكرته الرئيسية : **دعم اليسار وليس الكتل** .

---

(١) انظر انباء بكين العدد الخامس — ٥ شباط ١٩٦٨ .

وتقول المقالة : «يجب دعم جميع المنظمات الثورية الجماهيرية. فلا يمكن تشجيع كتلة وتجنب كتلة اخرى ، ولا يمكن ايضا دعم كتلة ضد اخرى» . كانت هذه العبارات تحمل على الاعتقاد ، بوضوح، ان المنظمات المحافظة حقا ، او المنظمات التي يتحكم بها معارضون كانت نادرة بين المنظمات الموجودة في الصين . فلم تكن ، اذن ، الصراعات العديدة التي حصلت بين المنظمات ، كما ادعت غالبا ، الانعكاس لصراع بين خطين ، بين ثوريين ورجعيين ، بل مشاجرة عقيمة غالبا ، وضارة بتقدم الثورة الثقافية البروليتارية . ومن جهة اخرى ، تدعم المقالة حجتها بتصريح لماوتسي تونغ : «ينبغي ان يكون اعتقادنا راسخا بأن الغالبية الساحقة من الجماهير هي جيدة وبأن العناصر السيئة ضئيلة العدد» .

كان هناك ، بالتأكيد ، محافظون وأشخاص عديدون كان لهم ان يخدعوا ويجروا الى معارضة الخط الثوري ، لكن هذا ينبغي ان ينسى. والواقع ان المقالة كانت تؤكد على «ان الغالبية من بينهم قد حصل الوعي لديها، وهي تسير منذ ذلكالحين في الخط الثوري للرئيس ماو». كان الوقت ، اذن ، وقت تقارب ، وصفح عن الاساءات ، وتضحية بالانانيات والاحقاد على مذبح الوحدة . وكانت الافتتاحية تصر بشدة على هذه النقطة ، وتعلن : «لا ينبغي لنا ابدا ان ننكر او ان نطرد ، بالجملة، اولئك الذين ارتكبوا الاخطاء ، عرضا ، ولا المنظمات الثورية التي قد تكون تسربت الى قيادتها عناصر سيئة» .

وقد جرى التشديد بكثير من الالحاح على خطر يمكن ان تجر اليه الوحدة : خطر ان تترك التسويات المتسرعة بعض المشاكل السياسية دون حل حقيقي ، وعلى الأخص ، ان تتسارع عملية اعادة اعتبار الكوادر وتصبح من الاتساع بحيث تسمح لمعارضين بالعودة الى وظائفهم . وقد طرحت هذه المشكلة ابان التيار المضاد في شباط وآذار ١٩٦٧ (١) ، عندما استغل تان شن-لن الدعوة الى معاملة الكوادر معاملة سليمة ، من اجل اعادة موظفين تحريفيين الى مراكزهم . وفي عام ١٩٦٨ ، كان لقادة الثورة الثقافية ان يعتقدوا بأن الخطر قد تضاءل ، بما ان المعارضة كانت قد ُهزمت تماما ، على وجه التقريب ، لكنها لن تكف عن التجسد وان بشكل ضيق .

(١) انظر ما سبق .

تيار شباط المضاد الثاني

مصدر التيار المضاد الثاني :

يبدو ان شهر شباط كان بالنسبة للثورة الثقافية الصينية شهرا ملعونا . ففي شباط ١٩٦٦ كان بنغ شنغ قد حدد خطة استنكرت ، فيما بعد ، باعتبارها معادية للثورة . وبعد عام بالضبط ، استغل بعض القادة الصعوبات التي صادفها وضع الخط الماوي في التطبيق ، من اجل اثارة «تيار مضاد» . وفي عام ١٩٦٨ ، وفي شهر شباط من جديد سوف تنشأ معارضة عبر عناصر مشابهة جدا .

ان الاندفاع من اجل صد التطرف والطغيان «اليساريين» قاد الى اتجاه معاكس ، وصف بأنه «تيار يميني مضاد» من اجل تبرئة كوادر تحريفية . لكن هذه المشكلة تجلت بشكل أساسي في بكين ، بصورة حادة ، وكانت أقل حدة في المقاطعات . وقد تطور هذا النزاع بين الطلاب ، خاصة . ومن مميزات المرحلة الآتية ان الطبقة العاملة بقيت مستقرة ومتحدة بشكل ملحوظ ، بينما اظهر المثقفون الشبان في مؤسسات التعليم العالي ميولا قوية نحو الانشقاق والشغب . وسيكون لذلك نتائج هامة جدا على الاحداث اللاحقة ، وسيؤدي ، على الأخص ، الى تعزيز اكثر وضوحا ايضا لدور الطبقة العاملة السياسي .

ان مصدر التيار – المضاد الثاني هو بنفس غموض مصدر الاول ، الذي حصل في شباط١٩٦٧ . وقد تركزت مظاهره الاولى حول اختلاف داخلي في لجنة بكين الثورية . في شباط ١٩٦٨ ، وجه اعضاء في تلك اللجنة الاتهام الى رئيسها ، وزير الداخلية سي فو–تشه ، الذي تكلمنا عنه عند ذكرنا لحادث ووهان .

ونحن نتذكر ان عضوا في (م.م.ث.ث) يدعى تزي بن–يُ كان له قسط من المسؤولية في التيار اليساري المتطرف خلال الصيف . رغم ذلك فلم يُعزل كوانغ لي ولين كي ، واحتفظ بوظائفه . ويمكن تفسير ذلك الابقاء بانزعاج الماويين من ان يكون عليهم الانفصال عن رجل كان نفوذه كبيرا ، وفي لحظات حاسمة كان في طليعة النضال ضد بنغ شنغ وليو شاوشي . ومن المحتمل كذلك انه كان لتزي بن–ي ان يتخلى عن اصدقائه ، بالقيام بنقد ذاتي ، وهكذا سمح له بالبقاء في منصبه .

انني اجهل الاسباب التي دعت الى طرده من (م.م.ث.ث) ولجنة بكين الثورية ، في شباط ١٩٦٨ . وقد بدا عزله ، بالنسبة للكثيرين ، كتتمة منطقية للصراع ضد اليساريين المتطرفين . وكان من نتيجته ان سمح للبعض باستغلاله للهجوم على سي فو–تشه ، الذي اعتبره مقربا جدا من تزي بن–يُ ، و«يساريا» كذلك . وقد صاحب ذلك العزل اتجاه

للمجادلة بطرد عدد من الكوادر من مختلف الاقسام الادارية ومختلف المؤسسات التعليمية البيكينية ، ذلك الطرد الذي ايده تـزي بن-ي وسي فو-تشه خلال الاشهر السابقة .

وقد شرعت مجموعات معينة باعادة اعتبار مسؤولين عديدين كانوا قد انتقدوا سابقا ، مدعية اصلاح مبالغات «اليساريين» . ويبدو ، هنا ايضا ، ان تطرفا كان يدفع الى تطرف اخر، وأن اعادة الاعتبار تلك تمادت كثيرا وأدت الى تبرئة تحريفيين . كان النضال ضد النزعة اليسارية ينحرف نحو اليمين .

مع وضد لجنة بكين الثورية :

وقد تطورت الاحداث خلال فترة من الوقت ، وعلى الشكل التالي : في بداية آذار تعدى النزاع لجنة بكين الثورية وعبر عن نفسه في الشارع ، والصقت بيانات معادية لسي فو-تشه في العاصمة ، من قبل طلاب . وكان يوجد على رأس الحملة مناضلة ، عضو في لجنة بكين الثورية ، وشهيرة جدا ، لانها هي التي وضعت في جامعة بكين ، في الثامن والعشرين من ايار ١٩٦٦ ، بيانا ضد العميد ، أيده ماوتسي تونغ نفسه : وهي نيه يوان-تزه (١) . لقد خلق ذلك النزاع بين شخصين ، شهرتهما كثوريين وماويين كانت مؤكدة ، احراجا للقيادة العليا للثورة الثقافية ، التي حاولت مصالحتهما . ويبدو ان تلك المحاولة لم تثمر ، واستمر الجدال . وقد خاضت منظمة طلابية في جامعة بكين ، كانت نيه يوان-تزه زعيمة لها ، خاضت حملة ضد وزير الداخلية ، الذي لقي دعم منظمات طلابية اخرى ، وعلى الأخص في «الايكول نورمال» ومعهد الجيولوجيا والجامعة الشعبية . وتحركت مجموعات اخرى من اجل الدفاع عن سي فو-تشه . وأعلنوا في هذه المناسبة ان يمينيين كانوا يحاولون ، بالواقع ، الهجوم على لجنة بكين الثورية . وهذا ما يفسر تلك المسيرات الطلابية المتناقضة ، مسيرات داعية الى «قصف» (نقد) سي فو-تشه ، وأخرى الى الدفاع عن لجنة بكين الثورية .

وهنا حصل حادث شديد الغموض : عزل ثلاثة قادة عسكريين هامين ، من بينهم رئيس الاركان بالوكالة : يانغ تشن وو . ولم يعلن عن هذا الاجراء بشكل رسمي . وقد اطلع عليه الاهالي عبر البيانات والشعارات على الجدران ، فقط . وتبعد ذلك سرت اشاعة تقول انهم

(١) انظر ما سبق . وستصاب نيه يوان-تزه بجرح بليغ في الثامن والعشرين من آذار ، خلال عراك في جامعة بكين .

حاولوا اعتقال سي فو ـ تشـه ، دون امر من اللجنة المركزية ، وأنهم كانوا في اساس الحملات ضده ، التي كانت بالواقع التعبير عن هجوم يميني جديد ، ولم يصحب كل ذلك اي تعليق رسمي وبقي اذن غامضاً . وفي اي حال، لم تعد اخبار الاحتفالات الرسمية تأتي على ذكر اسماء القـادة العسكريين الثلاثة ، منذ ذلك الوقت . وفي النصف الثاني من شهـر آذار ، ظهر ايضا ان السلطات الماوية كانت تعلن بوضوح اكثر ثقتها بسي فو ـ تشـه . وقد اشارت **يومية الشعب** ، في هذا القصد ، وبشكل بارز، الى انه هو الذي رافق الشيوعي النيوزيلندي ، ويلكوس ، في زيارتـه لمصنع في بكين . وكان ذلك ، بالنظر الى العادات السياسية الصينية ، اشارة واضحة جدا الى انه كان يحتفظ بثقة قيادة الحزب .

وقد ابلغ قادة الحزب ممثلين عن تشكيانغ وستشوان ، قادمين الى العاصمة من اجل استشارتهم ، ابلغوا هؤلاء عند استقبالهم بأن تيـارا يمينيا مضادا كان يظهر في ذلك الحين، من اجل اعادة اعتبار غير مشروع لعدد من الكوادر . وقد حد من اتساع تلك الحركة تحذيرات السلطات، والحزم الذي عملت به بعزل ثلاثة قادة عسكريين هامين . وكان لتلـك الحركة تأثير ضعيف نسبيا على المقاطعات ، حيث استمر تقدم اللجـان الثورية بنفس الوتيرة ، اذ انه اعلـن انشاؤها في كيانغسو وهونـان وتشكيانغ وكانتون .

تجدد جزئي للنزاعات :

رغم ذلك ، من المحتمل ان ماوتسي تونغ قد فسر اشتعال المعارضة من جديد كدليل على ان المعارضة كانت تحتفظ بنفوذ اكبر من النفـوذ التي حملت على الاعتقاد به تقديرات الاشهر السابقة المتفائلة . وبذلـك سوف يحاول ، تبعا لاسلوبه المفضل، دفعها الى العلنية من اجل محاربتها بشكل افضل . ومن جديد ، سوف يعمل بحيث يمر النزاع عبر «مكبر» الصراع الجماهيري ، ليقوم بحسمه بعد ذلك بشكل جذري .

خلال الاشهر السابقة كانت التعبئة الجماهيرية قد تراخت بعـض الشيء ، وقد خففت من اندفاع المناضلين النداءات من اجل الوحـدة والحل المتدرج لكثير من المشاكل ، واتخذت الثورة الثقافية مسلكـا هادئا ، عند تصديها لتحويل بنيات ووسائل العمل . وبذلك ، عقبت ، فجأة، حملة مضادة لليمينية الاتجاه السابق الذي كان يستهدف اليسارية المتطرفة . وبالتأكيد ، كان يوجد خطر اعادة اعتبار تلك الاخيرة بدورها، بشكل مباشر او غير مباشر ، وانبعاث النزعة التكتلية. لكن ماوتسي تونغ تقبل الامر . ودون شك ، كان يرى ان قدرا من النزعة التكتلية ما يزال ضروريا ، من اجل دفع حركة الجماهير ، بما ان اليمين كان يطل برأسه

من جديد . وهكذا ، كما نرى كان الاتجاه الذي اعطاه ماوتسي تونغ للثورة الثقافية ، يشبه غالبا حركة رقاص دقيقة بين اتجاهات متطرفة ومتناقضة .

لقد تفوه ماوتسي تونغ ، في هذه الظروف ، بعبارات جرى نقلها الى كل البلاد، ومؤداها ان كل تجمع سياسي كان يرتبط بطبقة اجتماعية. وبالتالي كان كل تيار سياسي او مجموعة او كتلة اما بورجوازيا او بروليتاريا . وبذلك لا ينبغي ان يؤدي النضال ضد التكتلية الذي شرع به خلال الاشهر السابقة ، الى الاندماج التام بين كل المجموعات ، بل فقط بين تلك التي كانت بروليتارية حقا . فالتكتلات البورجوازية ينبغي ان تحارب .

وبذلك كان ماوتسي تونغ يعلن عن تحفظه بشأن الحملة من اجل الوحدة ، التي كانت قد بدأت في الاشهر السابقة . أن السعي من اجل الوحدة كان حسنا ، انما ليس بأي ثمن ، منذ ان كان اليمين ما يزال حيا . ان محاربة الروح الفئويةكانت صحيحة ، لكن كان ينبغي ايضا ان لا يؤدي ذلك الى جر اليسار الى تسوية مع اليمين . وفي هذا الاتجاه، عاد يسير تان شن لن وزير الزراعة الذي أبقي عليه في منصبه حتى ذلك الوقت ، بشكل او بآخر . وفي حزيران سوف يكون عزله هذه المرة نهائيا .

وهكذا نرى تعقيد الحياة السياسية في الصين ، حيث ان دوافع ايديولوجية في غاية الدقة ، يمكن لها ان تميل بها في اتجاهات شديدة الاختلاف ، كما نستطيع ان نتبين .

« فلنقم بالتحليل الطبقي للروح التكتلية »

في السابع والعشرين من نيسان ، نشرت **يومية الشعب** مقالا بعنوان : «فلنقم بالتحليل الطبقي للروح التكتلية» (١) كان هذا المقال يعرض بشكل مفصل جدا فحوى عبارات ماوتسي تونغ التي اشرت الى معناها بعبارات اخرى . وهكذا اطلقت شرارات جديدة في المجتمع الصيني بقصد اثارة غليان كانت ظروف اللحظة تدعو اليه ، بنظر القادة الصينيين . وباطلاق اليسار الى الهجوم ، كان ينتظر رد فعل اليمين ، وكان يجب ان تظهر انقسامات قد تسمح بتحديد نطاق هذا الاخير ، بما ان ظهور التكتلية كان مباحا من جديد .

وقد حدثت تلك الانقسامات بين الطلاب والمستخدمين في الادارة،

---

(١) انظر انباء بكين العدد التاسع عشر ، ١٣ ايار ١٩٦٨ .

دون غيرهم تقريبا ، وهم فئات اجتماعية تطلق عليها عبارة المثقفين ، التي لها بذلك معنى اوسع منه في الفرنسية . وهذه الفئات من البورجوازية الصغيرة المدينية هي التي تكشفت باعتبارها ملجأ الميول اليمينية الاخير . وبقيت الطبقة العاملة متحدة ومستقرة في تلك الظروف ، ولم تعد الانشقاقات ، التي عرفتها في الصين ، الى الظهور بين صفوفها في اية لحظة . وهذا ما يسمح اذن بالاعتقاد بأن المعارضة المعادية للماوية لم تعد قادرة آنذاك على التأثير عليها .

والعامل الاخر الذي يدل على وهن المعارضة كان في ان المجابهات المتجددة كادت تقتصر كليا على بكين وكوانغ تونغ ، بينما كان لها في المراحل السابقة من الثورة الثقافية امتدادا أن لم يكن وطنيا فعلى الأقل ملحوظا في عديد من المناطق في آن واحد .

في مجرى شهري ايار وحزيران عام ١٩٦٨ ، انتشرت نزاعات كتل في الاقسام الادارية وجامعات بكين ومعاهد تعليم مختصة مختلفة . وكانت مختلف المنظمات الجماهيرية في العاصمة قد اقامت علاقات بين فرع نشاط وآخر ، في مجرى الثورة الثقافية . وفي المؤسسة الواحدة، كان من الشائع جدا وجود مجموعتين ، لكل منهما علاقات مع مجموعة من مجموعتين مختلفتين في مؤسسة اخرى . هذه الارتباطات الأفقية كانت تؤدي الى تنسيق الاعمال من معهد او جامعة الى اخرى ، الامر الذي كان يؤدي الى جملة تفاعلات . فعندما قامت منظمة في جامعة بكين بالهجوم على سي فو-تشه ، عند ذلك بدأت منظمات أخرى مرتبطة بها، في الجامعة الشعبية و«الايكول نورمال» ومعهد الجيولوجيا ، بحملات مماثلة . وردت على ذلك في آن واحد المجموعات المناهضة للسابقة ، والتي ترتبط فيما بينها ، ايضا . لقد استمرت تلك التجمعات على المستوى البلدي بين الطلاب ، حيث ادت الى نشوء فرعين كبيرين ، الاول يسمى «ارضي» والثاني «سماوي» ، - تسميتان لطيفتان ، اجهل دلالتهما - . وتبين هذه السهولة التي عادت بها هذه الانقسامات الى الظهور ، في ربيع ١٩٦٨ ، ان النداء من أجل الوحدة ونقد التكتلية لم يلقيا صدى واسعا في الوسط الجامعي .

واتخذت المجادلات المتجددة طابعا جادا ومشوشا . وفي الجامعات ادت بعد عدد من الاسابيع الى مجابهات جسدية . وفي غرب بكين حيث يقوم الحي الجامعي تحولت مختلف المعاهد الى ساحات معركة. كانت كل مجموعة تتحصن في قسم من البناء لتحاول بعد ذلك انطلاقا من ذلك الموقع الحصين القيام بحملات مباغتة على المواقع المناهضة . ومن كل جانب ترسل مكبرات الصوت ، بشدتها القصوى ، سيلا لا ينقطع من التجريح . ومن على السطوح يرصد مراقبون تحركات الخصم ، بينما

تحاول مجموعات طلابية ، في الليل والنهار ، الاستيلاء بالقوة على قسم من مراكز تحتلها منافساتها .

وقد تزود كل جانب بقطع القرميد ، فقد حصل ايضا تراشق بالقذائف . وفي وقت لاحق انتشر استعمال المقلاع . وكانت تتبع هذه الاصطدامات فترات هدوء متقطع ، وهذا ما يفسر ان حرب العصابات الجامعية المصغرة هذه ، استمرت عددا من الاسابيع . وبعد فترة من الوقت لم يعد هناك زجاج في نوافذ جامعات بكين . وأحيانا ، كانت قطع القرميد نفسها تزول عن السطوح لتستخدم كذخيرة للمتخاصمين . في اللحظات الاولى ، كانت هذه النزاعات مثيرة اكثر منها خطرة . لكن ، في حزيران ، ساءت الامور، للأسف ، فقد استعملت اسلحة بيضاء، وأصاب الموت عدد من الطلاب في مؤسسات مختلفة. عند ذلك تدخلت السلطات وقررت ارسال الفرق العمالية .

وعبر هذه النزاعات لم يتقدم العمل السياسي ابدا . لقد اظهر بالحقيقة ان الميول المحافظة كانت باقية لدى الطلاب والمستخدمين ومستمرة بتوجيه حملاتهم ضد مناضلين لعبوا دورا هاما في النضال ضد مجموعات العمل ومن اجل استلام السلطة . لقد وجد تيار شباط المضاد موطنا بينهم ، وعندما انحرفوا بالنضال ضد «اليساريين» الى اليمين ظهرت النزاعات من جديد . لكن مسيرتها خلال ما يقرب من الثلاثة اشهر لم تؤد مع ذلك الى اي حل. وكانت قد اصبحت مستعصية في الجامعات والاقسام الادارية . وبدت تتفسح الى نوع من الفوضى لتشكل خليطا مشوشا من الشيع والمجموعات الصغيرة .

انتصار اليسار

الوقائع المستخلصة :

عدا بكين ، يبدو ان مقاطعة كوانغ تونغ وحدها قد مسها تجدد الاضطرابات . هذه الاحداث لم تتخذ ابدا اتساع احداث صيف ١٩٦٧ ، وقد تم تخطيها بسهولة اكبر . لقد كان الهجوم اليميني اذن محدودا .

لكن احداث الربيع كانت تطرح مشكلة عدم الاستقرار الذي كان يظهر بين البورجوازية الصغيرة بالتضاد مع حزم الطبقة العاملة . ان الميول اليمينية كانت تحتفظ بقاعدة معينة في الجامعات والاقسام الادارية . وأكثر من ذلك ، كانت الثورة الثقافية في هذه القطاعات قد غرقت في رمال متحركة ، بشكل كان يبدو نهائيا . ان نزاعات الكتل المتجددة ، القليلة العنف بين المستخدمين لكنها اكثر قساوة بكثير بين الطلاب ، لم تؤد الا الى البلبلة . لقد كان اليسار عاجزا عن فرض نفسه

على اليمين وعن تفتيت صفوفه والانتصار عليه . وكانت الصراعات السياسية تركد ، وتتفتت ، تغمرها الروح التآمرية من جديد . وبقيت المشاكل متعثرة الحل ، وكان الخلاف ما يزال حول الكوادر . وفي هذه الفترة من الثورة الثقافية ، لم يعد هناك ، بشكل عام ، في كل مكان مأخوذ على حدة ، سوى مسؤولين او ثلاثة كان ما يزال يجادل بشأنهم، لكنهم كانوا من رتبة عالية ، الامر الذي كان يؤدي الى بقاء فراغ هام ، ودون تحالف ودون لجنة ثورية لم يكن هناك مجال للبدء بشكل منظم بتحويل البنى وأساليب العمل والتربية .

كان التأخر في هذا الميدان مزعجا ، ويتناقض بوضوح شديد معما كان يوجد في المصانع حيث شرع العمال ، منذ وقت طويل ، باصلاح اساليب التسيير وبتخفيف البنى الادارية . وقد خفض عدد المستخدمين الاداريين بالنسبة للعمال القائمين بالانتاج ، بشكل صارم جدا . وكذلك تعدد المجموعات الفئوية . وقد اقيمت انظمة تنقلات من اجل انضاب ينابيع محتملة للبيروقراطية ، تفرض على جميع المستخدمين والمديرين ومساعديهم في المؤسسات العمل على الآلات كعمال عاديين ، الثلث من دوامهم . او ان يعملوا عليها ثلث الاسبوع او ثلث الفصل او ثلث السنة، حسب الحالة .

اي نقيض في الجامعات ! حقا كانت قد شرعت ببعض التحويلات في مطلع السنة ، لكنها بقيت كمشاريع . فلم يكن هناك اذن انجازات يشاد بها في شؤون التجديد التربوي . اما بالنسبة للمستخدمين في المكاتب ، فكان يبدو صعبا جدا أن يتوصلوا الى اعطاء عملهم اسلوبا ثوريا. كان تحويل البنى والوسائل معدوما او يكاد . لقد كانت الثورة الثقافية حيوية فيها بعض الاحيان ، وقد شارك الناس في النقاشات والصراعات ، لكن دون الحصول على نتائج مثيرة . وكانت مشكلة الكوادر تقع غالبا في مأزق نزاعات الاشخاص دون تناول اساس المسائل السياسية والايديولوجية . اما بالنسبة للعقلية الفئوية فكانت تبدو مستحيلة الاستئصال . ولم يجر كسر الروتين والدواوينية وكانا يبدوان هما ايضا لا يتزعزعان . والحال ، هذا كان معرقلا بالنسبة لاهداف الثورة الثقافية البروليتارية . وهذه ، بالواقع ، لم تكن تقوم فقط على تصفية عدد معين من المسؤولين التحريفيين ، فكان عليها ايضا ان تحول البنى الفوقية للمجتمع ، وبدون ذلك فان الاسباب نفسها ستؤدي الى نفس النتائج . والحال ، اذا كانت الطبقة العاملة تظهر عن دينامية من هذه الناحية ، فان كتلة البورجوازية الصغيرة المدينية المؤلفة من المستخدمين والطلاب كانت تبدو مصابة بالشلل . وبالحقيقة كان هذا يدل على ميول محافظة قوية يغذيها السأم والعجز عن رسم آفاق معركة

وتنظيم ثابتة . لقد لعب الطلاب في بداية الثورة الثقافية دورا هاما . لقد ظهرت دينامية التمرد عندهم ثمينة ، لكنها كانت تبدو مكتفية بذاتها . وكان الطلاب يظهرون عاجزين عن تجاوزها لتجسيد تمردهم الاصلي في خلق جديد .

وفي بعض الجامعات ، كانوا قد تقدموا بنظرية مشوشة جدا : نظرية تعدد المراكز . فكان البعض يقترح الاقلاع عن تحالف مختلف المنظمات بما انه لم يحصل : ان وجود منظمتين تفهمان بشكل مختلف متابعة الثورة يمكن ان يكون امرا حسنا. فهو يحث على المنافسةواندفاع الحركة ، بما انه سيكون هناك مركزان بدل مركز واحد . لكن هذا كرس استمرار النزعة التكتلية و«شرّع» انشقاقات كانتالسلطة المركزية تسعى الى محو آثارها . وغالبا ما ذكرت افتتاحيات **يومية الشعب والراية الحمراء** نظرية «تعدد المراكز» من اجل انتقادها .

يجب ان تشرف الطبقة العاملة على كل شيء :

في هذا الوضع ، سوف يدعو ماو وقيادة الحزب الطبقة العاملة الى اطلاق الحركة من جديد في تلك القطاعات حيث كانت تراوح مكانها. وكان نتيجة ذلك انشاء «فرق المراقبة العمالية» في تموز ١٩٦٨ وارسالها الى الجامعات ومختلف الاقسام الادارية .

وقد اتخذ هذا الاجراء بناء على طلب ماوتسي تونغ نفسه . فقد اشار الى ذلك عبر توجيه نشر ، كالعادة ، بشكل واسع : «يجب اطلاق الدور القيادي للطبقة العاملة ، بشكل كامل ، في مجرى الثورة الثقافية وذلك في جميع فروع العمل» .

وبعد عدد من الايام نشر مقال لياو ون-يوان تحت عنوان : **يجب ان تشرف الطبقة العاملة على كل شيء** (١) . كان يشير الى ان الثورة الثقافية لدى المثقفين (الموظفون والطلاب من بينهم ، بحسب المعنى الصيني للكلمة) كانت تتعثر . ويقول المقال: في المدارس «نشط اشخاص معينون ، من جديد ، يحرضون قسماً من الجماهير على النضال ضد قسم اخر ، ساعين الى نسف الثورة الثقافية الكبرى والى اعاقة مهمة الصراع — النقد والاتحاد الثوري المثلث واعاقة تصفية الاعداء الطبقيين من صفوفنا وتدعيم منظمات الحزب» . ويؤكد ياو ون-يوان « ان التناقضات التي تؤدي الى النزاع الذي لا ينتهي بين المثقفين ، ودون ان

---

(١) لقد جرى نشر هذا المقال على شكل كتيب صادر عن دار النشر باللغات الاجنبية في بكين ، خلال خريف ١٩٦٨ .

تحل رغم ذلك ، سوف تسوى بسرعة فور وصول العمال (...) وهكذا يمكن ان يتغير كل ما هو مفسد في الجو ، اسلوب العمل والافكار ، وما يوجد هناك حيث يتكاثر المثقفون» .

كان اذن ارسال العمال الى الجامعات الانقلاب الغريب الذي ادت اليه الثورة الثقافية ، التي نهضت بارسال الطلاب الى المصانع .

كانت هذه الفرق مؤلفة من عمال منتقين من اجل الدور الطليعي الذي كانوا قد لعبوه في الثوره الثقافية . وفي مؤسسات التعليم كانت مهمتهم الاولى هي أخماد التكتلات ، ومن ثم القيام بتحقيقات لاكتشاف موجهي المنظمات المحافظة . وكان على مشكلة الكوادر وتحويل التربية ان تسوى في وقت لاحق تحت اشرافهم . وقد جرى هذا العمل بشكل قوي بموجب توجيهات شديدة الحزم وشديده الدقة مـــن اللجنة المركزية ، بحيث انه لم يصادف مقاومه منظمه . ولم ينقل في ايه مره ان وجـود هذه الفرق العمالية قد استنكر بشكل جدي، ولا انه اثار الاضطرابات. وقد نجم عنه اعادة تنظيم حازم وسريع .

ومنذ بداية الصيف ، جرى الانتقال الى بقية القضايا ، وعاد تحويل التربية الى جدول الاعمال . وقد اعلن العديد من المشاريع . وكانت هذه المشاريع تذهب الى أبعد من تلك التي قدمت في بدايه العام . ولم تعـد المسألة فقط في ربط الطلاب بشكل اوثق بالعمل الانتاجي ، كما كانت قد اقترحت جامعة تونغستي فـــي شانغهاي . **فكان المقصود ازالة الطلاب باعتبارهم كتلة من فئة اجتماعية متميزه** . ومنذ ذلك كان يجب أن يدخل الجامعات عمال وفلاحون قد امتلكوا تجربه العمل ، وجرى اختيارهـم تبعا لقدراتهم ومستواهم السياسي المرتفع . ومن ناحية اخرى ، كـان متوقعا أن تكون الجامعات مسيرة ، لفتره طويلة ، بواسطة فرق المراقبة العماليـــة .

أن هذا الاجراء الذي يتقدم تطبيقه الان بشكل مرض ، كان يأخذ بالحسبان الاهتمام بالتقليل من نفوذ البورجوازية الصغيرة ، والعمـــل بحيث لا يعود الطلاب مرتبطين بتلك الطبقة من حيث شروط وجودهـم وعملهم . وهو نفس الاهتمام بالتقليل من الاهمية الكمية للبورجوازيـــة الصغيرة ومن وزنها الاجتماعي والسياسي ، الذي اوحى بالقرار بتخفيض عدد العاملين في الاقسام الادارية . وهنا ايضا ، اخمدت فرق المراقبـة العمالية الصراعات بين الكتل وشرعت بتصفية اليمينيين . وقام تحويل البنى الذي بدأته على ازالة الهيئات المتراكمة وعلى جعل مختلف الاقسام اكثر مرونة ، وقد اكملت هذه التدابير بحركة على نطاق وطني تقوم على النقل النهائي لقسم من المستخدمين الى المناطق الداخلية مـن الصين ، القسم الذي لم يعتبر وجوده ضروريا ، من اجل القيام فيها بعمل زراعي

او صناعي . وكل ذلك يرتبط بسياسة أعم ، وهي ليست جديدة في هذا البلد ، تهدف الى تجنب ازدياد الفوارق بين المدن والارياف ، وأن لا تتطور الاولى بسرعة اكبر من الثانية . كانت الثورة الثقافية تسرع بهذه العملية ، بتخفيض سكان المدن الكبرى ، وفي نفس الوقت تلبية ايضا لتطلبات سياسية اخرى . وعلاوة على ذلك كان يشكل هذا مكاسب للاقتصاد الصيني : فعدا واقع ان عدد المستخدمين في المكاتب ما يزال مفرطا وكل شخص اقام في الصين غالباً ما حصل عنده الانطباع بالتضخم : شخصان يعملان حيث يكفي شخص واحد ــ فان الارياف ، وغالبا سمعت ذلك يقال في الكومونات الشعبية ، تنقصها اليد العاملة ، الامر الذي يمكن ان يبدو مدهشاً عندما نفكر في عدد السكان الصينيين ، لكنه صادر بلا شك عن التوزيع (٦٥٪ من الصينيين يتجمعون على ٣٠٪ من مساحة الاراضي الصينية) وعن المكننة التيما تزال ضعيفة في الاعمال الزراعية .

ان هذا الارسال للفرق العمالية الى الاجهزة الادارية والمكاتب هو شيء جديد في البلدان الشيوعية (١) . انه يهدف الى اعطاء مفهوم السلطة البروليتارية معناه الحقيقي . فالطبقة العاملة هي الطبقة القيادية في البلدان الاشتراكية ، لكن في الواقع غالبا ما يصعب عليها الاحتفاظ بمراقبة منظماتها : احزاب ونقابات . وكثيرا ما تنتقل مناصب الاشراف فيها الى ايدي المثقفين ، وهي عملية يسهل منها التعليم او طموح هؤلاء الاخيرين . وما يزال اكثر صعوبة على العمال الاحتفاظ بزمام امرهم ، ما ان يتم الاطاحة بالرأسمالية . وهنا ايضا ، من النادر ان تمارس المسؤوليات من قبل العمال مباشرة ، فتعود الى موظفين غالبا ما يكونون غريبين على المصانع ، ويتجهون الى التميز عن الشغيلة ان من حيث اصلهم او من حيث مهماتهم . ان وجود فرق المراقبة العمالية في مختلف قطاعات الادارة كان هدفه ، على وجه الدقة ، معالجة تلك المشكلة ، وهو بذلك يرتبط بمجمل الاجراءات المتخذة من اجل التقريب بين الحكام والمحكومين .

الانتصار التام . الدورة الثانية عشرة العامة :

خلال الصيف ، تقدمت الثورة الثقافية خطوات واسعة نحو النجاح النهائي : في الثالث عشر من آب اقامت مقاطعة يونان الجنوبية، المجاورة

(١) مع ذلك ، من الصحيح القول بأن لينين فكر بذلك وأنها عرفتبداية تطبيق قبل موته ، ثم اهملت .

لفيتنام ، لجنتها الثورية . وفي التاسع عشر من آب كان دور مقاطعة فوكين . وفي الخامس من ايلول تمتعت التيبت والسنكيانغ ، بدورهما، بهيئات قيادية مشابهة .

وفي السابع من ايلول ١٩٦٨ كان باستطاعة **يومية الشعب** ويومية الجيش ان تعلنا ، في افتتاحية مشتركة ، ان الثورة الثقافية قد حققت انتصارا كاملا وأن الصين قد اصبحت بكاملها حمراء .

في بكين ، احتفل بالحدث بتجمع ضخم في ساحة العمال والفلاحين، تحدث خلاله شو آن لاي وكيانغ تسنغ في جو من البهجة .

ومذ ذاك لم يبق سوى تقييم حصيلة الثورة الثقافية وتثبيت هزيمة كتلة ليو شاوشي . ومن اجل هذه الغاية بدأ انعقاد الدورة العامة الثانية عشرة للجنة المركزية في الثالث عشر من تشرين الاول ١٩٦٨ .

وتنبغي الملاحظة انها كانت دورة موسعة اي ان اشخاصا من خارج اللجنة قد شاركوا فيها ، وبالتحديد المسؤولون الرئيسيون في اللجان الثورية المشكلة حديثا. وقد اشار البيان الذي صدر في اعقاب الاجتماع الى انه كان يشارك فيه (١) «اعضاء في اللجنة المركزية ومرشحون» ، ويبدو ان هذا التعبير يعني اولئك الذين كانوا مخلصين لماوتسي تونغ ، بينما كان اعضاء اللجنة المركزية المعارضون لسياسته غائبين عن الاجتماع.

ان البيان الصادر عن الدورة العامة الثانية عشرة، بتاريخ الواحد والثلاثين من تشرين الاول، هو الوثيقة الوحيدة التي بمتناولنا من اجل القاء الضوء على مضمون تلك الدورة. وهذا يساوي القول بأننا نعرف شيئا قليلا. فالدورة انعقدت ضمن ابواب مقفلة، كما جرت العادة. ويشير نص البيان ان ماوتسي تونغ ولين بياو القيا في هذه المناسبة كلمتين تتمتعان بـ «اهمية تاريخية عظيمة» وحتى الان لم تنشر هاتان الكلمتان. ومن المعقول انه لن يجر ذلك قبل العديد من السنين. ومن جهة اخرى ان هذا التكتم الشديد من قبل الصينيين هو مزعج بالنسبة للثوريين الاجانب ، ولا يتفسر جيدا .

وكان البيان يعلن ان تقريرا قد قدّم ، واقرته اللجنة المركزية ، يبرهن «مدعوما بأدلة مقنعة» ان ليو شاوشي كان «مرتدا وخائنا للطبقة العاملة» . ومن المحتمل ان ذلك التقرير كان يذكر بسلسلة من المآخذ على ليو شاوشي ، على مدى عدة عقود من السنين . ولم يكن البيان يشير الى ان تلك الجرائم كانت ممتدة منذ وقت طويل . ولم ينشر ايضا التقرير الذي كان يلمح اليه البيان .

---

(١) ويعني تعبير «المشاركة» ان ممثلي اللجان الثورية لم يشتركوا في التصويت . انظر انباء بكين العدد الرابع والاربعين ـ ٤ تشرين الثاني ـ ١٩٦٨ .

لكن الصينيين كانوا مطلعين على مضمونه . فالواقع انه خـــلال الثورة الثقافية ، في مجرى حملة النقد الثوري الجماهـيري الطويلة ، عرضت مختلف الاتهامات الموجهة الى ليو شاوشي ، في مراحل مختلفة من حياته ومن تاريخ الحزب الشيوعي الصيني ، وذلك بواسطة الملصقات الجدرانية وصحف الحراس الحمر وكتيباتهم. ومن المستحسن ان نطلع الاجانب ، بشكل سريع ، ويعرفوا هذه الجوانب منالثورة الثقافية، التي هي من بين اهمها .

ان اهمية بيان الواحد والثلاثين من تشرين الاول لا تكمن اذن فـي مضمونه الداخلي الهزيل . فليس له سوى اهمية تاريخية ، فللمـــرة الاولىتعينوثيقة رسميةوعلنيةليو شاوشيباسمه كثوريـمضادـ. وتعلن ايضا طردهمن الحزب واقالتهمن جميع مناصبه وكذلك اقالة «اذياله» .

وبطرد انصار ليو شاوشي من منظمات الحزب الشيوعي ، اصبـح الطريق مفتوحا امام ترميم تلك المنظمات . وكان متوقعا منذ وقت طويل ان يدخلها مناضلون برزوا خلال الثورة الثقافية ، ولم يكونوا في السابق من اعضائها : شباب من الحراس الحمر ومن العمال وزعماء المنظمـات الجماهيرية والمسؤولون في اللجان الثورية الجديدة سوف يصبحـون شيوعيين(١) . وهم سوف يحلون مكان المعارضين منانصار ليو شاوشي، وكذلك اولئك الاكثر عددا الذي اظهروا عن تأثر عميق بالبيروقراطية ، او الذين فقدوا حقا كل دينامية ثورية . وهذا ما كانت تسميه الافتتاحية الرابعة **للراية الحمراء** ، باحدى تشبيهاتهـا الفريدة : «نقل الـدم البروليتاري » (٢) .

هذا المقال ذو اهمية . ففي اللحظة التي كانت الثورة الثقافية فيها قد بلغت مراحلها القصوى ، كان هذا المقال يضع حصيلتها ويعلن عـن الطريق الذي يجب اتباعه في الاشهر القادمة .

كان المقال يبدأ بتبرير مسيرة الثورة الثقافية نفسها والاشكال التي اتخذتها . لقد كانت حركة جماهيرية هائلة ، ادت الى انقلابات ضخمـة ومرت في مراحل ذات تعقيد شديد . وقد حصل الشعب ، عبر أشكال نضال متنوعة ، على تجربة سياسية واسعة . وقد تعلم تمييز التحريفية تحت اغطيتها الاكثر خداعا ، والحل الصحيح للتناقضات التناحريـة والتناقضات غير التناحرية . وعبر هذه العملية برزت عناصر ثورية شابة ودينامية في كل مكان تقريبا ، في داخل الحزب كما في خارجه . وكانت افتتاحية **الراية الحمراء** تؤكد ان ظهور هذه الموجة الثمينة الجديدة من

---

(١) يعنى بكلمة «شيوعي» في الصين العضو في الحزب فقط . ولنذكر بأنه يوجد عشرون مليونا من الشيوعيين بين ٧٠٠ مليون شخص .
(٢) انباء بكين العدد الثالث والاربعين – ٢٨ تشرين الاول ١٩٦٨ .

المناضلين الذين سوف يجددون شباب النظام لم تكن ممكنة بشكل اخر : «انه لا يمكن ان نضمن للاجهزة الشيوعية، على مختلف المستويات، سلطة قيادة يقوم بها بشكل فعلي اشخاص مخلصون للرئيس ماو ولفكره ولخطه الثوري البروليتاري ، الا بالقيام بحركة تعزيز للحزب ، حركة جماهيرية وليس في وعاء مقفل » .

ثم يشير المقال بعد ذلك الى كيفية وجوب «نقل الدم البروليتاري»، وسوف يكون ذلك من ناحيتين . من جهة ، كان ينبغي ان يدخل في الحزب اولئك الذين لم يكونوا اعضاء فيه لكنهم تميزوا بنشاطهم النضالي في مجرى الثورة الثقافية . ومن جهة اخرى ، يجب ان ينتقى من بين اعضاء الحزب القدامى والجدد اولئك الذين اظهروا عن صفات سياسية بارزة ، وعلى الأخص من بين مناضلي الطليعة العمالية الصناعية ، من اجل تسليمهم مسؤوليات قيادية جديدة . ويشير المقال الى ان ذلك يجب ان يحصل على جميع المستويات . وبالتالي يجب ترميم اللجنة المركزية والمكتب السياسي ، الامر الذي لا يمكن ان يحصل الا خلال مؤتمر . وكان على الاشهر التي تفصل بين تشرين الاول ١٩٦٨ ونيسان ١٩٦٩ ان تعد لانعقاده .

خاتمة : المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني

الخلفية التاريخية :

افتتح المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني في بكين في الاول من نيسان ١٩٦٩ . وكان المؤتمر السابق قد انعقد عام ١٩٥٦ . بذلك لم يعقد الحزب الشيوعي الصيني اجتماعات شاملة خلال ثلاثة عشر عاما . والسبب واضح الان : لم تكن الانقسامات العميقة في هيئاته القيادية تسمح بالتبني الواسع لخط سياسي ثوري . فقبل عام ١٩٦٩ ، كان لمؤتمر ان يكشف اختلافات ملموسة .

اريد هنا ان اعبر عن شعوري حول تعليل معين اعطي في الخارج لذلك الوضع . وهو رغم انتشاره ليس صحيحا . ما المقصود ؟ ان كثيرا من المختصين بالمسائل الصينية يتفقون على ارجاع مصدر الصراع بين انصار ماو وأنصار ليو شاوشي الى عام ١٩٥٨ . انني اعتقد ان عام ١٩٥٦ يمكن ان يكون تاريخا اكثر صحة ، رغم ذلك فقد اعتبرت في مقدمة هذا الكتاب ان عام ١٩٥٨ يشكل حدا . مع ذلك فقد ساهم بعض المعلقين على ترسيخ رؤية للتطور الصيني منذ عام ١٩٥٨ ، تبدو لي موضع جدل.

وبايجاز تبدو تلك الرؤية على هذا الشكل : عام ١٩٥٨ اطلق ماوتسي تونغ القفزة الكبرى الى الامام محاولا بذلك الابتعاد بالصين عن النموذج الاشتراكي السوفياتي ، وكان ذلك فشلا كاملا . وفي عام ١٩٥٩

رفضت اكثرية في اللجنة المركزية تأييد السياسة التي شرع بها على هذا الشكل . وفي هذه المناسبة برز المارشال بنغ ته‍هوه على رأس المعارضة . وقد شكل ذلك صفعة قاسية لماوتسي تونغ الذي استبدل بليو شاوشي في رئاسة الجمهورية . واعتبارا من عام ١٩٦٢ ، شرع ماوتسي تونغ بعد ان ابعد عن السلطة باستعادتها باطلاقه لحركة التربية الاشتراكية ثم الثورة الثقافية البروليتارية. وفي مجرى هذه ، باستناده الى مجموعات من خارج الحزب وعلى قسم من الشبيبة المنظمة في تشكيلات شبه عسكرية (الحراس الحمر) ، توصل شيئا فشيئا الى ازاحة اخصامه عن مراكز المسؤولية (نقل السلطة وانشاء اللجان الثورية) والى توطيد سيطرته على الحزب بعقد مؤتمر ، والى دفع لجنة مركزية معدلة لتبني آرائه . ان هذا التحليل هو من الانتشار بحيث تصعب محاربته ، خاصة وأن المعرفة بالصين ومشاكلها محدودة جدا في بلادنا. ويبدو ان الاوساط الحكومية الفرنسية تأخذ به دون روح نقدية ، «يرشدها» «خبراؤها» الفريدون . مع ذلك فان هذا التحليل ليس خاليا من الضعف وهو يرتكز على تعليلات متهافتة .

اولا ، ان الفكرة القائلة بأن القفزة الكبرى الى الامام كانت فشلا كليا هي فكرة مبالغ بها ، فمما لا يقبل المجادلة انه لم تبلغ جميع الغايات المستهدفة . فليس اكيدا انه لم يحصل على نتائج جوهرية . ان وجود الكومونات الشعبية يرجع بالتحديد الى ذلك التاريخ ولا يجادل كثيرا في انها الان مؤسسة حية، متينة وفعالة. اما ان الاكثرية كانت ضد ماوتسي تونغ في اجتماع اللجنة المركزية عام ١٩٥٩ فأمر يحتاج الى اثبات . فينبغي ان يفسر ، رغم انه في موقف أقلي ، كيف توصل الى الحصول على الاصوات من اجل طرد بنغ ته‍هيه خلال ذلك الاجتماع . وأن يكون ليو شاوشي قد خلفه في رئاسة الجمهورية فهذا ليس أمرا مقنعا كثيرا. في جميع البلدان الشيوعية ، دون استثناء ، هذا المركز ليس مركزا رئيسيا بعكس رئاسة اللجنة المركزية والامانة العامة ورئاسة الحكومة ووزارة الدفاع الوطني .

وأكثر من ذلك ، اذا اكدنا ان الاغلبية كانت ضد ماوتسي تونغ فاننا ننتهي الى استنتاج ، لم يتراجع حياله التحليل المذكور اعلاه: ان السلطة قد افلتت منه . اذا كانت الحالة هكذا ، يمكن لنا ان نتساءل كيف كان باستطاعته ان يغلب وجهات نظره المتعلقة بمتابعة الصراع الطبقي في المرحلة الاشتراكية ، خلال اجتماعات العمل للجنة المركزية في كانون الثاني وآب من عام ١٩٦٢ ، بل على الأخص ، كيف يفسر ان ماو المجرد من السلطة استطاع في الدورة العامةالعاشرة للجنة المركزية المنعقدة في ايلول ١٩٦٢ ان يحصل على ادانة آراء ليو شاوشي وأنصاره باعتبارها

انحرافا يمينيا ، كما كانت تعلن عنه ملصقات مختلفة في الصين خلال الثورة الثقافية . وكثير من الاسئلة يمكن ان تطرح كذلك : كيف نجح ماو باطلاق حركة التربية الاشتراكية عام ١٩٦٣ اذا كان مجردا من السلطة؟ والتربية الاشتراكية كانت بقيادة منظمات الحزب ولم يحصل تدخل من قوى خارجية . وكيف له ان يدين الخط الذي طبقه ليو شاوشي عام ١٩٦٤ في تاو يوان وأن ينشر ٢٣ مقالا جسدت تلك الادانة ؟ وأخيرا كيف تبنى الحزب الشيوعي الصيني الموقف غير المساوم ازاء الاتحاد السوفياتي، والذي نعرفه ، عام ١٩٦٢ و١٩٦٤ ، وماو مبعد عن السلطة؟ في عام ١٩٦٤ تجسدت المناظرة مع السوفيات ، في بكين ، بنشر وثيقة تدعى الرسالة المؤلفة من ٢٥ بندا والتي تحدد خطا «متصلبا» للحركة الشيوعية. وواضع هذه الوثيقة التي تلخص المبادىء السياسية للحزب الشيوعي الصيني هو ماوتسي تونغ . وأخيرا ، كيف ان ماو ، دون دعم من اللجنة المركزية ودون سلطة ، كان باستطاعته ان يعلن الثورة الثقافية البروليتارية عام ١٩٦٥ . في رأيي ، انه بعيد عن الاحتمال ان ماو كان في موقف أقلي في اللجنة المركزية وأبعد منه ان يكون قد فقد السلطة الفعلية في وقت ما. وبالمقابل لا يوجد سبب لعدم تصديقه عندما كان يقول في تموز ١٩٦٧ (١) انه لم يكن يتمتع الا بأغلبية ضئيلة : وهذا يفسر بشكل مقنع تطور السياسة الداخلية الصينية من عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٩ . فكان ماوتسي تونغ ، متمتعا بأغلبية ضئيلة ، يستطيع ان يغلب آراءه ، لكنه لا يستطيع التخلص من معارضيه . فليو شاوشي الذي أدين عام ١٩٦٢ وعام ١٩٦٤ ، باعتباره منحرفا ، لم يجر طرده . ان خطوة بمثل هذا الحسم كانت تتطلب اغلبية اكثر متانة وحملة سياسية كبرى ضد الشخص المعني . وقد اتاحت الثورة الثقافية بلوغ هذه الاهداف .

ان اهمية المؤتمر التاسع المنعقد في نيسان ١٩٦٩ تأتي اذن من كون عقده ممكنا اكثر من انه قد اتى بجديد . رغم ذلك فليس صحيحا التأكيد بأنه في حد ذاته غير ذي اهمية .

بعض دروس المؤتمر :

يسترعي الانتباه ثلاث وثائق نشرت في أعقاب المؤتمر . الاولى هي التقرير السياسي الذي قدمه لين بياو . ان هذا النص طويل جدا ولا

---

(١) انظر الملحق الرابع .

يمكن رؤيته هنا تفصيليا . وهو منتشر كثيرا ومعرفته سهلة (١) . وهو يضع بيانا بالثورة الثقافية اكثر من اعلانه لبرنامج وفي هذا المعنى يأتي بقليل من العناصر الجديدة. وهو يروي مقدمات وتاريخ الثورة الثقافية، لكن بشكل موجز جدا . أما اقسامه الهامة الثمانية فتستعيد الموضوعات الكبرى للثورة الثقافية : دعم الجيش ومحبة الشعب ، محاربة النزعة الفردية والتحريفية ، القيام بمهمة الصراع ـ النقد ـ الاصلاح ، القيام بالثورة ودفع الانتاج الخ . ويؤكد من جديد على معايير عمل الحزب الشيوعي الصيني . وضرورة اتباع خط جماهيري . ويحدد مبادىء السياسة الخارجية الصينية .

وبالمقابل تأتي انظمة الحزب الشيوعي بشيء جديد : فهي تتسم ، بوضوح ، بالاهتمام بتجنب شطط المركزية وتوطيد الديمقراطية الداخلية . وكان يظهر الخوف من ان يحتمل قيام قادة تحريفيين باستغلال نظام الحزب وتصلب البنى التنظيمية لحسابهم . وفي حال ظهور ليو شاوشي جديد يحاول الاستيلاء على السلطة ، اراد واضعو انظمة الحزب ان تكون ايدي اعضاء الحزب طليقة في التمرد . وبذلك كان يجب ان تستحيل الضغوط البيروقراطية . وتستجيب لهذا الاهتمام صياغة المادة الخامسة التي تعترف بنوع من «حق الانشقاق» :

«يجب على الهيئات القيادية على جميع المستويات ان تقدم تقريرا عن عملها بشكل منتظم في الاجتماعات والجمعيات العمومية للاعضاء، وأن تستقبل باستمرار ، داخل الحزب وخارجه ، رأي الجماهير ، وأن تقبل بمراقبتها . **ولكل عضو الحق بتوجيه النقد والاقتراحات الى منظمات الحزب والقادة على جميع المستويات . وكل عضو على اختلاف مع قرارات وتعليمات منظمات الحزب له حق الاحتفاظ برأيه والتوجه مباشرة الى المستويات العليا حتى اللجنة المركزية ورئيس اللجنة المركزية».** ينبغي خلق جو سياسي حيث تسود الديمقراطية والمركزية في آن واحد، والتنظيم والحرية، وحدة الارادة وفي نفس الوقت لكل واحد حالة نفسية من الرضى والحماس » .

ولكي نحكم على هذا الاجراء يجب القول انه جديد تماما في الصين وفي كامل الحركة الشيوعية العالمية . فمنذ سنوات طويلة كان الشيوعيون يتعلمون كعقيدة ، طاعة قيادييهم غير المشروطة . وفي هذا الميدان يقوم الشيوعيون الصينيون اذن بتجديد ملحوظ .

وهناك اجراء تنظيمي اخر ـ المادة ١٢ ـ تكشف ايضا الروحية التي يجب ان يعمل فيها الحزب الشيوعي الصيني . ان مهمة الشيوعيين هي

---

(١) انظر الكتيب الصادر عن دار النشر باللغات الاجنبية في بكين عام ١٩٦٩ .

«قيادة الدراسة والتطبيق الحي من قبل اعضاء الحزب والجماهير للماركسية ـ اللينينية ـ الماوية . وأيضا في ذهنية الثورة غير المنقطعة: «تربية اعضاء الحزب والجماهير باستمرار على فكرة الصراع الطبقي والصراع بين خطين ، وقيادتهم بحزم في المعركة ضد العدو الطبقي» .

والوثيقة الثالثة الجديرة بالانتباه هي قائمة المسؤولين الجدد المنشورة في أعقاب المؤتمر ، وخاصة على مستوى المكتب السياسي . من الطبيعي ان ماوتسي تونغ بقي رئيس اللجنة المركزية . وقد اصبح ماو نائبه الوحيد . قبل الثورة الثقافية كان شو آن لاي وليو شاوشي ايضا نائبي رئيس اللجنة المركزية . والان أصبح لين بياو وحده ولا يوجد اعلى منه سوى ماو .

وقد خفض عدد الهيئة الدائمة للمكتب السياسي، هذه الهيئة التي تقود الصين فعلا . فلم يعد يوجد فيها الى جانب ماو ولين بياو سوى المخلص تشن بوتا وشو آن لاي وكانغ شنغ (١) . على هذا المستوى ، يوجد اذن وحدة متينة .

اما بالنسبة لقائمة اعضاء المكتب السياسي ، فتكشف تصفية جميع المعارضين : ليو شاوشي ، تنغ هزياو بنغ ، تاوشو ، تان شن-لن، بنغ شن ، لوتنغ يي . وتكشف ايضا دخول انصار ماو بشكل واسع : فيوجد فيها بين آخرين : زوجة ماوتسي تونغ كيانغ تسنغ ، وزوجة لين بياو ، يه كيون وياو ون-يوان ، تشانغ تشوون-كياو ، سي فو-تشه ورئيس حرس ماوتسي تونغ : وانغ تونغ-هزنغ ورئيس القطاع العسكري في كانتون الذي رأينا الصعوبات التي تعرض لها عام ١٩٦٧ ، والذي اصبح رئيس الاركان في جيش التحرير الشعبي : هوانغ يونغ شنغ ، الخ ..

وتجدر الملاحظة بأنه لم يعد عضوا في المكتب السياسي شخصيتين هامتين : شن يي وزير الخارجية ولي فو-تشوون الوزير المكلف بالتخطيط ، ودون ان يكونا قد صنفا في فئة الزوزوباي . ان هذا الابعاد عن المكتب السياسي هو بلا شك المقدمة لانسحابهما من الحكومة ، والذي سيقرر بعد انعقاد اجتماع الجمعية الوطنية الشعبية. ويبرهن هذا الابعاد انه اذا لم يقبل بجميع الاتهامات الموجهة الى شن يي ، وبالتحديد من قبل اليساريين المتطرفين صيف ١٩٦٧ ، فان وزير الخارجية وزميله قد ارتكبا اخطاء خطيرة . ودون ان يغرقا في المعارضة فقد اظهر الوزيران عن ميول بيروقراطية وعجزا عن التكيف مع الاحداث الثورية، وقد عجلت من تقاعدهما . على هذا الوجه ينبغي تعليل ابعادهما .

---

(١) انظر القسم الاول .

تروى في بكين هذه النادرة : قبل انعقاد المؤتمر التاسع ببعض الوقت ، ابلغ شن يي ، ماوتسي تونغ عن نيته بعدم حضور المؤتمر وبالانسحاب من الحياة السياسية النشيطة . فحاول ماو اقناعه بالمجيء الى المؤتمر . فأصر شن يي قائلا : «سأكون وجها هزيلا . لقد اتخذت موقفا يمينيا في بعض مراحل الثورة الثقافية . ان حضوري لا معنى له» فرد ماو ، مبتسما: على العكس، «تعال الى المؤتمر فتمثل فيه اليمين» . .

خاتمــة :

هل توصلت الثورة الثقافية البروليتارية الى اهدافها ؟ يؤكـــد البعض ، في الخارج ، بأنها توجت بفشل : والحقيقة أن لديهم الاقتناع او الانطباع بأن الاضطرابات التي اتسمت بها جرت في الميدان الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الى كوارث خرج منها البلد مضعفا الى حد كبير. وكما حاولت ان أبين ، ان هذا خطأ في التقدير عميق .

هل كانت الثورة الثقافية نجاحا كاملا ؟ لا يمكن الاجابة على هـذا السؤال الا اذا ميزنا بين مستويات مختلفة تقابل اهدافا مختلفة . ففـي الصراع الذي جرى بين الماويين وكتلة ليو شاوشي امر لا يقبل المجادلة ان هذه الاخيرة قد انهزمت تماما : فتصفيتها من جميع مراكـــز المسؤولية كاملة . وفقدان الرصيد الذي لقيته كان عميقا . هنا سيذكر البعـــض بالعوائق امام التطور الاقتصادي واختلاله ، وكذلك بالمقاومة التي لقيها الماويون . وذلك من اجل التشديد على الثمن المرتفع الذي كان عليهـــم دفعه ليتوصلوا الى اهدافهم . والواقع اعتقد انني بينت ان الاضطرابات، بعيدة عن ان تكون حادثا عرضيا اتى يهدم مشروعا لم يتوقعه ، كانت على العكس ، منذ البداية ، معتبرة كمخاطرة عادية ، متقبلة وحتمية في كل ثورة . هل اصيب الاقتصاد جديا من هذا الوضع ؟ في الخارج، انتشرت حول هذا الموضوع تأكيدات مبالغ بها . فأن تكون الحياة الاقتصادية قد تعرقلت وتباطأت هذا امر لا ينكر . ولن اقدم على ذلك دليلا سوى تقنين الفحم الذي كان لنا ان نعاني منه خلال شتاء ١٩٦٨ . رغم ذلك لا ينبغي لنا ان نخلص الى وجود ازمةاقتصادية وشلل ومجاعة : فخلال سنتـين من الثورة الثقافية لم الاحظ ندرة في الاسواق او في المخازن . فهـذه كانت على الجملة تمون بشكل منتظم ، وبقي ممكنا الحصول على جميع المنتجات ، ولم يعمد الى اي تقنين . وما عدا الفحم الذي اعطي بكميات صغيرة للأهاليعام١٩٦٨ ، كان التموين بالطاقة طبيعيا، وتوقف المواصلات ضئيلا نسبيا . وتؤيد جوهر هذه المعطيات الشهادات التي كـان لي ان احصل عليها من اجانب يقيمون في مدن متباعدة عن بعضها البعض الى هذا الحد كشانغهاي وهاربين وسيان وكانتون او تينتسين .

وقد يظن ، ان الاضطرابات السياسية والنزاعات المستديمة بـين

الكتل قد اظهرت على الأقل معارضة قوية ضد ماوتسي تونغ ، والدعامات الهامة التي كان يتمتع بها ليو شاوشي بين السكان . وبذلك يكون انتصار ماو سريع العطب . انني آمل ان يكون هذا الكتاب قد برهن وهمية هذه الرؤية للأشياء . وهكذا كانت آلية الثورة الثقافية بحيث لم يعد النظر ، في اي وقت ، بالميثاق الايديولوجي وبدعم النظام الماوي . ولم يعلن احد ، خلال النزاعات بين المحافظين والثوريين ، انتماءه الى ليو شاوشي . وعلى النقيض كان كل واحد يؤكد اخلاصه لماوتسي تونغ، الامر الذي سمح له بالقيام بالتحكيم بسلطة معنوية تامة . ومن ناحية اخرى فالاضطرابات الكبرى لم تنشأ عن صراع بين المحافظين والماويين ، بل عن انشقاق بين هؤلاء الاخيرين . ونحن نتذكر ان صيف ١٩٦٧ شهد بلوغ هذا التناقض ذروته : فالاصطدامات العنيفة وخطر انقسام الجيش الذي نتج عنها ، لا يمكن بذلك نسبته الى نفوذ ليو شاوشي .

ان الاضطرابات التي حصلت في الصين قد ضخمت في الخارج : بشكل مقصود او عفوا ، لم يرد بعض الصحافيين والمعلقين رؤية سواها، ورغم ذلك لم تكن السمة الرئيسية للثورة الثقافية. ولا ينبغي ، بالمقابل، التقليل من حجمها . فالحقيقة انها ولو لم تكن بمثل الكثرة والحدة التي نسبت اليها ، كانت حقيقية وضرورية بنظر دعاة الثورة الثقافية . والواقع ان احد اهداف ماوتسي تونغ كان اعداد الاجيال الجديدة عبر تجربة ثورية . والحال ، فأولئك الذين لم يعرفوا المجتمع القديم مهددون بالنشوء في السهولة وفقدان الصلابة .

كان على الثورة الثقافية ان تمرر ملايين الشبان الصينيين في مدرسة الممارسة القاسية ، باطلاقها للطاقات والميول المتناقضة واحيائها لنزاعات الكتل المتعددة الحامية والعنيفة احيانا .

هل بلغت الثورة الثقافية غايتها على هذا المستوى ؟ هذا ما يصعب تقديره طالما ان ذلك النجاح ما يزال صعبا على التحليل. لكنني اعتقد انها بلغت غايتها . فلا يمكن انكار ان الجماهير الشعبية كانت معبأة بشكل عميق . والمجتمع الصيني المديني قد شمله الغليان الثوري . ولا يمكن المجادلة بأن الشبيبة كانت في طليعة النشاط في جميع الاوساط . لكنها اذا كانت اظهرت في هذه المناسبة عن ميل الى العراك ، الذي لا ينبغي ان يزعج ماو ، فقد اظهرت ايضا ميولا نحو التشويش وعدم الانتظام . وقد ظهرت قدراتها التنظيمية محدودة جدا . وبالنسبة لكثير من الشباب الصينيين ، تتهدد بترك ذكرى فترة رفض وتمرد وحرية واسعة جدا . وبذلك على النظام الذي يحاول ان يلائم بين الحرية والنظام والديمقراطية والمركزية ، عليه ان يكمل تربيتهم السياسية .

والهدف الثالث الذي وضعته الثورة الثقافية لنفسها كان تأمين

سيادة الايديولوجية الماوية على التحريفية . وقد بينت ، في مقدمتي ، ان هذا كان يقابل جهدا ضخما من التسييس والتكوين الايديولوجي الذي يجب ان يقود الى استئصال النزعة الفردية ولجم التأثيرات الثقافية والاجتماعية للتراث . وقد بينت كيف ان الاشتراكية بنظر ماوتسي تونغ هي جماعية من حيث الجوهر ولا يمكن ملاءمتها مع النزعة الفردية والميل الى الملذات الشخصية والمفهوم الاناني للعالم . ومن هنا هدف اعادة بناء عقلية البشر وخلق الانسان الجماعي الكلي . ومن هنا ايضا ضرورة مكافحة عادات وتقاليد الماضي التي كانت مستمرة بالتأثير على سلوك الصينيين تحت النظام الجديد .

وفي نطاق الصين الخاص قاد ذلك الى محاربة الكونفوشيوسية وهذا ما رأينا جانبا منه في نقد كتاب ليو شاوشي ، وكذلك انحرافات وثقافات وآداب الماضي والماندارينا mandarinat والنظام القديم بشكل عام . وقد قاد الاهتمام بسد الاقنية التي يتسرب بواسطتها التراث الى تدابير حازمة . فتجري في البلاد دعاية يومية قوية تحت أشكال مختلفة . منذ الصفوف الاولى تدرس نصوص من مؤلفات ماوتسي تونغ ، وتقدم التربية الثوريه في كل مكان . وتنشر اجهزة الحزب جوا مسيطرا من الصراع الطبقي والثورة. وتبث الاذاعة باستمرار نصوصا ماوية وأخبارا من شأنها ان تحافظ على جو نضالي . وتعج جدران المدن وواجهات البيوت والمدارس وأمكنة العمل والمطاعم وأماكن التنزه بالمقتطفات الثورية والنداءات من اجل التحرك .

وهنا ايضا سجل قادة الثورة الثقافية نجاحات هامة . فليس لنا الا ان ننظر الى الحقد الذي يثيره ذكر الملاكين العقاريين والكومنتانغ والنظام القديم والتحريفية بوجه عام ، والى اختفاء الثياب التقليدية والاسلوب القديم في ترتيب المنازل والمحلات ، والكبرياء الحقيقية لكون البعض عاملا او ابن عامل واندفاع الكثيرين الخالص والحر للتفاني من اجل الجماعة ، وذلك لنقتنع بأن الماويين قد نجحوا الى حد لا يستهان بهبالقيام بانقلاب القيم الذي كانوا يأملونه، وعلى اعلاء الغيريةوالبروليتاريا والمثال الثوري .

هنا مع ذلك ربما تصادف الثورة بعض الحدود الاكثر بروزا . ان هيمنة الايديولوجية البروليتارية على الايديولوجيتين البورجوازية والاقطاعية تأكدت الان . لكن ، في هذا المجال ، لا يمكن ان يوجد حتى الان انتصار نهائي . فيجب علىالماوية ان تستمر في النضال ضد التراث لان هذا يحاول البقاء بأشكال جديدة وخداعة .

ويمكن لنا ان نلاحظ نوعا من الشكلية التي تقود الى النضال ضد التراث بوسائل موروثة عن التراث : في الصباح ، قبل البدء بالعمل ،

يتجمعون من اجل قراءة مقتطفات من اقوال ماوتسي تونغ . وفي بداية كل اجتماع يدعون له بحياة طويلة . وتنسب دون تحفظ الى عقيدته الاكتشافات العلمية والشفاء الذي يقوم به الاطباء والنجاحات التي يقوم بها عمال او جنود . وفي الخارج لا يعرف دائما أن ماوتسي تونغ استنكر غالبا التمجيد المبالغ الذي يعطى له هكذا (١) .

ويدعي البعض ان الماوية هي دين جديد . ومن المؤكد ان هذه رؤية سطحية وتخطيطية . ان ما ينبغي فهمه هو انه مكان الطقوس والحكم الكونفوشيوسية والبوذية التي طبعت العقلية الصينية منذ آلاف السنين، يراد احلال آداب وحكم ثورية . خاصة وان التراث يجثم بقوة على وعي الجماهير . ومن طبيعة تكيفهم ، تجابه بقوة اعلى : قوة هذه الجماهير المسلحة بالحزب ذي الافكار البروليتارية الثورية . لكن ان يكافح التراث بطرق مأخوذة من التراث قد يقود الى خطر بقائه عن طريق هذا الالتواء .

ان الصين بلد تجبره على العيش منكفئا على نفسه الضغوط السياسية والعسكرية الخارجية وجغرافيته وارثه التاريخي . هل يمكن لبلد كهذا ، مع مبادلات واتصالات محدودة بالخارج ، ان يجد داخله الطاقة الكافية من أجل تحطيم تكيفه الذاتي واعادة خلق تكيف مختلف كليا ؟ ان الثورة الثقافية التي جرت منتصرة من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٦٩ ، تسمح بالاجابة بنعم على هذا السؤال . مع ذلك لا يمكن اعتبار المشكلة محلولة بشكل نهائي ومن المحتمل انها ستستمر مطروحة خلال عشرات السنين .

والآن ، يوجد اسباب عديدة للأمل بأن يستطيع مثل ماوتسي تونغ الاعلى الثوري البروليتاري من تجنب الغرق في محيط الاقطاعية والمثالية اي التراث الصيني . ولكن من اجل ذلك ستكون ضرورية التجارب المتكررة . وبذلك يفهم تأكيد ماوتسي تونغ عام ١٩٦٧ : ليست الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الحالية سوى الاولى من نوعها ، وفي المستقبل ستحصل بالضرورة ثورات مماثلة مرات عديدة(...) وعلى جميع اعضاء الحزب والشعب ان يحترسوا من الاعتقاد (...) بأن كل شيء سيجري على ما يرام بعد ثورة ثقافية او اثنتين او ثلاث او اربع . فينبغي علينا ان نحافظ على انتباه خاص وأن لا نرخي تيقظنا في اي مجال» .

---

(١) عام ١٩٦٧ ، الغى ماو بيده عبارة «المربي الكبير والمرشد والقائد والربان» المستعملة بوصفه في البيان الذي يعلن تفجير القنبلة الهيدروجينية. وعام ١٩٦٨ منع الكلام عن «غرس السيطرة المطلقة» لفكره . ومنذ وقت قريب استنكر الانتاج الفخم لشارات تحمل صورته . وأعلن ان هذا كان تبذيرا لمعدن له استعمالات اكثر ضرورة .

مـــلاحق

الوثيقة الاولى

هذه الوثيقة تسمح بتكوين صورة ملموسة كفاية عن الشكل الذي تظهر به المعارضة في النظام الشيوعي الصيني : فلا تظهر اطلاقا صورتها الحقيقية باستعمال التلميحات المداورة وباللجوء الى مختلف التمويهات الساذجة جدا احيانا .

«احاديث المساء في ينشان» لمؤلفها تنغ تو : مجموعة من التلميحات المعادية للحزب والاشتراكية .

١ ــ حملات غادرة على حزبنا العظيم

حملات غادرة على الموضوعة العامية: «ريح الشرق تتغلب على ريح الغرب»، بوصفها كلاما أجوف كبيرا وكليشه :

وهب، بعض الناس سهولة في الكلام (١) . يستطيعون ان يتكلموا دون انتهاء وفي اية مناسبة ، كما يسيل الماء من نهر لم تقم عليه السدود. الا انك اذا حاولت ان تتذكر ما قالوا بعد ان تكون قد اصغيت اليهم ، فلن تتذكر شيئا .

الاحاديث الطوال التي لا تعدل شيئا وزيادة الغموض بمزيد من الايضاح او اعطاء الايضاحات التي لا توضح شيئا ــ تلك هي سمات الكلام الأجوف الكبير .

لا يسعنا انكار ان هذا الكلام الاجوف الكبير لا مفر منه في بعض الظروف الخاصة ولذا فهو ، بمعنى ما ، ضرورة . ومع ذلك ، فانه يبقى من المؤسف كل الأسف ان يصبح هذا الكلام الاجوف الكبير زيا سائدا يسبغ على كل مناسبة او اذا ما عني بتربيته كمهارة خاصة .

---

(١) جرت الاستعانة بالترجمة العربية في مجموعة الوثائق المنشورة في كتاب الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى في الصين (دار دمشق).

ويكون البلاء اعظم اذا ما لقن اولادنا هذه المهارة فتحولوا الى شراذم من الاختصاصيين في الكلام الأجوف الكبير .

شاءت الصدف ان ابن جاري قد اكثر مؤخرا من تقليد احد كبار الشعراء فكتب طائفة من «الكلام الأجوف الكبير» كتب اخيرا قصيدة عنوانها «انشودة الى الاعشاب البرية» لا تعدو كونها كلاما اجوف كبيرا. جاء فيها :

السماء الجليلة أبونا ،
والارض العظيمة أمنا ،
والشمس مرضعنا ،
وريح الشرق فيها الخير لنا
وريح الغرب تعادينا .

وعلى الرغم من ان ألفاظا مثل السماء والارض والاب والأم والشمس والمرضع وريح الشرق وريح الغرب تستوقف النظر ، فانها **قد استعملت ههنا بلا هدف وأصبحت مجرد كليشهات .**

ان اللجوء الى اروع الالفاظ والعبارات عبث . بل ان الوضع ليزداد سؤا كلما كثر استخدام هذه الكليشهات. لذا فاني انصح هؤلاء الاصدقاء الذين يتعاطون الكلام الفارغ الكبير ، ان يزيدوا من المطالعة والتفكر ويقلوا من الكلام ويخلدوا الى الراحة عندما يحين أوان الكلام ، بحيث يوفرون الوقت والطاقة على انفسهم وعلى الاخرين .

(من مقال : «الكلام الفارغ الكبير»)
خط الجبهة ، العدد ٢١ ، ١٩٦١ .

التعليق :

ان «ريح الشرق تتغلب على ريح الغرب» هي موضوعة علمية قدمها الرئيس ماوتسي تونغ الى اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية في ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٧ . وهي تعبر بالمجاز الحي ، عن بلوغ الوضع الدولي نقطة تحول جديدة وعن ان قوى الاشتراكية قد تفوقت على قوى الامبريالية . وترمز ريح الشرق الى القوى الثورية المعادية للامبريالية وهي قوى البروليتاريا العالمية والشعوب المضطهدة في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية . وترمز ريح الغرب الى قوى الامبريالية والرجعية المنحطة في كل البلدان . ومن الصحيح كل الصحة ان يمتدح المرء ريح الشرق ويكره ريح الغرب . فلماذا يختار تنغ تو النص «ريح الشرق فيها الخير لنا وريح الغرب تعادينا» ويصفه بأنه كلام فارغ كبير وكليشه ؟ لقد قال المحرفون بصخب انه ينبغي «معارضة النظريات العقيدية حول

تنافس خرافي بين «ريح الشرق وريح الغرب» بمزيد من الاقدام والحزم» وهكذا فان تنغ تو يضرب ههنا على وتر المحرفين اياه .

٢ ـ الغمز بأن قيادة حزبنا «مغرورة» وبأنها «تتعالى على الجماهير»

ليست حكمة الانسان غير محدودة أبدا . والاحمق وحده يتخيل أنه يعلم كل شيء وأن له معينا من الحكمة لا ينضب ، اذ ان ذلك يستحيل في الواقع اطلاقا ... ويبدو بعض الناس حاذقين ، ولكنهم في حدود الدقة ليسوا حاذقين الا ظاهرا او حاذقين على نحو تافه ، ولا يمكن اعتبارهم حاذقين حقا ، بله حكماء .

وقد اتخذ لاوتسو (فيلسوف قديم) موقفا متطرفا حيال ذلك ، ثم اتخذ ملوك الممالك الست من بعد موقفا متطرفا في الاتجاه المقابل . اراد الاول طمس كل حكمة وحس سليم ونكران كل شيء ، في حين اعتمد الآخرون على حكمتهم الخاصة وانتابهم الغرور . ولم يدرك اي منهما طبعا نتائج حسنة كان مصدر الخطأ لديهم انهم لم يقدروا حكمة الجماهير .

ان أجود الافكار لا يمكن ان تصدر الا من الجماهير . كتب كبير الوزراء كوانغ هنغ في عهد الامبراطور يوان من اسرة هان ، مذكرة الى الامبراطور قال فيها : «سمعت ان على المرء ان يشاور سواد الناس وينصاع اليهم حيث ان هذه هي ارادة السماء» .. وفي زمان الامبراطور كوانغ وو من الاسرة ذاتها، قدم العالم الشهير تشنغهسينغ ايضا نصيحة الى الامبراطور بأن عليه ان «يسأل الآراء من كل صوب ويتقبل الاقتراحات من تحت» . وقدم فان ـ ياو فو بن تشونغ ـ ين من اسرة سونغ النصيحة التالية الى سوما كوانغ : «آمل انك سوف تكون متواضعا بحيث تشجع مناقشة شؤون الدولة بين الجماهير . لا ضرورة ان يخطط المرء كل شيء بنفسه . وعندما يخطط المرء كل شيء بنفسه فان المتملقين سوف ينتهزون الفرصة ليقولوا له ما يطيب له» . ان آراء هؤلاء الأقدمين كلها جيدة جدا . وفكرة فان ياو ـ فو بان «لا ضرورة ان يخطط المرء كل شيء بنفسه» جديرة باهتمام خاص . **الا ان بعض الناس ، مع ذلك يخامرهم التبجح والغرور باستمرار ، ويتعالون على الجماهير ، ويتخذون كل القرارات بانفسهم ، أملا في تحقيق النجاح بأفكار فذة ، ويرفضون النصح الطيب الذي يأتي من تحت. فاذا لم يع مثل هؤلاء الناس مثالبهم ولم يحاولوا التغلب عليها ، فلا بد ان يعانوا نكسات بليغة .**

(من مقال «هل يمكن الاعتماد على الحكمة ؟» احاديث المساء في ينشان ، المجلد الرابع ص ١٧ ـ ١٩ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ٢٢ شباط ١٩٦٢) .

التعليق :

لماذا يستسيغ تنغ تو حاليا قصصا قديمة مثل قصة كوانغ هنغ ينصح الامبراطور يوان بان «يشاور سواد الناس وينصاع اليهم»، وقصة تشنغ هسينغ ينصح الامبراطور كوانغ وو بان «يتقبل الاقتراحات من تحت» ؟ انه يهاجم حزبنا العظيم هجوما ملتويا بأنه «مغرور ويتعالى على الجماهير». ويتضح ذلك عندما نقارن اقواله بما يفتريه المحرفون ضدنا. الا يطابق كلام تنغ تو ما يصم به المحرفون المحدثون حزبنا ؟

٣ ـ التخرص على حزبنا بانه «يرجع عن كلامه» وبأنه «غير اهل للثقة»

ما اكثر الناس المصابين بالامراض ... ويدعى احد هذه الامراض «فقدان الذاكرة» . ما أتعب هذا الداء فلا يسهل شفاء المصابين به .

وكثيرا ما يبدي مثل هذا المريض ... أعراضا من نوع الرجوع عن كلمته والنكوص بعهده حتى ان القوم يميلون الى الظن بأنه يتظاهر بالبلاهة ولذا فلا يكون اهلا للثقة ...

وهناك حكاية تمثل **حالة نموذجية** من فقدان الذاكرة ، يرويها لو تشو من عهد اسرة مينغ في كتاب «قصص اخرى على لسان آي تسو»:

كان في دولة تشي رجل شديد النسيان حتى انه نسي مرة بعد ان اخذ يمشي ونسي ان ينهض بعد ان اضطجع ، فقلقت زوجته قلقا شديدا وقالت له : «سمعت ان آي تسو رجل ذكي حاذق وأنه يستطيع علاج اكثر الامراض تحييرا . فلمَ لا تذهب وتستشيره؟» . اجاب الرجل: «حسنا» . وركب حصانه حاملا معه قوسه وسهمه . وبعد ان سار قليلا ادركته حاجة فترجل وغرز سهمه في الارض وربط حصانه بشجرة . وبعد ان قضى حاجته نظر الى يساره فشاهد سهمه وصاح : «يا الهي ! ما أدهش نجاتي ! من اين اتى هذا السهم ؟ انه كاد يصيبني» . ثم نظر يمنة فرأى حصانه وصاح فرحا : «على الرغم من فزعي فها انا واجد حصانا» . وعندما هم بالركوب ثانية والعنان في يده، داس في غائطه على غرة ، فضرب الارض بقدمه متبرماً : «لقد دعست في روثة كلب ووسخت حذائي ! يا للأسف !» ثم ساط حصانه وعاد الى بيته . وصل بيته فتردد امام الباب متسائلا «من ترى يسكن ههنا ؟ هل هذا بيت المعلم آي ؟» فرأت زوجته في اية حيرة هو وعلمت انه فقد الذاكرة من جديد فأخذت توبخه . دهش الرجل وسأل : «اننا لا نعرف بعضنا يا سيدتي فلماذا تشتمينني ؟»

يبدو ان هذا الرجل كان مصابا بحالة بليغة من فقدان الذاكرة .

لكننا لا نستطيع الجزم كيف تكون هذه الحالة في أسوأ صورها والارجح انها تؤدي الى الجنون او البلاهة .

ان احد اسباب فقدان الذاكرة ، وفقا لكتب الطب الصينية القديمة ... هو الاضطراب في عمل ما يسمى نفس الحياة . وبنتيجته فلا يشكو المريض من فقدان الذاكرة وحسب ، بل يصبح بالتدريج **متقلب الأهواء** ، ويعاني صعوبة كبرى في النطق ، ويصبح سهل الاثارة حتى انه ينتهي الى الجنون ويهيم على وجهه . وهناك سبب اخر هو الآفة الدماغية . فيشعر المريض بالخدر احيانا ويندفع الدم من قلبه الى رأسه ، متسببا بالاغماء في بعض الاوقات . واذا لم يعالج في الوقت المناسب ، اصيب بالبلاهة . فاذا ما وجد امرؤ ايا من هذه الاعراض في نفسه ، **وجب عليه** ان يخلد في الحال الى الراحة التامة ، فلا يقول او يفعل شيئا . اما اذا أصر على الكلام والعمل ، فلا بد انه ساع الى المتاعب .

الا توجد حقا طرق ناجعة لمعالجة هذا الداء ؟ انها موجودة بالتأكيد. فمثلا ... عندما تنتاب المريض نوبة قلبية ، **استحصلوا فورا على سطل من دم الكلاب وصبوه على رأسه ثم صبوا من بعده ماء باردا بحيث تنجلي** افكاره قليلا ... وفي رأي الطب الغربي الحديث ان احدى الطرق هي **ضرب المريض على رأسه بهراوة مصنوعة خصيصا لاحداث حالة من «الصدمة» ولرده من ثم الى وعيه .**

(من مقال : «علاج نوعي لـ «فقدان الذاكرة» خط الجبهة، العدد ١٤ ، ١٩٦٢)

التعليق :

واضح ان هذه القطعة تنم عن أقتل الحقد على حزبنا العظيم. ليس ثمة كتاب طبي يقول ان «رجوع المرء عن كلمته والنكول بعهده» و«تقلب الأهواء» و«الهيام على وجهه» هي من أعراض فقدان الذاكرة ، وليس ثمة مصنف في العقاقير يصف لعلاج فقدان الذاكرة صب دم الكلاب على رأس المريض او ضربه بهراوة لافقاده وعيه . وان كتاب «قصص اخرى على لسان آي تسو» لمؤلفه لو تشو من عهد اسرة ينغ يحتوي على الأحاجي السياسية وليس بحثا طبيا . ان تنغ تو يتكلم هنا في السياسة وليس في الطب . وهذا واقع لا مراء فيه .

٤ ــ الافتراء على قيادة حزبنا بأنها «تشوكه ليانغ البكّاء»

ان تشوكه ليانغ البكاء شخصية يرثى لها . يظهر هذا اللقب في سالفة عنوانها «كوني يشبّه نفسه بتشوكه ليانغ» ، في المجلد الخامس عشر من الـ «خواطر بجانب السرير» (تشنغ شيه) تأليف يوه كو حفيد يوه فاي . جاء في هذه القصة :

عندما كان كو ني آمر الحامية الى الشرق من نهر هو آي وكان يبني الاسوار لمدينتين ، كان كوني يتبجح حتى ان احدا لم يجرؤ ان يتحداه . وكتب ذات يوم على مروحته البيتين التاليين :

دعي ثلاث مرات متتالية لاستشارته في شؤون الدولة .
وفي عهد ملكين اثنين أسدى الوزير العجوز فكره لحكم البلاد .

بعبارة اخرى ، فان كوني كان يحسب نفسه تشوكه ليانغ ... واتفق لي ان زرت محافظة سي في الصيف ، فشاهدت هذين البيتين مكتوبين على مروحة خاصة بالضيوف فأدركت ان ما سمعته لم يكن مجرد اشاعة . وبعد هزيمة كوتشو في فولي وهزيمة كوتشو ان في ييتشن ، يئس كوني من تلافي وضع لا رجاء فيه ، فسالت دموعه امام ضيوفه . كان بنغ فا آنذاك متصرفا (مسؤول اداري عن محافظة) وشاهد الحادث وكان صاحب نكتة ، فحدث القوم قائلا : «لدينا ههنا تشوكه ليانغ بكّاء» . سرت النكتة وحازت اعجابا كثيرا ، وبلغت مسامع كوني ، فانتابه الغضب وعزم على معاقبة بنغ ، الا انه عزل من منصبه قبل ان ينفذ رغبته .

ان امثال كو ني ، تشوكه ليانغ البكّاء هذا ، ليسوا الا مدعاة السخرية والاشمئزاز . بيد ان السالفة توضح ان **امرءا يشبّه نفسه بتشوكه ليانغ لا يخيف الناس ابدا ، ولا بد ان يأتي يوم يظهر فيه على سجيته ويصبح اضحوكة العالم اجمع .**

(من مقال : «ثلاثة اصناف من تشوكه ليانغ» ، احاديث المساء في ينشان ، المجلد الرابع ، ص ١٢ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ١ آذار ١٩٦٢) .

التعليق :

الى من يشير تنغ تو عندما ينال بشدة مما يسميه «تشوكه ليانغ البكّاء» ويقول ان من «يشبه نفسه بتشوكه ليانغ» سوف «يظهر على سجيته» ؟ لو كان يشير الى طبقتي ملاك الارض والرأسماليين ، لما احتاج لمثل هذا الالتباس المقنّع . لا بد من الخلوص الى انه يقدح في قيادة حزبنا .

٥ ـ معارضة الخط العام في البناء الاشتراكي والقفزة الكبرى الى الامام ومهاجمة ديكتاتورية البروليتاريا .

وصم قفزتنا الكبرى الى الامام بـ «التبجح» و«التباهي» وادعاء اننا «ناطحنا جدار الواقع الآجري» .

متى سنح لكم الوقت ، اقرأوا بعض القصص الشعبية او الحكايات الاجنبية فهي جزيلة الفائدة لكم ... **واذا اوتيتم القدرة على استقراء ثلاث نقاط منواحدة**، فانكم سوف ترون كل الشياطين والعفاريت، مهما اوتوا من حيل . ولنفترض اننا نطالع «حكايات ايزوب» ، نجد فيها مثلا الحكاية التالية :

كثيرا ما استنكر المواطنون في احدى المدن احد الرباعين في الخماسي (١) لقلة شجاعته . لذا اغترب مدة من الزمن ، ولدى عودته، راح يتبجح عن مآثره في المباريات التي اقيمت في مختلف المدن الاخرى، ولاسيما عن قفزة طويلة قفزها في رودس ، وهي قفزة لم يضارعه فيها اي فائز في الالعاب الاولمبية . وقال : «من يذهب منكم الى رودس في المرة القادمة ، سوف يؤكد له الشهود العيان هناك مآثري» . فصاح احد الحضور عند ذلك : «يا صاح ! اذا كان قولك صحيحا فلا حاجة لك بالشهود ، هنا رودس فاقفز هنا ! »

توضح الوقائع ان **المتبجحين لا يعرفون الا التبجح ولا ينتقلون الى العمل ابدا . وحتى هذا اليوم ، فان المرء يستطيع ان يلقى مثل هؤلاء المتبجحين دائما وفي كل مكان** . قد يتفاوتون في تبجحهم درجات ، الا انه تبجح على كل حال .

تساعد هذه الحكاية الناس ايضا على معرفة المتبجحين المحتالين بحقيقتهم وعلى كشف نفاقهم .

وهناك حكاية لكريلوف (مؤلف حكايات روسي) تسدي المغزى نفسه ايضا :

طار عصفور فوق البحر ، فتبجح انه يستطيع جعله يغلي حتى يجف ... فسرت الشائعة سريعا وكان السذج اول من ذهب الى الشط بملاعقهم لينالوا نصيبهم من حساء السمك اللذيذ .

بالغ اتباع ارنست ماخ (فيلسوف نمساوي : ١٨٣٨ ـ ١٩١٦) بدور ما أسموه «العامل النفساني» وأطنبوا به على هواهم . أليس هذا شبيها

---

(١) الرباع : اللاعب في العاب القوى . الخماسي : مباراة في خمسة صنوف من العاب القوى .

بهراء العصفور حول غليان البحر حتى يجف ؟

بيد ان الماخيين قد تصوروا انهم بالاعتماد على دور العامل النفساني يستطيعون ان يفعلوا ما يطيب لهم . اما النتيجة فكانت انهم ناطحوا جدار الواقع الآجري وأفلسوا في النهاية .

(من مقال : «حكايتان اجنبيتان» ، احاديث المساء في ينشان ، المجلد الخامس ، ص ٩١ — ٩٣ . نشر لاول مرة في اخبار بكين المسائية ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦١)

التعليق :

يستطيع كل ذي عين بصيرة ان يرى لاول نظرة ان هذا قدح بقفزتنا الكبرى الى الامام ، وافتراء علينا بـ «التبجح» و«مناطحة جدار الواقع الآجري» . ولو لم يكن الامر كذلك لما تحمل تنغ تو عنت الكلام عن «المغزى العميق» في هاتين الحكايتين ، اللتين توفران على حد قوله مادة «للتفكر العميق» . لماذا يصيح ان المرء يستطيع حتى هذا اليوم ان «يلقى مثل هؤلاء المتبجحين دائما وفي كل مكان» ؟ ولو كان يقص القصص وحسب ، فلماذا يتكلم اذن عن دور «العامل النفساني» الذي أطنب به الماخيون ؟ كل واحد يعلم ان الامبرياليين والتحريفيين قد حملوا على قفزتنا الكبرى الى الامام فوصموها بـ «التعالي» و«المشروع المتهور» و«الاندفاع الارادي» . وقد افترى الانتهازيون اليمينيون عليها كذلك بانها «التهاب دماغي» و«حمى شديدة» و«مثالية» . رجاء ، هل هذه صدفة محضة ؟

— ان من قرأ «رواية الممالك الثلاث» يتذكر المشهد حيث زرف تشوكه ليانغ دموعا وهو يأمر باعدام ماسو . وأورد تشوكه ليانغ ما قاله ليو باي قبل وفاته عن ماسو ، ولاسيما ان ماسو يستسيغ المبالغة، ولذا فلا يمكن الوثوق به للمهمات الخطيرة ... كان لوباي عارفا بطباع ماسو، وكان هذا في نظره متبجحا ليس الا . **فحتى في الزمان الغابر ، كان الناس يعرفون مساوىء التبجح** . ولهذا السبب قال كوان تسو «لا يجوز ان يفضل الكلام الواقع، ولا ان يتجاوز الواقع اسمه». هذا تحذير للناس **بألا يتباهوا او يتبجحوا ابدا ، وأن يحترزوا في تصريف الامور ، ويكثروا من العمل ويقلوا من الكلام اكثر بعد من الشهرة .**

واذا ذهبنا مذهب وانغ تشونغ ، المفكر من عهد اسرة هان ، بدا لنا ان اولئك الذين لم يأخذوا بهذه الحكمة عبر العصور ، كانوا في الغالب من العلماء والادباء . يقول وانغ تشونغ في كتابه «رزن الآراء» : « ان

اقوال اتباع كوانغ فو_تسي اجمل من ان تكون صحيحة» . قصد بوضوح ان الادباء ومن يحذو حذوهم يستسيغون التبجح دائما . والواقع ان **الادباء ليسوا بأية حال هم وحدهم الذين يتعاطون التبجح ، فهناك الكثيرون يفعلون ذلك ايضا .**

سخر لو تشو من تشيسون الذي كان يحسد الامير منغ تشانغ ، لتبجحه بأن لديه مثل الامير حاشية تعدادها ثلاثة آلاف . غير ان تحقيقا بسيطا كشف حقيقة هذا الحديث المتبجح من جانب تشيسون . كان هدف لوتشو من رواية هذه القصة غير المسندة هو ارشاد الناس الا يتبجحوا .

لقد حفظ التاريخ حالات واقعة كثيرة لاناس كانوا يحبون التبجح. اما هذه القصص الخيالية ، فهي ذات صفة أعم، **وتلخص مختلف اساليب التبجح في مواقف نموذجية ، فهي اكثر استرعاء للانتباه وأدعى ليقظة الناس وبالتالي فهي اعظم قيمة تربوية .**

(من مقال : «قصص عن التبجح» احاديث المساء في ينشان ، المجلد الخامس ، ص ٨٨ — ٩٠ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ١١ حزيران ١٩٦١)

— كان وانغ آن شي رجل دولة كبير من المدرسة الاصلاحية في عهد اسرة سونغ . وكانت لديه افكار كثيرة عن اصلاحات ينبغي انجازها الا انه كان يفتقر الى المعرفة العلمية والتجربة . قال تشانغ لاي من عهد الاسرة ذاتها في كتابه «خواطر متنوعة» :

عندما كان وانغ آن شي رئيسا للوزراء ، تكلم كثيرا عن بناء الانشاءات لحفظ المياه في البلاد . وكان يريد تجفيف بحيرة تايهو من مائها ، بغية استصلاح عشرات آلاف الهكتارات من الارض الخصبة . وقد سخر الناس من هذه الفكرة . تحدث وانغ آن_شي مرة عن هذا الامر الى ضيوفه . وكان الاكاديمي ليو كونغ_فو حاضرا فسارع الى القول : «انه امر سهل التحقيق» . فسأل وانغ آن_شي: «كيف ذلك؟» . **فأجاب ليو كونغ_فو : «اليس عليك الا ان تنشىء بحيرة اخرى بجانب بحيرة تايهو ، فتجمع مياه الاولى فيها» . فانفجر وانغ آن_شي نفسه ضاحكا عند ذلك .**

وفي الفترة التي تولى فيها وانغ آن_شي مقاليد السلطة ، سرت بحقه نوادر كثيرة مماثلة ، تظهر كلها ان افكاره الكثيرة كانت **غير عملية**

بطبيعتها . وكان يعوزه التواضع بصورة خاصة ، ويمكن القول ان ذلك كان مثابته الرئيسية .

(من مقال : «مزيد من الدراسة وأقل من النقد» ، احاديث المساء في ينشان . المجلد الثاني ، ص ٤٨ . نشر لاول مرة في اخبار بكين المسائية ٢ نيسان ١٩٦١)

التعليق :

يعاود تنغتو مرة بعد مرة مهاجمةما يسميه «التباهي» او «التبجح» ويقول ان الادباء ليسوا بأية حال هم وحدهم ، الذين يتعاطون التبجح ، وأن «رجال الدولة الكبار» يقعون فيه ايضا . فهل يتكلم ههنا عن التاريخ الغابر ؟ كلا . انه يهجو الحاضر بعبارات من الماضي ، وهو يمني النفس باثارة الناس الى معارضة الخط العام للحزب ومهاجمة القفزة الكبرى الى الامام .

٦ ـ الافتراء على حزبنا بانه لم يدخر قوة العمل خلال القفزة الكبرى الى الامام :

حتى في عصر حوليات الربيع والخريف وعصر الممالك المحتربة على وجه التقريب ، وجد **رجال دولة كبار فهموا اهمية ادخار قوة العمل...** وقد اكتشفوا بتجربة حكمهم **«الحدود»** في **«انفاق قوة عمل الشعب» وقد اكتشفوا في الواقع بعض القوانين الموضوعية التي تتحكم بزيادة ونقصان قوة العمل .**

جاء في الـ «فصل في النظام الملكي» من «كتاب الشعائر» : «لا يجوز استخدام قوة الشعب اكثر من ثلاثة ايام في السنة الواحدة». وقد علق تشن هاو وهو عالم من عهدة اسرة يوان بهذا الصدد بقوله : «كانت قوة عمل الشعب تستخدملبناء اسوار المدن والطرقات والدروبوالخنادق والقصور والمعابد» . **وهذا ما يعني في لغة ايامنا قوة العمل المستخدمة في شتى انواع البناء الاساسي .**

وقد حدد الاقدمون مقدارا لقوة العمل المستخدمة في كل انواع البناء الاساسي وفقا لمستوى القوى المنتجة الاجتماعية في زمانهم ، وهو حوالي ١٪ من مجموع قوة العمل المتوفرة . وتبدو هذه النسبة ، في منظورنا الراهن ، مناسبة في بلد عريق يقوم في الاساس على الانتاج الزراعي .

وقد نصح هوين ، وهو يرسم الخط للامير تشونغ اره من دولة تشين : «بعد ان توفر قوة العمل لديك اثنتي عشرة سنة ، تستطيع ان تذهب بعيدا» . وكان آنذاك يرافق الامير في اجتياز وولو في دولة واي، فتنبأ ب «انك سوف تفتح هذه الارض بعد اثنتي عشرة سنة» . ويبدو من هذه القصة ان رجلا مثل هوين فهم جيدا كيف يراكم قوة العمل في الظروف التاريخية للأزمنة القديمة . **فاذا استطاع من عاش في القرن السابع ق.م. ان يفهم هذه الحقيقة ، فحري بنا طبعا ، نحن الذين نعيش في الستينات من القرن العشرين ، ان نفهمها على نحو افضل .**

يجب ان نستمد أنوارا جديدة من تجربة الأقدمين .

(من مقال: «نظرية ادخار قوة العمل» احاديث المساء في ينشان المجلد الاول ص ٥٦ـ٥٨ . نشر لاول مرة في اخبار بكين المسائية ، ٣٠ نيسان ١٩٦١) .

التعليق :

دعوى ان الاقدمين قد اكتشفوا بعض «القوانين بزيادة ونقصان قوة العمل» هي بما ينافي المنطق تماما ، وقوله «حري بنا طبعا ، نحن الذين نعيش في الستينات من القرن العشرين ، ان نفهمها على نحو افضل» وأنه «يجب ان نستمد انوارا جديدة من تجربة الاقدمين» ، هي بوضوح تهجمات علينا ، تفيد اننا لم ندخر قوة العمل خلال القفزة الكبرى الى امام وأثناء القيام بالبناء الاساسي ومشاريع حفظ المياه .

٧ ـ التخرص بأن قضية بنائنا الاشتراكي «منتهية» :

يبدأ تراكم الثروة الكبيرة حقا بمبلغ زهيد ، مثلما يتألف الرداء من جمع قطع الفراء الصغيرة ، او النهر من اجتماع قطرات ماء كثيرة . ولكن هذا لا يعني في كل الاحوال انك قد كنزت ثروة عندما تمتلك بيضة واحدة . ليس الامر على هذا القدر من البساطة والسهولة .

في عهد الامبراطور وان لي من اسرة مينغ ، كان هناك قاص اسمه تشيانغ يينغـكو ، واليك قصة له من «قصص هسييوه تاو» :

كان في المدينة رجل فقير الى حد انه لم يعلم يوما اين ومتى سوف يتناول وجبة طعامه التالية . اتفق له مرة ان وجد بيضة . فانبسطت اساريره وقال لزوجته «لقد وجدت ثروة عائلتنا» . سألته اين هي ، فأراها البيضة قائلا : «هذه هي . الا ان بناء ثروتنا سوف يستغرق

عشر سنين» . ثم ناقش مشروعه مع زوجته : «سوف اجعل دجاجة جاري تحضن لي هذه البيضة ومتى كبر الفراخ سوف اختار احدى اناثها لتبيض وسوف احصل على ١٥ فروجا كل شهر . وبعد سنتين سوف يصبح عددها ٣٠٠ . سأبيعها عندئذ بعشرة دنانير من الذهب ، استطيع ان اشتري بها خمس بقرات ولود ينتجن عجولا . سوف تتوالد البقرات حتى يصبحن ٢٥ بعد ثلاث سنوات و١٥٠ بعد ثلاث سنوات اخرى ، وسوف ابيعها بـ ٣٠٠ دينار ذهبي . فاذا ادنت هذا المال بالربا، فسوف اكتنز ٥٠٠ دينار ذهبي بعد ثلاث سنوات» .

تمر بقية القصة دونما تفاصيل مهمة تقريبا ، ولذا سوف اهملها، عدا نقطة واحدة جديرة بالذكر : قال هذا الرجل الطماع في نهاية القصة انه سوف يتخذ خليلة ، **فاستشاطت زوجته غضبا عند ذلك وحطمت البيضة بضربة من قبضتها . وهكذا دمرت ثروة عائلته التي قوامها بيضة واحدة تدميرا تاما .**

الا ترون ان هذه القصة تساعد على تفسير امور كثيرة . فان هذا الرجل الطماع قد ادرك ايضا ان بناء ثروة عائلته يتطلب زمنا طويلا، ولذا منح نفسه في المناقشة مع زوجته عشر سنوات لهذه الغاية . وكان ذلك يبدو معقولا ، الا ان مشروعه كان يفتقر الى اي اساس متين وكان يتألف من سلسلة من الافتراضات البحتة بعضها مربوط برقاب بعض . وقد استبدل الحقيقة بالوهم تماما عندما اراد تصوير ما سوف **يحدث** بعد عشر سنوات ، فكشف انه رجل طامع بالمال . وكانت النتيجة ان غضبت زوجته **ودمرت بضربة من قبضتها ثروته كلها** .

(من مقال «ثروة عائلية تتألف من بيضة واحدة»

احاديث المساء في ينشان . المجلد الاول ص ٧٦–٧٧ .
نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ١٨ حزيران سنة ١٩٦١) .

التعليق :

عندما وضع حزبنا مخططه للبناء الاقتصادي الاشتراكي ، صاح التحريفيون : «علينا التريث لنرى نصيبه من التحقيق» . وعندما وقعنا في صعوبات مؤقتة ، طعنوا بقفزتنا الكبرى الى امام على انها « فشلت» و«انهارت» . ويتحدث تنغ توهو ايضا في هذه القطعة عن تعاطي الهذيان، و«استبدال الواقع بالاوهام» وعن «تدمير ثروة العائلة التي قوامها بيضة واحدة تدميرا تاما» ... الخ . أليست هذه ايضا حملات على قفزتنا

الكبرى الى امام بأنها «فشلت» ؟ الا تضرب على وتر واحد مع حملات التحريفيين .

٨ ـ طعنات غادرة في ديكتاتورية البروليتاريا :

كثيرا ما علق المؤرخون القدامى ايضا على اسلوب الملوك وأسلوب الطغاة . لكن كيف ننظر الى اسلوب الملوك وأسلوب الطغاة من منظورنا الراهن هذا اليوم ؟

كتب ليو هسيانغ في كتابه «السوالف التاريخية في حلة جديدة»، في فصل «الحذق في الريادة» . قال : «اسلوب الملوك انعم من حجر المسن ، وهو ينبع من المشاعر الانسانية والشعائر» . وفي مكان اخر من الكتاب ذاته : «اقامت الأسر الثلاث جميعا حكما ملكيا باتباع طرق مختلفة. وأقام الطغاة الخمسة حكما طاغيا باستخدام قوانين مختلفة » . يبدو ان ليو هسيانغ قد امتدح اسلوب الملوك واستنكر اسلوب الطغاة . واعتبر ان اسلوب الملوك هو نتيجة تضافر العواطف الانسانية مع الشرع والاخلاق. وهذا صحيح ، اذ ورد منذ زمن بعيد في كتاب «الشعائر» : «اذا تمت الشعائر والموسيقى والعقوبات والادارة على نحو اللين والصواب ، اذن يبلغ اسلوب الملوك وجه الكمال» . ولذا فان ما يسمى اسلوب الملوك يشير في الواقع الى بعض المواقف والافعال التي يعمد اليها الناس في معالجة كافة المسائل في مرحلة تاريخية معينة ، طبقا للمشاعر الانسانية والمعايير الاخلاقية الاجتماعية السائدة ، وعلى وفاق مع الانظمة السياسية والقضائية الراهنة. وبالعكس، فاذا ضرب المرء بكل اعتبار عرض الحائط، واعتمد السلطان والقوة وعمد الى العنف والقسر ، وأصدر الاوامر الى الناس وسلب الشعب بالقوة او بالحيلة ، لكان هذا ما يسمى بأسلوب الطغاة .

فماذا عسى ان يكون اسلوب الملوك وأسلوب الطغاة طبقا لمنظورنا الراهن وبلغتنا هذا اليوم ؟ يمكن ترجمة اسلوب الملوك على انه الطريقة الصادقة الواقعية في التفكير وفي اساوب العمل التي تتبع خط الجماهير . اما اسلوب الطغاة فيمكن ترجمته بالمقابل بانه الطريقة الذاتية الصلفة والعقيدية في التفكير ، وأسلوب العمل الاعتباطي . لكنه لا يجوز ان نفرض تفسيرنا على الاقدمين ، ولا يكون من الواقع في شيء ان نحكم عليهم انطلاقا من هذا المنظور .

بيد انه لم يكن من العسير ان نستخلص عبرة من التاريخ القديم . وهذا يشير في النهاية الى ان اسلوب الملوك كان افضل كثيرا من اسلوب الطغاة ، حتى في الزمن الغابر . وجه بان كو ملاحظات لاذعة في عدة مناسبات الى اسلوب الطغاة في كتابه «تاريخ اسرة هان» ، عندما روى

الموقف في مرحلة ما قبل أسرتي تسين وهان ، عندما كان الامراء يتنازعون السيطرة كتب مثلا : «فرر الملك ون من دولة تسين أن يتبع اسلوب الطغاة ، فهاجم دولة واي واعتقل سيو تساو وهزم دولة تشو في تشنغبو ، وانتهى الى دعوة الامراء الى عقد مشار» . هكذا يستطيع المرء ان يرى ان اولئك الذين ارادوا ان يكونوا طغاة قد استعدوا الناس عليهم في كل مكان وصار الشعب يمقتهم مقتا عظيما .

(من مقال : «اسلوب الملوك وأسلوب الطغاة» ، احاديث المساء في ينشان . المجلد الرابع ، ص ١٣–١٦ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٢٥ شباط ١٩٦٢)

التعليق :

يعمد هذا المقال الى الماضي لهجاء الحاضر . فيطعن طعنا غادرا بديكتاتورية البروليتاريا . يقول تنغ تو مفتريا علينا : «يعتمدون السلطان والقوة» ، ويعمدون الى «العنف والقسر» ، و«صار الشعب يمقتهم» . نود ان نسال : من الذي يمقتنا ؟ اننا ممقوتون لدى الملاكين العقاريين والفلاحين الاغنياء وأعداء الثورة والعناصر السيئة واليمينيين . ولا يسع ديكتاتورية البروليتاريا ان تطبق على هؤلاء الناس الا «اسلوب الطغاة» وليس سياسة الرأفة . ان تطبيق «اسلوب الملوك» او سياسة الرأفة عليهم انما يعني خيانة الثورة والشعب .

٩ ـ التشكي من الظلم الذي حل بالانتهازيين الذين عزلوا من مناصبهم ، والثناء على «صلابة عودهم» ضد الحرب ، وتشجيعهم على معاودة الهجوم .

ـ الدفاع عن لي سان ـ تساي ، وزير الداخلية والمالية الذي عزل من منصبه :

لي سان تساي هو احد الوجوه التاريخية من بكين ، من عهد اسرة مينغ ومن مواليد تونغتشو ، وقد ذهب طي النسيان منذ زمن بعيد . **وهذا امر يؤسف له** بالنسبة للباحثين في التاريخ المحلي .

كنت اتحدث اخيرا مع بعض الاصدقاء وكلهم مؤرخون ، فاتفق ان ذكر اسم هذا الرجل . وعندما عدت الى البيت طالعت بعض المراجع التاريخية فاكتشفت ان حكم المؤرخين القدامى في لي سان–تساي يحتمل النقض **وينبغي اعادة النظر فيه** .

حصل لي سان ـ تساي (لقبه تاو ـ فو واسمه المستعار كمؤلف هسيو ـ وو) على الاجازة في العام الثاني من ملك وان لي . وقد توالى على مناصب «وكيل النيابة الامبراطورية» و«والي فنيانغ» و«وزير الداخلية ووزير المالية» . وقد عارض الطرق القائمة في جباية ضريبة التعدين وكان مؤيدا نشيطا لحزب تو نغلين . وهو وجه معروف جيدا في «تاريخ اسرة مينغ» .

ان كتاب «تاريخ اسرة مينغ» الذي الفه تشانغ تينغ ـ يو وغيره في أوائل عهد اسرة تشينغ ، يتضمن سيرة حياة لي سان ـ تساي وتنتهي بخلاصة هذا نصها :

كان لي سان ـ تساي رجلا جزيل المواهب شغوفا بالحيل وبارعا في اكتساب الحظوة لدى المسؤولين في البلاط . وقد كسب الصداقات في كل انحاء البلاد خلال السنوات الثلاث عشرة التي عمل فيها واليا على فنيانغ . ولم يستطع ان يتجنب الرشوة دائما فهاجمه الاخرون . وكان الذين ادانوا سان ـ تساي في ما بعد ، مثل شاو فو ـ تشونغ وهسو تشاو ـ كوي ، كلهم من اتباع واي تشونغ ـ هسين وقد صارت اسماؤهم في قائمة الخونة . اما الذين ظاهروه ، مثل كوهسيان ـ تشنغ ، تسو يوان ـ بياو ، تشاو نان ـ هسينغ ، ليو تسونغ ـ تشو ، فكانوا جميعا من كبار المسؤولين في ذلك العهد . ولذا فقد اعتبر الجمهور سان ـ تساي رجلا حكيما .

ان «تاريخ اسرة مينغ» يصف لي سان ـ تساي بانه رجل «شغوف بالحيل وبارع في اكتساب الحظوة لدى المسؤولين في البلاط» . وليست هذه الملاحظة اطراء له، فلو كان الامر كذلك ، **لكان لي سان تساي متآمرا يحبك الدسائس ، الا ان الوقائع تخالف ذلك** . فتبعا لـ « السجل الحقيقي للامبراطور شن تسونغ» ، في السنتين ٢٧ و٢٨ من عهد وان‌لي (وهو الامبراطور شن تسونغ) ، حرر لي سان ـ تساي مذكرة تلو مذكرة الى الامبراطور حول الافتئاتات التي ترتكب في تكليف المناجم وقد فضح بجرأة الجرائم‌التي يرتكبها الخصيان‌في جباية هذه الضرائب، واعتصارهم الاموال بالجملة ومخالفتهم القانون . وفي السنتين ٣٠ و٣١ من العهد عاود ارسال المذكرات ، حيث **عبر عن معارضته ضريبة التعدين واقترح تفادي الفيضانات** والجفاف والسيطرة عليهما بكراية الانهار واحتفار القنوات وبناء احواض المرور . ولم يوافق الامبراطور على اي من هذه الاقتراحات ، بل على العكس ، فقد عاقب لي سان ـ تساي بـ «حرمانه‌من راتبه لمدة خمسة اشهر» . فكيف يمكن وصفه بانه «شغوف بالحيل وبارع في اكتساب الحظوة لدى المسؤولين في البلاط» ؟

ولما تكررت مذكراته الى الامبراطور بلا جدوى رجا لي سان ـ تساي

استقالته من منصبه والاعتكاف في بيته .

طبعا ظهر حزب تو نغلين في الفترة ذاتها لمهاجمة السياسةالاقطاعية السوداء و«حافظ سآن-تساي على وشائج وثيقة مع اعضائه» . ولهذا السبب هاجمته **قوى الفاسدين الغلاة** هجوما عنيفا ، كما هاجمت اعضاء حزب تونغلين من أمثال كوهسيان-تشنغ وكاوبان-لونغ . ولا غرابة في ان واي تشونغ-هسيان وعصابته قد أعتبروا في ما بعد لي سان تساي وكذلك اعضاء حزب تونغلين اعداءهم الألداء .

وكان طبيعيا ان تعمد قوى الفاسدين الغلاة ، يمثلها شاوفو-تشونغ وهسو تشاو-كوي ، وبتحريض من الخصيان ، الى كيل التهم للي سان-تساي . فقد اتهموه بانه «محتال كبير يتظاهر بالصدق ومتدلس كبير يتظاهر بالاستقامة» . وعددوا جرائمه الاربع الكبيرة: الرشوةوالخداع والغدر والطغيان . وحتى بعد ان **أعتكف في داره أخيرا** ، لفقوا ضده تهمة «سرقة الاخشاب الامبراطورية لبناء داره الخاصة» . **ربما كان هذا هو الاساس الواقعي** الذي استند اليه «تاريخ اسرة مينغ» لتقرير انه **«لم يستطع ان يتجنب الرشوة»** . الا ان لي سان-تساي ارسل المذكرات تكرارا الى الامبراطور طالبا ان «يرسل بعض الخصيان لاجراء المحاكمة»، وأن «يأتي بعض المسؤولين في البلاط للتحقيق» وأن «يستمع الامبراطور شخصيا الى قضيتي» . كان يبدو انه على حق وعلى ثقة بنفسه ، الا ان بلاط الامبراطور وان لي لم يجسر على اجراء تحقيق شامل في الوقائع. أليس واضحا كيف كانت حقيقة الامر ؟

واذا حكمنا على الوقائع المتعلقة بلي سان-تساي خلال حياته والوقائع التي ظهرت بعد مماته ، فانه يجب ان نعتبره **وجها تاريخيا ايجابيا** ، وان كنا لا نستطيع القول بان شخصيته كانت خلوا من كل مأخذ .

(من مقال : «دفاعا عن لي سان-تساي» ، احاديث المساء في ينشان ، المجلد الخامس ص ١٠٢-١٠٤ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٢٩ آذار سنة ١٩٦٢) .

التعليق :

كان لي سان-تساي وجها تاريخيا تافها . وكان جزارا قمع انتفاضات الفلاحين ، الا ان تنغ تو يصفه مسؤولا ترافع عن الشعب وعمل لمصلحته ، وهو يدافع عنه بسبب عزله من منصبه ، قائلا انه كان «على حق وعلى ثقة بنفسه» . لماذا ؟ يسهل ادراك ان لي سان-تساي كان رجلا

من نمط هالي غوي . وبحجة الدفاع عن لي سان ـ تساي ، يتظلم تنغ تو في الحقيقة للانتهازيين اليمينيين .

ـ الاطناب بتشنغ بان ـ تشياو الذي «لم تلن له قناة» ، والـــذي اضمر حقدا لا يرحم بعد ان عزل من منصبه على اثر «تهمـــة ملفقة» ، والدعوة الى اقتفاء اثره في «أن يكون المرء سيد نفسه» ويرفض « العمل عبـــدا » .

في يانغتشو ، بلد الغناء والالحان ،
عرف بأنه ناشز ،
يقرأ بين أريج الازهار وظلال الخيزران .

رسم بريشته اخلاقا مثل ما في حوليات الربيع والخريف ، وتنطق قصائده العشر بالاهواء الأزلية في الارض والسماء . لم يعد لسجيته الا عندما خلع قبعة الموظفين ، وكان غمس الحبر بالماء هـــو مثله الاعلى . ذهب بان تشياو الان ولكن جسد هونغتشاو ما زال قائما ، وتطل الربا الكثيرة زرقاء صافية في الأفق .

هذه قصيدة على النمط النهجي ، كتبتها خلال زيارة ليا نغتشـــو قمت بها قبل سنتين (**١٩٦١**)، تخليدا لذكرى تشنغ بان ـ تشياو الرسام والشاعر من عهد اسرة تشينغ ... يوم غد هو ذكرى مولده واعتقد انه ربما كان لزاما بعد ان نفيد من هذه المناسبة لاعادة تقييم هذا الكاتب .

في السنة الخامسة من عهد الامبراطور شانتونغ ، وفي السنـــة الحادية عشرة نقل الى محافظة وايهسيان وقـــد **حلت الكوارث الطبيعية على شانتونغ** عدة سنوات متوالية . فبذل جهودا نشيطة فيجمع الاموال للاغاثة ، فاثار ذلك امتعاض الاعيان المتنفذين والنجار الاثرياء . فاتهـــم بـ «الفساد والاختلاس» وعزل من منصبه .

ادى تشنغ بان ـ تشياو عملا ممتازا للاغاثة في شانتونغ ، **ووقف الى جانب الشعب تماما وعمل في سبيل مصلحة الجماهـــير المنكوبـــة بالكوارث الطبيعية ، ولهذا السبب اثار غضب المداونين الاقطاعيـــــين والاعيان المتنفذين وطبقة ملاك الارض** . فاعتصبوا للتآمر عليـــه ولفقوا تهمة انه افاد من عمل الاغاثة لتعاطي الفساد والاختلاس . وأعارت الطبقة الحاكمة المتفسخة في عهد اسرة تشينغ ، عندما فصلت في هذه القضية، اذنا صاغية للتهمة التي لفقها كبار الملاكين . ولما واجه بان ـ تشياو هـــذا الموقف ، قدم استقالته مستنكرا ، وما اسعد ما كان رؤساؤه لقبولها. ولذا **عزل** تشنغ بان ـ تشياو من **منصبه** في اواخر الخريفوأوائل الشتاء من السنة ١٧ من عهد الامبراطور تشيان لونغ .

وقد **عزل من منصبه** وحتى مماته في سن الـ ٧٣ ، اصبح مـــــا

يسمى نمط بان–تشياو ، اي افكار بان تشياو وأسلوبه ، يتضح بمزيد من الطبع والاصالة . وقد تجلى الان اولا في شعره . وسوف أستشهد على ذلك بقصيدته التي على وزن «تشين يوان تشوان» وعنوانها البسيط « كراهية » :

لا تشاطر الازهار الشعور ، ولا يشفي القمر الفليل ولا الهام في الخمرة.
اود لو اقطع اشجار الخوخ لتشويه المنظر ولو اطبخ الببغاء لعقد حسائي .
أود لو اكسر دواتي وأحرق كتبي وأحطم عودي وأمزق لوحاتي ، وادمر كتاباتي وأطمس كل اثر لاسمي ...

خلقي لا يلين ، على الرغم من فقري وهزالي ، بحصيرتي العتيقة وثيابي البسيطة وقبعتي القش .

اقيم سنة بعد سنة في هذه الحارة القميئة ، وعشب الخريف ينمو حول كوخي ،

وينهمر الرذاذ على شباكي المتداعي ، ويتقد مصباح وحيد ليلة فليلة .
هل يمكن ان تخرسني السماء وتمنعني من التنفيس عن كراهيتي بالتنهد مرة او مرتين ؟

انني لا اتمالك نفسي ، فاتخذ مئة قطعة حرير كي ارسم حزني بكل التفاصيل .

دعوني ... بالمناسبة اريكم لوحة لبان–تشياو لم يسبق نشرها من قبل . اسمها «السحالب والخيزران في جبال بعيدة» ، وربما رسمها عندما كان يتولى محافظة فانهسيان ، وقد كتبت عليها قصيدة :

على شفا هاوية جبلية ، تنتصب بعض السحالب وحيدة ،
وتثير اوراق الخيزران الضئيلة حفيفا في ظلالها الرطبة ،

علي ان اخلع قبعة الوظيفة قريبا
لكي آتي اليها وأستريح بلا هموم

واضح انه رسم هذه اللوحة وكان ما يزال متصرفا ، غير انه لم يعد راغبا في الوظيفة . والانطباع الذي تبعثه اللوحة هو عين ما توحي به القصيدة .. أفلا تتضح الفكرة التي في اللوحة عندما تعارض محتواها بحياة المداون التي كان الفنان يحياها آنذاك ؟

ثمة على حد اطلاعي ، اناس ما زالوا يتبعون نمط بان–تشياو . الا ان النقطة الأهم هي ، في اعتقادي ، ان يهضم المرء الروح في نمط بان–تشياو . فما هو ؟ قوامه في رأيي **ان يكون المرء سيد نفسه بصدد كل شيء وأن يرفض العمل عبدا !**

قال بان–تشياو : «على من يكتب ان يفعل ذلك سيدا لا عبدا» انها ملاحظة بالغة الاهمية . ولتذكير نفسه بانفاذها دائما ، اصطنع خاتما حفرت عليه هذه الكلمات : «تشنغ سيد الدار» . بكلمة اخرى ، وفي كل ما يصنعه ، **كان سيد نفسه ويشق طريقه بنفسه دائما** .

(من مقال : «تشنغ بان–تشياو ونمط بان–تشياو» ، صحيفة كوانغ مينغ اليومية ، ٢١ تشرين الثاني١٩٦٣)

التعليق :

انها لمصادفة غريبة حقا . فبعد ان كتب ووهان مسرحية «عزل هالي غوي» ، شعر تنغ تو فجأة بالحنين الى الاقدمين وكتب في احياء ذكرى عزل تشنغ بان–تشياو قصيدة عام **١٩٦١** ثم مقالا عام **١٩٦٣** . وقد تظلم ساخطا لتشنغ بان–تشياو الذي عزل من منصبه . وكم كان مستنكرا ومنفعلا ! فاذا قارن القارىء هذه القطعة لتنغ تو بمسرحية ووهان ، رأى على الفور ان الرجلين يؤديان لحنا واحدا على آلتين مختلفتين ، اي انهما ينفّسان عن التظلم للانتهازيين اليمينيين الذين عزلوا من مناصبهم .

ويلمع تنغ توو في لمسة اخيرة ان الروح في نمط بان–تشياو هو «ان يكون المرء سيد نفسه وأن يرفض العمل عبدا» . وهو يدعو الناس الى هضم هذا الروح والتعلم منه بجد بحيث «يشق المرء طريقه بنفسه». ما أمكره وما أغدره ! أليس تنغ تو بذلك داعيا الناس لمعارضة قيادة الحزب ؟ تنفتح طريق الاشتراكية عريضة امامنا ، ومع ذلك فان تنغ تو يدعو الناس الى «شق طريقهم بانفسهم» فما هي هذه الطريق ان لم تكن الطريق المظلمة المؤدية الى ردة الرأسمالية ؟

– الاشادة بمي وان–تشونغ بوصفه «نزيها شديد العناية في معالجة القضايا المدنية والجنائية» ، ولأنه كثيرا ما كان ينقد الامور الجارية ، وانه كسب ثناء الطبقات الاجتماعية الوسطى والدنيا وعزل من منصبه لهذا السبب .

كان مي وان تشونغ عالما علامة **ورجلا صلب العود** . وفي سلوكه كثير من دواعي الثناء . ولد في السنة الرابعة من عهد الامبراطور لونغ تشينغ من اسرة مينغ ... وفي الخامسة والعشرين ، اجتاز الامتحان الامبراطوري لمرتبة الاجازة .. وعين في السنة التالية واليا على كيانغنينغ . وبعدها بقليل ، صدر الامر بنقله الى منصب مفتش عام في مقاطعة كيانغسي . اشتهر بالنزاهة وبشدة الاهتمام بالقضايا المدنية

والجنائية وبالشؤون الثقافية والتربوية . وكان يحوز حيثما ذهب ، ثناء الطبقات الاجتماعية الوسطى والدنيا من الاهلين وثناء المثقفين .

كان واي تشونغ-هسيان يعتبر مي وان-تشونغ شوكة في صلبه لأن مي كان يحتقره وعصابته دائما. وكثيرا ما يصارح بنقد الامور الجارية. وكان في ون-هوان ، احد اجراء واي تشونغ-هسيان ، شهيرا باختصاصه في اتهام الابرياء زورا وبهتانا . وقد فتك بتهمه الملفقة بعشرات من الموظفين . وكان هؤلاء ، في القضايا الخطيرة ، يعذبون حتى الموت ، وفي القضايا الأقل خطورة ، يعزلون من مناصبهم وتحذف اسماؤهم من سجل الموظفين . فوقع مي وان تشونغ ضحية على هذا النحو الاخير .

كتب مي على قطعة حرير بيضاء قصيدة قصيرة عنوانها « جبل لانكو» ، ينساب منها خط الكتابة بطلاقة ، خلوا من كل تزمت اكاديمي. واليكم القصيدة :

عبثا تشاغل الشمس القمر دائرين حول الارض ،
وحسدا للخالدين الذين لا يهرمون .
تنقلب الأسر الحاكمة في لحظة واحدة ،
وعالم الانسان أطول بقاء من عالم هذا الكهف .

ما هي الفكرة في القصيدة ؟ انها تعبير واضح عن شعور الكاتب ازاء الاختلاجات السياسية غير المتوقعة في عهد اسرة مينغ .

(من مقال : «مي العجوز ومي الشاب من وانبينغ» ، احاديث المساء في ينشان ، المجلد الثالث، ص ٣٩-٤١ نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٩ تشرين الثاني ١٩٦١) .

التعليق :

يتخذ تنغ تو في هذه القطعة احد الاقدمين المنسيين ، وهو مي وان-تشونغ ، ذريعة كي يتظلم للانتهازيين اليمينيين .

- التظلم لعزل لي شان من منصبه :

ان سيرة حياة لي شان كئيبة . قال تشنغ بان-تشياو في قصيدة اخرى موجهة اليه :

حرقوك من درجاتك العلمية مرتين وخفضوا رقبتك مرة ، وانك لتقشعر اذ ترى ابيضاض مفرقك في المرآة .

كان لي شان قد أرغم منذ زمن بعيد على مغادرة اكاديمية الرسم في بلاط اسرة تشينغ الامبراطوري ، بنتيجة مؤامرات زملائه . فأصبح لمدة قصيرة متصرف محافظة تنغهسيان في مقاطعة شانتونـغ . **وحقد عليـه النبلاء اصحاب السلطة ، فعـزل من منصبـه لهذا السبب .** ثم عاش عيشة التشرد، وذهب الى يانغتشو، حيث كسب عيشه رساما، وأصبح احد الرسامين النشاز الثمانية في يانغتشو .

واذا قرأنا قصيدة لي المدونة على لفافة رسم له ، فسوف نفهـم المعنى العميق لهذا الرسم على نحو افضل . تقول القصيدة ببساطة :

يتساقط الورق الاصفر من الاشجار حول مقام الناسك
لا خشية من صقيع الفجر الجليدي .
انني اذا اردت رسم ديك ، فليكن صيّاحا ،
كي يوقظ ضمير الانسان الى العمل الصالح .

فلا تفسر القصيدة مغزى اللوحة وحسب ، بل تعكس ايضا مصير لي شان وغيظه وضغينته في ذلك الحين .

(من مقال : «حول لي شان ولوحاته» . صحيفة كوانغ مينغ اليومية ، ١٤ شباط ١٩٦١) .

التعليق :

قضية اخرى من العزل ! تظلم تنغ تو اربع مـرات ، بين ١٩٦١ و١٩٦٣ ، في قضايا عزل من المنصب، وامتدح في كل مرة «روح التمرد» لدى اولئك الذين رفضوا الاذعان على الرغم من العزل . يا له من «جهد في التفكير الخلاق» !

١٠ ـ الصياح الصلف بان على حزبنا ان ينسحب في الحـال و«يخلد الى الراحة» .

ـ المطالبة بأن على حزبنا ان «لا يقول او يفعل شيئا» بل ان يتبع «توجيهات» تنغ تو وشركاه في كل شيء .

اني لأنصح اولئك الاصدقاء الذين يتعاطون الكلام الفارغ الكبير ان يقرأوا المزيد ، ويفكـروا المزيد ويقلوا من الكلام **ويخلدوا الى الراحة لما يحين أوان الكلام** ، بحيث يوفرون الوقت والطاقة على انفسهم وعلـى الاخريـن !

(من مقال : «الكلام الفارغ الكبير» خط الجبهة ، العدد ٢١ ، ١٩٦٢) .

لا نستطيع الجزم كيف تكون هذه الحالة (من فقدان الذاكرة) في أسوأ صورها ـ والارجح انها تؤدي الى الجنون او الى البلاهة .

فاذا ما وجد امرؤ ايا من هذه الاعراض في نفسه ، **وجب عليه ان يخلد في الحال الى الراحة التامة ، والا يقول او يفعل شيئا .** اما اذا أصر على الكلام والعمل ، فلا بد انه ساع الى المتاعب ... **ولزام عليه ان يتبع توجيهات طبيب كفؤ . ولا يجوز ان تتخذ عائلة المريض أي قرار من عندها . وعلى الأخص ، فلا يجوز ان يتدخل المريض نفسه في الامر .**

(من مقال : «علاج نوعي لفقدان الذاكرة» ، خط الجبهة العدد ١٤ ، ١٩٦٢) .

كان من حسن حظ العصفور طبعا انه استطاع الطيران مرتبكا عندما انكشف خداعه . الا انه ينبغي التذكر ان **اولئك الذين خدعهم المشعوذون في ظروف اخرى ، لن يدعوهم بالتأكيد يفلتون بسهولة بعد افتضاح خداعهم .**

(من مقال : «حكايتان اجنبيتان» احاديث المساء في ينشان ، المجلد الخامس ، ص ٩٣ ، نشر لاول مرة في: اخبار بكين المسائية ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦١) .

كان منشأ تشيا تاو من محافظة فانيانغ .. وكانت تابعة لدولة يو وين في عصر حوليات الربيع والخريف والممالك المحتربة . وكان التقليد المتبع في هذه الاماكن ان يعبر الرجال البواسل والابطال عن مشاعرهم الفروسية في اغان مثيرة . وهكذا كتب تشيا تاو قصيدته القصيرة «المقاتل بالسيف» :

شحذت سيفي عشر سنين متواليات
ولم احبر حده البارد مرة اخرى .
واذا أريكموه ، اسأل الان :
فأخبروني من ذا الذي ظلم .

من الواضح ان الشاعر كتب هذا تعبيرا عن مشاعره الخاصة .

(من مقال : «الابداع الشعري في مذهب تشيا تاو» ، احاديث المساء في ينشان ، المجلد الاول ص ١٦ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ١٨ حزيران سنة ١٩٦١) .

التعليق :

تساعدنا هذه المقتطفات على رؤية الطبيعة الغادرة المؤذية في «احاديث المساء» على نحو واضح فلا يقتصر تنغ تو فيها على شتم حزبنا والاشتراكية ، بل انه يريد اسقاطهما . وعندما يقول ان المصاب بفقدان الذاكرة «يجب عليه ان يخلد في الحال الى الراحة التامة»، أليس واضحا ان الأمل يحدوه في طرد الحزب الشيوعي من السلطة ؟

ـ التلميح بانه «ليس مجرد مثقف يطلق الكلام جزافا» بل «رجل صامد القلب» ، «يكافح الحكام الاشرار بشجاعة» .

دعا علماء تونغلين الى التعلم على مذهب يانغ شي ،
فاهتموا بكل شيء على الارض وتحت السماء .
لا تظنوهم مجرد مثقفين يطلقون الكلام جزافا ،
فقد هرق الدم قانيا عندما تجندلت رؤوسهم .
كان علماء تو نغلين جيلا صامد القلوب ،
يكافح الحكام الاشرار بعزيمة لا تلين .
تتلألأ نزاهة كاو بان-لونغ خالدة في المجد ،
وكل حرف من قصيدته الاخيرة يحرك شغاف القلب .

(من مقال : «في مديح بحيرة تايهو» ، صحيفة بكين اليومية ، ٧ ايلول ١٩٦٠) .

التعليق :

اكثر تنغ تو من الكتابة عن حزب تونغلين في السنوات الاخيرة . وقد اشاد خاصة بمقطع من بيتين وضع على اعمدة اكاديمية تونغلين . وقال ان اعضاء التونغلين «كان لهم هدفهم السياسي الخاص» سواء في دراستهم او في تعليمهم ، وأنهم كانوا جميعا ذوي «عود صلب» . من الواضح ان هناك ايضا «هدفا سياسيا» في هاتين القصيدتين اللتين تمتدحان روح التمرد و«مكافحة الحكام بعزيمة لا تلين» . ان تنغ تو وأقرانه يحاولون ، في نشاطهم ضد الحزب وضد الاشتراكية ان يرفعوا معنويات عصابتهم بالرجوع الى حزب تونغلين والتدثر بروحه المتمرد .

١١ ـ «احاديث المساء في ينشان» تهاجم الحزب والاشتراكية بذريعة اسداء «المعارف» .

«الانطلاق من أتفه الاشياء كالذباب او البق ، للانتهاء في شؤون السياسة» :

احد تكتيكات تنغ تو في مهاجمة الحزب والاشتراكية

تظهر «احاديث المساء» تباعا في هذه الصحيفة ، ومع ذلك فانها عمليا لم تقل شيئا عن الصحف ذاتها . لماذا ؟ هل يعود ذلك لكونك لا تهتم بالصحف ؟

وجه لي بعض اصدقائي الاقربين هذا اللوم **فلم اتمالك عن ان انفجر ضاحكا . وماذا اقول عن الصحف** ؟ طيب ، ها هي رسالة جاءت من احد القراء يطلب الي الكلام عن وفاة لين باي–شوي . وهذه مناسبة تسنح اخيرا للكتابة عن الصحافة .

اسس لين باي شوي بعد ثورة ١٩١١ «صحيفة المجتمع الجديد اليومية» في بكين . وكتب في احدى مقالاته: «يكون حسنا حقا ان تتوفر لنا الديمقراطية في الصين اليوم الا ان بقايا القوى الاقطاعية ما تزال سالمة وسوف نحتاج الى ١٥ يوما من الجهود لاجتثاثها» . وكما لاحظ بعضهم ، فقد انقضت ١٥ سنة بين كتابته المقالة وبين الثورة الكبرى عام ١٩٢٥ – ١٩٢٧ . ويمكن ان يعزى هذا الامر الى «بصيرته» ، **غير انه قيل ان مقالاته كانت تعالج مواضيع كثيرا ما تكون «ملتقطة بالصدفة» ، وكانت «تنطلق من أتفه الاشياء كالذباب او البق ، لتنتهي في شؤون السياسة» ، وانها كانت مليئة ب «الاستنكار تتخلله الفكاهة» . ولذا فقد اثارت سخطا خاصا لدى بعض الحكام .**

لقد اغلقت « صحيفة المجتمع الجديد اليومية» مرة بأمر رسمي . وعندما استأنفت الصدور ، اعلن لين باي–شوي : «من الان فصاعدا ، تحذف كلمة «جديد» من اسم «صحيفة المجتمع الجديد اليومية» ، بحيث ان اسم هذه الصحيفة صار على نحو ما مقطوع الرأس ، اشعارا بمعاقبة النفس» . وهكذا تحولت «صحيفة المجتمع الجديد اليومية الى «صحيفة المجتمع اليومية» .

(من مقال : «وفاة لين باي–شوي» احاديث المساء في ينشان ، المجلد الخامس ، ص ١٠٥–١٠٧ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٢٦ آب ١٩٦٢) .

التعليق :

لماذا لا يتمالك تنغ تو ، وهو الصحفي القديم ، عن ان «ينفجر ضاحكا» لمجرد ذكر الصحف ؟ ان هذا الامر يسترعي النظر فيه وسوف نكتشف عندها السبب وهو ان تنغ تو كان موضع نقد عندما كان يدير صحيفة ، وقد حفظ للحزب ضغينة من جراء ذلك .

كان لين باي ـ شوي رئيس تحرير صحيفة اسمها في بكين بعد ثورة ١٩١١ ، وصوره هو كاتبا يعالج مواضيع كثيرا ما تكون «ملتقطة بالصدفة» ، وأنها كانت تنطلق من أتفه الاشياء كالذباب او البق لتنتهي في شؤون السياسة. أليس هذا اعترافا من تنغ تو عن اساليبه الخاصة؟ وما العمل اذا لم يدرك القراء المغازي المقصودة في المقالات التي «يتكلف كل هذا العناء» في انشائها ؟ انه يعمد الى التلميح لهم ، باستنطاق احد الموتى ، ليشير اليهم ان ما يكتب عن قرميد السقوف والنحل وسائر هذه الاشياء ، «ينتهي كله في شؤون السياسة» . هذا هو المفتاح الذي ينبغي ان «نفك» به ألغاز «احاديث المساء في ينشان» .

ـ معظم «احاديث المساء في ينشان محشوة بالتوريات ولها «غرض سياسي» :

«اصوات الريح ، والمطر ، ومطالعة الكتب ، كلها تملأ آذاني ، وينصب اهتمامي على قضايا الاسرة والدولة والعالم كافة» .

هذا مقطع نظمه كو هسيان ـ تشنغ ، زعيم حزب تونغلين في عهد اسرة بينغ . لماذا عاد هذا المقطع فجأة الى ذاكرتي ؟ كنت اتحدث مع بعض اصدقائي ، فألفيتهم يعتقدون ان الاقدمين لم يكن لهم غرض سياسي من دراسة الكتب ، وأنهم كانوا يدرسون للدراسة فقط ، وأنهم لم يلصقوا ما يقرأون على اي غرض عملي . وقد استشهدت بهذا المقطع لاثبات ان رأيهم لا اساس له من الصحة . ثم انه مقطع لا يعرفه الا قلة من الناس ، وهناك حاجة للتدليل عليه .

يعني البيت الاول منه ان بيئة اكاديمية تونغلين كانت ملائمة لاولئك الذين يهبون انفسهم للدراسة . توفر حروفه الأحد عشر صورة حية للمشهد الذي تنصهر فيه اصوات الريح والمطر بصوت الانسان وهو يقرأ جهارا . يجعلنا هذا البيت نشعر وكأننا انتقلنا بأنفسنا الى الاكاديمية وسمعنا العلماء يقرأون ويحاضرون مضارعين كل اصوات الطبيعة .

ويفيد البيت الثاني ان كل الذين كانوا يدرسون في الاكاديمية كان ينبغي لهم الاهتمام بالسياسة . وتعكس هذه الحروف الاحد عشر تماما المثل العليا السياسية للعلماء من حزب تونغلين في ذلك الزمان وهي تحث المرء الا ينصب اهتمامه على شؤون اسرته وحسب ، بل ان يعنى كذلك بشؤون الدولة والعالم قاطبة .

واذا ما ربطنا البيتين ، استقام المعنى بمزيد من الوضوح : على المرء ان يجدّ في الدراسة وأن يهتم بالسياسة في الوقت ذاته ، وينبغي ان يتضافر الشيئان وثيقا . وبالاضافة الى ذلك فان **اصوات الريح والمطر في البيت الاول هي تورية يمكن فهمها على معنيين ، فتشير في آن الى**

الريح والمطر بوصفهما ظاهرتين طبيعيتين ، والى عواصف الحيـــاة السياسية . وبذلك فان للمقطع معنى **عميقا** .

واذا حكمنا بمنظورنـــا الحاضر ، امكننا رؤية **ان العلماء من حزب تونغلين كان لهم بوضوح غرض سياسي من دراستهم وتعليمهم .**

كما يزداد وضوحا ان على المرء ان يدرس بجد وأن يعنى بالسياسة في الوقت ذاته . والاقدمون انفسهم قد فهموا هذه الحقيقة وروجوا لها . فهل يمكن الا نعدلهم نحن وألا ندرك هذه الحقيقة؟ يجب علينا، بكل حال ، ان نفهمها على نحو أشمل وأنفذ من الاقدمين !

(من مقال : «الاهتمام بكل شيء» ، احاديث المساء في ينشان ، المجلد الثاني ص ٦٠ـ٦١ . نشر لاول مـرة في : اخبار بكين المسائية ، ٨ تشرين اول ١٩٦١) .

التعليق :

يقول لنا تنغ تو ان «العلماء من حزب تونغلين كان لهم بوضـــوح غرض سياسي من دراستهم وتعليمهم» ، وأن ما اسموه اصوات الريـح والمطر هو تورية ذات معنيين ، «تشير في آن الى الريح والمطر بوصفهمـا ظاهرات طبيعية ، والى عواصف الحياة السياسية» ، وأنها ذات معنــى «عميق» . ان تنغ تو ليكشف ههنا عن اساليبه هو .

ـ تحريض الناس على التعبير عن «سخطهم على الواقع الاجتماعي» باستخدام «طريقة الرسم الكاريكاتوري» :

عرف الأقدمون كيف يستخدمون الرسم سلاحا لفضح الاشخاص السيئين والاعمال السيئة ، وللثناء على الاشخاص الطيبين والاعمـــال الطيبة . وبذلك يمكن اعتبار الرسوم التي موضوعها المعارضة بين الخير والشر على انها نوع من الرسم الكاريكاتوري الصيني القديم .

الا ان رسامي الكاريكاتور القدامى لم يقدروا ، على العموم ، الواقع الاجتماعي في زمانهم على نحو نقدي ، وليس لهـــذا وحسب ، بل ان الشجاعة اعوزتهم لفضح الآثام الاجتماعية . ولذلك فقد اختار بعـــض الفنانين شكلا بالغ الاستخفاء للتعبير عن سخطهم على الواقع الاجتماعي في زمانهم .

وكانت اكثر الرسوم الكاريكاتورية استرعاء للانتباه هـــي بلا ريب رسوم «الفنانين الثمانية النشاز في يانغتشو» . كان هؤلاء الفنانون في الواقع رجال علم من الجنوب والشمال كليهما ، ساخطين على الواقـــع الاجتماعي . كانوا غاضبين ومشمئزين من المجتمع ، كلهـــم شكاوى ،

ويسيرون على نشاز مع زمانهم . لذا دعاهم الناس «نشازا» وقبلوا هم اللقب عن طيبة خاطر . ولما كانت هذه مشاعرهم ، فكان لا بد لرسومهم ان تكون على شيء من النشاز . لنأخذ اعمال لوليانغ-فنغ مثلا .. كان يجب رسم الاشباح فوق كل شيء وكسب بها شهرة عظيمة . وكل يعلم ان اشهر عمل له هو «صورة مزاح عن الاشباح» ويمكن اعتباره رسما كاريكاتوريا قديما نموذجيا .

(اننا) نعلم **ان تمثيله الهجائي للاشباح «ان في الواقع تمثيلا هجائيا للناس.** وفي مجتمع ذلك الزمان، لو استخدم الفنان الرسم الكاريكاتوري لهجاء الرجال الاحياء مباشرة ، لكان ساعياً الى المتاعب بكل بساطة . اما وقد هجا بضعة اشباح ، فلا ضير عليه . ومن المرجح ان الفنان ، قد قرر في النهاية ، على اثر مثل هذه الاعتبارات العملية ، ان يعتمد طريقة الرسم الكاريكاتوري لهجاء الاشباح .

(من مقال «الرسم الكاريكاتوري القديم» ، «احاديث المساء في ينشان» ، المجلد الثالث ص ٥١-٥٣ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٢ تشرين ثاني سنة ١٩٦١) .

التعليق :

التلميح ههنا شديد الوضوح . «التمثيل الهجائي للأشباح» هو «تمثيل هجائي للناس» ، يستخدم «طريقة الرسم الكاريكاتوري» للتنفيس عن السخط على الواقع الاجتماعي ولا ريب ان «احاديث المساء» تنسج على المنوال ذاته .

- الانسحاب المؤقت في الوضع الحرج

من بين الحيل الست والثلاثين ، الانسحاب هو خير حيلة

عرض لي كراس مطبوع على الآلة الناسخة ، عنوانه : «ست وثلاثون حيلة» .

انه يعدد الحيل الست والثلاثين ولكي يثبت نجاعتها ، يورد الامثلة ايضا عن تطبيقها من قبل الرواد الأقدمين . **وهنا تكمن قيمة الكراس** .

هل تكلم احد في الازمان الغابرة عن الحيل الست والثلاثين ؟ ومن هو اول المتكلمين عنها ؟ على قدر اطلاعي ... ربما كانت اول اشارة اليها هي التي وردت في «سيرة وانغ تشنغ-تسيه» من «تاريخ اسرة تشي الجنوبيين » .

نجد في هذه السيرة من «تاريخ اسرة تشي الجنوبيين» في المجلد ٢٦ ، النص التالي :

كان الامبراطور مصابا بمرض خطير . وعندما تمرد وانغ تشينغ ـ تسيه فجأة في الشرق ، ارتعدت الفرائص هلعا في البلاط . وكان وريث العرش الشرعي هو الامير الذي دعي بعد مماته السيد مخبول الرأس... ولما اخبر بان وانغ تشينغ-تسيه قد وصل ، اسرع في جمع المتاع والرحيل . علم وانغ تشينغ-تسيه بذلك فعلق عليه قائلا : «من بين الحيل الست والثلاثين لدى اللواء تان ، الفرار هو خير حيلة ، لا يستطيع الاب والأبن الا الفرار على عجل » .

وفي سيرة وانغ تشينغ-تسيه من «تاريخ الأسر الجنوبية» نجد العبارة ذاتها في المجلد ٤٥ : «لا يستطيع الاب والابن الا الفرار على عجل» ، ولكنها مردفة مباشرة بجملة اخرى : «ربما قال وانغ ذلك استهزاء بتان تاو-تشي الذي تجنب القتال ضد دولة واي» .

عاش تان تاو-شي قبل فترة وانغ تشينغ-تسيه بقليل ، وكان احد الألوية الذين ناصروا ليو يو وهو الامبراطور وو من اسرة سونغ ، لاقامة ملكه ايام الأسر الجنوبية . وبعد ان ورث العرش ليوبي-لونغ ، وهو الامبراطور من اسرة سونغ ، رفّع تان الى منصب سيد مقاطعة وو لينغ ومنحه لقب القائد العام لفتح الجنوب . وجه تان جيشه ضد دولة واي، وخاض نيفا وثلاثين معركة ظفر بها كلها . ومن بعدها ، نظرا للنقص في المؤن من الحبوب والعلف ، امر بالانسحاب معتمدا حيلا بارعة .

وردت هذه القصة بمزيد من التفصيل في «سيرة تان تاو-تشي» في المجلد ١٥ من «تاريخ الأسر الجنوبية» :

سار تان تاو-تشي ، بوصفه قائد قوات الحملة ، نحو الشمال للاستيلاء على البلاد ، وشق طريقه بالقتال الى نهر تشي غلب قوة كبيرة من دولة واي واحتل هواتامي . وخاض نيفا وثلاثين معركة ضد جيوش واي وظفر في معظمها . وعندما بلغ جيشه ليتشنغ ، نفدت مؤونته فعاد أدراجه . فاستسلم بعض الرجال الى واي وأخبروا العدو عن فقدان المؤن في جيش سونغ ، فانتشر القلق والخوف بين رجال تان وتدنت معنوياتهم . وعند المساء ، جعلهم تان يزنون رملا ويصيحون بالوزن بصوت عال وكأنهم يزنون أرزا ، وينثرون على الرمل ما كآن لديهم من أرز قليل . وبعد طلوع الفجر ظن جنود واي ان جيش تان كانت ما تزال لديه مؤونة كافية ، فامتنعوا عن ملاحقته . وظنوا ان الرجال المستسلمين قد كذبوا عليهم فضربوا اعناقهم . كان جنود تان أقل عددا ونال منهم الانهاك وكان الذعر سائدا في الجيش . امر تان رجاله بارتداء دروعهم وتقدم

هو نفسه على عربة حربية الى اطراف معسكره . فعندما رأى جنود واي ذلك ، خشوا من خديعة فلم يجرؤوا على الدنو وانسحبوا . وعلى الرغم من ان تاو-تشي لم يفلح في احتلال الارض جنوبي النهر الاصفر ، فقد عاد بجيشه سالما . فاسهم ذلك في نشر شهرته كبطل في كل مكان ، وصارت دولة واي تخشاه كثيرا .

فاذا حكمنا من خلال ذلك ، فان تان تاو-تشي لم يعمد الى حيلة **«الانسحاب هو خير حيلة» وحسب . وما كان لينجو بالانسحاب ، حتى لو اراد ذلك ، لو لم يعمد الى حيل سواها . وقد نجح في الانسحاب بأمان** بفضل اعتماده عدة حيل متناسقة ، مثل الانتشار العسكري الكاذب وبذر الشقاق في صفوف العدو ، وكانت نتيجتها ان جيوش واي لم تجرؤ على مواصلة اللحاق به . ولكننا ، كما نرى الامر اليوم ، نجد ان هزء وانغ تشينغ-تسيه لا يعدو اثبات انه نفسه لم يكن رائدا في شيء .

وبعد اجراء دراسة شاملة لما يعنينا في المواد المذكورة اعلاه ، واستخلاص نتائجنا الخاصة ، ندرك معنى القول انه من بين الحيل الست والثلاثين لدى تان تاو-تشي ، الانسحاب هو خير حيلة . واذا ما استخلصنا **مقتضيات ذلك ، أفلا يتضح ما هي الحيل الست والثلاثون؟**

(من مقال : «ست وثلاثون حيلة» احاديث المساء في ينشان . المجلد الخامس ص ٨٤-٨٧ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ٢ ايلول ١٩٦٢) .

التعليق :

«ست وثلاثون حيلة» هو آخر مقال في سلسلة «احاديث المساء في ينشان» ، صدر في ٢ ايلول ١٩٦٢ ، عندما كانت اللجنة المركزية الثامنة للحزب مزمعة أن تعقد دورتها الكاملة العاشرة . وجد تنغ تو ان الوضع يميل الى المجافاة ، فعمل بمقتضى القول انه «من بين الحيل الست والثلاثين ، الانسحاب هو خير حيلة» ، وأجرى الترتيبات المقتضاة للانسحاب . وكان عليه ، لكي يضمن سلامته في الانسحاب، ان يستخدم ذكاءه ويعمد الى بعض المناورات . ولو لم يلجأ الى حيل اخرى لما استطاع الانسحاب بسلام ، «حتى لو اراد ذلك». وقد عدد تنغ تو اسماء الحيل الست والثلاثين كلها لفائدة شركائه . وهكذا ، «قطعت» «احاديث المساء في ينشان» مؤقتا ، في حين واصل خان اللصوص في قرية الأسر الثلاث اعماله كالمعتاد ، محافظا على قواه ومتربصا ليعاود النشاط في لحظة مناسبة . ولكن تنغ تو أكانت لديه ٣٦ او ٧٢ حيلة ، لن يستطيع الافلات ابدا .

(نشر لاول مرة في «صحيفة جيش التحرير اليومية» و«صحيفة كوانغمينغ اليومية» في ٨ ايار ١٩٦٦) .

الوثيقة الثانية

رويت في القسم الاول من هذا الكتاب ظروف ظهور الاخطار ادناه، الذي يشكل نصا اساسيا في فهم الثورة الثقافية . وبالرغم من انه مصاغ بشكل غير شخصي ، فمن المحتمل انه يعود الى قلم ماوتسي تونغ ، كما يظهر اسلوبه المميز وعدد من اللمسات الفردية . ومن ناحيةاخرى سنرى في الملحق الرابع ان رئيس الحزب يعلن انه مؤلفه .

اخطار
من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني
(١٦ ايار ١٩٦٦)

الى المكاتب الاقليمية التابعة للجنة المركزية ولجان الحزب في المقاطعات والبلديات والمناطق ذات الحكم الذاتي والاقسام واللجان التابعة للجنة المركزية والجماعات الحزبية ولجان الحزب في الدوائر الحكومية والمنظمات الشعبية والهيئة العامة للاعمال السياسية لجيش التحرير الشعبي :

قررت اللجنة المركزية الغاء «التقرير الموجز الصادر عن اللجنة الخماسية المكلفة بالثورة الثقافية حول المناقشات الاكاديمية الحالية» الذي اجيز توزيعه في ٢١ شباط ١٩٦٦ ، وحل تلك «اللجنة الخماسية المكلفة بالثورة الثقافية» ومكاتبها ، وانشاء لجنة جديدة مكلفة بالثورة الثقافية تابعة مباشرة للجنة الدائمة للمكتب السياسي . ان ذلك التقرير الموجز من «اللجنة الخماسية» لخاطىء من اساسه ومتعارض مع خط الثورة الثقافية الاشتراكية الذي وضعته اللجنة المركزية والرفيق ماوتسي تونغ ، ويخالف المبدأ المرشد الذي اقرته الدورة العامة العاشرة للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر الوطني الثامن للحزب الشيوعي الصيني، المنعقدة في عام ١٩٦٢ حول مسألة الطبقات والصراع الطبقي في المجتمع الاشتراكي . ثم ان ذلك التقرير الموجز يتظاهر بالامتثال بينما يقاوم بشدة الثورة الثقافية الكبرى التي شنها ويقودها الرفيق ماوتسي تونغ نفسه

وكذلك يعارض التوجيهات الخاصة بنقد ووهان التي قدمها الرفيق ماوتسي تونغ في اجتماع العمل للجنة المركزية في ايلول – تشرين الاول ١٩٦٥ (اي في جلسة اللجنة الدائمة للمكتب السياسي المركزي حضرها ايضا الرفاق المسؤولون في جميع المكاتب الاقليمية التابعة للجنة المركزية) .

في الحقيقة ان التقرير الموجز المزعوم من «اللجنة الخماسية» ما هو سوى تقرير من صنع بنغ شنغ وحده ، اذ صاغه وفقا لآرائه الشخصية من وراء ظهر الرفيق كانغ شنغ عضو «اللجنة الخماسية» ورفاق آخرين . ان بنغ شنغ لم يجر في اثناء اعداد هذه الوثيقة التي تتعرض لمسائل هامة تؤثر في الوضع الكلي للثورة الاشتراكية ، لم يجر اطلاقا اية مناقشة ولا اي تشاور داخل «اللجنة الخماسية» ، ولم يطلب آراء اية لجنة من لجان الحزب المحلية ، ولم يفصح عن ان هذه الوثيقة ستعرض على اللجنة المركزية لمراجعتها كوثيقة رسمية للجنة المركزية ، وأكثر من ذلك فانه لم يحصل على موافقة الرفيق ماوتسي تونغ رئيس اللجنة المركزية بل التجأ الى وسيلة هي ابعد ما تكون عن النزاهة ، اذ تصرف في تعسف واستبداد ، وأساء استخدام صلاحياته ، وانتحل اسم اللجنة المركزية ، فوزع الوثيقة على نطاق الحزب في عجلة وتسرع .

وفيما يلي الاخطاء الرئيسية في التقرير الموجز :

اولا : انطلاقا من الموقف البورجوازي والنظرة البورجوازية للعالم فان التقرير الموجز قد قلب الامور رأسا على عقب اذ وضع كلا من العدو وأنفسنا في مكان الاخر ، وذلك عند تقريره للوضع الراهن في النقد الاكاديمي وعند نظره الى طبيعة هذا النقد. ان بلادنا تشهد الان مدا جبارا للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . وهذا المد يلطم بقوة جميع المواقع الايديولوجية والثقافية المتفسخة التي ما زالت تحتفظ بها البورجوازية وفلول الاقطاع . ان هذا التقرير الموجز لم يشجع الحزب كله على اطلاق اليد في تعبئة الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين والجنود والمناضلين البروليتاريين في ميدان الثقافة لمواصلة التقدم الى الامام ، بل حاول قدر المستطاع ان يحول مجرى الحركة نحو اليمين . واستعمل عبارات مرتبكة ومتنافرة وخداعة لطمس معالم الصراع الطبقي الذي يجري الان بصورة حادة في الجبهة الثقافية والايديولوجية ، وخاصة لطمس حقيقة ان الغرض من هذا النضال العظيم هو نقد ووهان **وغيره من ممثلي البورجوازية المعادين للحزب والاشتراكية الذين يشكلون مجموعة كبيرة (توجد مجموعة من ممثلي البورجوازية من هذا النوع في لجنة الحزب المركزية وفي اجهزة الحزب والحكومة والاجهزة الاخرى على المستوى المركزي وكذلك في المقاطعات والبلديات والمناطق ذات الحكم الذاتي) .**

ومن اجل اخفاء الطابع السياسي الخطير الشأن الذي يحمله هـــذا النضال ، لم يذكر هذا التقرير الموجز الحقيقة التي اشار اليها الرئيس ماو اكثر من مرة وهي ان المسألة الجوهرية في مسرحية «عزل هاي‌غوي» تتمركز حول العزل عن المنصب .

ثانياً : خالف هذا التقرير الموجز وجهة النظر الماركسية الاساسية القائلة بان الصراع الطبقي بجميع انواعه هو ـ في حد ذاته ـ نضـــال سياسي . فما ان تطرقت الصحف والمجلات الى المسائل السياسية التي تنطوي عليها مسرحية «عزل هاي غوي» بقلم ووهان حتى ذهب واضعو التقرير الموجز الى حد القول : «لا ينبغي ان تكون المناقشات في الصحف والمجلات منحصرة في المسائل السياسية ، بل يجب اجراء مناقشـــات مستفيضة حول مختلف المسائل النظرية والاكاديمية التي اثيرت اثنـــاء المناقشة» . كما انهم اعلنوا في مناسبات مختلفة انه لا يسمح ، في نقد ووهان ، بالتطرق الى المسألة الجوهرية في المسرحية ، مسألة عـــزل الانتهازيين اليمينيين عن مناصبهم في اجتماع لوشان عام ١٩٥٩ ، ولا مسألة النشاطات المعادية للحزب والاشتراكية التي قام بها ووهان وغيره. يعلمنا الرفيق ماوتسي تونغ دائما بأن النضال ضد البورجوازية فـــي المجال الايديولوجي هو صراع طبقي طويل الأمد لا يمكن انهاؤه باصـدار حكم سياسي على عجل . ولكن بنغ شنغ نشر الشائعات عن عمد ، فقال لكثير من الناس ان الرئيس ماويرى انه فيما يتعلق بنقد ووهان يمكـــن اصدار حكم سياسي بعد شهرين . وقال ايضا ان المسائل السياسيـــة يمكن مناقشتها بعد شهرين . لقد كان يهدف من وراء ذلك الى تسيـــير النضالات السياسية في المجال الثقافي في مدار المناقشة «الاكاديميـــة المحضة» التي تدعو اليها البورجوازية دائما . ومن الواضح الجلي انـــه يعارض اعطاء الاولوية للسياسة البروليتارية ويريد منح الاولوية للسياسة البورجوازيـــة .

ثالثا : شدد التقرير الموجز بصورة خاصة على ما يسمى بـ «فتح الباب للآراء» ، ولكنه في نفس الوقت لجأ الى اسلوب المكر والخـــداع فشوه من الاساس سياسة فتح الباب للآراء التي اوضحها الرفيق ماو تسي تونغ في المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول اعمـــال الدعاية في آذار ١٩٥٧ ، وأنكر المضمون الطبقي لهذه السياسة . وقـد اشار الرفيق ماوتسي تونغ في حديثه عن هذه المسألة بالضبط الى انه **«لا يزال لزاما علينا ان نخوض نضالا طويل الأمـــد ضد ايديولوجيـــة البورجوازية والبورجوازية الصغيرة . ومن الخطأ الا ندرك ذلك فنتخلى عن الصراع الايديولوجي. ان كل الافكار الخاطئة، وكل الاعشاب السامة، وكل الشياطين والغيلان يجب توجيه النقد اليها ولا يسمح لها بتاتـا ان**

تنتشر بلا رقيب» . وقال الرفيق ماوتسي تونغ ايضا : «**ان فتح الباب للآراء يعني السماح للجميع بالتعبير عن آرائهم في حرية ، بحيث يجرؤون على الكلام والنقد والجدال**» . ولكن هذا التقرير الموجز وضع «فتح الباب للآراء» في موضع متعارض مع قيام البروليتاريا بفضح موقف البورجوازية الرجعي . فان «فتح الباب للآراء» الذي يزعمه التقرير الموجز هو الحرية المطلقة التي تدعو اليها البورجوازية والتي تسمح للبورجوازية فقط بـ « ابداء الآراء » ولا تسمح للبروليتاريا بـ « ابداء الآراء» او صد هجمات البورجوازية وبتعبير اخر هو التستر على امثال ووهان من ممثلي البورجوازية الرجعيين. ان «فتح الباب للآراء» الذي يزعمه التقرير الموجز شيء يعارض افكار ماوتسي تونغ ويلبي حاجات البورجوازية.

رابعا : وعندما بدأنا بالرد على الهجوم المسعور الذي شنته البورجوازية رفع واضعو التقرير الموجز شعار «كل الناس سواسية امام الحق» . ان هذا الشعار شعار بورجوازي . لقد استخدموا هذا الشعار لحماية البورجوازية ومكافحة البروليتاريا ومكافحة الماركسية ـ اللينينية ومكافحة افكار ماوتسي تونغ ، منكرين طبقية الحق انكارا تاما . وفي النضال بين البروليتاريا والبورجوازية وكذلك بين حقيقة الماركسية وأباطيل البورجوازية وسائر الطبقات المستغلة ، فاما ان تتغلب الرياح الشرقية على الرياح الغربية واما ان تتغلب الرياح الغربية على الرياح الشرقية ، ولا يوجد هناك اية مساواة على الاطلاق . **هل يمكن ان نسمح بأية مساواة في المسائل الاساسية مثل نضال البروليتاريا ضد البورجوازية ودكتاتورية البروليتاريا في مجالات البناء الفوقي بما فيها مختلف المجالات الثقافية ونضال البروليتاريا من اجل مواصلة تطهير الحزب من ممثلي البورجوازية الذين تسربوا اليه والذين يلوحون بالراية الحمراء لمكافحة الراية الحمراء بالذات! لقد ظل الديمقراطيون الاشتراكيون القدامى طوال عشرات السنين والمحرفون المعاصرون منذ اكثر من عشر سنوات لا يسمحون للبروليتاريا ان تتمتع بأية مساواة مع البورجوازية. انهم ينكرون تماما حقيقة ان تاريخ البشرية الذي يرجع الى آلاف السنين هو تاريخ الصراع الطبقي ، وينكرون تماما الصراع الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا ضد البورجوازية ، وكذلك ينكرون تماما ثورة البروليتاريا ضد البورجوازية ودكتاتورية البروليتاريا على البورجوازية. فهم بالضبط عملاء اوفياء للبورجوازية والامبريالية يتمسكون معهما بالايديولوجية البورجوازية الداعية الى اضطهاد واستغلال البروليتاريا وبالنظام الاجتماعي الرأسمالي من ناحية ، ويعارضون معهما الايديولوجية الماركسية اللينينية والنظام الاجتماعي الاشتراكي من ناحية اخرى . اذن فهم جماعة من العناصر المعادية للثورة الذين يعارضون الحزب الشيوعي والشعب ،**

ونضالهم ضدنا هو نضال حياة او موت ليست فيه اية مساواة على الاطلاق . لذا فان نضالنا ضدهم لن يكون بدوره الا نضال حياة او موت، وان علاقتنا معهم ليست علاقات مساواة بأي حال من الاحوال ، بل هي علاقات اضطهاد طبقة لطبقة اخرى، اي الدكتاتورية او الحكم الاستبدادي الذي تمارسه البروليتاريا على البورجوازية ولا مجال لوجود اية علاقات اخرى مثل علاقة المساواة المزعومة او علاقة تعايش سلمي بين الطبقات المستغلة والطبقات المستغلة او علاقة قائمة على المروءة والشفقة .

خامسا : قال التقرير الموجز «انه ليس من الضروري ان نتغلب على الطرف الاخر في الناحية السياسية فحسب ، بل من الضروري ان نتفوق ونتغلب عليه فعلا والى حد كبير في المستويات الاكاديمية والمهنية» . وهذه النظرة التي لا تنظر الى الحدود الطبقية في الاعمال الاكاديمية هي نظرة جد خاطئة كذلك . ففيما يتعلق بالمسائل الاكاديمية فان البروليتاريا قد تفوقت الى حد كبير على البورجوازية وتغلبت عليها منذ زمن بعيد وذلك بفضل ما امتلكته من الحقيقة ، حقيقة الماركسية اللينينية ، حقيقة افكار ماوتسي تونغ . وقول التقرير الموجز ذلك دليل على ان واضعيه يبجلون «الثقات الاكاديميين» البورجوازيين ويحاولون رفع منزلتهم ، وكذلك دليل على انهم يحقدون على قوتنا الكفاحية الناشئة التي تمثل البروليتاريا في الاوساط الاكاديمية ويحاولون كبتها .

سادسا : يقول الرئيس ماو دائما انه لا بناء بدون هدم . والهدم يعني النقد ، يعني الثورة . والهدم يقتضي عرض الحجج وابداء المبررات، وهذه العملية هي البناء، فالهدم يأتي اولا ويتحقق البناء في اثناء الهدم. فان الماركسية اللينينية ، افكار ماوتسي تونغ ، قد ظهرت الى حيز الوجود وتطورت باضطراد في غمار النضال من اجل هدم الايديولوجية البورجوازية . ولكن هذا التقرير الموجز يؤكد انه «بدون بناء لا يمكن الوصول الى هدم حقيقي وتام» . وفي الواقع انه يمنع بذلك هدم الايديولوجية البورجوازية وبناء الايديولوجية البروليتارية فهو يقف ضد افكار الرئيس ماو وجها لوجه ويسير في اتجاه معاكس لاتجاه نضالنا الثوري في الجبهة الثقافية ــ هذا النضال الذي نخوضه لهدم الايديولوجية البورجوازية على نطاق واسع ، ويمنع البروليتاريا من ان تقوم بالثورة.

سابعا : يقول التقرير الموجز «يجب الا نتصرف كالعلماء الطغاة فنستبد بآرائنا ونستخدم نفوذنا في كبت آراء الغير» ، ويقول ايضا : «علينا ان نكون على حذر حتى لا يتبع العاملون الاكاديميون اليساريون خطى خبراء البورجوازية وعلمائها الطغاة» . ولكن ما معنى «العلماء الطغاة» ؟ ومن هم «العلماء الطغاة» ؟ أليس من الضروري ان تمارس البروليتاريا دكتاتوريتها وتتغلب على البورجوازية ؟ الا ينبغي للعمل

الاكاديمي البروليتاري ان يتغلب على العمل الاكاديمي البورجوازي ويقضي عليه ؟ أيمكن اعتبار العاملين الاكاديميين البروليتاريين «علماء طغاة» اذا ما تغلب العمل الاكاديمي البروليتاري على العمل الاكاديمي البورجوازي وقضى عليه ؟ ان التقرير الموجز يوجه رأس حربته الى اليساريين البروليتاريين ، ومن البديهي انه يريد الصاق بطاقة «العلماء الطغاة» بالماركسيين اللينينيين ، حتى يستطيع بالتالي ان يؤيد علماء البورجوازية الطغاة الحقيقيين ويصون مركزهم الاحتكاري المتداعي في الاوساط الاكاديمية . **في الحقيقة ان اولئك الحزبيين الذين يقبضون على زمام السلطة ويسلكون الطريق الرأسمالي والذين يؤيدون علماء البورجوازية الطغاة ، وأولئك الممثلين البورجوازيين الذين تسربوا الى الحزب ويحمون هؤلاء العلماء هم جميعا ـ على وجه التحديد ـ طغاة كبار في حزبنا ينتحلون اسم الحزب وهم اناس لا يقرأون الكتب والصحف ، ولا يختلطون بالجماهير ، ولا يمتلكون اية معرفة من المعارف ، بل يعتمدون فقط على «التعسف والاستبداد واستخدام النفوذ في كبت آراء الاخرين» .**

ثامنا : طالب واضعو التقرير الموجز بشن «حركة تقويم» ضد «اليساريين الثابتين» ، وذلك لدافع خفي الا وهو تعكير الماء من اجل الخلط بين الجبهات الطبقية وصرف الانظار عن هدف نضالنا. ان غرضهم الرئيسي في طرح التقرير الموجز بهذه العجلة هو كبت اليساريين البروليتاريين . فقد قاموا خصيصا بجمع المعلومات ضد اليساريين وهاجموهم بشتى الحجج والذرائع، وسعوا فوق ذلك الى تشديد الهجوم عليهم باسم «حركة التقويم» في محاولة عابثة لتقويض صفوف اليساريين. لقد قاوموا بصورة علنية السياسة التي طرحها الرئيس ماو بكل جلاء والتي تقضي بحماية وتأييد اليساريين والتشديد على بناء وتوسيع صفوف اليساريين ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى منحوا ممثلي البورجوازية والمحرفين والخونة الذين تسللوا الى الحزب لقب «اليساريين الثابتين» لاجل التستر عليهم . وهم يحاولون بذلك الهاب غرور اليمينيين البورجوازيين وتحطيم معنويات اليساريين البروليتاريين . ان قلوبهم لتمتلىء حقدا على البروليتاريا وتفيض حبا بالبورجوازية . وهذه هي نظرة الاخاء البورجوازية لدى واضعي التقرير الموجز .

تاسعا : في الوقت الذي بدأت فيه البروليتاريا تواً نضالها العنيف الجديد ضد ممثلي البورجوازية في الجبهة الايديولوجية ، مع العلم بأن هذا النضال لم يكن قد بدأ في كثير من الميادين والاماكن، **او قد بدأ ولكن الاكثرية الساحقة من لجان الحزب ما زالت ابعد ما تكون عن تفهم مهمة قيادة هذا النضال العظيم وهي بالتالي ابعد ما تكون عن الجدية والكفاءة في قيادته** . في هذا الوقت بالذات جاء التقرير الموجز ليؤكد مرارا

وتكرارا على ضرورة وضع النضال «تحت القيادة» وضرورة «الحذر والحيطة» و«التأني والتروي» وضرورة «الحصول على موافقة الهيئة القيادية المعنية» ، كل ذلك يهدف الى تكبيل اليساريين البروليتاريين باطارات معينة وفرض كثير من المحظورات والنواهي عليها بقصد تقييد حركتهم ووضع حواجز وعقبات متلاحقة في طريق الثورة الثقافية البروليتارية . وباختصار فان واضعي التقرير الموجز يتعجلون في كبح هذا النضال لاجل شن هجوم مضاد بغرض الانتقام . ان قلوبهم مثقلة بالحقد تجاه ما نشر من مقالات اليساريين البروليتاريين ردا على مقالات «ثقات» البورجوازية الرجعيين ، اما مقالاتهم التي لم تنشر بعد فقد احتجزوها . **وفي الوقت نفسه تركوا الباب مفتوحا على مصراعيه امام كل انواع الشياطين والغيلان ، وقد غمرت لسنوات طوال صفحات جرائدنا والاذاعات والمجلات والكتب والكتب المدرسية والخطب والاعمال الادبية والفنية والافلام السينمائية والمسرحيات والفولكلور الشعبي والفنون الجميلة والموسيقى والرقص ... الخ ، وهم في عملهم هذا لم يدعوا قط الى ضرورة الخضوع للقيادة البروليتارية ولم يطلبوا قط موافقة او اذنا . فيمكن للمرء ان يرى من هذه المقارنة الموقف الذي وقفه في الواقع واضعو التقرير الموجز .**

عاشرا : يتمركز النضال حاليا حول مسألة تطبيق ام مقاومة خط الثورة الثقافية الذي رسمه الرفيق ماوتسي تونغ . ولكن يقول التقرير الموجز : «وعبر هذا النضال وعلى هدى افكار ماوتسي تونغ سوف نشق طريقا لحل هذه المشكلة» (اشارة الى «التصفية التامةللافكار البورجوازية في الحقل الاكاديمي») . ان الرفيق ماوتسي تونغ قد شق الطريق منذ وقت طويل امامنا نحن البروليتاريين، في الجبهة الثقافية والايديولوجية وذلك في مؤلفاته مثل «حول الديمقراطية الجديدة» و«احاديث في ندوة الادب والفن في ينان» و«خطاب الى دار اوبرا بكين في ينان بعد مشاهدة اوبرا «الاضطرار للالتحاق بمتمردي جبل ليانغشان» و«حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب» و«خطاب في المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول اعمال الدعاية» . ولكن التقرير الموجز يرى ان افكار ماوتسي تونغ لم تشق لنا الطريق بعد ، وانه يجب شق الطريق من جديد . والواقع ان التقرير الموجز يحاول ان يستخدم راية «على هدى افكار ماوتسي تونغ» كستار لشق طريق يخالف افكار ماوتسي تونغ وهو طريق المحرفين المعاصرين او بعبارة اخرى طريق اعادة حكم البورجوازية .

ومجمل القول ان هذا التقرير الموجز يعارض المضي بالثورة الاشتراكية حتى النهاية ، ويعارض خط الثورة الثقافية الذي تنتهجه

لجنة الحزب المركزية برئاسة الرفيق ماوتسي تونغ ، ويوجه الضربات الى اليساريين البروليتاريين ويتستر على اليمينيين البورجوازيين وذلك لتهيئة الرأي العام من اجل اعادة حكم البورجوازية . هذا التقرير هو انعكاس للايديولوجية البورجوازية داخل حزبنا . وهو تقرير تحريفي قلبا وقالبا . ان النضال ضد هذا الخط التحريفي ليس اطلاقا بالامر البسيط ، بل هو قضية في الدرجة الاولى من الاهمية يتعلق بها مصير ومستقبل حزبنا ودولتنا وملامحهما في المستقبل وكذلك ثورة العالم .

وعلى لجان الحزب من مختلف المستويات ان تتوقف فورا عن تنفيذ «التقرير الموجز الصادر عن اللجنة الخماسية للثورة الثقافية حول المناقشات الاكاديمية الحالية» . وعلى كل الحزب ان يتبع توجيهات الرفيق ماوتسي تونغ ، **فيرفع عاليا الراية الكبرى للثورة الثقافية البروليتارية ويفضح فضحا تاما الموقف البورجوازي الرجعي الذي يقفه اولئك «الثقات الاكاديميون» المعادون للحزب والاشتراكية ، ويدحض تماما الافكار البورجوازية الرجعية في الاوساط الاكاديمية والتعليمية وأوساط الصحافة والادب والفن والنشر ، وينتزع سلطة القيادة في هذه المجالات الثقافية . ولتحقيق كل ذلك فانه من الضروري في نفس الوقت نقد ودحض ممثلي البورجوازية الذين تسربوا الى الحزب والحكومة والجيش ومختلف الدوائر الثقافية ، وتطهير هذه الهيئات من هؤلاء الاشخاص مع نقل بعضهم الى اعمال اخرى . وخصوصا لا يجوز ان نأتمنهم على قيادة اعمال الثورة الثقافية ، وفي الواقع ان كثيرا منهم كانوا وما زالوا يقومون فعلا بهذه الاعمال ، وفي هذا يكمن خطر كبير للغاية .**

ان ممثلي البورجوازية الذين تسربوا الى الحكومة والجيش ومختلف الدوائر الثقافية هم مجموعة من المحترفين المعادين للثورة ، سوف ينتزعون السلطة السياسية متى نضجت الظروف لذلك فيحولونها من دكتاتورية البروليتاريا الى دكتاتورية بورجوازية . وقد عرفنا بعض هؤلاء على حقيقتهم ، والبعض الاخر لم نكشف عن حقيقتهم بعد ، وآخرون منهم يحظون الان بثقتنا وهم يعدون ليصبحوا خلفا لنا ، فهناك اناس من طراز خروشوف مثلا ما زالوا بيننا ، وعلى لجان الحزب من مختلف المستويات ان تنتبه الى هذا الامر كل الانتباه .

يمكن ارسال هذا الاخطار مع تلك الوثيقة الخاطئة التي وزعتها اللجنة المركزية في ١٢ شباط ١٩٦٦ ، الى لجان الحزب على مستوى المحافظات وما فوقها ، ولجان الحزب في الهيئات الثقافية ، ولجان الحزب في القوات المسلحة على مستوى الافواج وما فوقها ، والرجاء من هذه اللجان ان تجري مناقشات حول هاتين الوثيقتين لترى ايهما خاطئة وأيهما صحيحة والى اي مدى تتفهم هاتين الوثيقتين وما هي المنجزات وما هي الاخطاء .

الوثيقة الثالثة

ان الوثيقة التالية لا يستغنى عنها في فهم الثورة الثقافية ، والتي تشكل ميثاقها الحقيقي . وهي تعتبر مصاغة تحت الاشراف الشخصي لماوتسي تونغ ، الامر الذي يعني ان اغلبها من تأليفه . ويوضح هذا النص بجلاء مسيرة الثورة الثقافية . ويشير فيها ماوتسي تونغ ، بعبقرية تنبؤ ملحوظة ، الى الموقف الواجب اتخاذه في حال حصول اضطرابات ، ويوصي بـ «القيام بالثورة مع دفع الانتاج» .

قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى

(أقر في ٨ آب ١٩٦٦)

١ ـ مرحلة جديدة في الثورة الاشتراكية :

ان الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، الجارية ، هي ثورة كبرى تمس ما هو اكثر عمقا عند البشر . وتشكل مرحلة جديدة في تطور الثورة الاشتراكية في بلدنا ، مرحلة اعظم اتساعا وعمقا في آن .

قال الرفيق ماوتسي تونغ في الدورة العامة العاشرة للجنة المركزية الثامنة للحزب : لاسقاط سلطة سياسية ، ينبغي دائما وقبل كل شيء خلق الرأي العام ، والقيام بالعمل على الصعيد الايديولوجي . يصح هذا بالنسبة للطبقة الثورية كما يصح بالنسبة للطبقة ضد الثورة . وقد اثبتت الممارسة ان هذه الموضوعة للرفيق ماوتسي تونغ صحيحة تماما.

على الرغم من ان البورجوازية قد اسقطت ، فانها ما تزال تحاول استخدام الافكار والثقافة والتقاليد والعادات القديمة للطبقات المستغلة، بغية افساد الجماهير والاستيلاء على عقولها ومحاولة القيام بالردة . وعلى البروليتاريا ان تصنع العكس تماما : يجب ان تجابه كل تحد من جانب البورجوازية على صعيد الايديولوجية مجابهة مقابلة وتستخدم

الافكار والثقافة والعادات والتقاليد الجديدة للبروليتاريا لتغيير السيماء الروحية للمجتمع كله . . وهدفنا في الوقت الحاضر هو مكافحة واسقاط اولئك الاشخاص ذوي السلطة الذين يسيرون في الطريق الرأسمالي ، ونقد واقصاء «الثقات» الاكاديميين البورجوازيين الرجعيين وايديولوجية البورجوازية وسائر الطبقات المستغلة ، وتحويل التربية والادب والفن وسائر اجزاء البناء الفوقي التي لا توافق الاساس الاقتصادي الاشتراكي ، بحيث يسهل توطيد وتطور النظام الاشتراكي .

٢ ـ التيار الرئيسي والتعرجات :

ان جماهير العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين والكوادر الثورية تؤلف القوة الرئيسية في هذه الثورة الثقافية الكبرى . لقد قام عدد كبير من الشباب الثوريين الذين كانوا مغمورين في الماضي يشقون الطريق بشجاعة واقدام . انهم اقوياء في العمل وأذكياء . وبواسطة الاعلانات بالحروف الكبيرة (دازيباو) والمناظرات الواسعة ، يقومون بمناقشة الامور ، ويفضحون وينقدون على نحو ناجز، ويشنون الهجمات الحازمة على ممثلي البورجوازية المكشوفين والمتسترين. ويكاد يستحيل، في مثل هذه الحركة الثورية الكبيرة ، الا تبدو منهم نقائص من نوع او آخر ، الا ان اتجاههم الثوري العام كان صحيحاً منذ البدء ، وهذا هو التيار الرئيسي في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . وهو المنحى العام الذي تواصل هذه الثورة التقدم فيه .

ولما كانت الثورة الثقافية ثورة ، فلا بد ان تلاقي مقاومة . وتصدر هذه المقاومة بصورة رئيسية عن ذوي السلطة الذين تسللوا الى داخل الحزب ويسلكون الطريق الرأسمالي . وتصدر ايضاً عن قوة العادات الاتية من المجتمع القديم . وما تزال هذه المقاومة حاليا على جانب من القوة والعناد . الا ان الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي ، في النهاية ، تيار عام لا يقاوم . والدلائل وافرة على ان مثل هذه المقاومة سرعان ما تنهار متى تم استنهاض الجماهير مليا .

ونظرا لوجود مقاومة على جانب من القوة ، فسوف تحدث انتكاسات ، ولسوف تتكرر الانتكاسات ، في هذا الصراع . ولا ضير في ذلك . انها تصلب عود البروليتاريا وسائر الشغيلة ، ولاسيما الجيل الصاعد ، وتلقنهم دروسا وتكسبهم خبرة ، وتساعدهم على فهم ان طريق الثورة متعرجة ولا تسير في السهل .

٣ ـ اعطوا الاولوية للاندفاع وعبئوا الجماهير دون تحفظ :

تتوقف نتيجة هذه الثورة الثقافية الكبرى على ما اذا كانت قيادة الحزب تقدم على تعبئة الجماهير دون تحفظ ام لا .

توجد حاليا اربعة اوضاع مختلفة بصدد قيادة حركة الثورة الثقافية من جانب منظمات الحزب في مستويات مختلفة :

١ ـ هناك وضع الاشخاص المسؤولين عن منظمات الحزب الذين يقفون على رأس الحركة ويقدمون على تعبئة الجماهير بجراة. انهم يعطون الاولوية للاندفاع ، انهم مناضلون شيوعيون جريئون وتلامذة جيدون للرئيس ماو . انهم انصار الدازيباو والمناظرات الواسعة . انهم يشجعون الجماهير على ان تفضح الاشباح والشياطين من كل نوع وتنتقد النقائص والاخطاء ايضا في عمل الاشخاص المسؤولين . ينتج هذا النوع الصحيح من القيادة عن وضع السياسة البروليتارية في الصدارة وأفكار ماوتسي تونغ في القيادة .

٢ ـ في وحدات عديدة يفهم الاشخاص المسؤولون مهمة القيادة في هذا النضال العظيم فهما ضعيفا جدا ، وقيادتهم شديدة البعد عن الجدية والفعالية . وبالتالي فانهم يجدون انفسهم غير اكفاء وفي موقف ضعيف . انهم يضعون الخوف فوق كل شيء اخر، ويتمسكون بالاساليب والانظمة البالية ولا يرغبون في قطع الصلة بالعادات المصطلح عليها وفي التحرك قدما . اخذهم ترتيب الامور الجديدة ، ترتيب الجماهير الثوري، على غرة ، وكانت النتيجة ان قيادتهم متخلفة عن الموقف ، متخلفة عن الجماهير .

٣ ـ في بعض الوحدات ، ارتكب الاشخاص المسؤولون اخطاء من نوع او اخر في الماضي ، فهم أشد ميلا بعد لوضع الخوف فوق كل شيء اخر ، خشية ان تقبض عليهم الجماهير . والواقع انهم ، اذا قاموا بنقد ذاتي جدي وقبلوا انتقاد الجماهير ، فان الحزب والجماهير سوف تصفح عن اخطائهم . اما اذا لم يقم الاشخاص المسؤولون بذلك ، فسوف يواصلون ارتكاب الاخطاء ، ويصبحون عثرات امام حركة الجماهير .

٤ ـ هناك بعض الوحدات يسيطر عليها اولئك الذين تسللوا الى داخل الحزب ويسيرون في الطريق الرأسمالي . ان مثل هؤلاء الاشخاص المسؤولين هم في منتهى الخوف من ان تفضحهم الجماهير ، ولذلك فانهم يبحثون عن كل ذريعة ممكنة لكبت حركة الجماهير . انهم يعمدون الى مناورات مثل تغيير اهداف الهجوم وقلب الاسود ابيضا ، في محاولة لتضليل الحركة . وعندما يجدون انفسهم في عزلة شديدة ويعجزون عن

مواصلة السير كالسابق ، يعمدون الى مزيد من التآمر ، ويطعنون الشعب في الظهر ، ويبثون الشائعات ، ويشوشون التمييز ما وسعوا بين الثورة والثورة المضادة ، من اجل الهجوم على الثوريين .

ان ما تطلبه لجنة الحزب المركزية من اللجان الحزبية في كل المستويات ، هو ان تثابر على اسداء القيادة الصحيحة ، وعلى اعطاء الاولوية للاقدام ، وتعبئة الجماهير بجرأة ، وتغير وضع الوهن والعجز حيثما وجد ، وتشجع اولئك الرفاق الذين ارتكبوا اخطاء ، لانهم راغبون في تصحيحها على ان يطرحوا عنهم اعباء اخطائهم وينضووا للنضال ، وتعزل كل ذوي السلطة الذين يسيرون في الطريق الرأسمالي من مناصبهم القيادية ، بحيث تستعاد القيادة للثوريين البروليتاريين .

٤ ـ فلتربي الجماهير نفسها في الحركة .

الطريقة الوحيدة في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي ان تحرر الجماهير نفسها بنفسها ، ولا يجوز استعمال اية طريقة تقوم على الاضطلاع بالعمل بدلا عن الجماهير .

ثقوا بالجماهير ، اعتمدوا عليها ، واحترموا مبادراتها . اطرحوا الخوف جانبا . لا تخشوا الاضطرابات . كثيرا ما قال لنا الرئيس ماو ان الثورة لا يمكن ان تكون شديدة الرقة والنعومة والاعتدال واللطف والتهذيب والاقتصار والاريحية . فلتربي الجماهير نفسها في هذه الحركة الثورية الكبرى ولتتعلم تمييز الحق من الباطل واساليب العمل الصحيحة من الخاطئة .

استخدموا طريقة الصحف الجدارية والمناظرات الواسعة على اتم وجه ممكن لمناقشة الامور ، بحيث تتمكن الجماهير من استجلاء الآراء الصحيحة ونقد الاراء الخاطئة وفضح كل الاشباح والشياطين . تستطيع الجماهير على هذا النحو ان ترفع وعيها السياسي في مجرى الصراع ، وتنمي كفاءاتها ومواهبها ، وتميز الحق من الباطل ، وترسم خطا فاصلا واضحا بيننا وبين العدو .

٥ ـ فلنطبق بحزم خط الحزب الطبقي

من هم اعداؤنا ؟ من هم اصدقاؤنا ؟ هذا سؤال في مقام الاهمية الاول بالنسبة للثورة وفي مقام الاهمية الاول كذلك للثورة الثقافية الكبرى .

يجب ان تجيد قيادة الحزب اكتشاف اليسار وانماء وتعزيز صفوفه . يجب ان تعتمد بحزم على اليسار الثوري . هذه هي الطريقة

الوحيدة ، ابان الحركة، لعزل اشد اليمينيين رجعية عزلا تاما، ولاكتساب الوسط والاتحاد بالاكثرية العظمى ، بحيث نحقق ، في نهايـة الحركة ، وحدة اكثر من ٩٥٪ من الكوادر واكثر من ٩٥ بالمئة من الجماهير .

ركزوا كل القوى لضرب الحفنة من اليمينيين البرجوازيين الرجعيين المتطرفين ومن التحريفيين المعادين للثورة . ولفضح ونقد جرائمهم ضـد الحزب والاشتراكية وافكار ماوتسي تونغ ، على نحو تام ، بحيث يتـم عزلهم الى الحد الاقصى .

ان الهدف الرئيسي من الحركة الراهنة هو اولئك الذين في داخل الحزب ويتبوأون السلطة ويسيرون في الطريق الرأسمالي .

ينبغي التمييز بعناية دقيقةبين اليمينيين المعادين للحزب والاشتراكية وبين الذين يؤيدون الحزب الاشتراكي الا انهم قالوا وفعلوا شيئا خاطئا او كتبوا بعض المقالات او الاعمال السيئة الاخرى .

وينبغي التمييز بعناية دقيقة بـين الطغاة و«الثقات» العلميـين البورجوازيين الرجعيين من جهة ، وبين الناس الذين يعتنقون الافكـار الاكاديمية البورجوازية العادية من الجهة الاخرى .

٦ ـ فلنعالج التناقضات بين الشعب معالجة صحيحة

يجب التمييز بدقة بين النوعين المختلفين من التناقضات: التناقضات بين الشعب والتناقضات بين انفسنا والعدو . لا يجوز تحويل التناقضات بين الشعب الى تناقضات بين انفسنا والعدو . كما لا يجوز اعتبـار التناقضات بين انفسنا والعدو على انها تناقضات بين الشعب .

انه امر سليم ان تعتنق الجماهير آراء مختلفة . والتنافس بـين الآراء المختلفة أمر لا يمكن اجتنابه ، انه ضروري ونافع . وسوف تؤكـد الجماهير ما هو صحيح ، في مجرى المناظرة السياسية المليئة ، وتصحح ما هو خاطىء ، وتبلغ الاجماع بالتدريج .

الطريقة التي ينبغي اتباعها في المناظرات هي عرض الوقائعومحاكمة الامور بالمنطق والاقناع من خلال المحاكمة العقلية . ولا يجوز استعمـال الاكراه لاخضاع اقلية تحملآراء مخالفة . يجب حماية الاقلية لانالحقيقة تكون احيانا الى جانبها . وحتى لو كانت الاقلية على خطأ فينبغي ان يتاح لها الاحتجاج لقضيتها والاحتفاظ بآرائها .

عندما تقوم مناظرة يجب ادارتها بالمحاكمة العقلية وليس بالاكـراه والقـوة .

يجب على كل ثوري خلال المناظرة ان يجيد التفكير بالامور بنفسه ،

وأن ينمي تلك الروحية الشيوعية القائمة على الجرأة في التفكير والجرأة في التعبير والجرأة في العمل . وفي اطار الاتجاه العام الواحد ينبغي على الرفاق الثوريين ، من اجل تعزيز الوحدة ، ان يجتنبوا النقاش الذي لا ينتهي حول النقاط الثانوية .

٧ — ينبغي الحذر من الذين يصمون الجماهير الثورية بأنها « معادية الثــورة »

ان بعض المسؤولين في عدد من المؤسسات التعليميــة ، هيئات او مجموعات عمل ، قد نظموا هجمات مضادة على الجماهير التي انتقدتهم بواسطة الصحف الجدارية . حتى ان هؤلاء الاشخاص رفعــوا شعارات مثل : معارضة قادة احدى الهيئات او مجموعات العمل هو معارضة للجنة المركزية للحزب ومعارضة للحزب والاشتراكية وهو عمل مضاد للثورة . على هذا النحو، لا مناص من ان تقع ضرباتهم على بعض المناضلين الثوريين الحقيقيين . انه خطأ في شؤون التوجيه ، خطأ في الخط ، ولا يمكــن السماح به اطلاقا .

ويفيد عدد من الاشخاص الذين يعانون الاخطاء الايديولوجية البالغة ولاسيما بعض اليمينيين المعادين للحزب والاشتراكية ، من بعض النقائص والاخطاء في الحركة الجماهيرية ، بغية نشر الشائعات والثرثرة، ويثيرون القلاقل ، ويعمدون الى وصم بعض الجماهير بأنها «ضد الثورة» . يجب الاحتراز من هؤلاء «النشالين» وفضح حيلهم في الوقت المناسب .

وباستثناء قضايا المعادين النشيطين للثورة، التي تتوفر فيها الادلة الجرمية الواضحة ، مثل القتل والنهب والسم والتخريب وسرقة اسرار الدولة ، والتي ينبغي معالجتها وفق القانون ، فلا يجوز اتخاذ اي اجراء، في مجرى الحركة ، ضد طلاب الجامعات والمعاهد العاليــــة والمدارس الثانوية والابتدائية بسبب مسائل تنشأ في الحركة . ولا يباح ، بأيـــة حجة كانت ، تحريض الجماهير او الطلاب للنضال ضد بعضهم بعضا ، وذلك لاجتناب تحويل النضال عن هدفه الرئيسي . وحتى اليمينيـــين الثبوتين ، يجب معاملتهم وفقا لاستحقاق كل حالة وذلك فــي مرحلــة متأخرة من الحركة .

٨ — مسألة الكوادر

تدخل الكوادر بصورة اجمالية في الفئات الاربع التالية :

١ — الجيــدون .

٢ — الجيدون نسبيا .

٣ ـ الذين ارتكبوا اخطاء بليغة الا انهم لم يصبحوا يمينيين ضد الحزب والاشتراكية .

٤ ـ قلة من اليمينيين المعادين للحزب والاشتراكية .

الفئتان الاولى والثانية (الجيدون والجيدون نسبيا) هما الغالبية العظمى بصورة عامة .

يجب فضح ودحض واسقاط اليمينيين المعادين للحزب والاشتراكية، ونزع الثقة منهم تماما وازالة تأثيرهم . **وفي الوقت ذاته ، يجب اعطاءهم الفرصة لفتح صفحة جديدة في حياتهم .**

٩ ـ الجماعات واللجان والمؤتمرات الثورية الثقافية

بدأت اشياء جديدة كثيرة تظهر في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . فالجماعات واللجان والاشكال التنظيمية الاخرى للثورة الثقافية التي خلقتها الجماهير في كثير من المدارس والهيئات ، هي شيء جديد وذو اهمية تاريخية كبرى .

هذه الجماعات واللجان والمؤتمرات الثورية الثقافية هي اشكال تنظيمية جديدة ممتازة تربي الجماهير نفسها فيها بقيادة الحزب الشيوعي . انها جسر ممتاز لابقاء حزبنا على صلة وثيقة بالجماهير . انها اجهزة سلطة للثورة الثقافية البروليتارية .

ان نضال البروليتاريا ضد الافكار والثقافة والتقاليد والعادات القديمة التي خلفتها الطبقات المستغلة كافة منذ آلاف السنين ، سوف يستغرق بالضرورة زمنا طويلا جدا ، ولذلك يجب الا تكون الجماعات واللجان والمؤتمرات الثورية الثقافية منظمات مؤقتة ، بل منظمات جماهيرية قائمة دائمة . انها ملائمة ليس للمعاهد العالية والمدارس والمؤسسات الحكومية وغيرها وحسب ، بل على نحو عام ايضا للمصانع والمناجم وسائر المشاريع والاحياء المدنية والقرى .

ينبغي تأسيس نظام انتخابات عامة ، شبيه بنظام الانتخاب في عامية باريس ، لانتخاب اعضاء الجماعات واللجان الثورية الثقافية والمندوبين الى مؤتمرات الثورة الثقافية . اما قوائم المرشحين ، فيجب ان تضعها الجماهير الثورية بعد اجراء نقاشات مستفيضة ، وينبغي ان تتم الانتخابات بعد ان تكون الجماهير قد ناقشت القوائم مرارا وتكرارا .

وللجماهير ان تنتقد في كل وقت اعضاء الجماعات واللجان الثورية الثقافية والمندوبين المنتخبين للمؤتمرات الثورية الثقافية . واذا ثبتت

عدم كفاءة هؤلاء الاعضاء او المندوبين ، فيمكن استبدالهم عن طريق الانتخاب ، او اقالتهم من قبل الجماهير بعد المناقشة .

يجب ان تتألف الجماعات واللجان والمؤتمرات الثورية الثقافية في المعاهد العالية والمدارس بصورة رئيسية من ممثلي الطلاب الثوريين. وفي الوقت ذاته ، يجب ان تضم عدداً معينا من الممثلين الثوريين من الهيئات التدريسية والادارية والعمال .

١٠ ـ الاصلاح التربوي :

ان تحويل النظام التربوي القديم ومبادىء وطرق التعليم القديمة هو مهمة بالغة الاهمية في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى .

ان ظاهرة سيطرة المثقفين البورجوازيين على مدارسنا ينبغي تغييرها تغييرا تاما في هذه الثورة الثقافية الكبرى .

يجب ان نطبق تطبيقا ناجزا في كل انواع المدارس ، السياسة التي طرحها الرفيق ماوتسي تونغ حول خدمة التربية لسياسة البروليتاريا واقتران التربية بالعمل المنتج ، بحيث يتاح للذين يتلقون التربية ان يتطوروا اخلاقيا وعقليا وجسمانيا ويصبحوا عمالا حائزين الوعي الاشتراكي والثقافة .

يجب اختصار مدة الاقامة في المدرسة . يجب انقاص عدد الدروس وتحسين جودتها . يجب تحويل مواد التعليم تحويلا ناجزا ، على ان يبدأ في بعض الاحوال بتبسيط المواد المعقدة . ومع ان مهمة الطلاب الاولى هي الدراسة ، فيجب ان يتعلموا ايضا العمل الصناعي والزراعة والشؤون العسكرية ويسهموا في نضالات الثورة الثقافية لنقد البورجوازية عندما تحدث هذه النضالات .

١١ ـ مسألة النقد بالاسم في الصحافة :

في مجرى الحركة الجماهيرية للثورة الثقافية، يجب اجادة التضافر بين ايديولوجية البورجوازية والاقطاع ، وبين نشر مفهوم البروليتاريا عن العالم والماركسية ـ اللينينية ـ افكار ماوتسي تونغ .

ويجب تنظيم نقد الممثلين النموذجيين للبورجوازية الذين تسللوا الى داخل الحزب و«الثقات» الاكاديميين البورجوازيين النموذجيين ، بما في ذلك نقد مختلف انواع الآراء الرجعية في الفلسفة والتاريخ والاقتصاد السياسي والتربية وفي اعمال ونظريات الادب والفن ونظريات العلوم

الطبيعية وسائر الميادين .

ان نقد اي شخص باسمه في الصحافة يجب ان تقرره اللجنة الحزبية على ذات المستوى بعد المناقشة ، وفي بعض الحالات يجب طرحه على اللجنة الحزبية من مستوى اعلى لأخذ الموافقة .

١٢ ـ السياسة تجاه رجال العلم والتقنيين والموظفين العاديين

اما العلماء والتقنيون والموظفون العاديون فما داموا وطنيين ويعملوا بنشاط وليسوا ضد الحزب والاشتراكية ، ولا يتواطؤون مع اية دولة اجنبية فيجب ان نستمر في الحركة الراهنة على تطبيق سياسة «وحدة ، فنقد ، فوحدة» . ويجب بذل عناية خاصة لاولئك العلماء والعاملين العلميين والمهنيين الذين تميزوا في عملهم . اما بالنسبة لمفهومهم عن العالم وأسلوب عملهم فيمكننا مساعدتهم على اصلاحهما بالتدريج .

١٣ ـ مسألة التدابير الاندماج بحركة التثقيف الاشتراكي في المدينة والريف .

ان المؤسسات الثقافية والتربوية وأجهزة قيادة الحزب والدولة في المدن الكبرى والمتوسطة هي النقاط التي تتركز فيها الثورة الثقافية البروليتارية الراهنة .

لقد اغنت الثورة الثقافية الكبرى حركة التثقيف الاشتراكي في المدينة والريف على السواء ورفعتها الى مستوى اعلى . يجب بذل الجهود لربط هاتين الحركتين في تضافر وثيق . ويمكن اتخاذ التدابير لهذه الغاية في مختلف المناطق والدوائر على ضوء ظروفها النوعية .

لا ينبغي المساس بحركة التثقيف الاشتراكي الجارية فيالريف وفي المؤسسات المدينية، حيث تكون التدابير الاصلية بشأنها ملائمة والحركة سائرة سيرا حسنا ، بل ينبغي ان تستمر وفقا للتدابير الاصلية . الا ان المسائل التي تنشأ في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الراهنة يجب طرحها على الجماهير للمناقشة في الوقت المناسب ، بغية المضي في تنمية ايديولوجية البروليتاريا بقوةواستئصال ايديولوجية البورجوازية.

وتستخدم الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى في بعض الاماكن بوصفها نقطة التركز لزيادة عزم حركة التثقيف الاشتراكي وللتطهير في ميادين السياسة والايديولوجية والتنظيم والاقتصاد . ويمكن اجراء ذلك حيثما تراه لجنة الحزب المحلية ملائما .

١٤ ـ القيام بالثورة ودفع الانتاج

ان الغاية من الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي تثوير فكر البشر وبالتالي بلوغ نتائج اعظم وأسرع وأجود وأكثر توفيرا في ميادين العمل كافة . واذا ما استنهضت الجماهير تماما واتخذت التدابير الملائمة، فانه يمكن مواصلة الثورة الثقافية والانتاج كليهما دون ان يعرقل احدهما الاخر ، مع ضمان الجودة الرفيعة في عملنا كله .

الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي قوة محركة جبارة لتطوير القوى المنتجة الاجتماعية في بلدنا . وكل تفكير في معارضة الثورة الثقافية الكبرى بتطوير الانتاج يكون خاطئا .

١٥ ـ القوات المسلحة

يجب القيام بالثورة الثقافية وبحركة التثقيف الاشتراكي في القوات المسلحة وفقا لتوجيهات اللجنة العسكرية التابعة للجنة الحزب المركزية والدائرة السياسية العامة في جيش التحرير الشعبي .

١٦ ـ افكار ماوتسي تونغ هي مرشد العمل في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى

لا بد في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، من ان نعلي الراية الحمراء العظيمة لافكار ماوتسي تونغ ومن ان نضع سياسة البروليتاريا في مركز القيادة ، يجب مواصلة حركة دراسة وتطبيق اعمال الرئيس ماوتسي تونغ على نحو خلاق ، بين جماهير العمال والفلاحين والجنود والكوادر والمثقفين ، ويجب اتخاذ افكار ماوتسي تونغ مرشدا للعمل في الثورة الثقافية .

ويجب على لجان الحزب من كافة المستويات ، في هذه الثورة الثقافية الكبرى المعقدة ، ان تدرس وتطبق اعمال الرئيس ماو بمنتهى الوجدان وعلى نحو خلاق . وبصورة خاصة ، عليها ان تدرس مرارا وتكرارا كتابات الرئيس ماو حول الثورة الثقافية وحول طرق القيادة الحزبية ، مثل **«في الملأ الجديد»** ، **«احاديث في ندوة ينان حول الادب والفن»** ، **«في المعالجة الصحيحة التناقضات بين الشعب»** ، **«خطاب في الندوة الوطنيةللحزب الشيوعي الصيني حول العمل الدعائي»** ، **«بعض المسائل بصدد طرق القيادة»** ، **«طرق عمل اللجان الحزبية»** .

يجب على اللجان الحزبية من كل المستويات ان تتقيد بالتوجيهات

التي اسداها الرئيس ماو على مر السنين، ولاسيما انتطبق خط الجماهير الذي يعني «من الجماهير والى الجماهير»، وأن تكون تلميذة قبل ان تصير معلمة . عليها ان تتجنب النظر من جانب واحد ضيق الأفق . عليهاَ ان تنمي الجدلية المادية وتعارض الميتافيزيقية والمدرسية .

الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى قمينة ان تحقق ظفرا باهــــرا تحت قيادة لجنة الحزب المركزية برئاسة الرفيق ماوتسي تونغ .

الوثيقة الرابعة

ماوتسي تونغ يحلل الثورة الثقافية

يجمع النص التالي احاديث من المحتمل ان ماوتسي تونغ ادلى بها في تموز ١٩٦٧ . وقد نشرت على شكل ملصقات في شوارع بكين ونشرتها في البلاد مجموعات ثورية على شكل منشورات وكتيبات صغيرة ، بعد ذلك بشهرين . وبما ان المسألة ليست مسألة مقالة لماوتسي تونغ ، بل احاديث ادلى بها كما يبدو جوابا على اسئلة مطروحة ، وبما انه ليس ممكننا الان مقابلة هذه الترجمة بالاصل الصيني ، فلا يمكننا اعتبار هذه الوثيقة تعبيرا دقيقا منسقا لآرائه ، هذا اذا صحت نسبتها . وقد نشرت مجلات مختلفة باللغة الانكليزية هذا النص . وكانت الملصقات الموضوعة في بكين تشير الى أن ماوتسي تونغ كان يتوجه الى وفد اجنبي .

١ ــ مراحل الثورة الثقافية :

خلال العام الاول من الثورة الثقافية انجزت الاستعدادات . والعام الثاني هو عام الانتصار واقامة الهيئات المؤقتة للسلطة ، والتحويل الثوري للنفوس . اما العام الثالث فسيكون عام اعادة النظام . في اللحظة الراهنة ، ان المهمات الاكثر اهمية هي مهمات النقد الجماهيري وتحقيق التحالفات الكبرى والاتحاد المثلث .

لقد كان نشر مقال ياو ون-يوان اشارة الانطلاق . وكان بنغ شنغ وأشخاص آخرون عائقا امامه . وحتى اقتراحي بطبعه في كتيب جرى رفضه . وهكذا كان علي ان اكتب اخطار السادس عشر من أيار ، حيث طرحت بشكل واضح مسألة الخطين والطريقين . وثمة اشخاص كثيرين في تلك الفترة كانوا يعتقدون ان آرائي قد اصبحت متخطاة ، وأحيانا كنت الوحيد الذي يدعمها . وقد حضرت الدورة العامة الحادية عشرة بنفس الذهنية ، حيث ساندتني اكثرية هزيلة ، بينما كان كثير من

الرفاق غير موافقين : لي شنغ–تسيان مثلا وكذلك ليولان–تاو (١) . ان المرحلة الاولى من الثورة الثقافية تمتد من نشر مقال ياو ون–يوان حتى الدورة العامة الحادية عشرة .

وبعد اجتماع عمل اللجنة المركزية جرى التشديد على نقد الخط الرجعي البورجوازي . وقد اثار ذلك النقد حماس العديد من الثوريين. وكان المثقفون الثوريون والشبان الطلاب اول من حصل وعيه ، وهذا ما يطابق قوانين التطور الثوري . وفي شباط من هذا العام ، تعبأ عمال شانغهاي كما فعل عمال كل البلاد والفلاحون كذلك . وهكذا كنست عاصفة كانون الثاني البلاد . ان تقدم الحركة اظهر أن العمال والفلاحين هما دائما القوة الرئيسية – والجنود ليسوا سوى عمال وفلاحين في الزي الموحد – . وعندما نتكلم عن الجنود ، فهم بشكل اساسي عمال وفلاحون. ولن تكنس كل الرداءة البورجوازيةالا عندما تنتصب الجماهير العمالية والفلاحية ، بينما يعود المثقفون الثوريون والشبان الطلاب الى مركز ثانوي .

اليس الامر كذلك ؟ فمنذ ان قام العمّال قضوا على «الاقتصادية» الرجعية ، وانتزعوا السلطة من ايدي المسؤولين السائرين في الطريق الرأسمالي ودفعوا بالتحالفات الثورية والاتحاد المثلث . وهذا قانون من قوانين تطور الحركة الثورية : هذا ما حصل في الثورة الديمقراطية ، وفي الثورة الثقافية كذلك . خلال حركة الرابع من ايار (٢) التي كانت حركة ثورية ديمقراطية ، كان العمال اول من وعى ومن بدأ بالتحرك ، لكن ، مباشرة بعد ذلك اصبح العمال والفلاحون القوة الرئيسية في حركتي الحملة الى الشمال (٣) والمسيرة الطويلة الثوريتين .

ويمكننا اعتبار الفترة الممتدة من الدورة العامة الحادية عشرة حتى ثورة كانون الثاني المرحلة الثانية . ومنذ كانون الثاني ، يمكن اعتبار نقل السلطة والتحالف الكبير والاتحاد المثلث المرحلة الثالثة . وبالرغم من ان الجماهير العمالية والفلاحية الواسعة دفعت بالتحالفات الكبرى والاتحاد المثلث ، وبالرغم من ان اللجنة المركزية أملت ان تحصل التحالفات الكبرى

---

(١) مسؤولا ستشوان وشنسي ، على التوالي .

(٢) تظاهرة تاريخية لطلاب بكين في الرابع من ايار ١٩١٩ ، تبعتها اضرابات في كل البلاد واطلقت حركة ثورية انتهت بشكل مأساوي عام ١٩٢٧ .

(٣) عام ١٩٢٦ و١٩٢٧ ، شرعت جيوش الكومينتانغ المتحالفة آنذاك مع الشيوعيين ، بتخليص البلاد من «اسياد الحرب» .

بشكل سريع ، فان البروليتاريا يجب ان تحول العالم طبقا للمفهوم الذي تملكه ، بينما تحاول البورجوازية تحويلـــه طبقا لمفهومهـــا الخاص . فالايديولوجية البورجوازية والبورجوازية الصغيرة ، التي كانت في أوج نموها بين المثقفين والشبان الطلاب ، قد هدمت ذلك الموقف . فكانت كل طبقة ما تزال تحاول التعبير عن نفسها بعناد . وبما ان قوانـــين الصراع الطبقي لا يمكن تغييرها بموجب الرغبات الذاتية للبشر ، فلم نستطع ان نشكل تحالفات كبرى ، وتلك التي تحققت تحطمت بسرعة كبيرة ولم تعد قائمة . لأجل ذلك كان علينا الان ان نبطىء الحركة .

بعد نشر مقـــال تزي بن ـ يَ : **وطنية ام انهزامية وجوهر الاتقان الذاتي هو خيانة ديكتاتورية البروليتاريا** ، بلغت الحركة مرحلتها الرابعة، وكانت تلك اللحظة الحرجة في النضال بين خطين ، بين طبقتين . وهنا ، بالاضافة الى ذلك ، لدي شيء اقوله حول اولئك الذين كانوا مخدوعين . والغالبية هم عمال وفلاحون وكوادر حزبية وفي عصبة الشبيبةالشيوعية. علينا ان نثق ب ٩٥٪ من الجماهير والكوادر ، وبذلك علينا ان نحافظ على ثقتنا بأولئك المخدوعين بشكل مؤقت . هـــذه مشكلة على كل واحـد ان يفكر فيها جديا .

ان العمال والفلاحين والجنود ليسوا لهم اتصالات مباشرة بالمعادين للثورة . واكثر من ذلك فان هؤلاء يلوحون بالراية الحمراء ، ويستعيدون لحسابهم توجيهات اللجنة المركزية. ان العمال والفلاحين والجنود وكذلك الكوادر الذين يشكلون هيكل الحزب والعصبة ، لديهم مشاعر بروليتارية عميقة . وهكذا كان يمكن خداعهم بسهولة ، ولكـــن ما ان يغـــيروا ايديولوجيتهم حتى يجري كل شيء على ما يرام .

وفي الوقت الحاضر رفع غطاء الصراعات الطبقية . والجماهـــير العمالية والفلاحية تسلحت حقا بالماركسية اللينينية ، انها قوة ماديـــة جبارة . لقد كان المثقفون دائما اسرع من العمال والفلاحين الى التحرك ، لكنهم ايضا اكثر تقلقلا وعندهم ميل قوي الى الانتهازية . اذا كـــان المثقفون الثوريون يريدون حقا القيام بالثورة حتى النهاية ، فعليهـــم باستمرار التغير عن طريق ممارسة العمل اليدوي . وهذا يتأتى عن انهم تلقوا ، ومن ضمنهم الطلاب الشباب، تربية بورجوازية من حيث الاساس، خلال عشرات السنوات . ان التربية البورجوازية متأصلة فيهم ، وان لم يبذلوا جهودا ضخمة من اجل تغيير مفهومهم عن العالم ، فان الامـور ستتحول الى اضدادها. انني اعتقد دائما ان الغالبية العظمى من المثقفين، داخل او خارج الحزب ، تبقى بورجوازية جوهريا . وفي هذه اللحظـة الحاسمة من الصراع الطبقي ، علينا ان نشدد على اصلاح مفهومنـــا عن العالم .

٢ ـ اهداف اللحظة الاستراتيجية الكبرى :

تحالفات كبرى ، واتحاد مثلث ، يجب الحصول عليهما عبر نقد الجماهير الثوري .

ان الثورة الثقافية الجارية لن تصل الى نهايتها في وقت قصير جدا . فهي ستتطور بعد اكثر عمقا وباتساع اكبر . ان الحفنة الصغيرة من كبار المسؤولين الحزبيين السائرين في الطريق الرأسمالي يجب ان تنتقد ، ومن اجل ذلك يجب تركيز القوى . يجب ان ننشر اعمال الدورة العامة الحادية عشرة ، نجاحاتنا وخطنا . اذا اردنا اسقاط الحفنة من الاشخاص المعنيين، فيجب ان نقوم به ليس فقط على المستوى التنظيمي، بل ايضا على المستويات السياسية والايديولوجية والنظرية . انها مشكلة حيوية بالنسبة لبلادنا وللعالم . فاذا لم تسقط التحريفية فانها ستعمد الى اجراء ردة . انها مهمة تاريخية كبرى . ومن وجهة نظر المستقبل ، فهي من المؤكد بعيدة عن ان تكون متممة . وفي هذا الصراع العظيم ، ينبغي علينا ان نستهدف المسؤولين الكبار السائرين في الطريق الرأسمالي ، التحريفيين . لقد تسرب بعضهم الى الحزب واحتل مراكز قيادية . وهم الذين يساندون العبقريات الشريرة (١) . انهم جميعا مراءون طماعون ، يمثلون الطبقات المستغلة . يتظاهرون بالخضوع لكنهم بالحقيقة يتمردون . لهم وجهان، مداهنون، يتكلمون امامكم كالبشر ووراء الظهر ، يعبرون عن انفسهم كالشياطين . غالبا ما يرفعون راية الماركسية اللينينية ، لكن ، معهم هناك دائما «ولكن» . ان أولئك الذين يلوحون بالراية الحمراء هم بعد اكثر خطرا . ينبغي علينا ان نكون حذرين .

انني اعتقد ، من جهتي ، اننا نرى العلامات الاولى للتخلي عن النضال ضد العدو : المسؤولين الكبار السائرين في الطريق الرأسمالي. لقد اثرت المشكلة في الاجتماع الاخير هنا ، وقلت انه كان ينبغي وضع برنامج يستهدف اعلى اولئك المسؤولين . ان التناقض في هذه اللحظة يتميع . وبقول اخر ، ان ذلك النقد شديد الصعوبة ، طالما ان جميع المسؤولين المعنيين لم يفضحوا .

في مجرى تلك التحولات الهائلة التي جرت خلال السنة الماضية ، حصلت اضطرابات ، غالبا . ان الاضطرابات التي تجري من مكان الى اخر ليست مترابطة . ومن جهة اخرى ، ان الصراع ، حتى العنيف منه، هو امر جيد . وما ان تظهر التناقضات الى العلن حتى تصبح معالجتها

---

(١) المثقفون البورجوازيون .

اكثر سهولة . ان هذه الثورة الكبرى تجري بالحد الادنى من الخسائر والحد الاقصى من المكاسب .

ان المكسب الاخير من دعم الجيش لليسار هو ان يتربى هو نفسه (الجيش) بذلك . فالمشاكل تفهم عبر ممارسة الصراع : ان الجنود ، بدعمهم للثوريين وللمنظمات اليسارية ، يرون الصراعات بين خطين بمختلف جوانبها ، يرون ان الصراع الطبقي والصراع بين خطين يوجد ايضا في الجيش . وتتكشف هذه المشكلة عندما يدعم الجيش اليسار ، بحيث يتعزز ويرتفع مستواه الايديولوجي . لا ينبغي ان نخشى الاضطرابات : كلما كثرت ، يكون ذلك افضل . مع سبعة او ثمانية اضطرابات لا يمكن للامور ان تنعدم معالجتها جيدا وبفعالية . ومهما كانت طبيعة الاضطرابات ، لا ينبغي ان نخشاها ، لانه كلما زادت خشيتنا زاد عددها . بيد انه لا ينبغي استخدام الاسلحة النارية ، ان هذا امر سيء دائماً .

ان البلاد بأكملها في عراك . عندما يكون هناك دملة هذا يعني انها تحتوي على بذرة ، وبذلك يجب ان تفقأ . ومحاربة ايديولوجية «الذرى» البورجوازية هي مثل على ذلك ، فينبغي سحقها . والا فان الاشتراكية لا يمكن ان تتأصل وعملية الصراع ـ النقد ـ التغيير ستصبح مستحيلة.

اذا جرت قيادة عربة بسرعة مفرطة ، فانها ستنقلب . ان اهم شيء الان هو التحالف الكبير والاتحاد المثلث . يجب عزل العناصر السيئة العبقريات الجديدة وبعث الحياة في منظمات الحزب . وفي رأيي ان دعوة منظمات الحزب الى الاجتماع على جميع المستويات ، ومن بينها المؤتمر الوطني التاسع، يمكن ان تحصل في العام القادم في هذا التاريخ. لا ينبغي لنا ان نستشعر التعب او نريد «التخلص» .

ان العوائق امام التحالف الكبير ينبعان من مصدرين : المسؤولون السائرون في الطريق الرأسمالي من جهة، والروح «الخاصة» الجبلية(١) والتباهي وسوء النية من جهة اخرى . وعندما تقام لجان ثورية ينبغي قيادة الثوريين البورجوازيين الصغار بشكل صحيح . وفيما يتعلق بجيش التحرير ينبغي اطلاق شعار دعم الجيش ومحبة الشعب . واذا تفحصنا عن كثب الاخبار المتعلقة بالصراع المسلح الواردة من مختلف الاماكن ، نتبين انه ليس بالشيء الكثير . هناك صراعات مسلحة لكن

---

(١) ميل بعض المجموعات الثورية الى العمل المستقل والى الاهتمام بمصالحها الخاصة ، على حساب الاعتبارات الاستراتيجية والتكتيكية .

بعض الاخبار غير مسنودة ـ ان الامر يشبه تقريبا التقارير عن الكوارث الطبيعية التي يقصد بها الحصول على زيادة في الحبوب . وبالنسبة للكوادر ، يجب نقد الصيغة الداعية الى «مهاجمة اكبر عدد من الاشخاص من اجل حماية حفنة منهم» التي ما تزال تطبق هنا وهناك. ان التحالفات الكبرى والاتحاد المثلث ودعم اليسار مبادىء لا تتغير . ونقل السلطة والجيش والكوادر المسائل الثلاث الراهنة. وهناك حيثجرى نقل السلطة فالمهمة الكبرى هي في الحفاظ عليه. واذا عولجت هذه المشاكل فسيكون الاتجاه العام مطبقا : والا فسيكون الفشل . وينبغي ايضا الشروع بالنقد الجماهيري والامور الهامة . وقد نشرت **الراية الحمراء** مقالا هاما .

وفي اللحظة الراهنة ينبغي اعطاء النقد الجماهيري اندفاعا جديدا والاولوية على الباقي . ينبغي توحيد نقد كبار المسؤولين السائرين في الطريق الرأسمالي مع نقد المسؤولين السائرين في الطريق الرأسماليعلى المستوى المحليوفي مختلف القطاعات . وفيالصحف والدوريات ينبغي التشديد على نقد ليو وتنغ وتاو وبنغ ولوو يانغ. وفي الجيش ينبغي التشديد على نقد ليو شاوشي وبنغ تهوه و هو لوونغ .

٣ ـ ينبغي على المتمردين الثوريين ان يعملوا على أصلاح مفهومهم عن العالم

في هذه اللحظة الحاسمة من الصراع الطبقي يجب التشديد من اصلاح المفهوم عن العالم . وفي هذا الصدد على اليسار الثوري موجبات اكثر ثقلا بعد . وبقول اخر ، لن يتم كنس الايديولوجية البورجوازية قبل وقت طويل ، وقد تقود الامور الى وضع سلبي جدا . الا تعتقدون بصحة ذلك ؟ هل فكرتم بالطريقة التي يجب ان نعمل بها من اجل الانتقال من الاشتراكية الى الشيوعية ؟ اذا اردنا ان نضمن عدم عودة ظهور خطأ السير في الطريق الرأسمالي ، واذا اهتممنا فعلا بأمور الدولة ، ينبغي العمل بصلابة من اجل اصلاح مفهومنا عن العالم .

يبدو ان ثمة شرطين مسبقين ضروريين لقيام التحالف الكبير : من جهة ينبغي أن يتم حصوله وانشاؤه في الصراع ، لأن الصراع مطلق بينما الوحدة نسبية . يقول البعض ان الشعب الصيني بطبيعته وديع . ولا اعتقد انه كذلك اكثر من هذا : الصينيون مشاغبون .

ومن جهة اخرى ، لا ينبغي تطبيق شعار «لنا الحق بأن نتمرد» ، دون حد في الوقت الحاضر . القيام بالثورة وحمايتها لهما طابع طبقي. ينبغي حماية الكوادر الثورية بكل وضوح وباندفاع . ان البعض يقول : من الافضل ان يكون المرء «يساريا» من ان يكون يمينيا . ان النزعة

«اليسارية» ، التي هي بالواقع من اليمينية ، تظهر اكثر ثورية من الواقعية ، لكننا ضدها . انها من البورجوازية ، من روح التآمر .

ان اشخاصا مشهورين ونافذين ، خلال حركة الرابع من ايار كان الى جانبهم اشخاص من نمط هوشي (١) ، اليساري الذي اصبح بعد ذلك خادما للامبريالية الاميركية . وتشن تو-زيو (٢) ، الشهير ايضا خلال حركة الرابع من ايار ، اصبح معاديا للثورة . وقد كتب لي تا-شاو (٣) عددا قليلا من المقالات في تلك الفترة ، لكنه قام بعمل وأصبح ثوريا . وكان هنا ايضا لوسن (٤) . الذي ايد ، عن وضوح رؤية، التحقيقات الاجتماعية واستقلال التفكير ، والذي كان له ان يصبح بعد ذلك ماركسيا عظيما . ان التاريخ يعطي دروسا ، لا ينبغي ان نكون متقلبين . يجب ان نعمل بحماس وأن نرى بوضوح ونقيم صلات وثيقة بالجماهير. ينبغي ان نعرف كيف نجر الايديولوجية البورجوازيةالصغيرة، الموجودة في صفوفنا ، الى المدار الثوري . انها مشكلة اساسية من اجل النصر خلال الثورة الثقافية .

٤ ـ الصين قاعدة الثورة :

لقد صنعنا في وقت قصير الاسلحة الحديثة والقذائف الموجهة والاسلحة الذرية ، ولم يبق يفصلنا عن صنع القنبلة الهيدروجينية سوى سنتين وثمانية اشهر . لقد كان تطورنا اسرع من تطور اميركا وفرنسا وانكلترا . اننا نحتل المرتبة الرابعة في العالم . ان الصواريخ والقنبلة الذرية انجازان عظيمان . وهذا نتيجة «مساعدة خروتشيف» الذي بسحبه لخبرائه فرض علينا السير في طريقنا الخاص . يجب ان نعلق له وساما .

ان الامبريالية الاميركية ما تزال معزولة . كل شعوب العالم تعلم انها مصدر الحروب . فهي ومن بينها الشعب الاميركي، ضد الامبريالية.

---

(١) مثقف تلقى اعدادا من نمط اميركي ، من تلامذة ديوي . كان سفير الصين في الولايات المتحدة الاميركية .

(٢) مؤسس الحزب الشيوعي الصيني وكان اول زعيم له . ويعتبر في الصين مسؤولا عن كارثة ١٩٢٧ .

(٣) قيادي سابق في الحزب الشيوعي ، اغتيل عام ١٩٢٧ . وكان يشتغل في مكتبة بكين ، حيث اعطى عملا لماوتسي تونغ .

(٤) لوسن (١٨٨١ ــ ١٩٣٦) يعتبر غالبا اكبر كاتب صيني معاصر. وقد نال دائما تقدير ماوتسي تونغ لموقفه النضالي والمستقل .

لقد تكشفت التحريفية السوفياتية اكثر ، وبالتحديد في ازمة الشرق الاوسط . لقد أستعمل التحريفيون السوفياتيون ، طرق خروتشيف من جديد : ارسلوا ٢٠٠٠ من الخبراء الى الجمهورية العربية المتحدة . وفي البداية عمدوا الى المغامرة وأرسلوا أسطولهم الحربي . ثم حصلوا على وعد من الجمهورية العربية المتحدة بأن لا تبادر الى الهجوم ! وأعلموا جونسون بذلك بواسطة الهاتف الاحمر . ولم يكن يوجد هذا الهاتف الاحمر ايام خروتشيف . وقد سارع جونسون باعلام اسرائيل بذلك التي اطلقت هجوما مفاجئا : ٦٠٪ من الطيران المصري جرى تدميره على الارض . وتبلغ المساعدة السوفياتية ٢،٣ مليار . لكن ج.ع.م. كان عليها أن توقف المعركة اخيرا . وهذا ما يكشف كيف تجري خيانة الدول الوطنية .

في الوقت الحاضر هناك تيار معادي للصين في العديد من الامكنة، الامر الذي يعطي انطباعا بأننا فيعزلة . والواقع ان اولئك المعادين للصين هم في عزلة لانهم يخافون التأثير الصيني والثورة الثقافية . يحاربون الصين من اجل الابقاء على اضطهاد شعوبهم ومن اجل تحويل الاستياء الشعبي . ان الوقوف بوجه الصين تنفذه الامبريالية الاميركية والتحريفية السوفياتية . وهذا ما يبرهن على عدم عزلتنا ، بل على ان تأثيرنا قد ازداد عبر العالم . وكلما ازدادت مجابهتهم للصين ، كلما دفعوا بالثورات الشعبية : ان شعوب تلك البلدان يدركون ان الطريق الصيني هو طريق التحرر . ولا يجب ان تبقى الصين المركز السياسي للثورة العالمية ، فقط ، بل يجب ان تصبح ايضا مركزها العسكري والتقني .

الوثيقة الخامسة

نشر هذا البيان في نهاية المؤتمر التاسع ووزع على شكل كتيبات صادرة عن دار النشر باللغات الاجنبية في بكين .

بيان صحفي من امانة هيئة الرئاسة للمؤتمر الوطني التاسع للحزب الشيوعي الصيني

(٢٤ نيسان ١٩٦٩)

بعد ظهر ٢٤ نيسان ، اختتم بنجاح المؤتمر الوطني التاسع للحزب الشيوعي الصيني .

وقد حضر الجلسة اليوم الزعيم العظيم الرئيس ماو .

وتراس الجلسة نائب الرئيس لين بياو .

وتم انتخاب اللجنة المركزية التاسعة للحزب الشيوعي الصيني في الجلسة الكاملة التي عقدت اليوم . وساد عملية الانتخاب عن طريق الاقتراع جو ثوري حماسي للغاية . وعندما ذكر اسم الزعيم العظيم الرئيس ماو واسم رفيقه الحميم في السلاح نائب الرئيس لين بياو، عند اعلان قائمة اسماء الاعضاء المنتخبين في الجلسة ، دوت في ارجاء القاعة عاصفة من التصفيق المستمر ، وهتف المندوبون بكل حماس ولوقت طويل : «عاش الحزب الشيوعي الصيني العظيم والمجيد والصائب !» و«عاش المؤتمر الوطني التاسع المتحد والمنتصر للحزب !» و«عاشت افكار ماوتسي تونغ المظفرة !» و«عمرا مديدا للزعيم العظيم الرئيس ماو ! » .

ومنذ ان دخل المؤتمر في الموضوع الثالث من جدول اعماله في ١٥ نيسان ، قام المندوبون بالعمل بصورة جدية وبشعور بالمسؤولية . وبموجب ما قررته هيئة رئاسة المؤتمر قدمت الوفود اولا وبحرية اسماء مرشحين للاعضاء والاعضاء الاحتياطيين للجنة المركزية ، ثم قامت هيئة

رئاسة المؤتمر بجمع آراء الوفود ووضعت القائمة الاولية للمرشحين وعادت تعرضها على الوفود ، وبعد تشاور مستفيض تم وضع قائمة المرشحين . وبعد ذلك جرى انتخاب اولي عن طريق الاقتراع السري . وهكذا حددت قائمة المرشحين النهائية بعد تشاورات ديموقراطية متكررة ومستفيضة جرت من ادنى الى اعلى ومن اعلى الى ادنى ، ثم قدمتها هيئة الرئاسة الى المؤتمر لاجراء الانتخاب الاخير عن طريق الاقتراع السري . ان عملية انتخاب اللجنة المركزية التاسعة للحزب الشيوعي الصيني قد جسدت تماما نظام المركزيه الديمقراطية والخط الجماهيري للحزب .

ومن بين اعضاء اللجنة المركزية البالغ عددهم ١٧٠ وأعضائها الاحتياطيين البالغ عددهم ١٠٩ الذين تم انتخابهم ، ثوريون بروليتاريون من الجيل القديم في حزبنا ، ومحاربون بروليتاريون انبثقوا حديثا في خضم الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، وكوادر قياديون في مختلف جبهات الحزب والحكومة والجيش ، وأعضاء ممتازون في الحزب يعملون في مواقع الانتاج بالمصانع والارياف ، وأبطال قتال من جيش التحرير الشعبي الذي يذود عن الوطن ، وأعضاء في الحزب يشتغلون باعمال الثقافة والعلوم ، ومناضلون شيوعيون ممتازون ومناضلات شيوعيات ممتازات من مختلف القوميات . ويقول المندوبون ان تشكيل اللجنة المركزية التاسعة قد عبر تعبيرا قويا عن حيوية حزبنا ووحدته الثورية اللتين لم يسبق لهما مثيل ، تحت الراية الحمراء العظيمة لافكار ماوتسي تونغ .

وجلس اليوم في الصف الامامي من منصة الرئاسة : الرفاق شوآن لاي ، تشن بوه دا ، كانغ شنغ ، غيانغ تشينغ ، تشانغ تشون تشياو ، ياون يون ، سيه فو-تشي، هوانغ يونغ شنغ ، وو فاشيان ، يه تشيون، وانغ دونغ شينغ ، ون يوي تشنغ .

وجلس فيه ايضا : الرفاق دونغ بي ، ووليو بووتشنغ ، تشو ده ، تشن يون ، لي فوتشون ، تشن بي ، لي شيان نيان ، شيو شيانغ تشيان ، نيه رونغ تشن ، يه غيان ينغ .

قال المندوبون بسرور وغبطة : لقد رفع هذا المؤتمر عاليا الراية الحمراء العظيمة للماركسية اللينينية ـ افكار ماوتسي تونغ ، فدرس باهتمام وجدية نظرية الرئيس ماو حول مواصلة الثورة فيظل ديكتاتورية البروليتاريا ، ولخص الانتصار العظيم والتجارب الاساسية للثورةالثقافية البروليتارية الكبرى في بلادنا ، وحدد مهمات الحزب وسياساته حول نشاطاته على الصعيدين الداخلي والعالمي ، كما انتخب اليوم اللجنة

المركزية الجديدة. وبذلك حقق بصورة ناجحة ، في النواحي السياسية والايديولوجية والتنظيمية ، نـــــداء الرئيس ماو بأن **«يكون هذا المؤتمر مؤتمر وحدة ومؤتمر نصر»** . ان هذا المؤتمر سيكون له حتما في تاريخ حزبنا تأثير جد عميق وبعيد المدى . وبعد اختتام المؤتمر سوف نستطيع بكل تأكيد ان **«نحرز انتصارات اعظم في كل انحاء البلاد»** تحت قيـــادة الزعيم العظيم الرئيس ماو رئيسا لها مع نائب الرئيس لين نائبا لرئيسها.

ويعتقد المؤتمر انه يجب زيادة تطوير الحركة الجماهيرية العظيمـة للدراسة الحية والتطبيق الحي لافكار ماوتسي تونغ في كل انحاء البلاد، ويجب الدراسة الجدية للكلمات البالغة الاهمية التي القاهـــا الرئيس ماو في مناسبات عديدة خلال المؤتمر، والدراسة الجديةللتقرير السياسي الذي قدمه نائب الرئيس لين ، والدراسة الجديـة لدستور الحـــزب الشيوعي الصيني ، ودراسة التجارب التاريخية حول النضال بين الخطين داخل الحزب خلال الـ ٤٨ عاما المنصرمة ولاسيما منذ بداية مرحلة الثورة الاشتراكية . وعن طريق الدراسة يتم الوصول الى ادراك واضح للوضع والمهمات والسياسات ويتحقق المزيد من دحض خط ليو شاوشـــي التحريفي المعادي للثورة وتصفية بقية تأثيرات الساحة حتى يتمكن كل الحزب وكل الجيش والشعب من مختلف القوميات في انحاء البلاد ان ينفذوا بحزم الخط الثوري البروليتاري للرئيس ماو ، ويواصلوا توطيد وتعزيز ديكتاتورية البروليتاريا ويحضوا حتى النهاية بالثورة في البنـاء الفوقي بما في ذلك التعليم والادب والفن والصحافة والصحة العامـــة وغيرها من المجالات الثقافية ، وينجزوا مختلف مهمات النضال والنقـــد والتغيير التي طرحها نائب الرئيس لين في تقريره السياســي . ويجب علينا ان نثق بالجماهير ونعتمد عليها ونحترم روح المبادرة لديها . ويجب علينا ان ننجز هذه المهمات خطوة فخطوة وبصورة عميقة ودقيقة وثابتة ومعقولة في كل مصنع على حدة وفي كل مدرسة على حدة وفي كـــل كومونة على حدة ، وفي كل وحدة على حدة . ويجب علينا ان نحلـــل الاحوال القائمة في مختلف الاماكن تحليلا محددا ونولي الاهتمام لتفاوت تطور الحركة ونضع الخطة اللازمة من اجل اتمام مهمات النضال والنقد والتغيير في مختلف المراحل على نطاق البلاد .

ويدعو المؤتمر الكوادر القياديين من مختلف المستويات كل الحزب وكل الجيش ، والجماهير الثورية الغفيرة ان يعلقوا في اذهانهم تعليـــم الرئيس ماو القائل **بأن السياسة والتكتيك هما حياة الحزب** ، وينفـذوا بجدية كافة السياسات البروليتارية للرئيس ماو . ويجب علينا ان نوطد التحالف بين العمال والفلاحين ، تحت قيادة البروليتاريا ، وأن نثقـف المثقفين من جديد ، ونكسب ونتحد مع جميع الذين يمكن الاتحاد معهم

في سبيل النضال المشترك ضد العدو . ويجب علينا ان نولي الاهتمام لاتجاه تحركات الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبورجوازية ونقوم بالنضال ضد حفنة المعادين للثورة الذين يحاولون عبثا العودة ، وضد الميول الخاطئة «اليسارية» او اليمينية المخالفة لسياسات الرئيس ماو ، وضد مختلف مظاهر النظرة البورجوازية الى العالم .

ويطالب المؤتمر الرفاق في كل الحزب ، واللجان الثورية من مختلف المستويات بأن ينفذوا الخط الجماهيري بجدية ويتمسكوا بالطريقة العلمية الماركسية تلك الطريقة القاضية باجراء التحقيق والدراسة في احوال المجتمع ، التي دعا اليها الرئيس ماو ، ويستخدموا الديالكتيك المادي القائل بأن الواحد ينقسم الى اثنين ، لتحليل التناقضات وحلها . ويجب علينا ان نجيد التمييز بين النوعين المختلفة طبيعتهما من التناقضات بيننا وبين العدو والتناقضات بين صفوف الشعب ونجيد معالجة التناقضات المختلفة طبيعتها بصورة مناسبة وبأساليب مختلفة . وفي اثناء معالجة المسألة ، علينا ان نرى جانبها الايجابي وجانبها السلبي كذلك . وعندما ننتبه الى اتجاه رئيسي واحد يجب علينا ان ننتبه ايضا الى اتجاه اخر قد يكون مستترا وراءه ، ويجب علينا ان نلاحظ بصورة كاملة ونتمسك وثيقا بالوجوه الرئيسية ونعالج في نفس الوقت مسائل الوجوه غير الرئيسية واحدة واحدة . وعلى الرفاق القياديين من مختلف المستويات ان يلموا بالوضع الكلي ويتقنوا الامساك بالنماذج ويلخصوا التجارب ويتتبعوا اتجاه التحركات ويؤدوا اعمالهم بشكل عميق ودقيق ويتغلبوا على اسلوب العمل الوسطي . وازاء وضع النصر يجب على الرفاق ان يحافظوا على اسلوب الكفاح الشاق وأسلوب التواضع والتروي والتحصن ضد الفطرسة والطيش ، وأن يحذروا من قذائف البورجوازية المغلفة بالسكر ومحاولاتها في افساد وتفكيك حزبنا وصفوفنا الثورية .

ويقدم المؤتمر الوطني التاسع للحزب الشيوعي الصيني تحيات ثورية بروليتارية حارة الى الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء والفئة الدنيا من الفلاحين المتوسطين والحرس الاحمر والكوادر الثوريين والمثقفين الثوريين في كل البلاد ، الذين سجلوا مآثر جليلة في خضم الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، والى قواد ومقاتلي جيش التحرير الشعبي الذين سجلوا مآثر جليلة في الدفاع عن اراضي الوطن المقدسة وفي اعمال مساعدة الصناعة ، ومساعدة الزراعة ، وتأييد جماهير اليساريين الغفيرة ، وممارسة الاشراف العسكري والتدريب السياسي العسكري . كما يقدم المؤتمر تحيات رقيقة الى ابناء الجاليات الوطنية الغفيرين الذين يقيمون فيما وراء البحار والمواطنين الوطنيين في هونغ كونغ وماكاو والى المواطنين في تايوان الذين يرزحون تحت الاضطهاد والاستغلال من

قبل رجعية شان كاي تشك الاميركية ، والى جميع الذين قاموا باعمال مقيدة لقضية الثورة والبناء في وطننا خلال المدة الطويلة ويؤيدون الاشتراكية ويحبون الوطن . ويهيب المؤتمر بالطبقة العاملة والفلاحين الفقراء والفئة الدنيا من الفلاحين المتوسطين والشعب من جميع القوميات في كل البلاد ان يبنوا الاشتراكية متمسكين بمبادىء **الاستقلال والتمسك بزمام المبادرة والاعتماد على النفس** . وبذل اقصى الجهود والتطلع الى العلاء لتحقيق نتائج اعظم وأسرع وأفضل وأكثر اقتصادا ، وأن يدفعوا المد الجديد للثورة والانتاج بأفعالهم العملية في **التمسك بالثورة ودفع الانتاج والاعمال الاخرى والاستعدادات لمواجهة الحرب** . وأن يسجلوا مآثر جديدة في الحركات الثورية الثلاث العظمى وهي الصراع الطبقي والنضال من اجل الانتاج والتجربة العلمية .

ويقدم المؤتمر الوطني التاسع للحزب الشيوعي الصيني تحياته الكفاحية الحارة الى حزب العمل الالباني البطل والاحزاب والمنظمات الماركسية اللينينية الحقيقية الشقيقة في العالم بأسره والى الشعوب الثورية في القارات الخمس التي تكافح كفاحا بطوليا ضد الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية والتحريفية المعاصرة التي مركزها الطغمة السوفياتية المرتدة ورجعيي مختلف البلدان ، والى الشعب الفيتنامي البطل الذي يثابر على المضي حتى النهاية بحرب المقاومة ضد العدوان الاميركي ومن اجل انقاذ الوطن . ويعلن المؤتمر بمهابة : ان الحزب الشيوعي الصيني الذي رباه الزعيم العظيم الرئيس ماو، سيتمسك بالأممية البروليتارية الى الابد، ويؤيد بحزم النضال الثوري الذي تخوضه البروليتاريا والشعوب المضطهدة والامم المضطهدة في العالم قاطبة. ونحن مصممون على الاتحاد مع الماركسيين اللينينيين الحقيقيين في العالم اجمع ، وعلى الاتحاد مع جماهير البروليتاريا الفقيرة في كل العالم والشعوب الثورية في مختلف البلدان، من اجل التحطيم التام لمؤامرات التواطؤ الامريكي السوفياتي الدامية عبثا لاعادة تقسيم العالم ، ومن اجل المضي حتى النهاية بالنضال العظيم ضد الامبريالية والتحريفية والرجعية.

ان الامبريالية الامريكية والتحريفية السوفياتية وسائر الرجعيين في العالم جميعهم نمور من ورق ، ولا مفر لهم من مصير الهلاك ، وصعوباتهم لا يمكن تذليلها . والنصر سيكون بالتأكيد حليفا للقضية الثورية لشعوب العالم . اننا نلاحظ بذهن صاف : انه لا تزال هناك صعوبات وتعرجات مختلفة في طريق التقدم ، وان الرجعية داخل البلاد وخارجها ، ستظل تقاوم مقاومة يائسة . ولكن كل ذلك لا يمكن ان يعرقل الزحف الظافر لقضيتنا الاشتراكية العظيمة . وان الشعب الصيني وجيش التحرير الشعبي الصيني المسلحين بأفكار ماوتسي تونغ هم قوة

لا تقهر في العالم . اننا مصممون على تحرير تايوان ! واننا مصممون على الدفاع عن الاراضي المقدسة والسيادة لوطننا العظيم ! ان كافة النشاطات التخريبية والتآمرية والاعتداءات الوقحةالتي تقوم بها الامبرياليةالامريكية والتحريفية السوفياتية والرجعية خارج البلاد ، والمؤامرات التحريفية التي تحوكها الرجعية داخل البلاد ستتحطم حتما وكلياً تحت القبضة الحديدية للشعب الصيني وجيش التحرير الشعبي الصيني الذين يقفون على تمام الاستعداد ! ان عصرنا عصر تنحدر فيه الامبريالية نحو الانهيار الشامل وتتقدم فيه الاشتراكية نحو الانتصار على نطاق عالمي، عصر عظيم تحرز فيه الماركسية ـ اللينينية ـ افكار ماوتسي تونغ انتصارها في العالم بأسره . فلنتبع الزعيم العظيم الرئيس ماو بخطى حثيثة ، ونمضي قدما الى الامام لننتزع انتصارات جديدة اعظم !

عاش انتصار المؤتمر الوطني التاسع !
عاش انتصار الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى !
عاشت ديكتاتورية البروليتاريا !
يا عمال العالم اتحدوا !

فلتتحد البروليتاريا والشعوب المضطهدة والامم المضطهدة في العالم قاطبة !

فلتسقط الامبريالية الاميركية ! ولتسقط التحريفية السوفياتية ! ولتسقط الرجعية في مختلف البلدان !

عاشت الوحدة العظمى لشعوب العالم قاطبة !
عاشت الماركسية ـ اللينينية ـ افكار ماوتسي تونغ المظفرة !
عاش الحزب الشيوعي الصيني العظيم والمجيد والصائب !
عاش الزعيم العظيم الرئيس ماو !
عاش ! عاش !

فهرست

هذا الكتاب

تناقل العالم خلال السنوات الماضية اخبار الثورة الثقافية في الصين . وقد اشتد الجدل السياسي حولها . ولكن نقص المعلومات الوافية كان يجعل الثورة الثقافية أشبه ما تكون باللغز المحير .

ولكن جان دوبيه الذي عاش في الصين خلال سنوات الثورة يقدم لنا اوفى المعلومات عنها ... لماذا قامت وكيف ألغت الجماهير الاجهزة البيروقراطية في حركة جماهير واسعة ...

انه اول كتاب واسع وشامل وموضوع باللغة العربية .

الثمن ٦٥٠ ق. ل.
٨٥٠ ق. س.

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت